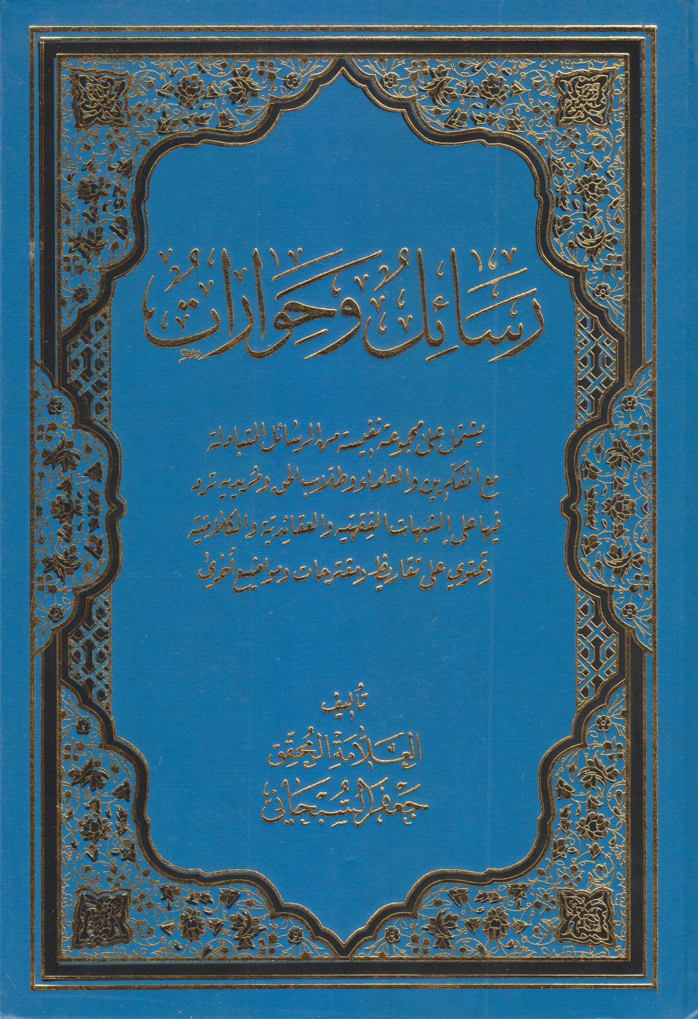

رسائل وحوارات
يشتمل على مجموعة نفيسة من الرسائل المتبادلة
مع المفكرين والعلماء وطلاب الحق ومريديه ترد
فيها على الشبهات الفقهية والعقائدية والكلامية
وتحتوي على تقاريظ ومقترحات ومواضيع أُخرى
تأليف
العلامة المحقق
جعفر السبحاني

رسائل وحوارات

رسائل وحوارات

يشتمل على مجموعة نفيسة من الرسائل المتبادلة مع المفكّرين والعلماء وطلاب الحق ومريديه ترد فيها على الشبهات الفقهية والعقائدية والكلامية وتحتوي على تقاريظ ومقترحات ومواضيع أُخرى



تأليف

العلّامة المحقّق

جعفر السّبحاني

جعفر السبحاني التبريزي، ١٣٤٧ ق ـ
رسائل وحوارات / جعفر السبحاني . ـ قم : مؤسسة الإمام الصادق ﷺ،
١٤٣١ ق . = ١٣٨٨ .
ص ٧١٠. ISBN 978 - 964 - 357 - 434 - 5
أُنجزت الفهرسة طبقاً لمعلومات فيبا .
١ . السبحاني التبريزي، جعفر، ١٣٤٧ ـ ق. ـ ـ الرسائل. ٢ . الإسلام ـ ـ
مقالات و حوارات. الف. مؤسسة الإمام الصادق ﷺ. ب. العنوان.
BP ٥٥/٣ / ٤آ ٢س ٢٩٧ / ٩٩٨

اسم الكتاب: .... رسائل وحوارات

المؤلف: .... العلّامة الفقيه المحقّق جعفر السبحاني

الطبعة: .... الأُولى ـ ١٤٣١ هـ. ق

المطبعة: .... مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام

الناشـــر: .... مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام

القطع: .... وزيري

عدد الصفحات: ٥٧٦

عدد النسخ: .... ١٠٠٠ نسخة

التنضيد والإخراج الفني: .... مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ـ السيد محسن البطاط

مركز التوزيع

قم المقدسة

ساحة الشهداء ؛ مكتبة التوحيد

☎ ٧٧٤٥٤٥٧ ؛ ٠٩١٢١٥١٩٢٧١

http://www.imamsadiq.org

بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وآله الأطهار.

أمّا بعد:

فهذه رسائل مفتوحة وحوارات متبادلة انطلقنا في تدوينها من المثل المعروف «الحقيقة بنت البحث» أو قولهم: «العلم رحم». فقد كانت سيرة العلماء الماضين تبادل الرسائل العلمية والحوارات الفكرية بينهم لتتضح الحقيقة وراء البحث والجدل البنّاء، وقد كانت الحقيقة هي الضالة الّتي ينشدونها ويبحثون عنها هنا وهناك، حتّى إذا ما وجدوها جعلوها نصب أعينهم .

وقد كانت الأواصر العلمية بين علماء الشيعة والسنة وطيدة وراسخة عبر القرون، ولم تمنع الاختلافات الفكرية أو العقائدية من حصول الزمالة بينهم في مجالات العلم والفكر والأدب. وما ذلك إلّا لوجود مشتركات كثيرة.

وهذا ما دفعني إلى مراسلة أصحاب الفكر والأدب والساسة، في مواضع مختلفة أو قمت بنقد مقالات نشرت لبعضهم في المجالات والدوريات العربية.

فالذي نرجوه من الله سبحانه هو أن يكون لهذه الرسائل تأثير نافع في أوساط المثقفين المسلمين وفي توحيد صفوفهم ولمّ شملهم إنّه على ذلك لقدير.

وسيجد القارئ الكريم إنّ هذه الرسائل يطغىٰ عليها طابَع التقريب ورصّ الصفوف وتوحيد الكلمة حيث تشير إلى المشتركات وتحلل المختلفات ببيان هادئ ودليل واضح، منطلقين من قول شاعر الأهرام :

إنــا لتــجمعنا العــقيدة أُمّةً ويضمنا ديـن الهـدى أتـباعا

ويؤلّف الإسلام بـين قـلوبنا مهما ذهبنا في الهوى أشياعا

ولمّا كانت الرسائل مترامية الأطراف، ناظرة إلى غير واحد من الموضوعات العقدية والعلمية، آثرنا نشرها في جزء واحد حتّى يتيسّر للجميع الاستفادة منها، ورتّبناها في أبواب أربعة :

الأوّل: الرسائل المفتوحة. يتضمّن رسائلنا المفتوحة إلى البابا وكوفي عنان الأمين العالم للأُمم المتحدة والملك السعودي والشيخ القرضاوي.

الثاني: الرسائل المتبادلة. يتضمن رسائلنا المتبادلة مع علماء الفريقين.

الثالث: ردود ومقترحات. يتضمن رسائلنا إلى العلماء والمؤتمرات العلمية والجاليات الإسلامية .

الرابع: تقاريظ ورسائل العلماء. يتضمن رسائل العلماء وتقاريظهم على كتبنا.

كما جعلت إجازتي من أُستاذي وشيخي العلّامة المتتبّع آقا بزرگ الطهراني صاحب الذريعة ﷺ تمهيداً وفاتحة خير للكتاب.

وفي الختام ندعو الله سبحانه أن يتقبّل منّا هذا العمل بقبول حسن، وينفع به طلاب الحق ومريديه. والحمد لله أوّلاً وآخراً

جعفر السبحاني

تمهيد

إجازتي من الشيخ آقا بزرگ الطهراني صاحب الذريعة

استجزت شيخي العلّامة محمّد محسن المدعو بآقا بزرگ الطهراني ﷺ (١٢٩٣ ـ ١٣٨٩هـ) فأجازني ﷺ.

واعتزازاً به وعرفاناً لحقه عليّ جعلت كتابه الذي بعثه إليّ من النجف الأشرف عام ١٣٦٨ هـ ق مدخلاً لكتابي هذا.[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله الذي وفّقنا لأخذ معالم ديننا عن العترة الطاهرة، بطرق صحيحة متّصلة، وأسانيد قويّة مسلسلة، والصلاة والسلام على سيّدنا ونبيّنا محمّد المصطفى وعلى آله الأئمّة المعصومين أهل الصدق والوفاء، صلاة متواصلة من الآن إلى يوم اللقاء.

أمّا بعد؛ فإنّ الشيخ الفاضل، البارع الكامل، المشار إليه بالأنامل، من بين الأقران والأماثل، مولانا «الميرزا جعفر بن العالم الجليل الورع التقي الشيخ

١ . وهو من محقّقي القرن الرابع عشر ومؤرّخيهم، وله تآليف رائعة في البيبلوغرافيا والرجال منها؛ الذريعة إلى تصانيف الشيعة (٢٦ جزءاً)، وطبقات أعلام الشيعة (١٥ مجلداً)، وغيرهما.

محمّد حسين التبريزي الخياباني»[1] دامت بركاتهما.

ممّن وفقه اللّه تعالى للأخذ عن العترة الطاهرة، إطاعة لما أمر به أمير المؤمنين عليه السلام لصاحب سرّه كميل بن زياد، فقال: «يا كميل! إنّ اللّه تعالى أدّب رسوله صلى الله عليه وآله، وهو أدّبني، وأنا أُؤدّب الناس، يا كميل! ما من حركة إلّا وأنت محتاج فيها إلى معرفة، يا كميل! لا تأخذ إلّا عنّا، تكن منّا»، وطريق الأخذ عنهم بعد ارتحالهم هو الأخذ من القرى الظاهرة الذين جعلهم اللّه تعالى واسطة بيننا وبينهم، وهم القرى المباركة المذكورة في سورة الإسراء من كتابه الكريم كما نطقت بها الأحاديث المستفيضة المرويّة في تفسير البرهان وغيره، وتلك القرى الظاهرة تتّصل بعضها ببعض، إلى أن يظهر الحجّة عليه السلام فوفّقه اللّه تعالى للدخول في هذه السلسلة.

فاستجاز من هذا المسيء بحسن ظنّه، ولا أرى نفسي كما ظنّه، لكن إجابة مسؤولة دعتني إلى أن استخرت اللّه تعالى، وأجزته أن يروي عنّي جميع ما صحّت لي روايته عن جميع مشايخي من الخاصّة والعامّة بجميع طرقهم وأسانيدهم، ولكثرتها وتشتّتها نقتصر بذكر طريق واحد هو من أعالي الأسانيد، وأقواها، وأقومها، و أمتنها .

وهو ما أرويه بحقّ الإجازة العامّة عن شيخي وملاذي وأوّل من ألحقني بالمشايخ ثالث المجلسيّين الشيخ العلّامة الحاج ميرزا حسين النوري

---

١ . محلة من محلات تبريز يطلق عليها «خيابان» باعتبار أنها، كانت شارعاً رئيسياً بالنسبة إلى سائر المحلات.

المتوفّى والمدفون في الغري السري في (١٣٢٠ هـ) فأنا أروي عنه وعن جميع مشايخه المذكورين في خاتمة المستدرك:

أوّلهم: الشيخ العلّامة المرتضى الأنصاري التستري المدفون بباب القبلة من الصحن الغروي في (١٢٨١هـ)، وهو يروي عن العلّامة الأوحد المولى أحمد النراقي المدفون في النجف في (١٢٤٥هـ)، وهو يروي عن أجلّ مشايخه آية الله السيّد محمّد مهدي بحر العلوم الطباطبائي البروجردي النجفي المسكن والمدفن، في مقبرته الخاصّة الشهيرة في (١٢١٢هـ)، وهو يروي عن الشيخ الفقيه المحدّث الشيخ يوسف صاحب الحدائق المتوفّى والمدفون بالحائر الشريف الحسيني في (١١٨٦هـ)، وهو يروي عن العلّامة المدرّس المعمّر البالغ إلى ما ئة سنة المجاور للمشهد الرضوي حيّاً وميّتاً توفّي بها (بعد سنة ١١٥٠هـ) أعني المولى محمّد رفيع بن فرج الجيلاني، وهو يروي عن شيخه العلّامة المجلسي مؤلّف بحار الأنوار مولانا محمّد باقر المتوفّى في (١١١١هـ)،وهو يروي عن والده العلّامة المولى محمّد تقي المجلسي المتوفّى في (١٠٧٠هـ)، وهو يروي عن شيخه وشيخ الإسلام الشيخ بهاء الدين محمّد العاملي الاصفهاني المدفون بالمشهد الرضوي في (١٠٣٠هـ)، وهو يروي عن والده الشيخ عزّ الدين الحسين بن عبد الصمد الحارثي الجبعي المتوفّى في البحرين في (٩٨٤هـ)، وهو يروي عن الشيخ السعيد زين الدين العاملي الشهيد في (٩٦٦هـ)، وهو يروي عن الشيخ الفقيه علي بن عبد العالي الميسي المجاز من سميّه: الكركي، وهو يروي عن الشيخ محمّد بن محمّد بن محمّد بن داود المؤذّن الجزيني ـ ابن عمّ الشهيد ـ،

وهويروي عن الشيخ ضياء الدين علي بن الشيخ الشهيد ﵀، وهو يروي عن والده الشيخ شمس الدين محمّد بن مكي العاملي الجزيني الشهيد ظلماً في (٧٨٦هـ)، وهو يروي عن فخر المحقّقين الشيخ أبي طالب محمد بن الحسن الحلّي المتوفّى (٧٧١هـ)، وهو يروي عن والده آية الله العلّامة الحلّي الشيخ جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر الحلّي المتوفّى (٧٢٧هـ)، وهو يروي عن خاله وأُستاذه الشيخ أبي القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد الحلّي المتوفّى (٦٧٦هـ)، وهو يروي عن الشيخ تاج الدين الحسن بن علي الدربي، وهو يروي عن الشيخ رشيد الدين محمّد بن علي بن شهر آشوب السروي المتوفّى عن ما يقرب مائة سنة (٥٨٨هـ)، وهو يروي عن السيّد عماد الدين أبي الصمصام ذي الفقار بن محمّد بن معبد الحسيني، وهو يروي عن السيّد الشريف المرتضى علم الهدى المتوفّى (٤٣٦هـ) وعن شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي المتوفّى (٤٦٠هـ) وعن الشيخ أبي العباس المتوفّى (٤٥٠هـ)، وكلّهم يروون عن الشيخ السعيد أبي عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد المتوفّى (٤١٣هـ)، وهو يروي عن الشيخ أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمّي المتوفّى (٣٦٨هـ)، وهو يروي عن الشيخ ثقة الإسلام الكليني محمّد بن يعقوب المتوفّى (٣٢٨هـ) أو (٣٢٩هـ)،وهو يروي كثيراً في كتابه الكافي عن الشيخ الجليل علي بن إبراهيم بن هاشم القمّي المتوفّى بعد سنة (٣٠٧هـ) كما يظهر من إجازته لجمع ممّن يروون عنه غير الكليني في هذا التاريخ، وأكثر روايات علي بن إبراهيم عن والده إبراهيم بن هاشم القمّي،

وبقية الإسناد إلى الأئمّة المعصومين عليهم السلام مذكورة في الكتب الأربعة.

فليرو دامت بركاته عنّي بهذا الإسناد لمن شاء وأحبَّ، والرجاء من مكارمه أن يذكرني بالدعاء في خلواته وأعقاب صلواته، و أن يلازم الاحتياط في سائر الحالات فإنّه طريق النجاة.

وفي الختام نحمد اللّه تعالى على مننه، ونشكره على نعمائه، ونصلّي ونسلّم على خاتم أنبيائه وآله المعصومين الطيّبين الطّاهرين،

حرّره فقير عفو ربِّه، المسيءُ المسمّى بمحسن،

والمدعو بآقابزرگ الطهراني غفر له

ولوالديه، وذلك في العشرين

من جمادى الآخرة

١٣٦٨ هـ ق.

الباب الأوّل

الرسائل المفتوحة

ويشتمل على الرسائل التالية:

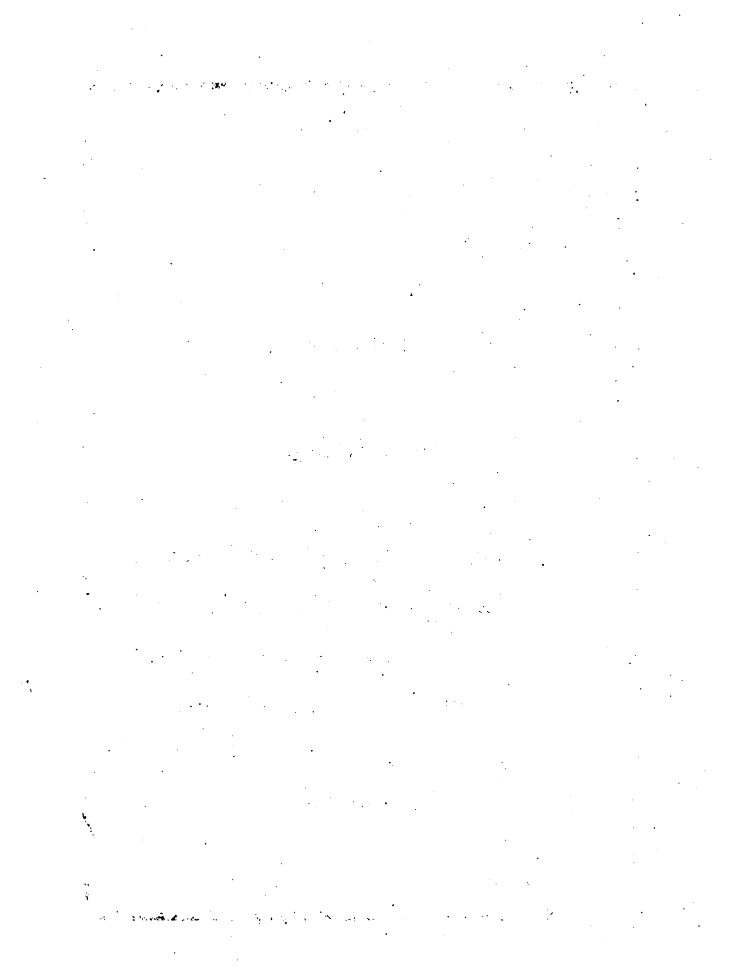
١. رسالة إلى كوفي عنان الأمين العام لمنظمة الأُمم المتحدة.

٢. رسالة إلى الباب بنديكت السادس عشر.

٣. رسالة إلى الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود.

٤. رسالة إلى الشيخ يوسف القرضاوي.

٥. رسالة أُخرى إلى الشيخ القرضاوي.



١

رسالة مفتوحة إلى الأمين العام لمنظمة الأُمم المتحدة
السيد كوفي عنان المحترم
حول التعرض للنبيّ الأعظم
في الإعلام الغربي

نرفع إلى حضرتكم أسمى آيات التقدير و الاحترام

إنّ منصب الأمانة العامة للأُمم المتحدة (وهو أعلى منصب في المنظمات الدولية)، الّذي تتسنمون مقامه يستدعي منكم المحافظة على حقوق جميع الشعوب و التصدّي لجميع التجاوزات والانتهاكات الّتي تحدث في العالم واستنكارها.

وفي الآونة الأخيرة قامت مجموعة من الصحف الأُوربية بجرح مشاعر أكثر من مليارد وثلاثمائة مليون مسلم من خلال التعرّض لرمزهم الأوّل «النبي الأكرم ﷺ» والإساءة له عبر نشر رسوم مهينة، تحت ذريعة: «حرية الرأي».

حرية الرأي أم حرية الإهانة

إنّ ميثاق حقوق الإنسان الصادر عن الأُمم المتحدة والممضىٰ من قبل رؤساء الدول الأعضاء في المنظمة والّذي تضمن الحفاظ على حرية الرأي، أصبح وسيلة يتذرع بها البعض لهتك حرمة المقدّسات الدينية لمليارات المتدينين في العالم. وقد شاهدنا أخيراً بعض الصحف الغربية تنشر رسوماً مهينة لنبي الإنسانية والإسلام النبي الأكرم(نبي الرحمة)، جارحة بذلك مشاعر المسلمين بل جميع المتدينين في العالم، والأنكى من ذلك أنّنا نجد بعض السياسيّين الغربيّين ـ والذين ما كان منتظراً منهم أن يؤيدوا هذا التحرك البغيض ـ قد تصدّوا للدفاع عن ذلك العمل الشنيع وتبريره تحت ذريعة حرية التعبير عن الرأي.

حقاً أنّ مفهوم الحرية مفهوم جذّاب ومحبب إلى النفوس إلّا أنّه استعمل ـ وللأسف ـ على طول التاريخ ضد الحرية نفسها.

والملاحظ أنّ الّذين دوّنوا قانون حرية الرأي والّذي أمضاه رؤساء دول العالم، لم يرسموا حدود تلك الحرية ولم يبيّنوا الدائرة الّتي تنطلق فيها ولا ينبغي تجاوزها؟! ولذا أصبح ـ ولشديد الأسف ـ خيمة يحتمي فيها العنف بجميع أشكاله وأنواعه!

١. فهل يُباح وتحت مظلة حرية التعبير عن الرأي تشويه سمعة الآخرين وتمكين الجهّال للقيام ضدهم وإهدار حقوقهم المدنية والاجتماعية

وإهانتهم وتعذيبهم وقتلهم؟!

٢. وهل يجوز استغلال حرية التعبير عن الرأي للتفريق بين الشعوب والأقوام والدول، وإثارة نار الحقد والكراهية والشحناء في أوساطهم إلى حد نشوب الحروب والقتال بينهم؟!

٣. وهل تسمح حرية التعبير عن الرأي بأن يتجاوز البعض على مقدّسات الأُمم ليهينها كالتجاوز على علم الدولة أو الدستور أو القيادة؟!

٤. وهل يجوز تحت شعار حرية التعبير عن الرأي الافتراء على الآخرين وشهادة الزور ضدهم لسحق حقوقهم وتشويه صورتهم أمام العالم؟!

٥. حدد علماء الأخلاق الكثير من جرائم اللسان وقد أقرّ القانون المدني والدولي الكثير منها، فهل يُراد ياترى ـ و تحت شعار حرية التعبير عن الرأي ـ سحق تلك القوانين والتذرّع بالحرية المذكورة والاختفاء وراء ستارها؟!

٦. من المناسب جداً إعادة النظر في ميثاق حقوق الإنسان ودراسته بدقّة ليتضح للجميع هل أنّ ما سنّ هو قانون يتكفّل حرية الرأي، أو هو قانون سنّ لإطلاق الحرية لهتك الحرمات وسحق المقدّسات وكرامة الشعوب والأقوام؟!

لا ريب انّ الشيء المغفول عنه هنا هو التفاوت بين حرية التعبير عن الرأي وبين حرية هتك كرامة الإنسان وإهانته والاستهزاء به.

٧. انّ حرية التعبير عن الرأي حق أُعطي لكلّ فرد، ولكن شريطة أن لا يتجاوز على حقوق الآخرين، وإذا كان قانون حرية التعبير عن الرأي لا يخضع لأي قيد أو شرط، فلا ريب انّه لا تكون ثمرة ذلك القانون إلّا الفساد والهرج والمرج والانفلات، من هنا يجب أن يكون قانون حرية التعبير عن الرأي مقيّداً بأن لا يمس حقوق الآخرين ولا يعتدي عليها. وإذا أراد شخص ما استغلال القانون للتجاوز على حقوق الآخرين، فلابدّ أن يتعامل معه باعتباره مجرماً قانونياً.

٨. انّ الذين يحاولون تبرير انتهاك مقدّسات الآخرين تحت ذريعة حرية التعبير عن الرأي، يحجمون عملياً عن السماح للآخرين في المساس بمقدساتهم حتّى لو كانت على مستوى الأفكار والنظريات العلمانية، فلا يسمح للمواطن البريطاني أو غيره المساس بملكة انجلترا، أو بدستور البلاد، أو بعلم الدولة، ويرون أنّ المرتكب لهذه الأعمال أو بعضها متجاوزاً على القانون، بل نراهم يذهبون إلى أكثر من ذلك فلا يسمحون بدراسة قضية تاريخية مثل «محرقة اليهود» الهلوكوست، وانّ من يقترب منها قد اقترب أو تجاوز الخط الأحمر، وعليه أن يمثُل أمام القضاء والقانون لتنزل بحقه أشدّ العقوبات، والدليل عليه ما شاهدناه أخيراً وتحديداً في الثالث من شباط ٢٠٠٦م من محاكمة المؤرخ الانجليزي السيد ديفيد ايروينج، والحكم عليه بالسجن ثلاث سنين لا لجرم ارتكبه سوى انّه أثار بعض التساؤلات المشروعة حول تلك المحرقة المزعومة.

نعم، هذا شاهد صارخ على ما قلناه من الكيل بمكيالين والتعامل

بازدواجية مع القانون المذكور.

٩. وهل ياترى يُباح استغلال قانون حرية التعبير عن الرأي لضرب منافع الشعوب والدول وبثّ شبكات التجسس والعمالة للدول الأجنبية في أوساط الشعوب الأُخرى؟!

١٠. انّنا نشاهد اليوم أنّ بعض الدول تعترف رسميّاً بأقبح الفواحش الإنسانية والأخلاقية كحرية ممارسة الجنس مع المماثل، أو حرية التعرّي والخلاعة، فهل ياترى يسمح قانون حرية التعبير عن الرأي للآخرين بالتصدّي لهذه الظواهر المستهجنة ولو بالاعتراض الكلامي فقط، أو انّ الّذي يعترض عليها يُعدّ متجاوزاً على حريات الآخرين؟!!

إنّ هذه نماذج أثرناها هنا ليتضح جليّاً أنّ القضية تحمل طابعاً سياسياً، وانّ الذين أهانوا مقدسات المسلمين وحماتهم إنّما تذرّعوا بحرية التعبير عن الرأي، بل اتّخذوها العوبة لنيل الأهداف السياسية الّتي ينشدونها.

وانطلاقاً من الحكمة المعروفة (ربّ ضارة نافعة) أو:

وإذا أراد اللّه نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

فإنّ أصحاب الرسوم الكاريكاتورية المهينة ـ بالرغم من فظاعتها وقبحها، ورفضها منّا، وإدانتها ـ إلّا أنّ الّذي سعى إلى تحقيقه أصحاب تلك الرسوم، لا أنّه لم يتحقّق فحسب، بل أصبح عملهم سبباً لالتفات المسلمين إلى الخطر الّذي يحيط بهم ممّا أدّى إلى إيجاد نوع من الوحدة والانسجام والاتحاد بين الشعوب الإسلامية من شرق الأرض إلى غربها باختلاف

أُصولهم ولغاتهم وأوطانهم حيث وقف الجميع يداً واحدة وصفاً واحداً أمام ذلك التجاوز والانتهاك معلنين إدانتهم ورفضهم لهذا المنطق الأهوج الّذي يعتمده البعض من الغربيين، ولكي يتضح الأمر جليّاً نترجم بعض فقرات الدساتير المعتمدة في الدول الغربية.

حدود الحرية في الثورة الفرنسية الكبرى

إنّ مراجعة بعض فقرات القوانين الغربية توضح وبجلاء ما قلناه من أنّ حرية التعبير عن الرأي ليس قانوناً مجرداً عن كلّ قيد وشرط، فقد ورد في المادة الحادية عشرة من القانون الأساسي الفرنسي المصوّب عام ١٧٨٩م، ما يلي:

«يحق لكلّ مواطن التعبير عن رأيه وطرح أفكاره بحريّة تامة شريطة أن لا يتجاوز الحدود الّتي رسمها القانون».

كما نرى في القانون الأساسي الفرنسي لعام ١٨٨٩م بعض الفقرات القانونية الّتي سنّها المقنن الفرنسي من قبيل: حفظ الأسرار الطبية (سر المهنة)، الحفاظ على الحرمات الشخصية للأفراد، منع إثارة التمييز العنصري والمذهبي، منع شتم الأفراد والمساس بشخصية الآخرين، ومنع كلّ أنواع التعبير ضد السامية وضد المرأة، ممّا مثل تحديداً وتقييداً لقانون حرية التعبير عن الرأي.

فهل يصح مع كلّ هذه الفقرات القانونية التذرّع بحجّة حرية التعبير عن

الرأي لتبرير قضية الرسوم المسيئة لنبي الرحمة ﷺ ؟!

صحيح انّ الغرب قد سلب القداسة عن الدين ولكنّه ألبس بعض الأُمور الأُخرى لباس القداسة، كالهلوكوست واحترام الطفولة والمساواة، وأنّ من ينقد تلك الأُمور في الغرب يُعد بمثابة من يهين المقدّسات.

ثمّ إنّ هذا الأمر ـ وضع الخطوط الحمر ـ لا يختص بالقانون الفرنسي بل ترى ذلك في دساتير الكثير من البلدان الغربية كالقانون الأساسي الدانماركي فانّه يعتبر إهانة بعض الناس بسبب معتقداتهم الدينية أمراً ممنوعاً، ولقد صرّح بتلك الحقيقة رؤساء الكنائس الدانماركية خلال لقائهم بشيخ الأزهر السيد محمد طنطاوي ووزير الأوقاف المصري السيد حمدي زقزوق ومفتي الديار المصرية السيد علي جمعة، بتاريخ ٩شباط ٢٠٠٦م.

إنّ هذه الأعمال ترتكب، بالرغم من أنّها وطبقاً لصريح ميثاق حقوق الإنسان المدني والسياسي ـ المصوب يوم ٢٦ ديسمبر١٩٦٦م، والّذي وجب تنفيذه طبقاً للقرار ٢٢٠٠ المصوب بتاريخ ٢٣ آذار ١٩٧٦م، والموقَّع عليه من قبل الدول الأعضاء بما فيها الدول الأُوربية وأمريكا ـ تُعد جرائم قانونية. نعم، إنّ ما قامت به الصحف الدانماركية يُعدّ جرماً ومخالفة قانونية صارخة لبنود القوانين الدولية المذكورة حيث تنص الفقرة الثانية من المادة العشرين للميثاق المذكور على: انّ كلّ أنواع الحث على النفرة القومية أو العرقية أو المذهبية والّتي تؤدي إلى الدفع نحو التمييز والعداء والعنف تعد وفقاً للقانون المذكور أمراً محظوراً.

اكره لغيرك ما تكره لنفسك

حقاً انّ هذه الحكمة تكشف عن اعوجاج منطق الغربيّين الذين يريدون من الآخرين احترام عقائدهم وعدم المساس بمقدساتهم وعدم تجاوز الخطوط الحمراء عندهم، والحال انّهم لا يعيرون لمقدّسات الآخرين وحرماتهم وزناً، ففي الوقت الّذي يدعون فيه إلى الحوار والتعددية (البلوراليسيم) ويعتبرون ذلك من مفاخر ثقافتهم الفكرية والسياسية، نجدهم يناقضون أنفسهم في حصر الحوار والسماح للحرية الفكرية بمن هو على مذهبهم الفكري، أو ممّن يسير على نهجم من الشرقيين المغتربين.

إنّ الغرب وإن ترك وراءه مرحلة الاستعمار المباشر ولكنّه لم يتجرّد عن الفكر الاستعماري لحد هذه اللحظة فهو يعيش إلى الآن فكر الهيمنة والتسلّط على الآخرين ولكن هذه المرّة باسلوب جديد حيث يسعى للهيمنة على أفكار الآخرين وإملاء ما يؤمن به عليهم.

ولا ننسى أن نشير إلى أنّ جريمة الاعتداء على حرم الإمامين العسكريين عليهما السلام في مدينة سامراء، والّتي هي جزء من سلسلة المؤامرات للاعتداء على المقدسات وأهانتها.

إنّه حدث فجيع وعمل وحشي هزّ العالم الإسلامي بأسره ومن الإعماق، وجرح قلوب المحبين للنبي الأكرم وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام وأحزنهم حزناً كبيراً.

لقد انكشفت حلقتان من حلقات السيناريو التآمري على الإسلام

والمسلمين وهتك مقدّساتهم، ولا شكّ انّ اليد الخفية الّتي تقف وراء هذه الأعمال الأجرامية هي يد الصهيونية العنصرية والغرب الاستعماري، فتارة يسعون لإثارة الحروب الصليبية بين المسيحيّين والإسلام، وأُخرى يسعون لإثارة الفتنة بين أبناء الدين الواحد الشيعة والسنّة، انّهم حقاً يتصيّدون بالماء العكر.

من هنا يجب على قادة الدول الإسلامية وقادة وعلماء الأديان مواجهة هذا الخطر والقضاء على الخطط الشيطانية، وإخمادها في مهدها، وصيانة حريم الأديان من مخالب ثلة من المجرمين الذين لا يعرفون للإنسانية معنى من خلال رسم خطط وبرامج دقيقة وحوارات بنّاءة.

ولا شكّ انّ منظمة العالم الإسلامي لها الدور الفاعل والمهم في هذا المجال، إذ باستطاعتها أن تلعب دوراً عظيماً، وكذلك الأمين العام للأُمم المتحدة المحترم هو الآخر يمكن أن يمارس دوراً أساسياً في هذا المجال والإسراع في تقديم هؤلاء الجناة إلى المحاكم الدولية للقضاء على هذه الفتنة الّتي يراد إثارتها، وبهذا يكون الأمين العام قد أدّى الأمانة الّتي أُلقيت على عاتقه أمام المنظمة والدول الأعضاء.

وأخيراً نطالب جنابكم بالسعي الجادّ في كشف الجناة وتقديمهم إلى المحاكم الدولية من أجل تعزيز الصلح والسلام العالميين وصيانة حقوق كافة الشعوب والأقوام.

جعفر السبحاني

٢٣ شباط ٢٠٠٦ م

٢

خطاب مفتوح

إلى جناب البابا بنديكت السادس عشر (١)

١ . ألقى البابا بنديكت السادس عشر، يوم الثلاثاء المصادف ١٢سيبتمبر من عام٢٠٠٦م في جامعة ريجسنبورغ الألمانية كلمة تحت عنوان «الإيمان والعقل والجامعة: ذكريات وتأملات» استمع إليه فيه ٢٦٠،٠٠٠ألف شخص.

مقتطفات من الخطاب كما وردت في موقع «شفاف».

بدأ البابا حديثه عن ذكرياته الدارسية في جامعة «بون» عام ١٩٥٩م فقال:... وكانت تجري حوارات مفعمة بالحيوية بين المؤرخين والفلاسفة وعلماء اللغة وهذا أمرٌ طبيعي بين كليتي اللاهوت اللتين تضمّهما هذه الجامعة... ثمّ قال: وإنّنا كنّا جميعاً نعمل في جميع الميادين على أُسس عقلائية واحدة تتسم بأوجه مختلفة، وأنّنا كنّا نتقاسم المسؤولية عن الاستخدام السليم للعقل، إنّ هذه الحقيقة أصبحت تجربة معاشة... وانّه حتّى بازاء الشك الجذري (في وجود اللّه) فقد ظل ضرورياً ومعقولاً أن نطرح موضوع اللّه عبر استخدام العقل، وان نفعل ذلك في إطار الإيمان المسيحي. بعد هذه المقدمة عرّج للحديث عمّا قرأه في الكتاب الّذي نشره البروفسور تيودور خوري، لقسم من جدال دار بين الامبراطور البيزنطي عمانوئيل الثاني وفارسي مثقف حول موضوع المسيحية والإسلام وحقيقة كلّ من هذين الإيمانين.

فأشار إلى النقاش ـ السجال ـ السابع. حيث يتطرّق الامبراطور إلى مقولة «الجهاد». فقال: ولابدّ انّ الامبراطور كان مطلعاً على السورة رقم ٢ الآية ٢٥٦ الّتي جاء فيها﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ وهذه السورة وردت في الفترة الأُولى «يقصد المكية» حينما لم يكن محمد يملك أيّة سلطة بل كان عرضة للتهديد، ثمّ يضيف البابا: ولكن الامبراطور كان بالطبع مطلعاً على التعليمات الّتي طوّرت لاحقاً وتم تدوينها في القرآن الّتي تتعلق بالجهاد، ثمّ ينقل نص السؤال الّذي وجهه الامبراطور للمثقف الفارسي: «قل لي ما هو الجديد الّذي أتى به محمد، إنّك لن تجد سوى أشياء شريرة ولا إنسانية، مثل الأمر بنشر الإيمان الّذي بشر به بحد السيف؟ بعد ذلك وبفاصلة

....

☜ قصيرة تطرّق إلى مسألة إسرائيل قائلاً: وفي العهد القديم، وصل المسار الّذي بدأ في العلّيقة المحترقة إلى مرحلة نضج جديد في فصل «الهجرة حينما تمّ الإعلان عن أنّ إله إسرائيل ـ إسرائيل الّتي باتت محرومة من أرضها ومن عبادتها ـ هو إله السماوات والأرض ووصف في صيغة بسيطة تحاكي كلمات العلّيقة المحترقة «أنا هو».

وبعد أن يستعرض الأبعاد التاريخية والتحولات الفكرية في الفكر المسيحي يقول: وإذا ما كشفنا من جديد الآفاق الشاسعة للعقل نصبح قادرين على القيام بحوار الحضارات وحوار الأديان الّذي أصبح ضرورة من ضرورات العصر. [اقتطفنا هذه المقاطع من النص الكامل لمحاضرة البابا المنشورة في موقع «شفاف» على الانترنت].

لقطات إجمالية من حياة البابا بنديكت السادس عشر

من الجدير بالاهتمام انّه وقبل الدخول في مناقشة الأفكار الّتي طرحها البابا في محاضرته أن نلقي الضوء على بعض اللقطات من حياته:

١. الرجل مواطن ألماني وقبل أن يدخل السلك الروحاني كان عضواً في منظمة الشباب النازي، بعدها التحق بكلية اللاهوت فرع الكلام المسيحي ونال شهادته الجامعية في هذا الفرع.

٢. الملاحظة من نمط حياته أنّ الرجل سيّء الظن بالإسلام والمسلمين، وحينما انتخب لهذا المنصب صدرت دعوات تحذيرية بسبب عدم انسجامه مع مسلمي العالم ممّا قد يؤدي إلى ظهور بعض المشكلات في هذا المجال، إلّا أنّ أمريكا وإسرائيل سرعان ما بادرتا إلى مباركة هذا الانتخاب وتأييده.

٣. بعد أن انتخب إلى هذا المقام وفي أوّل خطاب له ـ و على خلاف البابا السابق له ـ لم يتحدّث عن الصلح والسلام والمحبة والمحرومين والجياع. بل أكد في خطابه على منهجه في الوقوف أمام البدع والتصدي لها، من هنا شرع بإدخال بعض المقررات الصارمة في الكنيسة وأصدر بصورة رسمية قانوناً يمنع على المطلقين الدخول إلى الكنيسة، كما أنّه لم يبد ارتياحه لمسألة الموسيقى الّتي كانت تتخذ كاسلوب لجلب الشباب إلى الكنيسة.

٤. في إحدى سفراته الّتي قام بها إلى بولندا حضر إلى معسكر «آشوتيس» وهناك حاول كسب عطف الصهاينة، فقال: «إلهي!! كيف سمحت لك عدالتك أن ترى تلك الجرائم؟!».

٥. من المعروف أنّ الرجل مختص بالكلام المسيحي ولا يملك شهادة دراسية في الأديان ☜

بعد السلام

أودّ أن أسترعي انتباهكم إلى الأُمور التالية:

١. انّ الحوار الهادف والبنّاء يقوم على أُسس الاحترام المتبادل، فكان بإمكان سموكم أن تطرحوا نظرياتكم بأُسلوب جذاب وعبارات بعيدة عن التعصب وإهانة الآخرين، وعندها لا يحق لأحد الاعتراض عليكم طبقاً لقانون حرية الكلمة، نعم بإمكان كلّ إنسان أن يرد عليكم بنفس الأُسلوب من باب النقاش الموضوعي، إلّا أنّه ولشديد الأسف نرى أنّ خطابكم كان خطاباً مهيناً بكلّ أبعاد الكلمة.

٢. انّ مسألة «عقلانية الدين» مسألة تخصصية صرفة، من هنا ينبغي أن تطرح في فضاء علمي ينسجم مع عمق الفكرة، فليس من الصحيح والمناسب أن تطرح هذه القضية في فضاء مفتوح يحضره حوالي ٢٦٠،٠٠٠ألف إنسان، الكثير منهم حضر بسبب علاقته وحبه لشخصكم ولا يفهم من الأُمور الفلسفية والكلامية شيئاً، من هنا نرى أنّ طرح مثل هذه المسائل في مثل هكذا فضاء بعيد كلّ البعد عن الذوق البلاغي وأدب الخطاب.

٣. انّ تخصّصكم في الكلام المسيحي يفسح لك المجال للحديث عن المسيحية، فمن حقّكم الحديث عنها ووصفها بالعقلانية وانّ الدين المسيحي عجين بالعقلانية والتعقّل!!

☜ الأُخرى، نعم قد تكون لديه مطالعات جانبية في هذا المجال. [أخذنا هذه المعلومات حول حياة الرجل من موقع «شفاف» و «اسلام أن لاين»].

ولكن دعنا نسألكم أي شهادة أو تحصيل علمي تملكونه حول الدين الإسلامي بحيث يسمح لكم من خلاله الحديث عن الإسلام والديانة الإسلامية؟ والّذي يظهر من خطابكم انّكم لا تملكون شيئاً في هذا المجال، فلا تعرفون عن الإسلام الحقيقي وكتب ومؤلفات العلماء المسلمين الحقيقيّين شيئاً. من هنا نراكم استندتم في إثبات مدعياتكم إلى كلام امبراطور مسيحي باسم «عمانوئيل الثاني» الأمر الّذي يبعث على العجب والحيرة من كلامكم.

لأنّ الواقع التاريخي يثبت أنّ السلاطين وأصحاب الحكومات يستندون في إثبات حقّانيتهم وتوجيه حكوماتهم وشرعية عملهم إلى كلام العلماء والروحانيين وأصحاب الاختصاص في الشأن الديني، أمّا أن ينعكس الأمر فهذا أمرٌ عجيب حقاً، هذا ما وقعتم فيه!! حيث نرى مقاماً دينياً وعلمياً يستند لإثبات نظريته إلى كلام إنسان حكم في القرون الوسطى، متهماً أُمّة كبيرة بالجهل وعدم العقلانية!! وبعبارة أُخرى: انّكم قد خالفتم نص الإنجيل الّذي يقول: «دع ما لقيصر لقيصر وما لعيسى لعيسى»، فما كان يجدر بكم الاستناد إلى كلام حاكم يعيش في القرون الوسطى وقد تحدث عن أمر هو بالكامل خارج عن مجال تخصصه.

٤. من الملاحظ في كلّ حوار أو نقاش يدور هناك أخذ ورد من الطرفين، وهنا من المناسب أن يُسأل الامبراطور عمّا أجابه المثقف الإيراني الّذي هو طرف في الحوار، فكيف جاز لك يا سماحة البابا أن تنقل السؤال

فقط وتغض الطرف عن الجواب؟ هل عملكم هذا ينسجم مع روح الحوار والمناظرة العلمية الصحيحة؟!

دع عنك ذلك، من الملاحظ في كلامكم أنّكم لم تذكروا اسم المثقف الإيراني واكتفيتم بوصفه العام، والحال أنّ البحث الموضوعي يقتضي أن يذكر اسم هذا المثقف لنرى مدى صلاحيته للحوار العلمي، وهل يمتلك من المؤهلات والجدارة العلمية ما يسمح له في الخوض في مثل هكذا حوارات معمّقة وتخصّصية؟!

لا شكّ أنّ عملكم هذا لا يؤدي إلّا إلى الإبهام في الحوار وتشويش الفكر وإضعافه.

٥. استنبطتم من كلام الامبراطور حتمية اطّلاعه على قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ وأضفت أنّ هذه الآية وردت في الفترة الأُولى «العهد الملكي» حينما لم يكن محمد يملك ـ حسب تعبيركم ـ أية سلطة بل وكان عرضة للتهديد.

وهنا أرى من الضروري أن أُذكركم بأنّ استنباطكم المذكور ونسبة العلم بواقع الآية إلى الامبراطور بعيدعن الواقع، بل انّه خلاف الواقع، وذلك لأنّ الآية المذكورة﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾هي إحدى آيات سورة البقرة وانّها من السور المدنية، أي أنّها نزلت على الرسول الأكرم ﷺ حينما كان ﷺ صاحب دولة وقوة استطاع أن يخضع محيط المدينة وشطراً من الجزيرة العربية لسلطة وحاكمية الدولة الإسلامية وتحت راية التوحيد، وقد ذكر

المفسرون سبب نزول هذه الآية، قال في «مجمع البيان»: نزلت في رجل من الأنصار يدعى أبا الحصين، وكان له ابنان، فقدم تجار الشام إلى المدينة يحملون الزيت، فلمّا أرادوا الرجوع من المدينة أتاهم ابنا أبي الحصين، فدعوهما إلى النصرانية فتنصّرا ومضيا إلى الشام، فأخبر أبو الحصين رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيّ﴾.[1]

ومن الواضح والمسلّم به أنّ الدين أمرٌ قلبي لا ينسجم بحال من الأحوال مع الإكراه ، فمن الممكن أن يجبر الإنسان على القيام بعمل ما، ولكن لا يمكن أبداً تغيير ما في القلب وتبديله عن طريق الجبر والإكراه، فهل يمكن إجبار الإنسان أن يعتقد في رائعة النهار انّ الوقت الآن ليل؟ والآية المباركة ﴿لاٰ إِكْرَاهَ فِي الدِّين﴾ ناظرة إلى هذا المعنى.

٦. انّ حجة ومستند من ألصقوا بالإسلام تهمة العنف والخشونة تنطلق من القانون المقدّس «قانون الجهاد» فهل فكرت لماذا يستعمل مصطلح «الجهاد» هذا المصطلح الجذاب ولم يستفد من مصطلح «القتال»؟!

فالجهاد بمعنى السعي والمثابرة وبذل الوسع، وهذا يعني على الجميع النهوض والسعي الجاد لتخليص البشرية من مخالب الوثنية وعبادة الأبقار، والحجارة، والكواكب، فالإنسان الّذي هو سيّد المخلوقات لا يمكن أن ينحني أمام البقر أو الحجارة ويخضع لها بالولاء والعبودية!! هذا في الفكر

١ . مجمع البيان:١٦٢/٢.

الإسلامي، ولكننا نرى في الفكر المسيحي أنّ الكنيسة قد اخترعت مصطلح «الحرب المقدسة» في القرون الوسطى وفي حروبها ضد المسلمين وبقيت هذه الفكرة تعيش في الأوساط الفكرية للكنيسة الكاثوليكية، واستطاعت من خلالها تعبئة الشباب المسيحي وتوجيههم نحو الشرق في حربها الّتي سمّيت بالحروب الصليبية.

فهل يمكنكم يا سماحة البابا إنكار هذا الواقع التاريخي وإسدال الستار على تلك الحروب الّتي انطلقت تحت راية القداسة واصطبغت بالصبغة الدينية؟!

ولا حاجة لنا للحديث عن التاريخ الماضي فقد يناقش تحت أية ذريعة، ولكن الحرب الّتي وقعت قبل ثلاثة أشهر والّتي قام بها الصهاينة تدعمهم الماكنة الحربيّة والسياسية والإعلامية الأمريكية والغربية، ضد شعب أعزل ودولة فقيرة، فراح ضحيتها الكثير من الشباب والأطفال والنساء والرجال وأُريقت دماؤهم ظلماً، في الوقت الّذي لم نرَ من جنابكم أية مبادرة لإدانة هذه الحرب أو السعي لإيقافها، وإذا ما صدرت بعض الكلمات فهي كلمات خجولة لا تعالج موقفاً ولا تحل مشكلة!!

٧. انّ الجهاد الإسلامي شأنه شأن الجهاد لدى سائر الأنبياء والمرسلين لم يكن الهدف منه إراقة الدماء وسلب الأموال وانتهاك الأعراض، بل كان في حقيقته أُسلوباً علاجياً للوقوف أمام المتغطرسين والمهيمنين على مقدّرات الناس من الحكام الظلمة الذين يسعون ومن أجل الحفاظ على مصالحهم الشخصية للحيلولة بين عامة الناس وبين المعرفة الدينية ويتصدون للمبلغين

المؤمنين ولا يسمحون لهم بنشر الدين الإلهي، فيوقعون في هؤلاء المبلغين القتل والتنكيل والتعذيب، الأمر الّذي يجعل جهاد هؤلاء الظلمة أمراً ضرورياً لرفع تلك الموانع والعقبات الّتي تعترض طريق الناس، وتحول بينهم وبين الدين وعرض رسالة الدين بصورة واقعية، بعد ذلك يأتي النداء الإلهي:﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾.

فكان من الحري بكم أن تلتفتوا في خطابكم المذكور إلى هذا المعنى الدقيق للجهاد، والّذي يعني رفع الموانع وإزالة العقبات عن طريق الناس والدفاع عن حريم الحرية الشخصية والاجتماعية، لا انّه أُسلوب قهري لفرض العقيدة وتحميل الدين على الناس، ثمّ إنّكم بكلامكم المذكور ونفيكم للجهاد قد أشرتم بأصابع الاتّهام لجميع الكتب السماوية والإلهية.

إنّ عدد سور القرآن الكريم ١١٤ سورة تجد ١١٣سورة منها تبدأ بكلمة «بسم اللّه الرحمن الرحيم»، وهذا يعني أنّ كلّ فرد يقرأ القرآن الكريم يبدأ بمعرفة الرب بصفتي «الرحمن الرحيم» وأن يجعل من حياته مظهراً لتجلّي الصفات الإلهية، فكيف ياترى يصحّ اتّهام الرسول الّذي جاء بمثل هذه التعاليم السامية بالإرهاب والعنف والخشونة؟!

٨ لابدّ من التفريق بين الفيلسوف والنبي، فالفيلسوف يبلور نظريته ثمّ يضعها تحت متناول الناس من خلال الكتب أو أي طريق آخر، ولا يهمه نشرها والسعي في إشاعتها، في الوقت الّذي نرى الأنبياء حملة للرسالة الإلهية وأنّهم مأمورون بإيصال هذا النداء إلى مسامع البشرية جمعاء، فهل يصحّ لهؤلاء الرسل الجلوس في زوايا بيوتهم وعدم الاهتمام بنشر الرسالة حتّى إذا لم تصل إلى مسامع البشرية؟!

٩. انّ الأديان الثلاثة: المسيحية واليهودية والإسلام هي ديانات إبراهيمية، تتّخذ من إبراهيم ﷺ أُسوة وقدوة لها، وهنا نتساءل: هل كان إبراهيم ﷺ يكتفي بالكلمة فقط لطرح رسالته والأفكار الّتي جاء فيها؟! أم أنّه كان يستعمل القوة إذا اقتضى الأمر، وهذا ما يتجلّى في موقفه من الأصنام حينما دخل بيوت الأصنام وحطمها بمعوله ليثبت للجميع خواءها وذلتها، ولينقذ الناس من الذل والهوان الّذي كانوا عليه من خلال عبادتهم لها.

١٠. وهنا نتساءل أيضاً، هل الجهاد من التشريعات الّتي تختص بها الرسالة الإسلامية فقط، أم أنّه مشرع في كلّ من الديانتين اليهودية والمسيحية؟

لا أظن أنّ جنابكم يجهل ما جاء في التوراة والإنجيل.

فقد ورد في إنجيل «متى»:

«لا نظن أنّي لألقي سلاماً على الأرض، ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً، فإنّي جئت لأُفرّق الإنسان ضدَّ أبيه والابنة ضدَّ أُمّها والكنّة ضد حماتها».[1]

كما جاء في الحديث في العهد القديم عن جهاد الأنبياء نكتفي بنموذج واحد وهو المقطع الّذي يتحدث عن جهاد داود ﷺ مع عمالقة عصره:

«وقال داود في قلبه إنّي سأهلك يوماً بيد شاول فلا شيء خيرٌ لي من أن أفلت إلى أرض الفلسطينيين فييأسُ شاول مني فلا يفتش عليَّ بعد في جميع

١ . انجيل متى: الباب ١٠، الآية ٣٤، طبع لندن عام ١٨٣٨.

تخوم إسرائيل فأنجو من يدهِ، فقام داود وعبر هو والستُّ مئة الرجل الذين معه إلى أخيش بن معوك ملك جتٍّ [١] ـ إلى أن قال ـ: وكان عدد الأيّام الّتي سكن فيها داود في بلاد الفلسطينيين سنة وأربعة أشهر، وصعد داود ورجاله وغزوا الجشوريين والجرزيين والعمالقة لأنّ هؤلاء من قديم سكان الأرض من عند شور إلى أرض مصر، وضرب داود الأرض ولم يستبق رجلاً ولا امرأة وأخذ غنماً وبقراً وحميراً وجمالاً وثياباً ورجع وجاء إلى أخيش».[٢]

إنّ الحديث عن الجهاد والسعي في الإسلام كثير جداً ولا يمكن إعطاء البحث حقّه خلال هذه الرسالة المختصرة، ولكن نلفت نظر سموكم إلى هذه النكتة:

لو أغمضنا النظر عن تاريخ البشرية الطويلة ونركز الحديث على القرن العشرين من عام ١٩٠١ـ ٢٠٠٠، لنرى أي الشعوب شهرت سيفها وحركت جحافلها وجيّشت جيوشها وبصورة مستمرة لتحتل تلك الأرض وتهاجم هذا الشعب أو ذاك، ولتنهب خيرات هذه البلاد أو تلك؛ هل هم المسلمون؟! أم الامبراطوريات المسيحية هي الّتي أشعلت فتيل الحربين العالميتين الأُولى والثانية والّتي راح ضحيتها الملايين من البشرية. فالحرب العالمية الأُولى راح ضحيتها ١٠ ملايين بين قتيل وجريح ومفقود، والحرب العالمية الثانية قارب العدد فيها المائة مليون!

---

١. انجيل متى:٤٧٤، صموئيل الأوّل ٢٦ و ٢٧ الاصحاح السابع والعشرون الآيات :١ـ٣.

٢. إنجيل متى: ٤٧٥، صموئيل الأوّل ٢٦ و ٢٧ الاصحاح السابع والعشرون الآيات:٨ـ١٠.

فإذا كان هناك جماعة تستحق النصيحة منك فينبغي أن تبدأ بهؤلاء القوم.

كما أنّنا نعيش هذه الأيام في أوليات القرن الواحد والعشرين، وتشاهدون ويشاهد الجميع الجيوش المسلحة بأحدث الأسلحة الفتاكة في كلّ من أفغانستان والعراق ولبنان والسودان و... الأمر الّذي يظهر وبوضوح للجميع أنّ أغلب هذه الحروب يكون رجالاتها ومثيروها هم من المسيحيين.

العقلانية في محاضرتكم

لقد اعتبرتم المسيحية منسجمة مع العقلانية وأنّها مطابقة لمنطق العقل مائة بالمائة، وفي المقابل اعتبرتم الإسلام بعيداً عن العقلانية والتعقّل، ونحن هنا نقف أمام مدّعاكم هذا من زاويتين ونتحدّث معكم في ناحيتين:

١. عقيدة التثليث والعقلانية المسيحية

إنّ كلمات الآباء الروحانيين قد ركّزت ولسنوات طويلة في كتبهم الكلامية على أنّ مسألة التثليث من المسائل الأساسية في الفكر المسيحي، وأنّها من المسائل التعبّدية الّتي لا تدخل في نطاق التحليل العقلي، لأنّ التصوّرات البشرية لا تستطيع أن تصل إلى فهمه، كما لا تخضع للمقاييس المادية، لأنّها حقيقة فوق المقاييس المادية، فهي منطقة محرمة على العقل، ومع تركيزهم على التثليث في جميع أطوار حياتهم وعصورهم يعتبرون أنفسهم موحّدين ومن أتباع الديانة الإبراهيمية الّتي ما جاءت إلّا لتحطيم

الشرك ودعوة الناس إلى التوحيد؛ ويعتقدون بالأقانيم الثلاثة: الأب، والابن، وروح القدس.

من هنا نلفت نظر سموكم إلى أنّ القول بالتثليث لا ينسجم قطعاً مع التوحيد، لأنّ كون الآلهة ثلاثاً لا يخلو عن إحدى حالتين:

إمّا أن يكون لكلّ واحد من هذه الثلاثة وجود مستقل، وهذا يتنافى مع التوحيد؛ وإمّا أن تكون هذه الآلهة الثلاثة ذات شخصية واحدة لا متعدّدة، وفي هذه الصورة يستلزم القول بالتثليث، التركيب في الذات الآلهية.

وحينما يواجه الآباء الروحانيون والقساوسة بهذا الإشكال يفرون من الإجابة عنه بإخراج القضية عن حيطة العقل وإدخالها في عالم التعبد والوحي!! ويطلبون الإيمان بها أوّلاً ثمّ التفكير فيها وتعقّلها ثانياً.

والعجيب هنا أنّنا لم نجد من استطاع بعد الإيمان بالفكرة تعبداً أن يحدث توازناً عقلياً بينها وبين منطق العقل ولم يوفق أحد منهم لرفع هذا التضاد.

وهنا نسأل: هل مع وجود هذا التضاد والتناقض يمكن لأحد أن يدّعي الانسجام التام بين الفكر المسيحي ومنطق العقل؟!

٢. عيد الميلاد

من الأُمور الّتي يعتقد بها في الفكر المسيحي ميلاد الرب «المسيح» ففي الخامس والعشرين من كانون الأوّل «جنوري» تلد السيدة مريم الرب!!

فهل يوجد توجيه عقلاني لفكرة ولادة الرب؟ فهل الرب الواحد أو الثلاثة مصدر وجود العالم ومبدعه، وكيف بعد خلق العالم وإبداعه من قبل الرب يولد الرب؟!

٣. نظرية الفداء

هل يمكن توجيه مسألة فداء المسيح عليه السلام من الناحية العقلية؟ اطرح هنا مسألة الفداء الّتي يؤمن بها المسيحيون واطلب من جنابكم توجيهها لي من خلال المنطق. انّ الفكر الكنسي يعتقد أنّ جميع الناس يولدون مذنبين وغير مطهرين، لا لأنّهم اكتسبوا الذنب ووقعوا في الخطيئة بأنفسهم، بل أنّهم يحملون الخطيئة إرثاً من أبيهم آدم!! وبغض النظر عن صحّة هذه النظرية أساساً، ومع التسليم بها، فإنّ الطريق الصحيح للتطهّر من الذنب والخطايا ـ والّذي ينسجم مع العقل ـ هو أن يقوم الإنسان ومن خلال العبادة والتوبة والإنابة إلى اللّه بتطهير نفسه وإزالة الأدران والآثام الّتي لحقت به، ولكن نجد في الفكر الكنسي أنّهم يعالجون القضية من خلال طريق آخر، حيث يقولون: إنّ المسيح عليه السلام قد اعتلى قبل ٢٠٠٠ عام خشبة الصلب واختار القتل صلباً ليفدي أُمّته، أي يكون جزاء إيثاره هذا أن يقوم الرب تعالى بالعفو عن ذنوب بني آدم وتطهيرهم. وهنا نتساءل هل من الممكن أن يصلب شخص ليعفى عن الآخرين؟! انّ الإنسان الضعيف من الممكن أن يقوم بتقوية بدنه من خلال ممارسة الرياضة بنفسه، فهل يصحّ ـ ياترى ـ أن يمارس الرياضة شخص ليقتدر غيره ويقوى بدنه؟! وهل يصحّ أن يتناول الطعام اللذيذ والمقوي شخص ويلتذ ويشبع غيره؟!!

٤. العشاء الرباني

جاء في الفكر الكنسي: إنّ العشاء الرباني الّذي يتكون من خمر وخبز يستحيل إلى جسد ودم السيد المسيح ـ نعم هناك خلاف طويل بين الكنائس ولكنّنا نصوّر الكنيسة الغربية ـ فمن أكل من الخبز وشرب من الخمر فقد أدخل المسيح في جسده بلحمه ودمه، وتلك مسألة لم تجد لها زاوية في عقول الشباب الغربي فثار عليها.[١]

وفي المؤتمر الكنسي الّذي عقد في روما ١٢١٥م. أقرّ ما شاع: من أنّ الخبز والخمر في العشاء الرباني يتحوّل إلى جسد ودم السيد المسيح وجعله مبدأ دينياً.[٢]

وهنا نسأل جنابكم: أيّ واحد من أجزاء هذه النظرية ينسجم مع العقل والمنطق؟!

من هنا نرى اليوم المفكّر المسيحي والآباء الروحانيين ولبعد تلك الأفكار عن المنطق والعقل، يلوذون للخلاص من الإشكالات المتوجّهة إلى النظرية، بستار التعبّد حيث يخرجون القضية عن حيطة العقل ويضعونها تحت خيمة الإيمان لا العقل ويقولون: إنّ مجال ومحيط الإيمان غير محيط العقل.

---

١. أضواء على المسيحية لمتولي يوسف شلبي:١٢٩.

٢. نفس المصدر:١١٥.

وقد سلك الآباء الروحانيون لحل هذه التناقضات والإشكالات العلمية المتوجّهة للعهدين، طريق التفريق بين طريقي العلم والإيمان، فللعلم طريقه وللإيمان طريقه، فلا ضير على ما جاء في العهدين من مخالفات للعقل والعلم، لأنّ طريقهما غير طريق العلم. لأنّ منطق الدين غير منطق العلم!!!

٥. لقد رفعت الكنيسة في القرون الوسطى راية مواجهة العلم والتصدّي للمخترعين والمكتشفين من خلال محاكم التفتيش العقائدي، حيث أُحرق الكثير من المخترعين والمكتشفين لمخالفة ما توصلوا إليه من خلال البحث العلمي مع ما ورد في العهدين، ولقد أشارت إلى تلك الأحداث المروعة المصادر الّتي كتبت بأقلام مسيحية.[١]

ولا شكّ أنّكم تعلمون بما لا مجال للشك فيه بهذا التناقض الواضح بين منطق الكنيسة ومنطق العلم، ولو أردنا أن نبيّن لكم حقيقة الأمر ونطيل البحث معكم هنا لكنا مصداقاً للمثل العربي:«كناقل التمر إلى هجر» لعلمكم بكلّ خفايا وأبعاد القضية وكلّ ما حدث في تلك البرهة الزمنية من انتهاكات علمية ومواجهة مع منطق الفكر والبحث والتنقيب.

٦. كيف يكون «البابا» الّذي هو إنسان كسائر الناس منزّه عن الذنوب والخطايا؟! ونحن إذا ما قلنا بعصمة الأنبياء فإنّما ننطلق في ادّعائنا هذا من كونهم مرتبطين بالوحي وقد تربوا في أحضانه، ولا نـدّعي العصمة لكلّ إنسان حتّى إذا كان بمستوى مرجع التقليد أو الحكيم الإلهي.

فهل نظرية التثليث الثانية الّتي ظهرت في الفكر المسيحي والتّي يكون

---

١. انظر: قصة الحضارة لويل ديورانت، بحث محاكم التفتيش.

أحد أركانها: جنابكم «البابا»، وركنها الآخر «بولس» الذي استطاع بأفكاره الّتي أثارها تحويل المسيحية البسيطة والشعبية إلى مسيحية لها طقوس خاصة ذات أُبّهة ملوكية مجلّلة وديانة شركية، والركن الثالث الكنيسة.

فكيف ينسجم ذلك مع العقلانية والتعقّل؟!

٧. هل الرهبنة ومنع القساوسة من الزواج وتشكيل الأُسرة يُعد ظاهرة عقلانية؟! فمن المسلّم به أنّ القس إنسان كسائر الناس يحمل ميولاً ورغبات طبيعية وغريزية. وأنّ من الضروري تلبية تلك الرغبات وإشباع تلك الغرائز من خلال الطرق المشروعة، فإنّ الوقوف أمام هذا الأمر الفطري لا ينتج إلّا الفساد في أوساط القساوسة. وهذه حقيقة ظاهرة للجميع ولا يمكن إخفاؤها.

٨. دعنا هنا نسأل جنابكم الكريم هل من منطق العقل أن تتحدّثون باسم المسيحيين جميعاً وأنتم لا تمثلون إلّا «المسيحية الكاثوليكية» وتتجاهلون المذاهب المسيحية الأُخرى كالبروتستانية والارتودكس، الّذين لم يؤيدوا خطابكم؟!

٩. ثم هل من منطق العقل والعقلانية أن توجه سهامك إلى الدين الإسلامي فقط ونبيّه الأكرم وتتجاهل الديانات والمذاهب الأُخرى كاليهودية والديانات الشرقية والغربية والديانات الوثنية المنتشرة في العالم؟!

وإذا كانت الذريعة الّتي تتسترون بها هي الحديث عن الإرهاب والعنف، فهل ياترى أن تلك الأديان خالية من تلك الصفة؟!

إنّ الجدير بمن يتسنّم منصب الأب الروحي أن يتصدّى للعنف

والإرهاب أينما كان ومن أي دين صدر، ويدعو الناس إلى الصلح والسلام والوئام وأن يظهر البعد الرحماني والرحيمي في الدين الإلهي بصورة شفافة، فهل من العقلانية تغافلكم عن كلّ ما تنطوي عليه الأديان الأُخرى من عنف وإرهاب فكري وجسدي، وتصب جام غضبك على الإسلام والمسلمين؟!

١٠. وهل من العقلانية الحديث عن الحوار وفي الوقت نفسه تتحدّثون مع أتباع الديانات الأُخرى بطريقة استعلائية وبلحن الآمر الناهي ومن جانب واحد، والحال انّ الدعوة إلى الحوار والجدال والنقاش العلمي هي الدعوة الّتي رسمها القرآن الكريم وحددت معالمها الآية المباركة الشريفة: **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلّا نَعْبُدَ إِلّا اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنّا مُسْلِمُونَ﴾**.[١]

نرجو منكم أن تقارنوا بين لحن هذه الآية وأُسلوب خطابها مع خطابكم، حينها تدرك جيداً أنّ الداعي إلى الحوار والسبّاق إليه هو نبي الإسلام الأكرم محمد ﷺ لا جنابكم يا حضرة البابا. ولو تأملت في الآية المباركة الّتي جاء بها الرسول الأكرم ﷺ، لوجدتها تتوفر على الخصائص التالية:

أوّلاً: تبدأ الكلام بأُسلوب يحفظ للطرف الآخر احترامه وبأُسلوب الاحترام المتبادل مع أهل الكتاب، داعية الجميع للتمسك بنقطة الاشتراك

١. آل عمران: ٦٤.

والالتقاء المتفق عليها بين جميع الأديان الإلهية والّتي تحمل قيمة عليا لدى الجميع وهي كلمة التوحيد وعبادة الإله الواحد.

ثانياً: التحذير من الغلو في بعض الشخصيات، ووضعها في مصاف الرب أو جعلها هي الرب، الأمر الّذي ينطوي على مخاطر كبيرة ويؤدي إلى نشوء الكثير من الانحرافات العقائدية وغير العقائدية.

ثالثاً: إن استجاب أهل الكتاب لهذه الدعوة المباركة حينها يمدّ لهم المسلمون يد المسالمة والوئام والعيش معاً بسلام وأمان، وإن لووا أعناقهم ولم يذعنوا لهذا الخطاب الإلهي والنداء الرحماني فهنا أيضاً لا يشن عليهم المسلمون الحرب ولا يشهرون بوجوههم السيف، بل يكون الخطاب الإسلامي معهم ﴿**فَإِنْ تَوَلَّوا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ يعني انّنا لا نحيد عن إسلامنا وعبادة ربّنا ولا نخضع لدعوة غيرها في الشرك كما لا نجبر أحداً على الإذعان لديننا.

قارن بين هذا الخطاب وبين محاضرتكم الّتي ألقيتموها في جامعة «ريجسنبورغ» ثمّ أحكم أيكما هو السبّاق والداعي إلى الحوار والعقلانية رسول الإسلام أم أنتم وأجدادكم؟!

وهل من المنهج العقلاني أن تركز على شخصية واحد من الآلاف من علماء المسلمين وهي شخصية ابن حزم الظاهري (المتوفّى ٤٥٦هـ) في الوقت الّذي يعلم الجميع انّه من علماء إحدى فرق المسلمين الّتي عفى عليها الدهر وإنّ أكثر علماء المسلمين قد ردّوا آراء هذه الفرقة ولم يرتضوا

منهجها الفكري، ووضعوها في زاوية الإهمال والنسيان؟

إنّ الجدير بالمنهج العقلاني الّذي تتحدّثون عنه هو أن تستندوا إلى النظرات والآراء المطروحة من قبل كبار علماء المسلمين وفلاسفته كالفارابي وابن سينا وابن رشد ونصير الدين الطوسي وغيرهم من الشخصيات الّتي يعرفها العالم الغربي أكثر منّا.

الإسلام والعقلانية

١. انّ موقفكم من الإسلام والقاعدة الّتي اعتمدتموها في إدانة الإسلام والحكم عليه قاعدة بعيدة كلّ البعد عن الإنصاف والعقلانية، فكان من الأجدر بكم لإثبات عقلانية الإسلام أو عدمها الرجوع إلى المتون الإسلامية لا الاستناد إلى مصنّفات المخالفين للإسلام الّتي صنّفت بطريقة مغرضة هدفها الإساءة للإسلام وتعاليمه السامية، وحتّى لو استندوا إلى المصادر الإسلامية فإنّما يستندون إلى النظريات الخاطئة والآراء الباطلة الّتي لا تمثل رأي الإسلام الحنيف، وإنّما هي آراء لشخصيات إسلامية لم يوفقوا لاكتشاف النظرية الإسلامية بصورة صحيحة، فهي في الحقيقة آراء مسلمين لا رأي الإسلام كدين وكفكر.

٢. انّ الرسول الأكرم ﷺ ومنذ الأيام الأُولى لدعوته دعا الناس إلى الإسلام بأُسلوب عقلي ومنهج برهاني، ولا زالت معجزته الخالدة «القرآن الكريم» كما هي لم تمسّها يد التحريف ولم تتطرق إليها عوامل الزيغ والانحراف، ولم يستطع أحد أن يمسّها بأدنى تحريف.

فقد تحدّى سبحانه وتعالى في السورة الثانية من كتابه المشركين قائلاً:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.(١)

٣. من الواضح أنّ جميع الرسل والأنبياء اعتمدوا في دعوتهم المنهج البرهاني والعقلي، والرسول الأكرم ﷺ لم يكن بدعاً من الرسل في هذا المجال فقد انتهج نفس المنهج.

٤. انّ نظرة عابرة إلى مصطلحات «العقل» و «الفكر» و «العلم» الواردة في القرآن الكريم تظهر وبوضوح انّ رسول الإسلام يدعو الناس إلى التفكّر والتعقّل، وحسبك أن تعلم بأن:

أ. انّ مادة «العقل» جاءت في القرآن ٤٩مرّة.

ب. وجاءت مادة «الفكر والتفكّر» ٢٢ مرة.

ج. وجاءت مادة «العلم» ٧٧٩ مرة، بصور مختلفة.

وقد أُمر رسول الإسلام ﷺ من قبله تعالى أن يتحدث مع الناس من خلال ثلاثة طرق:

أ. حينما يتحدّث مع المفكرين يعتمد أُسلوب ولغة المنطق والاستدلال والبرهان.

ب. وحينما يتحدّث مع عامة الناس وأصحاب المستوى الفكري المتوسط يعتمد أُسلوب الوعظ والنصيحة والإرشاد.

---

١ . البقرة:٢٣.

ج. وحينما يتحدّث مع المخالفين يعتمد منهج الحوار والجدال بالتي هي أحسن.

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.[١]

فهل يصح بمنطق العقل أن نصف النبي الّذي يعتمد هذا المنهج الراقي ذا الأركان الثلاثة العالية بأنّه إنسان بعيد عن العقلانية ومؤمن بمنطق العنف والإرهاب؟!!

٥. انّ البراهن العقلية والمنطقية الّتي وردت في القرآن الكريم لإثبات التوحيد كانت بدرجة من الإتقان والقوّة بحيث أذعن أمامها كبار الفلاسفة.

نشير إلى بعض هذه الآيات:

أ. ﴿لَوْ كَانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللّٰهُ لَفَسَدَتَا﴾[٢].

ب. ﴿مَا اتَّخَذَ اللّٰهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللّٰهِ عَمّا يَصِفُونَ﴾.[٣]

ويقول سبحانه في إبطال أصالة المادة، وخلق العالم بنفسه:﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾.[٤]

ونحن لو أردنا أن نستعرض جميع الأدلة البرهانية والمنطقية في هذا

---

١. النحل:١٢٥.
٢. الأنبياء:٢٢.
٣. المؤمنون:٩١.
٤. الطور:٣٥.

المجال لأحوجنا الأمر إلى تدوين كتاب مستقل.

٦. انّ المتتبع لنتاجات المتكلمين المسلمين والذين يعتمدون النمهج العقلي والمنطقي، يجد ما لا حصر له من المصنّفات. وقد دوّن علماء الشيعة وحدهم في هذا المجال أكثر من ١٢٠٠٠مصنف، ولو أضفنا إليهم نتاجات علماء سائر المذاهب الإسلامية الأُخرى لازداد العدد زيادة كبيرة ، فكيف وبعد ملاحظة كلّ هذا التراث الحي ـ والّذي تحتفظ المكتبات والمتاحف الأُوروبية بقسم كبير من مخطوطاته والمطبوع منه ـ يمكن وسم الإسلام بأنّه ديانة بعيدة عن المنهج العقلي والمنطقي؟!

٧. عامة الحقوقين ورجال القانون الغربيين يعلمون جيداً أنّ «العقل» هو أحد مصادر التشريع الإسلامي، وانّ الأحكام الإسلامية تستنبط عن طريق القرآن والسنة والعقل والإجماع. ومع هذه المنزلة الّتي يوليها الإسلام للعقل هل يصحّ اتّهامه ووصفه بأنّه ديانة مضادة للعقل والعقلانية؟!

٨. إنّ محاضرتكم الّتي أُلقيت أمام حشد من الناس أكثرهم بعيد عن المسائل العقلية ولا يملكون تخصصاً في هذا الشأن بالإضافة إلى جهلهم بالتاريخ الإسلامي ومعارفه، لا تعتبر أُسلوباً عقلانياً؟

٩. في الوقت الّذي يغيش العالم إرهاصات حرب صليبية جديدة بين الشرق والغرب ووجود الكثير من الأزمات وبؤر الاضطراب بين الطرفين هل كان من المناسب من شخصية روحانية وفي مثل هذه الأجواء المشحونة أن يلقي كلمة يسيء فيها إلى إحدى الديانات الإبراهيمية، فتكون ثمرة هذا

الخطاب دعماً للإرهاب واسناداً للعنف المنافي والبعيد عن الإنسانية بعداً تاماً.

١٠. يوجد في الوسط الإسلامي والمسيحي رجال يتحرّقون لإعادة السلم والصفاء إلى البشرية مرة أُخرى، وقد بذلوا في هذا الطريق الكثير من الجهود وتحمّلوا الآلام والمعاناة، وقاموا بحوارات ولقاءات بنّاءة في هذا المجال على أمل أن يأتي اليوم الذي يرون فيه أتباع الديانات السماوية تحت خيمة واحدة ينعمون بالصلح والمودّة والسلام، ولكن ولشديد الأسف كان خطابكم وفي هذا المركز العلمي ومقابل مئات الآلاف من عامة المستمعين كان بمثابة المعول الّذي حطم جهود هؤلاء العلماء المخلصين وجعل كلّ جهودهم في مهب الريح.

ولا ريب أنّ سلوككم هذا بعيد عن العقلانية الّتي تتهم بها الآخرين.

إنّك بخطابك هذا لا يمكنك أن تشترك في حوار الأديان، وذلك لأنّ حوار الأديان إنّما يهدف إلى تقريب آراء نظريات أتباع الديانات الإبراهيمية، وأنتم بصدد إبعاد الآراء ووجهات النظر وهو خطوة في طريق الفرقة والتنافر، فكانت نتيجتها أن وضعت العالم على أعتاب حرب صليبية، وقد أثبتّم بسلوككم هذا أنّكم طرف غير جدير للحوار والتقارب.

إنّ الفلاسفة والمتكلّمين المسلمين طرحوا بحوثاً جيدة جذابة وعقلية في مجال صفات اللّه تعالى وأفعاله، كما تتصف تلك الأبحاث بالدقة والعمق، وممّا جعل بعض المفكرين المسيحيين يعترفون بأنّ هذه البحوث

قد استطاعت أن ترفع الكثير من الإبهامات والإشكاليات في هذا المجال، ولو كنتم ومن يسير في ركابكم على علم بهذه البحوث وقيمتها العلمية لا شكّ أنّكم ستدركون أنّ هذه البحوث ترفع الكثير من الإبهامات في الفكر الكنسي في باب صفات اللّه، ولكن ولشديد الأسف أنّ تخصّصكم في الكلام المسيحي وعدم معرفتكم وتخصّصكم بالكلام الإسلامي جعلكم لا تعرفون حقيقة الدين الإسلامي ومفاهيمه.

أختم الحديث معكم عند هذه النقطة، على أمل أن يأتي اليوم الّذي تعترف به بخطأكم وتعتذر لأكثر من مليارد ونصف المليارد من المسلمين.

وأخيراً أنا على استعداد تام لحوار علمي يسوده الودّ والموضوعية، سواء في الفاتيكان أو في إيران أو في أي مكان آخر من أجل تقريب الأفكار والرؤى في أوساط أتباع الديانات الإبراهيمية.

جعفر السبحاني

٢٩ شعبان المعظم ١٤٢٧ هـ

١٣٨٥/٧/١ هـ. ش

٣

رسالة مفتوحة

إلى خادم الحرمين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود



سلام عليكم

أمّا بعد، فإنّ الوهابيّة مُنذُ أن سيطرت على الحرمين الشريفين لم تألُ جهداً في إزالة آثار النبوّة والرسالة، ومحو كلّ ما هو من علائم الأصالة الإسلامية، من خلال هدم بيوت النبيّ ﷺ وحُجرات وبيوت زوجاته أُمّهات المؤمنين وقبور صحابته وأهل بيته المطهّرين وبيوتهم ومحالّهم في مكة المكرّمة والمدينة المنورة وما حولهما!! مع أنّ هذه الآثار التاريخية هي في الحقيقة معالم الأصالة الإسلامية، و هي إلى جانب ما تركه رسول الإسلام العظيم من تراث فكريّ وثقافيّ تدلّ على واقعيّة الرسالة المحمديّة المباركة، وتجذّرها في التاريخ.

ومن هنا تسعى الأُمم المتحضرة المُعتزَّة والمهتمّة بماضيها وتاريخها بما فيه من شخصيات ومواقف وأفكار إلى الإبقاء على كلّ أثر تاريخي يبقىٰ من ذلك الماضي لتدلّل على واقعيّة ماضيها وتُبقي على أمجادها وأشخاصها

في القلوب والأذهان.

ولا شكّ أنّ لهدم الآثار والمعالم التاريخية الإسلامية وخاصّة في مهد الإسلام: مكة، ومهجر النبيّ الأكرم: المدينة المنورة، نتائج وآثاراً سيّئة على الأجيال اللاحقة التي سوف لا تجد أثراً بعد عين، وربما تنتهي ـ في المآل ـ إلى الاعتقاد بأنّ الإسلام قضية مفتعلة ، وفكرة مبتدعة ليس لها أيُّ واقعيّة تاريخيّة، تماماً كما أصبحت قضية السيد المسيح في نظر الغرب الذي بات جُلّ أهله يعتقدون بأنّ المسيح ليس إلّا قضية أُسطورية حاكتها أيدي القساوسة، لعدم وجود أية آثار مادية ملموسة تدلّ على أصالة هذه القضية، ووجودها التاريخي.

هذا مضافاً إلى أنّ الوهابية جلَبت بفعلها هذا، وبأفكارها إلى الأُمّة الإسلامية، التفرقة والتمزيق و الاختلاف في وقت أحوج ما تكون فيه الأُمّة الإسلامية إلى التضامن والاتحاد لمواجهة التحدّيات الكبرىٰ والهجمة الاستعمارية الحاقدة.

ولذلك لابدّ من تقييم الأفكار والأفعال التي ورثتها هذه الفرقة من محمد بن عبد الوهاب، وسلفه ابن تيمية الحراني الدمشقي، على ضوء القرآن الكريم والسنّة المطهَّرة ليتضح الحقّ، وتزول أسباب التفرقة والخلاف.

ونحن بالمناسبة نقترح أُموراً ثلاثة:

أوّلاً: أن تُكوّنوا لجنة من العلماء وذوي الاختصاص للمحافظة على

الآثار الإسلامية وبخاصة الآثار النبوية الشريفة وآثار أهل بيته الطاهرين، والعناية بها، وصيانتها من الاندثار لما لذلك من تكريم لأمجاد الإسلام، وحفظ لذكرياتها في القلوب والعقول، وإثبات لأصالة هذا الدين.

ثانياً: حثّ علماء الوهابية وكتّابها على مطالعة ما ألّفه علماء الإسلام والتي تثبت في ضوء الكتاب والسنّة وسيرة السلف جواز ما ذهبت الوهابية إلى تحريمه، ورمي فاعله بوصمة الشرك والكفر، وقراءتها قراءة تفهّم وإنصاف، وإبداء رأيهم في ما جاء فيها.

ثالثاً: أن تأمروا بإقامة مؤتمرٍعالميٍ يحضره علماء الإسلام وعلماء الوهابية ليتحاوروا في هذه المسائل المختلف فيها التي طالما سُفِكت من أجلها الدماء، وزهقت الأرواح، وانتهكت الأعراض وفُرّقت الصفوف، وبعد الوصول إلى النتائج المبرهنة يعلنوا تلكم النتائج على الملأ الإسلامي، خدمة للتضامن والأُخوة الإسلامية.

ونحن انطلاقاً من الحرص على الوحدة الإسلامية على أتم الاستعداد للحضور في ذلك المؤتمر و الاشتراك في هذا النقاش العلمي البنّاء.

ولا شكّ أنّ هذا هو أفضل خطوة لتحقيق التضامن الإسلامي المنشود. ونحن بانتظار ردكم والله الموفق وهو نعم المولى و نعم النصير.

جعفر السبحاني

١٤٠٧/٣/١هـ

رسالتان مفتوحتان إلى الشيخ يوسف القرضاوي

الرسالة الأُولى:

٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الأُستاذ الفاضل الشيخ يوسف القرضاوي المحترم[١]

السلام عليكم ورحمة اللّٰه وبركاته

نثمّن جهودكم العلمية وما قدّمتموه للأُمّة الإسلامية من تآليف وآثار قيمة في مختلف المجالات.

نسأل اللّٰه سبحانه وتعالى أن يأخذ بيدكم لما يحب ويرضى ويوفّقكم لصالح الأعمال، كما نثمِّن مواقفكم الإيجابية في مسألة التقريب والوحدة بين المذاهب الإسلامية.

---

١ . قام الشيخ يوسف القرضاوي «حفظه اللّٰه» في بعض خطب صلاة الجمعة بالدفاع عن معاوية ابن أبي سفيان.

وقد كتبنا له هذه الرسالة ألفتنا نظره فيها إلى عدم ضرورة طرح مثل هذه المواضيع والمسلمون في هذا الوقت يعانون ما يعانون من ظلم وإبادة، كما ألفتنا نظره إلى أنّ مواقف معاوية في حياته والّتي يذكرها التاريخ لا تؤهّله لأن يدافع عنه أحد.

ولكن ذلك لا يمنعنا من الإشارة إلى بعض الكلمات الّتي صدرت عنكم في بعض المناسبات.

١. قد طرحتم إيمان سيد الأباطح أبي طالب وقلتم إنّه مات كافراً، مع أنّ أفعاله وأعماله طيلة عشر سنين في مكّة المكرمة ، وقصائده الفاخرة، تشهد على أنّه مات مؤمناً، وعاش كعيشة مؤمن آل فرعون، وقد أرسلنا إليكم رسالة حول هذا الموضوع سابقاً، وركزنا على أنّ المسألة ليست من الضروريات حتّى تطرح على المنابر.

٢. قرأنا في إحدى الصحف دفاعكم عن معاوية بن أبي سفيان في خطبة صلاة الجمعة.

ولنا أن نتساءل:

ما هي جدوى الانتصار لمعاوية في هذه الأيام الّتي تتعرض فيها الأُمّة الإسلامية إلى تحديات كبيرة وهجمات شرسة؟! ونتطلّع فيها إلى تقديم فهم صحيح للإسلام، وتصوّر واضح لمفاهيمه وأفكاره، وموقف سليم وجريء إزاء قضاياه ورجاله وشخصياته، يُتحرّىٰ في كلّ ذلك الحق، ويُلتزم فيه بالموقف الشرعي والأخلاقي، بعيداً عن التأثيرات العاطفية، والقناعات الّتي ربما نشأت على أساس من المفاهيم المغلوطة والمعلومات المزيّفة.

هل خلا تاريخنا الإسلامي من رجالٍ تبنّوا الإسلام شعاراً وهدفاً ومنهجاً وسلوكاً، واسترخصوا الأرواح والدماءفي سبيله...؟! هل خلا من هؤلاء حتّى يُعمد إلى مثل معاوية ليُبعث من بين هذا الركام الهائل من الخطايا والأخطاء من أجل أن يُبرّأ ويلمّع وجهه البشع؟!

فـهذا عـليّ والأهـازيج بـاسمه تشقّ الفضا النائي فهاتوا معاويا
أعيدوا ابن هند إن وجدتم رُفاته رُفاتاً وإلّا فـانشروها مـخازيا[١]

لا أدري ماذا يقتبس (جـيل النـصر المـنشود) الّـذي يسـعى الأُسـتاذ القرضاوي إلى صُنعه، من معاوية الّذي ناوأ الحقّ، وناجز الهدىٰ، وأراق دماء الصالحين، وأشاع السبّ واللعن، وأدنى الانـتهازيّين والنـفعيّين وأصـحاب القلوب المريضة الذين آثروا الحياة الدنيا على الّتي هي خير وأبقى؟!

هل يُرجىٰ من جيل النصر المنشود إذا زُيّنت له صورة معاوية واقتدىٰ به واقتفىٰ آثاره، أن (تتحقق على يديه الآمال وتستحيل الهزائم والنكسات إلى انتصارات، وينتقل من الغوغائية إلى العلمية، ومن التشاحن إلى التعاون) على حدّ تعبير الدكتور القرضاوي؟!

إنّ معاوية لم يـرحـل عـن دنـياه المـظلمة بـالفتن والأحـقاد والمكـر والاستبداد حتّى ختمها بجريمة كبرى لا تُغتفر استجابة لنزعة شريرة وأهواء مُضلّة، عبّر عنها بقوله: «لولا هواي في يزيد لأبصرت طريقي».

ونحن نسأل الداعية الكبير وصاحب الروح الشفافة الأُستاذ القرضاوي: هل من الحقّ إسدال الستار على مـقترف هـذه الجـريمة النكـراء المـتمثّلة بتسليط يزيد الفجور والخـمور عـلى رقـاب المسـلمين؟! وارتكـابه تـلك المجازر الوحشية بقتل ابن بنت رسـول اللّـه ﷺ وأهـل بـيته وأصـحابه، وسفك دماء المسلمين في وقعة الحرّة وانتهاك حرماتهم وأعراضهم؟!

ونودّ أن نذكر هنا بعض ما ورد في حقّ قائد الفئة الباغية معاوية:

---

١. للعلّامة الشاعر الشيخ عبد الحميد السماوي ﷺ.

قال الذهبي: وقُتل عمار مع علي، وتبيّن للناس قول رسول اللّٰه ﷺ: تقتله الفئة الباغية.(١)

قال محقّق الكتاب المذكور: وهو حديث صحيح مشهور بل متواتر، ولمّا لم يقدر معاوية على إنكاره، قال: إنّما قتلَه الذين جاءُوا به، فأجابه علي ﷺ، بأنّ رسول اللّٰه إذن قتل حمزة حين أخرجه، وهذا منه إلزام مفحم لا جواب عنه، وحجة لا اعتراض عليها.

وروىٰ مسلم في صحيحه عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال:أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسبَّ أبا التُّراب؟ فقال: أمّا ما ذكرتُ ثلاثاً قالهنّ له رسول اللّٰه ﷺ، فلن أسبَّه. لأن تكون لي واحدةٌ منهنّ أحبُّ إليَّ من حُمْرِ النَّعم. سمعتُ رسول اللّٰه ﷺ يقول له، وقد خلَّفهُ في بعض مغازيه، فقال له عليّ: يا رسول اللّٰه، خلّفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول اللّٰه ﷺ: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنّه لا نبوّة بعدي».

وسمعته يقول يوم خيبر: «لأعطينّ الراية رجلاً يحبُّ اللّٰه ورسوله، ويحبه اللّٰه ورسوله»، قال: فتطاولنا لها فقال: «ادعوا لي عليّاً»، فأُتي به أرمد. فبصق في عينه ودفع الراية إليه، ففتح اللّٰه عليه.

ولمّا نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾(٢) دعا رسول

١. سير أعلام النبلاء:١٤٢/٣، ترجمة معاوية برقم ٢٥.

٢. آل عمران:٦١.

الله ﷺ عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام فقال:«اللَّهُمَّ هؤلاءِ أَهْلي».[١]

وقال ابن أبي نجيح، قال: لما حجّ معاوية طاف بالبيت ومعه سعد، فلمّا فرغ انصرف معاوية إلى دار الندوة فأجلسه معه على سريره، ووقع معاوية في عليّ، وشرع في سبّه، فزحف سعد ثمّ قال: أجلستني معك على سريرك ثمّ شرعت في سبّ عليّ، والله لأن يكون لي خصلة واحدة من خصال كانت لعلي أحبّ إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس.

إلى آخر الحديث، وفيه من قول سعد: وأيم الله لا دخلت لك داراً ما بقيت. ونهض.[٢]

لقد بدّل معاوية الخلافة الراشدة إلى ملك عضوض، وأخذ البيعة لابنه يزيد على كره من أهل الحلّ والعقد وتحت بوارق الإرهاب وأطماع أهل الشره والشهوات، وقد حجّ في سنة خمسين واعتمر في رجب سنة ٥٦، وكانت الغاية من السفرين أخذ البيعة من المهاجرين والأنصار لولده يزيد، وقد دار بينه و بين أهل الشرف والكرامة من الجيلين كلمات يقف عليها مَن قرأ التاريخ.

ولا نذكر من ذلك شيئاً، لأنّه في متناول الجميع، وقد وقف على ذلك الأصم والأبكم حتى الغربيون.

قال السيد محمد رشيد رضا في المنار: قال أحد كبار علماء الألمان في

---

١ . صحيح مسلم:١١٩٨، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام ، الحديث ٦١١٤، دار الفكر، بيروت ـ ١٤٢٤هـ.

٢ . مروج الذهب:٢٤/٣؛ البداية والنهاية:٨٣/٨، حوادث سنة ٥٥ هـ.

الاستانة لبعض المسلمين وفيهم أحد شرفاء مكة:

إنّه ينبغي لنا أن نقيم تمثالاً من الذهب لمعاوية بن أبي سفيان في ميدان كذا من عاصمتنا(برلين)، قيل له: لماذا؟ قال:لأنّه هو الذي حوّل نظام الحكم الإسلامي عن قاعدته الديمقراطية إلى عصبية الغلب، ولولا ذلك لعمّ الإسلام العالم كلّه، ولكنّا نحن الألمان وسائر شعوب أوروبا، عرباً مسلمين.[١]

أليس هو الذي قتل الأبرياء من صحابة النبي ﷺ وغيرهم مثل حجر بن عدي وأصحابه وعمرو بن الحمق الخزاعي وشريك بن شداد الحضرمي وغيرهم، وقد كان أصحابه ﴿أَشِداءُ عَلى الْكُفّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ﴾.[٢]

ولم يكن لهم أي ذنب سوى أنّهم كانوا من أصحاب علي عليه السلام ومحبيه.

وفي هذا الصدد كتب الإمام الطاهر أبيّ الضيم الحسين بن علي سيد الشهداء عليه السلام رسالة إلى معاوية، قال فيها:

«ألست قاتل حُجر وأصحابه العابدين المخبتين الذين كانوا يستفظعون البدع، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؟! فقتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما أعطيتهم المواثيق الغليظة والعهود المؤكّدة جرأةً على الله واستخفافاً بعهده.

أوَ لستَ بقاتل عمرو بن الحمق الذي أخلقت وأبلت وجهه العبادة،

---

١. تفسير المنار:١١/٢٦٠.

٢. الفتح:٢٩.

فقتلتَه من بعد ما أعطيته من العهود ما لو فهمته العُصم نزلت من شعف الجبال؟!

أو لستَ قاتل الحضرمي الذي كتب إليك فيه زياد: إنّه على دين عليّ كرّم الله وجهه. ودين عليّ هو دين ابن عمّه ﷺ الذي أجلسك مجلسك الذي أنت فيه، ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك تجشّم الرحلتين: رحلة الشتاء والصيف، فوضعها الله عنكم بنا، منّةً عليكم».[1]

نعم قام غير واحد من المغفلين بتبرير أعماله بالاجتهاد حتّى أثبتوا له أجراً، معتمدين على القول المعروف: للمصيب أجران وللمخطئ أجرٌ واحد. وقد عزب عنه أنّ هذا لو صحّ فإنّما هو للاجتهاد المعتمد على الكتاب والسنّة الذي هو رمز بقاء الدين وسرّ خلوده لا الاجتهاد في مقابل الأدلّة الشرعية.

فوا عجباً أيُكتب الأجر لمن سنّ سب المرتضى عليه السلام صنو النبي وأخيه الذي لم يفارقه منذ نعومة أظفاره إلى أن التحق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى؟!

ولله درّ الشاعر المبدع الأُستاذ محمد مجذوب، القائل في قصيدته العصماء:

أين القصور أبا يزيد ولهوُها	والصافناتُ وزهوُها والسؤددُ
أين الدهاء نحرتَ عزّته على	أعتاب دنيا سحرها لا ينفد
نازعته الدنيا ففزتَ بوِرْدها	ثمّ انطوى كالحلم ذاك المورد
هذا ضريحك لو بصرتَ ببؤسه	لأسالَ مدمعَك المصيرُ الأسود

---

١. الإمامة والسياسة:١/١٦٠؛ جمهرة خطب العرب:٢/٢٥٥، رقم ٢٤٦.

كُتلٌ من الترب المهين بِخَرْبَةٍ سكر الذباب بها فراح يُعربد
حتّى المصلّىٰ مظلم فكأنّه مذ كان لم يجتز به متعبّد
ما كان ضرّكَ لو كففتَ شواظها وسلكتَ نهج الحق وهو معبّد
ولزمتَ ظلّ أبي تراب وهو من في ظلّه يُرجى السداد ويُنشَد

ولعلّ في هذه الكلمات القصيرة التي هي غيض من فيض وقليل من كثير تذكرة للأُستاذ المعظم. ودمتم موفقين.

جعفر السبحاني

١٠ جمادى الأُولى ١٤٢٤ هـ

الرسالة الثانية:

٥

جواب الشبهات المثارة حول الشيعة وعقائدهم (١)



سماحة الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي دامت بركاته

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أسأل الله تعالى أن يحفظكم رجل توحيد وتقريب بين المسلمين، ويسدد خطاكم لنشر المعارف الإسلامية الحقّة في أوساط الأُمّة الإسلامية.

قرأت البيان الصادر عنكم بتاريخ ١٣ من شهر رمضان عام ١٤٢٩ هـ الموافق للثالث عشر من الشهر التاسع عام ٢٠٠٨ م ، والذي تردّون فيه على ما ذكرته وكالة مهر الإيرانية، وعلى العلمين الجليلين: السيد محمد حسين فضل الله والشيخ محمدعلي التسخيري حفظهما الله تعالى.

لا ريب أنّ البيان المذكور يحتوي على أُمور تستحق الثناء والتقدير حيث ذكرتم وبطريقة استدلالية براءة الشيعة من القول بتحريف القرآن،

---

١ . تمّ تحرير هذه الرسالة بتاريخ ٢٤ رمضان المبارك ١٤٢٩ هـ ، ونشرت في وسائل الإعلام المختلفة، وتمّ تسليم نسخة منها إلى الشيخ القرضاوي.

وموقفكم الداعم لحق إيران في امتلاك التقنية النووية للأغراض السلمية. فلقد اعتدنا من علمائنا الكبار النظر إلى الأُمور بأُفق رحب وروح منفتحة والإعلان عنها بشجاعة، وهذا ما شاهدناه من جنابكم هنا، بعيداً عن التقوقع الطائفي والنظر إلى الاختلافات الجزئية التي تحجب الرؤية وتؤدي إلى ضيق الأُفق.

لا شك أنّ سماحتكم من رجال التقريب والسعي إلى حفظ وحدة الكلمة، ولكم في هذا المضمار الكثير من المقالات والمحاضرات، وهذا أمر يعرفه الجميع، ولا يمكن أن نتوقع من جنابكم غير الاقتداء بشيخكم الكبير المرحوم محمود شلتوت الأمر الذي يؤدي إلى استحكام حبل التقريب.

لا ريب أنّ الاختلاف بين المسلمين يمتد بجذوره إلى مابعد رحيل الرسول الأكرم ﷺ وهذه الاختلافات قائمة حتى الساعة ولا يمكن معالجتها في يوم أو يومين أو سنة أو سنتين، وإنّما الذي نتوقعه من الرجال الكبار والشخصيات الحكيمة هو التركيز والإصرار على المشتركات وعدم النظر إلى المسائل الخلافية. وطرحها في الملتقيات العلمية بعيداً عن صخب السياسة، ليتسنّى لنا حصرها في دائرة ضيقة ومحدودة.

وهنا أود أن أُذكر سماحتكم ببعض الأُمور التي أراها ضرورية:

١. تعلم سماحة الشيخ كما يعلم سائر المفكّرين أنّ الغرب والصهيونية العالمية ـ ومن أجل إبعاد المسلمين عن الفكر الإسلامي ـ رفعوا ومنذ فترة طويلة شعارات ثلاثة هي:

أ. التخويف والتحذير من الإسلام.

ب. التخويف والتحذير من إيران.

ج . التخويف والتحذير من الشيعة.

ولقد عملت وسائلهم الإعلامية بكل أنواعها وبكل قوة لترسيخ ذلك في أذهان العالم الغربي، بل في أصقاع المعمورة، وكأنّ الإسلام غول يهدد البشرية والسلام العالمي!! في مثل هذه الظروف الحسّاسة لا نرى مبرراً لما قمتم به سماحة الشيخ من لقاء مع صحيفة «المصري اليوم» وما تحدثتم به بخصوص التشيع والتبشير الشيعي ـ حسب تعبيركم ـ في البلدان ذات الغالبية السنية، وتحذيركم من ذلك وإطلاقكم لصفارة الإنذار!! وما هي الحصيلة التي يخرج بها القارئ(حتى لو كانت خلافاً لما تقصدونه)؟ أليس الحصيلة التي يخرج بها هي تأييد موقف المستكبرين والصهاينة وإعطاء الشرعية والمصداقية لما ينشرونه وتبلّغه وسائل إعلامهم المسمومة؟!!

٢. لقد أكّدتم ـ سماحة الشيخ ـ من جهة على كون الشيعة مبتدعة، ومن جهة ثانية أكّدتم أنّ الفرقة الناجية هم أهل السنة، مستنداً في ذلك إلى الحديث المعروف:«ستفترق أُمّتي إلى ثلاث وسبعين فرقة»، وهنا نسأل سماحتكم ما هي الحصيلة التي يخرج بها شاب متعصب من شباب أهل السنّة؟ أليست هي القيام بربط حزام ناسف من المتفجرات ليقوم بقتل العشرات من الشباب والأطفال والنساء من المؤمنين في مدن العراق وغيرها من البلدان الإسلامية، وهذا ما يقوم به العشرات من الشباب الأردني

والسعودي والأفغاني والمغربي مستندين في عملهم هذا إلى فتاوى تكفيرية ومواقف إقصائية يقوم بها بعض الرجال المحسوبين على العلم والفتوى، حتى وصل الأمر إلى حد تقيم عائلة الانتحاري الأردني الذي فجّر نفسه في أوساط المؤمنين في مدينة الحلة العراقية مجلس عرس تتلقى فيه التهاني والتبريك بتلك المناسبة!!!

سماحة الشيخ، إنّ لكلّ مقام مقالاً كما يقول الحكماء، فهل ياترى كان من المناسب في تلك الظروف العصيبة التي تمر بها أُمّتنا الإسلامية والتي تتكالب فيها قوى الاستكبار العالمي على العالم الإسلامي بأسره، أن يصدر من عالم ومفكّر إسلامي ما يثير النائرة ويشعل نار الحقد والصراع في أوساط المسلمين ممّا قد يؤدي إلى الصراع الداخلي لا سامح الله؟!!!

وإذا كان كل من الإخوة السيد فضل الله والشيخ التسخيري ـ اللّذين تربطهما بكم علاقة الود وتكن لهما مشاعر الحب والاحترام ـ لم يرتضيا الطريقة التي طرحتم فيها القضية، فإنّهما ينطلقان في واقع الأمر ممّا ذكرناه لكم من أنّ ذلك لا يليق بشأنكم وليس في صالح المسلمين أبداً.

٣. اعتبرتم انتقال مجموعة من الشباب السني ـ في بعض البلدان التي يقطنها أهل السنة ـ إلى التشيع تبشيراً شيعياً وخطراً يستحق الوقوف أمامه ودق صفارة الإنذار، وانّ عدم التصدّي له يمثّل مخالفة للدين وخيانة للأمانة التي في عنقكم، ولكن في نفس الوقت غضضتم الطرف عمّا يجري في السعودية والإمارات وغيرها من البلدان السنية من الحملة الشعواء التي تشن على المفكّرين الشيعة والفكر الإمامي، فما من ساعة تمر إلاّ وتجد إصداراً ـ

كتاب أو رسالة ـ ينال منهم، والذي يؤسف له أنّ ما يصدر ما هو إلّا تكرار للمكرّرات وتهم واهية لا تقوم على دليل ولا تستند إلى برهان؛ أليس من اللائق بجنابكم الكريم التصدي لمثل هذه الحملة المسعورة التي تنال من طائفة كبيرة من المسلمين!! بل نجد البعض قد تمادى في غيّه وكذبه بحيث صنّف كتباً في ذم الشيعة ونسبها إلى شخصيات شيعية من أمثال المرحوم العلامة السيد العسكري وبعضها نسبوها لي شخصياً موحين للناس أنّنا من المبلّغين للمذهب الوهابي والمهاجمين للتشيع!!

وأخيراً نشر كتاب في موطنكم مصر العزيزة في نقد رأيي الفقهي حول مسألة «الصلاة خير من النوم» امتلأ الكتاب بالسب والشتم والكلام القاذع والافتراء و... وهو من تأليف علاء الدين البصير، ثم طبع هذا الكتاب مرة ثانية ضمن سلسلة «محققو الشيعة في الميزان» وأعطاه ناشروه اسم«جعفر سبحاني...لا محقق مقرب» ومن العجب أن يقدّم لهذا الكتاب أُستاذ من اساتذة جامعة الأزهر وهو الدكتور محمد عبد المنعم البري وهو عميد مركز الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر، ورئيس جبهة علماء الأزهر(وقد طبع في مصر ونشر عام٢٠٠٧م، في مركز التنوير بالقاهرة)؛ لا أدري هل البحث الفقهي يستحق كل هذا التحامل والتشنيع والتسقيط؟!!

٤. أكّدتم في بيانكم على حديث «ستفترق أُمّتي إلى ثلاث وسبعين فرقة» وهنا أود التذكير بأنّ الحديث قد ضعّفه المحقّقون في علم الحديث، وعلى فرض وجود سند معتبر للحديث فلا يصحّ الاستناد إلى حديث آحاد لإثبات مثل هذا الأصل، واعتبار اثنتين وسبعين فرقة من فرق المسلمين من

أصحاب النار وحصر أصحاب الجنة في فرقة واحدة.

إنّ مضمون الحديث يحكي عن عدم صحّته، وأنا هنا لا أتحدّث عن فرق اليهود والنصارى، بل أتساءل أين هي فرق المسلمين الأساسية التي وصلت إلى هذا الحد، وأمّا الفرق الفرعية المذكورة في كتب الملل والنحل فقد تجاوزت الحد قطعاً؟ فهل يمكن أن نجد ذلك العدد من الفرق الإساسية في كتب الملل والنحل؟! وهل يمكن اعتبار الاختلاف في مسألة واحدة مبرراً لتصنيفها فرقة مستقلة؟ إنّ فرق المسلمين الأساسية لا تتجاوز عدد أصابع اليد، من هنا نرى أصحاب كتب الملل والنحل يتشبّثون بأُمور واهية لإثبات العدد المذكور ليكون دليلاً على مصداقية الحديث.

إنّ الأجدر بالإخوة أن يستندوا في عقائدهم إلى الحديث الذي رواه البخاري حيث قال: «قال رسول الله ﷺ: كلّ أُمّتي يدخلون الجنّة إلّا من أبى. قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى».

فقد حدد الحديث الملاك في دخول الجنة والنار في إطاعة الرسول ﷺ وعصيانه، ومن الواضح أنّ العصيان والتمرّد يصدق في حالة كون الإنسان لا يملك الحجة والدليل المعقول على عمله، وليس خفياً عليكم وعلى المفكّرين أنّ الشيعة تستند في المسائل الخلافية إلى الدليل والحجة الكافية وإن كان ذلك غير تام في نظركم.أو ليس الملاك في دخول الإنسان في حظيرة الإيمان، هو ما جاء في حديث الرسول ﷺ حيث قال: «بني الإسلام على خمس؛ شهادة أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمداً رسول الله وإقام

الصلاة، وايتاء الزكاة والحج، وصوم رمضان» ، رواه الشيخان.

فإذا كانت أُصول الدين هي الإيمان بالله ورسوله وكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر، وما فيه من الحساب إلى غير ذلك فجميع المسلمين المتمسّكين بالكتاب والسنة يدخلون تحت هذه الضابطة ، فما هو الوجه لاختفاء القداسة على فرقة وإخراج فرقة أُخرى؟!

مما يجدر بالشيخ العزيز أن يقتدي بإمام أهل السنة الشيخ الأشعري حيث ألف كتاباً في الفرق الإسلامية وأدخل الجميع تحت عنوان كتابه والذي سمّاه : «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» فمنح الجميعَ الصبغةَ الإسلامية وجعل اختلافهم في الفروع فقط بشهادة قوله: «واختلاف المصلين».

يقول أحمد بن زاهر السرخسي الأشعري: لما حضرت الشيخ أبا الحسن الأشعري الوفاة بداري في بغداد أمرني بجمع أصحابه فجمعتهم له، فقال: اشهدوا عليّ أنّني لا أُكفّر أحداً من أهل القبلة بذنب، لأنّي رأيتهم كلهم يشيرون إلى معبود واحد والإسلام يشملهم ويعمّهم [1]. لقد أشرتم في بيانكم أنّ لدى الشيعة بدعتين:

الأُولى: بدعة نظرية.

الثانية: بدعة عملية.

وأود هنا الإشارة إلى تحليل تلك البدع حسب رأيكم:

---

١ . اليواقيت والجواهر للشعراني: ٥٨.

الأُولى: البدع النظرية:

١. ادّعاء الوصية لأمير المؤمنين عليه السلام

لا شك أنّ أساس التشيع وعماده يقوم على الاعتقاد بأنّ المرجعية والقيادة السياسية والفكرية والعلمية بعد رحيل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم هي من شؤون العترة الطاهرة وعلى رأس العترة أمير المؤمنين عليه السلام، ولقد ثبتت الوصية له من خلال الأحاديث المتواترة أُشير هنا إلى بعضها:

١. لمّا نزل قوله سبحانه:﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾[1] دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم خمسة وأربعين وجيهاً من وجهاء بني هاشم، فقال لهم: «يا بني عبد المطلب إنّي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر، على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم» . فكرر هذه الجملة ثلاث مرات، وفي كلّ مرة كان علي يقوم ويقول: «أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه» وفي المرة الثالثة ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده على يد علي وقال في حقه على رؤوس الأشهاد:«هذا علي أخي ووصيي وخليفتي فيكم».

ولولا خوف الإطالة لأشرت إلى المصادر الكثيرة التي ذكرت هذا الحديث، ولكن اكتفي بالقول: إنّه حتى مثل محمد حسين هيكل قد نقل هذا الحديث في الطبعة الأُولى من كتابه «حياة محمد» وإن حذفت في الطبعات اللاحقة.

---

١. الشعراء: ٢١٤.

٢. حديث «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي»ومن المعلوم أنّ استثناء النبوة فقط يحكي عن ثبوت جميع المقامات التي كانت لهارون عليه السلام مثل الخلافة والوزارة.

٣. حديث «مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق».

٤. حديث «من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه». ويكفي في تواتر الحديث أن يكون قد نقله ١٢٠ صحابياً وما يقرب من ٩٠ من التابعين، كما نقله ٣٦٠ عالماً سنياً.

ومع كلّ هذه الأدلة الواضحة التي استندت إليها الشيعة، فعلى أقل تقدير والحد الأدنى المتوقع منكم أن تعذروهم في موقفهم وعقيدتهم لا أن تصفوهم بالمبتدعة، خاصة إذا أخذنا بنظر الاعتبار ما تتبنّونه معاشر فقهاء السنة الأعزاء من القول: «للمصيب أجران وللمخطئ أجر واحد» وهنا لابدّ أن يستحق الشيعة الثواب والأجر لا الرمي بالابتداع.

قلتم في بيانكم أنّ الاختلاف في فروع الدين ومسائل العمل وأحكام العبادات والمعاملات، لا حرج فيه، وأُصول الدين هنا تسع الجميع، وما بيننا وبين الشيعة من خلاف هنا ليس أكبر ممّا بين المذاهب السنية بعضها مع بعض.

وهنا أود أن أسأل سماحتكم هل أنّ مسألة الإمامة والخلافة عند أهل السنة من الفروع أو الأُصول؟

لقد أكّد كبار علماء الأشاعرة مثل عضد الدين الإيجي في المواقف وشارحه المير سيد شريف الجرجاني وسعد الدين التفتازاني في «شرح المقاصد» وغيرهم: انّ الإمامة والخلافة من فروع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنّه يجب على المسلمين إشاعة المعروف والنهي عن المنكرات، وهذا لا يتحقّق إلّا في ظل حكومة وقدرة تستطيع إجراء الأحكام وأنّ مركز هذه القدرة والسلطة هو الإمام والخليفة الذي يجب أن يوجد في أوساط المسلمين.

وهذا من الأُمور التي يتفق عليها الشيعة والسنة، إلّا أنّ الاختلاف وقع في طريقة تشخيص وتحديد الخليفة والإمام حيث طرحت نظريتان:

الف. تعيين الإمام يتم عن طريق شورى المهاجرين والأنصار.

ب. تعيين الإمام يتم بتنصيبه من قبل النبي الأكرم ﷺ.

لست هنا في مقام ترجيح إحدى النظريتين على الأُخرى، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا كيف أصبحت إحدى النظريتين عين السنة والأُخرى عين البدعة؟!! والحال أنّ النظرية الأُولى لا تقوم إلّا على السيرة الناقصة للخلفاء لا أكثر، وأمّا النظرية الثانية فتستند إلى الأدلّة المحكمة والقوية.

إنّ منطق الإنصاف يقتضي ترجيح النظرية الثانية، وعلى أقل تقدير النظر إليهما نظرة واحدة لا اعتبار أصحاب النظرية الأُولى هم أهل السنة وأتباع النظرية الثانية من المبتدعة **﴿تلك إذاً قِسْمَةٌ ضيزى﴾**!!

وأين ذهب التسامح والعيش المشترك في الفروع؟!

الجدير بالذكر أنّ تبريركم لوصف الشيعة بالمبتدعة كان في مقابل من يقول بأنّهم كفرة لا يحل المشكلة أبداً، بل كان من الواجب عليكم أن تنصروا المظلوم وتدفعوا عنه تهمة الكفر والخروج عن الدين لا أن تبدّلوا التهمة بتهمة أُخرى، وهنا أود أن أسأل سماحة الشيخ لو أنّ شخصاً اتّهمكم بتهمة خطيرة هل تسمحون لمن يدافع عنكم أن ينفي عنكم تلك التهمة لكنّه يستبدلها بتهمة هي أقل من الأُولى؟!!

٢. علم الأئمة عليهم السلام بالغيب

من الأُمور التي اعتبرتموها دليلاً على الابتداع هي قضية «العلم بالغيب»، وهنا أود أن أُشير إلى أنّ العلم بالغيب نوعان:

الف. علم الغيب الذاتي وغير المحدود وهو من مختصات الباري تعالى، قال تعالى في كتابه الكريم: **﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالأَرضَ الغَيْبَ إِلّا اللّهُ وَما يَشْعُرُونَ أَيّانَ يُبْعَثُونَ﴾**[1] .

ب. علم الغيب الاكتسابي، وهذا النوع محدود أيضاً بالإذن الإلهي، وهذا النوع من الغيب يحصل لغير الله تعالى كثيراً، ولقد جاء في سورة يوسف عليه السلام الكثير من الإخبارات الغيبية على لسان كل من يعقوب ويوسف عليهما السلام ؛ وكذلك جاء في القرآن الكريم الحديث عن مصاحب موسى بقوله تعالى: **﴿فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً﴾**[2].

١ . النمل: ٦٥.   ٢ . الكهف: ٦٦ .

وقد ورد عن أمير المؤمنين أنّه لمّا أخبرَ ببعض الغُيُوب . قال لهُ رجلٌ: أُعطيتَ يا أمير المؤمنينَ عليه السلام علمَ الغَيبِ! فقال: «ليس هو بعلم غيب وإنّما هو تعلُّمٌ من ذي علم».

وبما أنّ هذا النوع من العلم محدود فلا يكون هو المعنى الاصطلاحي لعلم الغيب، لأنّ المراد منه هو غير المحدود وهو من مختصات الباري تعالى.

من هنا إذا علم أئمة أهل البيت عليهم السلام بالغيب وأخبروا عن المغيبات فهو من النوع الثاني الذي يحصل بإذن الله حتى للصالحين والعارفين الإلهيين الذين بذلوا عمراً طويلاً في طاعة الله تعالى والسير وفقاً لشريعة الإسلام الغرّاء.

٣. عصمة العترة

من الأُمور التي اعتبرتموها من البدعة هي القول بعصمة الأئمة؛ وهنا أقول:

العصمة لا تعني إلّا حالة قصوى من التقوى تحصل لدى الإنسان تمنعه من ارتكاب ما لا يرضي الله تعالى، وتتجسّم أمامه آثار الذنوب ممّا يصونه عن ارتكابها. فهل من الغريب أن يطوي الإنسان مراحل الكمال الروحي حتى يصل إلى حد يعصم فيه من الذنوب وقد يصل إلى مرحلة أُخرى بحيث لا يصدر الخطأ منه؟

إنّ مريم العذراء عليها السلام لم تكن نبية ولكن كانت معصومة ومصونة من الذنب ولقد أشار القرآن الكريم لذلك بقوله:﴿وَإِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمينَ﴾[1] .

ومن المسلم أنّ المراد من التطهير هو تطهير مريم من الذنوب والخصال المذمومة؛ وهنا نسأل لماذا لا يكون القول بعصمة مريم من البدعة والقول بعصمة أمير المؤمنين عليه السلام ـ الذي هو عدل القرآن وفقاً لحديث الثقلين ـ بدعة؟!

إنّ حديث الثقلين من الأحاديث المتواترة والذي اعتبر فيه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم العترة عدلاً للقرآن وإنّهما لن يفترقا حيث قال: «إنّي تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا»، ومن الواضح أنّ مقتضى كون العترة عدلاً للقرآن الكريم أن تكون معصومة كعصمة القرآن الكريم، ولا يمكن أن يحدث بينهما أدنى افتراق أو تناف.

القول بعصمة الأئمة إذا كان غلواً فلماذا لا يكون القول بأنّ صحيح البخاري أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى، كذلك، فهل هذا التعبير صحيح بحق هذا الكتاب مع ما فيه من الشذوذ ومخالفة العقل الحصيف وغير ذلك؟!

هلا يكون حصر المذاهب في الأربعة وطرد سائر المذاهب الأُخرى في مجال العمل والقضاء غلواً مع أنّ الأُمّة الإسلامية عاشت مسلمة ولم يتولد واحد من أصحاب هذه المذاهب، ولم يكن لأحد منهم عين ولا أثر؟!

---

١ . آل عمران:٤٢ .

ولولا الحفاظ على صفو مياه الود لبسطنا الكلام في هاتيك المواضع التي آخذتم بها الشيعة، ولكن اقتصرنا بذلك حتى ينظر الشيخ الجليل إلى الجميع بعين واحدة وفكرة خاصة.

٤. سب الصحابة

الأمر الذي يدعو إلى الحيرة والعجب أن يصدر هذا الكلام من عالم من أمثالكم وإنّما الأنسب صدور هذا الكلام من الناس البعيدين عن العلم والمعرفة. فهل يمكن لطائفة كبيرة أن تحب النبي ﷺ لكنها تبغض أصحابه وتشتمهم؟!! إنّ عدد أصحاب النبي الأكرم ﷺ قد تجاوز المائة ألف صحابي وانّ الذين ترجم لهم أصحاب الكتب الرجالية بلغ ما يقارب ١٥ ألف صحابي استشهد بعض منهم في معارك الرسول مثل بدر وأُحد والخندق وخيبر وغيرها، فهل يجوز لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن ينال من هؤلاء العظماء؟!

ثمّ إنّ القسم الأعظم من هؤلاء الصحابة نجهل حالهم ولا نعرف عنهم شيئاً، فهل يسمح الوجدان للإنسان أن يمس أو ينتقص من إنسان لا يعرف حاله؟

من هنا نقول: إنّ مسألة سب الصحابة بالمعنى الذي يتداوله عامة الناس ما هي إلّا ذريعة يحاول البعض التمسّك بها، انّ منطق الشيعة منطق إمامهم أمير المؤمنين عليه السلام الذي جاء في الخطبة ٩٧ من «نهج البلاغة»، قال صلوات الله عليه: «لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى أحداً يشبههم منكم، لقد

كانوا يصبحون شعثاً غبراً وقد باتوا سجداً وقياماً، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كان بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب ورجاءً للثواب».

إنّ شيعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقتفون كلام إمامهم، حيث إنّه عندما سمع بعض أصحابه وهم يسبون أهل الشام ـ أيام حرب صفين ـ خاطبهم بقوله: «إنّي أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولكنّكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العُذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم أحقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، وأهدهم من ضلالتهم، حتّى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغيّ والعدوان من لهج به».[1]

فإذا كانت هذه عقيدة إمام الشيعة في حق الصحابة، فكيف لا تكون عقيدة شيعته فيهم كعقيدته.؟!

إنّ السب فعل الجهلة الذين لا يحفظون ألسنتهم عمّا يشينهم، ولذلك أطلب من سماحتكم أن لا تطرحوا القضية بهذه الصورة، نعم انّ الذي تعتقده الشيعة هو أنّ بعض الصحابة والذين لا يتجاوز عددهم عدد أصابع اليد تعاملوا مع أهل بيت النبي بعد رحيله معاملة سيئة ومن هنا تتبرّأ الشيعة منهم لهذا السبب، وهذا ليس أمراً غريباً فهذا النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يتبرّأ من عمل خالد بن الوليد ويقول: «اللهم إنّي أبرأ إليك ممّا صنع خالد».

ولكن ألفت نظركم السامي إلى روايات الارتداد المعروفة بروايات

---

١. نهج البلاغة: الكلمات القصار، برقم ٢٠٦.

الحوض التي جاءت في صحيحي البخاري ومسلم[١] كيف تفسرون هذه المأثورات عن النبي الأعظم ﷺ؟!!

الثانية: البدع العملية:

١. تجديد مأساة الحسين عليه السلام كل عام

أشار سماحتكم بعد ذكر البدع النظرية إلى البدع العملية واعتبرتم من ضمنها «تجديد مأساة الحسين عليه السلام كل عام» ولا أدري كيف أصبحت التظاهرات المليونية التي تقام لإحياء ذكرى سيدالشهداء وسبط رسول الله ﷺ وإظهار ظلامته بدعة تستحق اللوم والذم!!

لو اطّلعتم سماحة الشيخ على فلسفة الثورة الحسينية وفكرتم في أبعاد تلك الثورة لقمتم بنفس ما تقوم به الشيعة من إحياء لتلك الواقعة العظيمة، لأنّ التظاهر من أجل مواجهة الظلم ورفض التعدّي على القيم والوقوف أمام الحكومات الجائرة لابد أن يبقى حياً في أوساط الأُمّة الإسلامية، وهذا هو هدف الثورة الحسينية التي ينهل منها الأحرار في العالم مثل حركة حماس والجهاد الإسلامي في فلسطين ضد الصهاينة الغاصبين.

من هنا يتضح سبب الاهتمام بالثورة الحسينية أكثر من الاهتمام بالمناسبات الأُخرى للأئمة، كشهادة أمير المؤمنين عليه السلام وإن كانت تقام مراسم في تلك المناسبات أيضاً إلّا أنّها لا ترقى في كثرتها زماناً ومكاناً لما يقام

١. لاحظ: صحيح البخاري: ٤ / ٦٧ و ٥ / ١٠٧، كتاب المغازي.

بمناسبة الثورة الحسينية، إنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام تمثل رسالة تحريك وبعث لكل الأجيال التي تقع تحت الظلم والاضطهاد لتضخ فيهم دماء الغيرة والدفاع عن الدين كما فعل سيد شباب أهل الجنة في دفاعه عن دين جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

كذلك تهدف مجالس العزاء لتعرية تلك الطغمة الفاسدة التي تصدت لأهل البيت وأذاقتهم ألوان العذاب والاضطهاد.

٢. ما يحدث عند مزارات آل البيت من شركيات

اتهمتم في بيانكم الشيعة بممارسة الشركيات عند زيارتهم لقبور أهل البيت عليهم السلام؛ لكن الجدير بكم أن تشيروا إلى مصاديق تلك الشركيات ولا تبقوا القضية عائمة، فهل أصل الزيارة شرك؟ لا شك أنّ الجواب بالنفي. وهل الدعاء وطلب الشفاعة من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام شرك؟ من المسلم كلا؛ لقد كان من الجدير بسماحتكم الاقتداء بإمام الأحناف الكبير، فقد روى مؤلف كتاب «فتح القدير»: انّ الإمام أبا حنيفة وقف أمام قبر النبي الشريف وأنشد قائلاً:

يا أكرم الثقلين يا كنز الورى جد لي بجودك وارضني برضاكا
أنا طامع في الجود منك ولم يكن لأبي حنيفة في الأنام سواكا[1]

وكأنّ أبا حنيفة اقتدى بالصحابي الجليل سواد بن قارب الذي أنشد قائلاً:

---

١. فتح القدير: ٢ / ٣٣٦.

فكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة

بمغن فتيلاً عن سواد بن قارب

لقد جاء في بيانك انّ دعاء أهل البيت من دون الله يعد من الشركيات؛ عذراً سماحة الشيخ أنّ هذا المنطق هو منطق الوهابية الذين قد يستندوا أحياناً لقوله تعالى: ﴿وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا ﴾[1]. ولكن ينبغي أن يتّضح المراد من كلمة «الدعوة» ما هو؟ هل المقصود مخاطبة غير الله؟ لا شك أنّه ليس هو المراد، لأنّ لازم ذلك تكفير جميع البشر، لأنّ الإنسان في حياته يخاطب آلاف الناس ويستعين بهم، نعم المقصود من الدعوة هنا عبادة غير الله بمعنى الخضوع والخشوع أمام موجود بعنوان كونه خالقاً ومدبراً فيكون معنى الآية «انّ المساجد لله فلا تعبدوا مع الله أحداً» ومن حسن الحظ يوجد شاهد على ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿وَقالَ رَبّكُم ادْعُوني أسْتَجِبْ لَكُمْ انّ الّذينَ يَسْتَكْبِرونَ عَنْ عِبادَتي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرين﴾[2].

ففي صدر الآية جاءت كلمة «ادعوني» ولكن في ذيلها جاءت كلمة «عبادتي» وهذا يحكي أنّ الدعاء الخاص بالله تعالى هو الدعاء الذي يحمل صبغة العبادة لا أي نوع من أنواع الدعاء والدعوة، وإلّا لما وجد على وجه الأرض موحّد أبداً.

جناب الدكتور القرضاوي أنّ القرآن الكريم رسم الطريق لتمييز الموحّد من المشرك بقوله: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَ إِنْ

١. الجن:١٨.
٢. غافر:٦٠.

يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ للهِ الْعَلِي الْكَبِيرِ﴾[١].

فهل ياترى أنّ جموع الشيعة وأعداد كبيرة من المصريين الذين يجتمعون عند رأس الإمام الحسين عليه السلام وفي مقام السيدة نفيسة والسيدة زينب عليها السلام ويتوسلون بهم ليقضي المولى سبحانه حوائجهم، هل هؤلاء عندكم مشركون؟! بمعنى أنّهم انحرفوا عن عبادة الله الواحد الأحد؟ أو يزداد إيمانهم بالله تعالى حينما يتواجدون في تلك الأماكن الشريفة؟ أليس هذا هو منطق التكفيريين الذي طالما انتقدتموه واعتبرتموه فكراً متطرفاً؟!

إلى هنا نمسك عنان القلم عن الجري، راجين من جنابكم الكريم تدارك ما فات ودعوة الجميع للاعتصام بحبل الله المتين والحث على وحدة الكلمة.

فالرجاء من سماحتكم، أن ترفعوا لافتة التقريب وتتدّثروا بدثاره في ظل الأُصول التي ألمح إليها رجال التقريب: وهي: الإيمان بالإله الواحد وما يستلزمه من الإيمان بالغيب والملائكة والكتب والأنبياء واليوم الآخر وما جاء به النبي الخاتم، في الكتاب والسنة، ومااتّفق عليه المسلمون في الأُصول والفروع، إلى غير ذلك من الأُمور المشتركة بين الأُمّة الإسلامية التي لم يختلف فيها اثنان.

كما أنّ رجاء عشّاق التقريب أن تدخلوا ساحة الحوار بأدب الأُسلوب القرآني: ﴿إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾[٢].

---

١. غافر: ١٢.

٢. سبأ: ٢٤.

وما قرأناه في البيان ينافي كلامكم حول العولمة المنشور في مجلة «مجمع الفقه الإسلامي»، و هذا نصّه:

ولكن على الأُمّة أن تعرف أنّها مهددة إذا لم تتجمع ويكون بينها نوع من التآلف والتعاون، ولذلك نحن ندعوكم أيّها الإخوة إلى مصالحة عامة، تجمع كل قوى الأُمّة في هذه المرحلة، لا داعي للتفرقة. هناك أُناس يريدون أن يفرقوا الأُمة، هم أعداؤنا يريدون ذلك، إمّا أن يفرّقوا بينها إذا كان هناك أقليات غير إسلامية، فيثيرون هذه الأقليات، إذا كان هناك أقليات عرقية، هناك عرب وبربر وعرب وأكراد، إذا كان هناك أقليات مذهبية يكون سنة وشيعة، إذا لم يكن هذا وذاك يبقى يمينيين ويساريين، أو ثوريين ورجعيين، نحن نريد أن نجمّع كل قوى الأُمة وندعو إلى مصالحة حتى بين الحكام والعلماء، وبين الحكّام والجماعات الإسلامية، لا داعي الآن أن نفرّق بين الأُمة، الأُمّة يجب أن تكن صفاً واحداً كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً في ساعة الشدائد لا مجال للاختلاف ولا مجال للمعارك الجانبية ، يجب أن يقف الجميع صفاً واحداً.[1]

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

والحمد لله ربّ العالمين

«اللّهم إنّا نرغب إليك في دولة كريمة تعزّ بها الإسلام وأهله وتذلّ بها النفاق وأهله»

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

١ . مجلة مجمع الفقه الإسلامي: الدورة ١٤، العدد١٤، ج٤، ص ٤٠٢.

ردود أُخرى على سماحة الشيخ

بعد نشر رسالتنا هذه إلى الشيخ القرضاوي اطّلعنا على عدد كبير من المقالات التي ردّت على ما صرّح به، ونشير بإيجاز إلى نموذجين منها:

١. مقال بقلم نجيب الزامل، بعنوان «هل كان شيخنا القرضاوي محقّاً»، وممّا ورد فيه : أقول ـ ومن نظرة تاريخية ومنطقية في طبيعة الأديان ـ : إنّ وقفة الشيخ القرضاوي في مسألة إيران حول المذهب الشيعي وانتشاره، أفهمها من شيخ جليل سنّي يغار ويحمي مذهبه السنّي، ولست أقول لا أوافقه في وقفته، ولكنّي أفهم أنّ هذا غير مُجدٍ، من يقيني أنّ الأديان تسري وتنتشر كما تجري المياه تحت الأرض تسقي الجذور... فهي دوماً تصل، حتّى لو وافقت إيرانُ الشيخَ القرضاوي ووقعت اتفاقية معلنة أمام الدنيا أنّها لن تصدّر المذهب الشيعي للدول السنية الكبرى أو الصغرى، وحتّى لو التزمت بصرامة بذلك، فإن المذهب لن يتوقف، لأنّ انتشار الأديان والمذاهب ليس مسألة دولية .[١]

٢. مقال بقلم المفكّر الإسلامي جمال البنا [٢] بعنوان: «ردّاً على القرضاوي: فصل المقال فيما بين الشيعة والسنة من اتصال»[٣]، وممّا جاء فيه: أعاد فضيلة الشيخ انتشار الشيعة في مناطق لم يكونوا بها من قبل إلى

١ . نشر المقال على صفحات موقع «صحيفة الاقتصادية الكويتية» بتاريخ ١٨ / ١٠ / ٢٠٠٨ م .

٢ . وهو شقيق مؤسس حركة الأخوان المسلمين الشهيد (حسن البنا).

٣ . نشر المقال على صفحات شبكة راصد الإخبارية بتاريخ ١٩ / ١٠ / ٢٠٠٨م.

خطط وتكتيكات واستراتيجية إيرانية، وهذا غير صحيح، والصحيح أنّ الجماهير أرادت أن تعاقب حكامها بتأييد الشيعة، ولأنّ عدو عدوي صديقي، فليس للشعوب الإسلامية من عدو سوى إسرائيل وحاميتها أمريكا، وهاتان هما عدوتا إيران.

ثم قال: وانتقدَ الشيخُ القرضاوي ما ذهب إليه الشيعة من عصمة الأئمة وتقديسهم، ولكن هل انتفى هذا التقديس من الفكر السلفي السنّي؟ ألا نقول عن البخاري: أصدق كتاب بعد كتاب الله.

ألا نكفئ على أربعة مذاهب نلتزم بكلام أئمتهم، كأنّ الله تعالى جعل الإسلام محصوراً في هذه الأربعة، فلا يمكن تصور مذهب آخر.

وماذا يعني بالله ـ تطبيقنا اليوم أحكاماً وضعها السلف الصالح منذ ألف عام؟ ألا يعد هذا تقديساً لهؤلاء الأسلاف، والرؤية بعيونهم، والحكم بعقولهم، كأن ليس لنا عقول أو رؤى؟

واستبعد الشيخ دعوة الدكتور كمال أبو المجد لإغلاق هذا الملف، ورأى أنّ ذلك فرار من المواجهة والتصدي (ولكن بالحكمة والاعتدال)، والواقع يقول إنّه لا يمكن التصدي في هذا المجال بحكمة واعتدال، وقد ذكر هو نفسه ما يؤدي إليه التصدي، فقال: «إنّ أوّل ما يقوم به الداعي إلى مذهب اعتقادي، أن يهاجم المذهب الآخر، ويبين أنّه ضلال وباطل، وأنّه ينتهي بصاحبه إلى النار، وأنّه لن ينجيه من النار إلّا اعتناق المذهب الآخر، وهنا يجد المدعو نفسه مضطراً للدفاع، وخير وسائل الدفاع الهجوم، فيهاجم

مذهب الداعي، ويدلّل على بطلان أُسسه واحداً بعد الآخر».

ويقول الشيخ: «ويستطيع السُّني أن يعلن بكل اعتزاز أنّ مذهبه هو الّذي يتوافق مع تطلّعات البشرية المعاصرة إلى التحرر والمساواة دون تمييز لأسرة لها حق حكمهم بغير اختيارهم، فلا وصية لهم ملزمة من السماء، ولا أحد له حق العصمة فلا يعترض عليه».

وللشيخ الحق من هذه الناحية، ولكنه لا ينفي أنّ المذهب السُّني فيه العديد من المآخذ، سواء كانت في الفقه أو التفسير أو الحديث، وهي الركائز التي قام عليها الفكر السُّني، وكانت من العوامل التي أسهمت في تخلّف المسلمين.

ولكن هذا أمر آخر يطول، وليس هذا مكانه.

فضيلة الشيخ من رواد «فقه الأولويات»، وأُناشده أن يحكِّم هذا الفقه عند تحديد المواقف.

الشيعة يقولون لا إله إلّا الله محمد رسول الله، ويصلّون، ويصومون رمضان، ويستقبلون كعبتنا، فهم مسلمون لهم عصمة المسلم ولهم حق على بقية المسلمين، كما أنّ عليهم واجباً نحوهم.

ويعلم الشيخ ويسلِّم أنّنا ندخل معركة قاسية، لا ترحم، تقودها القوى الكبرى التي تتّحد ـ مهما كانت خلافاتها فيما بينها وبين بعضها ـ في عداوة العالم الإسلامي .

أفلا يدعونا هذا إلى توحيد جبهة المسلمين، التي هي جبهة واحدة، إذا

سقط منها قطر تزلزلت الأقطار الأُخرى، كما يكون إيذاناً بزوال قطر ثان وقطر ثالث... الخ.

هل يعقل أن نكون كأهل بيزنطة الذين شغلوا أنفسهم في مناقشات لاهوتية والعدو يحيط بهم حتّى أسقطهم.

لقد وضع السيد رشيد رضا شعار «نتعاون فيما نتفق عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما نختلف فيه»، وتبنّى الإمام حسن البنّا هذا الشعار.

فلماذا لا نأخذ به في هذا الوقت المريج؟!

إنّ الرهان هو على المصير، أي على حياة أو موت المنطقة، فهل هناك ما هو أهم؟

أُناشدكم ألا يغلب فكركم السلفي فكركم السياسي، فلن يفيدنا الماضي ولا النظر إلى الوراء، وإنّما يفيدنا الحاضر والنظر إلى الأمام.

إنّ شخصاً مثل الشيخ القرضاوي في ذكائه وألمعيته ومنزلته وما يظفر به من تقدّير وما يناط به من آمال، جدير بأن يكون أمام وحدة لا فرقة، ورائد تقدم لا تخلّف، وأن يعمل للتعاون لا للتخاصم، وأن ينظر إلى الأمام ويستهدف المستقبل، لا أن ينظر للوراء ويستسلم للماضي، وهو لهذا أهلٌ، وبه جدير، والله تعالى يوفّقه ويكفل له السداد ويحقّق به وله الآمال.

الباب الثاني

الرسائل المتبادلة

وفيه فصول

الفصل الأوّل: مراسلاتنا مع الشيخ صالح بن عبدالله الدرويش

الفصل الثاني: مراسلاتنا مع الأُستاذ حسين محمد علي شكري

الفصل الثالث: مراسلاتنا مع الدكتور عيسى بن عبدالله بن مانع الحميري

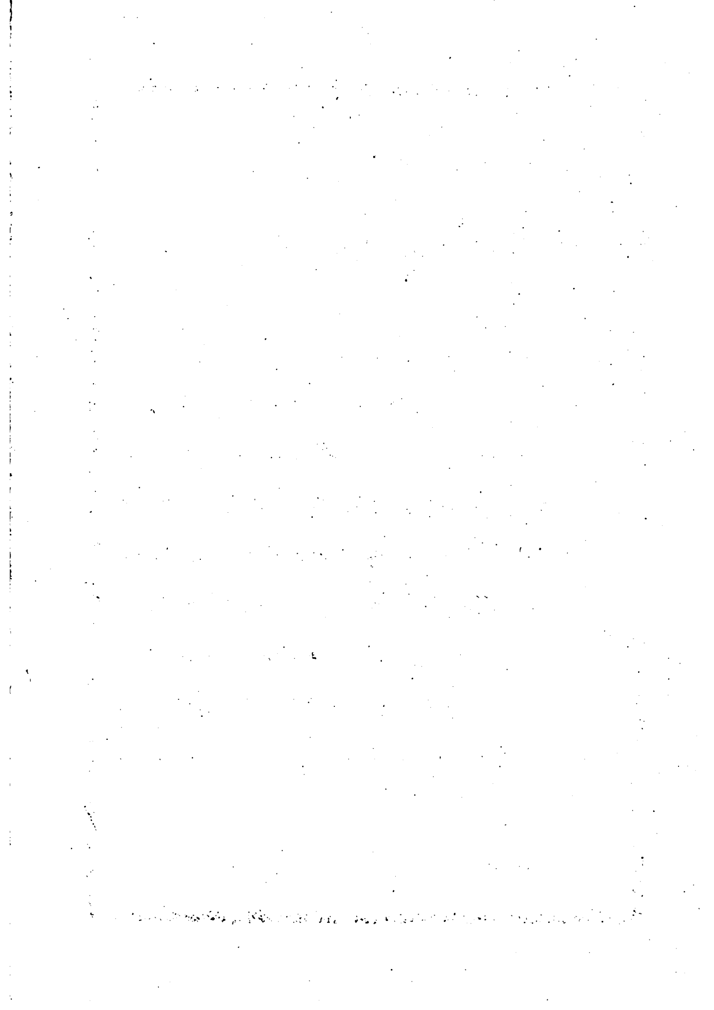
الفصل الرابع: مراسلاتنا مع الشيخ صالح بن عبدالرحمن الحصين

الفصل الخامس: مراسلاتنا مع الشريف أنس الكتبي الحسني

الفصل السادس: مراسلاتنا مع الدكتور فاروق حمادة

الفصل السابع: مراسلاتنا مع الدكتور وهبة الزحيلي

الفصل الثامن: مراسلاتنا مع الشيخ حسن الصفّار



الفصل الأوّل:

مراسلاتنا مع الشيخ صالح الدرويش

٦



إلى الأخ البارع البصير الشيخ صالح بن عبد اللّه الدرويش - دامت معاليه - القاضي في المحكمة الكبرى بالقطيف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أمّا بعد؛

فقد جرت بيني و بينكم - في سالف الزمان - مساجلات ومراجعات طرحت خلالها أفكار وتساؤلات، كان مبعثها ودّ الحقيقة والدفاع عن العقيدة، وقد قيل: «إنّ الحياة عقيدة وجهاد».

وعلى كلّ تقدير فهذه الرسالة الموجزة مرفقة بكتاب «الحجّ» الذي هو جزء من محاضراتي الفقهية حول الحجّ والكتاب يقع في عدة أجزاء، وهو أقوى شاهد على أنّ المشتركات في الحجّ بين المذاهب أكثر، وما أصدق قول

القائل:«ما يجمعنا أكثر ممّا يفرقنا».

ونحن نعتقد أنّ الّذي فرّق بيننا هو الجهل بالآراء والنظريات الّتي يتبنّاها الطرف الآخر، ولو وقف الأخ السنّي على آراء أخيه الشيعي لأذعن أنّه هو الأخ الّذي افتقده عبر قرون.

ودمتم سالمين للإسلام وأهله

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

جعفر السبحاني

١٣ جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ

٧

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة الشيخ جعفر السبحاني وفقه الله

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار . وبعد، فعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

* فقد سعدت بوصول ردكم إلي والمعنون بـ (حوار مع صالح الدرويش) وقد اطّلعت عليه وقيدت أثناء التصفّح بعض الملحوظات عليه، وارتأيت أنّها كثيرة ترجأ لحينها! ومن أهم ما استوقفني فيه و آسف له، وهو أنّ المؤلف لا يفرق بين من هم (الصحابة) الذين جاءت النصوص في مدحهم والثناء عليهم بأوضح العبارات وأبلغ الآيات، ومن هم (المنافقون) الذين جاءت النصوص بذمّهم وأنّهم في الدرك الأسفل من النار؟!

* ودونك سماحة الشيخ: كتاب اللّه تعالى، تأمل في آياته لترى الصراحة في القصد من الثناء على المهاجرين، ولم يذكر أحد من المؤرخين قاطبة ـ فيما أعلم ـ أي منافق أو علامة للنفاق قبل غزوة بدر!

* وقد رأيت سماحتكم: نحا وسلك مسلكاً آخر في أصل الحوار... ولأجل أنّ الأمر فيه بون شاسع بيني وبينكم ـ وفقكم اللّه ـ حول تحرير أصل المسألة؛ لذا تركت الرد أو الحوار فيما يتعلق برسالتنا (صحبة رسول اللّه) عليه وعلى آله أزكى تحية وسلام.

* أمّا فيما يتعلق بالحوار حول رسالة (تأمّلات في نهج البلاغة) لمؤلفه

الأُستاذ محمد الصادق ـ وفقه اللّٰه ـ فسماحتكم يعلم أنّي إنّما قدّمت للمؤلف... و من ثم جعلتم كلّ الحوار معي وفي مخاطبتي!

* ومن هنا فقد أعطيت حواركم فيه لمؤلفه للنظر فيه وموافاتنا بمرئياته حياله، ولم يوافني ليومي هذا بشيء خاصة وأنّه أخبرني بالطبعة الثانية للرسالة وأنّها تحت الإعداد، هناك رسالة أُخرى في نفس الموضوع وهي قراءة راشدة في نهج البلاغة أتمنّى أن تبحثوا عنها وتنظروا فيها. واللّٰه الموفق.

* كما أنّه لا يخفى على شريف علمكم الكلام في نسبة الكتاب كلّه إلى أمير المؤمنين رضي اللّٰه عنه وأرضاه، والصنعة الأدبية ظاهرة على أبوابه ومحتوياته، فيمكن لكم المقارنة بين البلاغة العربية في عهد النبوة وما كان عليه أمير المؤمنين من فصاحة وبلاغة، وكتاب النهج وما فيه من سجع متكلف، وغرائب في بعض الألفاظ وما ساد في بلاغة القرن الرابع ـ زمن جامع الكتاب ـ وأقل ما يقال فيه أنّه: زاد فيه!

وأيضاً انقطاع السند بين جامعه وقائله وبين ذلك خرط القتاد.

ولكني إنّما قدمت للكتيب على قاعدة التسليم في حجة الخصم ـ على افتراض صحتها ـ و كما قيل: «من فمك أُدينك».

* سماحة الشيخ الكريم: أُفيدكم أنّ رسالتكم مع كتابيكم قد وصلتني من يد الشيخ هاني المسكين.

وهي هدية مقبولة أمّا الرسالة فلي عليها ملحوظات يسيرة لا يحسن أن نذكرها من باب حسن الظن بكم.

* هذا وقد التقيت بنخبة من الآيات وبعدد كبير ممّن دونهم

الموسومين بحجة الإسلام، ومع قناعتي التامة بعدم وجود ضابط لديكم نحتكم إليه في ثبوت النصوص من عدم ثبوتها، ولمعرفة المقبول فيُعمل به، والمردود فلا يُعمل به.

* وأنا مع ذلك حريص على الالتقاء ومقابلة العقلاء، فإن زان عقلهم علماً فقد زاد شرفهم فجمعوا بين العقل و العلم... وإنّي أرجو أن يكون سماحتكم من هذا الصنف.

سماحة الشيخ: إنّ من أهم المسائل الّتي يعاني منها كثير من المشايخ الذين التقينا بهم سلفاً هي:

عدم وجود نصوص عن الأئمّة يتفق الشيعة عليها. فهذا يضعف وذاك!! وبالتالي لا تستطيع إلزام أحدٍ بنص إذ يقول وبكلّ سهولة ويسر «أنا أرى ضعف هذه الرواية»!!

وكما قال صاحب مقدمة صحيح الكافي: محمد باقر البهبودي... بـأنّ الزنادقة...و....

قاموا بوضع مرويات مكذوبة على الأئمّة، وتصل في الكافي إلى أكثر من ... كذا ... وكذا.

وكتابه الآن بعيد عن متناول يدي، فأنا أكتب هذه الرسالة على عجل ـوأستسمحكم لكثرة مشاغلي ـ ولكنّي أتذكر أنّه قال: يدسون الأكاذيب و الترهات من خلال الصحائف و الأُصول... فيختلط الحق بالباطل.

* لذا فإنّنا من محل المسؤولية وتحمل الأمانة نناشدكم اللّه عزّو جل

أن تجعلوا اهتمامكم بتصحيح الروايات عن الأئمّة، فهذه أكبر خدمة لهم، وهو مصداق محبتهم.

وتأمل معي يا سماحة الشيخ هذا:

كيف يتعبد عوام الشيعة بمرويات لا يعلمون ثبوتها من عدمه، على مر هذه القرون. وما حجتهم في هذا؟

إنّ باب الاجتهاد مفتوح، وعلى المجتهدين أن ينظروا فيها. وهذا عند الأُصوليين أمّا الأخباريين فالأمر لا يخفى على مثلكم.

وإليكم: مثال واحد بسبب عدم الضوابط، ما حصل من خروج الشيخ / أحمد الأحسائي ومن تبعه، ثمّ خروج المعروف بالباب وقرة العين، وما حصل في النجف في ذات التاريخ؟!!

وأخيراً / أعتذر إليكم مرّة أُخرى لعدم تمكنّني من إيفاء الأمر حقّه وذلك لكثرة المشاغل...وبرفقته كتاب فيه دراسة لمسألة النص والإمامة وهو كتاب «الإمامة والنص» [1]، ونأمل أن يتسع وقتكم للاطّلاع عليها وإفادتنا بما ترونه من ملاحظات.

أخوكم: صالح بن عبدالله الدرويش

---

١ . أهدىٰ إليّ سماحة الشيخ صالح الدرويش كتاب «الإمامة والنص» وكتب ما هذا نصّه:

«إهداء للشيخ العلّامة جعفر السبحاني ـ وفّقه الله ـ آمل أن يتّسع وقتكم للاطلاع عليه ودراسته بإنصاف وأسأله سبحانه وتعالى أن ينفعني وإيّاكم بما نسمع ونقرأ ويجعله حجة لنا يوم القيامة لا علينا، اللّهم آمين.

وصلّى الله على نبيّنا محمد وآله وصحبه أجمعين».

القاضي بالمحكمة الكبرى بالقطيف صالح بن عبد الله الدرويش

٨

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الأخ البارع البصير الشيخ صالح بن عبدالله الدرويش

دامت معاليه وتواترت بيض أياديه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أمّا بعد:

فقد وافتني رسالتكم الكريمة ـ عبر الفاكس ـ و الّتي تعرب عن وصول رسالتنا إليكم الّتي كانت مرفقة بالجزء الأوّل من كتاب الحجّ من محاضراتي الفقهية، وكانت الغاية من إرساله إليكم هو الحث على الوقوف على فقه الشيعة ليتّضح لديكم مدى المشتركات بين الفريقين، ولكن المؤسف أنّكم، لم تذكروا شيئاً من انطباعاتكم عنه، والّتي مازلنا ننتظرها بفارغ الصبر.

وأود أن أُشير إلى أُمور تتعلق بما ذكرتموه في رسالتكم الكريمة تلك:

١. ذكرتم: أنّنا في كتابنا «حوار حول الصحبة والصحابة»، لم نفرق بين الصحابة الذين جاءت النصوص في مدحهم والثناء عليهم بأوضح العبارات وأبلغ الآيات، والمنافقين الذين جاءت النصوص بذمهم وأنّهم بالدرك الأسفل من النار.

ولي هنا نظرة وهي: كيف يصف الشيخ الكريم المؤلَف بعدم التفريق بين الفريقين مع أنّ المؤلف قد صنف الصحابة إلى عشرة أصناف اثنان منهم المنافقون والمندسّون، والثمانية الباقون من غيرهم وقد ورد التنديد والذم في الكتاب والسنة بهم وهم:

١. مرضى القلوب [١] .

٢. السماعون [٢].

٣. الذين خلطوا العمل الصالح بغيره [٣].

٤. المشرفون على الارتداد[٤] .

٥. الفاسق [٥].

٦. المسلمون غير المؤمنين [٦].

٧. المؤلفة قلوبهم [٧].

٨. المولّون أدبارهم في زحف الكفّار [٨].

ولا شكّ أنّ هؤلاء الذين وضعنا البنان عليهم لم يكونوا من المنافقين، فإن وردت أبلغ الآيات في مدح الصحابة والثناء عليهم بأوضح العبارات، فقد وردت أيضاً أبلغ الآيات وأوضح العبارات بالتنديد بهذه الأصناف الثمانية منهم.

١. الأحزاب: ١٢. ٢. التوبة: ٤٥ـ ٤٧. ٣. التوبة: ١٠٢.

٤. آل عمران: ١٥٤. ٥. الحجرات: ٦. ٦. الحجرات: ١٤.

٧. التوبة: ٦٠. ٨. الأنفال: ١٥ـ١٦.

فإذا كانت الآيات بحق الصحابة على قسمين مادحة وذامّة فلا محيص من القول بوجود صالح وطالح، وعادل وفاسق بينهم، ومن يقبل قوله ومن يجب أن يترك قوله، فيكون حال الصحابة كحال التابعين، وهذا هو نفس عقيدة الشيعة الإمامية في حقّ صحابة النبي الأكرم ﷺ.

٢. إذا اعترفتم بأنّ صحابة النبي ﷺ يشكل لحمتهم وسداهم طائفتان هما الصحابة العدول، والمنافقون المعروفون والمندسّون فيهم الذين لم يكن الناس يعرفونهم، وحتّى النبي الأكرم ﷺ، كذلك لقوله سبحانه: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾[1].

فإذا كان الأمر كذلك فكيف تعتبرون روايات الصحابة وأحاديثهم بل وآراءهم وسننهم حجة على الإطلاق من دون أن تتعرفوا على أحوالهم وتتأكدوا من انتمائهم إلى الطائفة الأُولى أو الثانية؟!

إنّ في علم الأُصول بحثاً ضافياً حول العلم الإجمالي وأنّه ينجز كالعلم التفصيلي، مثلاً كما أنّ العلم التفصيلي بغصبية شيء ينجز التكليف، فهكذا العلم الإجمالي بوجود الأموال المغصوبة ضمن الأموال الحلال الكثيرة ينجز التكليف أيضاً، فيجب الفحص و التنقيب حتّى يتميز الحلال عن الحرام، وعلى ضوء هذا يجب الفحص عن أحوال الصحابة، ليتميز العادل عن الطالح، والمؤمن عن المنافق، ومن يستدرّ به الغمام، عمن يحبس دعاؤه ولا يستجاب.

لم يكن عدد المنافقين في عصر النبي قليلاً حتّى يغمض عنهم، بل

---

١. التوبة: ١٠١.

كانوا أُمّة كبيرة يتآمرون على الإسلام ليلاً ونهاراً والدليل على كثرتهم بين الصحابة هو عناية القرآن بذكر أحوالهم والتنديد بأفعالهم في كثير من السور نظير: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنفال، التوبة، الحج، العنكبوت، الأحزاب، الفتح، الحديد، المجادلة، الحشر، المنافقون، التحريم، فلو كان عددهم قليلاً وكانوا غير مؤثرين لما اهتمّ القرآن بهم إلى هذا الحدّ.

إنّ القرآن لم يقتصر على التنديد بهم ضمن هذه السور، بل أنّه قد خصّهم بسورة كاملة، أعني (المنافقون).

كما أنّ الكاتب المصري إبراهيم علي سالم قد جمع آيات النفاق والمنافقين على نظم خاص، وادّعى أنّ عدد الآيات الواردة في حقّهم يعادل أجزاءً ثلاثة من أجزاء القرآن الثلاثين.

والعجب أنّه لم يكن لهم أي دور بعد رحيل الرسول ﷺ أيام الخلفاء، وهذه ظاهرة تاريخية تستوجب التوقّف عندها، فلماذا غاب نجمهم وخابت حيلتهم بعد رحيل الرسول ﷺ؟!

٣. ذكرتم أنّه لم يذكر أحد من المؤلفين قاطبة ـ فيما أعلم ـ أيّ منافق أو علامة للنفاق قبل غزوة بدر.

إنّكم بحمد اللّه على سعة من العلم بالتاريخ وتعلمون أنّ نطفة النفاق قد انعقدت يوم نزول النبي ﷺ في المدينة المنورة حيث قابله عبد اللّه بن أُبيّ المعروف برأس المنافقين بقوله: يا هذا اذهب إلى الذين غرّوك وخدعوك وأتوا بك فانزل عليهم ولا تغشنا في ديارنا.[1]

١. تاريخ الخميس: ١/ ٣٤١.

فأصبح هذا نواة النفاق، ثمّ اجتمع حوله جماعة من المتظاهرين بالإسلام، حتّى صاروا كتلة قوية في المدينة المنورة، على نحو يتحدث التاريخ عن كثرتهم، وإليك ما يشهد على ذلك:

إنّ النبيّ ﷺ حينما خرج من المدينة إلى غزوة أُحد بجيش يناهز الألف نفر، وقع التشاجر بين النبي ﷺ وعبد اللّه بن أُبيّ فرجع هو بثلث الجيش إلى المدينة وتركوا النبي في طريقه إلى أُحد، وهذا يعرب عن بلوغ المنافقين ومَن تأثّر بهم في السنة الثالثة من الهجرة حدّاً يعادل ثلث الناهضين إلى الحرب، فمن العجب القول بأنّه لم يكن للنفاق وجود قبل غزوة بدر مع أنّ الفاصلة الزمنية بين الغزوتين كانت قليلة، لا يمكن خلالها أن يتشكّل حزب النفاق ويصل إلى ذلك المستوى في هذا الزمن القصير. حيث كانت غزوة بدر في رمضان السنة الثانية من الهجرة وغزوة أُحد، في شوال السنة الثالثة.

وان كنت في شكّ من ذلك فاقرأ نص السيرة النبوية لابن هشام يقول: حتّى إذا كان بالشوط الأوّل بين المدينة وأُحد، انعزل عنه عبد اللّه بن أُبي بن سلول بثلث وقال أطاعهم وعصاني، ما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيّها الناس فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب.[1]

وقد كان للمنافقين وعلى رأسهم عبد اللّه بن أُبيّ دور في أمر بني قينقاع وكان بعد غزوة بدر، وقبل غزوة أُحد حيث قال للنبي الأعظم ﷺ: أربعمائة

1. السيرة النبوية:٢/٦٤، ط. مصطفى البابي الحلبي.

حاسر، وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة.

وفي حقهم نزل قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصارىٰ أَوْلياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلياءُ بَعْضٍ﴾[١]. [٢]

كلّ ذلك يعرب عن تغلغل النفاق بين الصحابة عند إجلاء بني قينقاع وكان ذلك بعد غزوة بدر بقليل.

***

حول انعدام النصوص الّتي تتفق عليها الشيعة

الموضوع الثاني الّذي ركزتم عليه في الرسالة هو عدم اتّفاق الشيعة على النصوص، حتّى نحتكم إليها، وقلتم حول ذلك: إنّ من أهمّ المسائل الّتي يعاني منها كثير من المشايخ الذين التقينا بهم سلفاً هي: عدم وجود نصوص عن الأئمّة يتفق الشيعة عليها... فهذا يضعف وذاك!! وبالتالي لا نستطيع إلزام أحد بنص إذ يقول وبكل سهولة ويسر «أنا أرى ضعف هذه الرواية».

وكما قال صاحب مقدمة صحيح الكافي: محمد باقر البهبودي...بـ«أنّ الزنادقة ... و...».

قاموا بوضع مرويات مكذوبة على الأئمّة، وتصل في الكافي إلى أكثر من ... كذا ... وكذا.[٣]

---

١ . المائدة:٥١. ٢ . السيرة النبوية:٢/٤٩.

٣ . كما ورد في الصفحة الرابعة من رسالتكم.

أقول: ركّزتم ـ حفظكم اللّه ـ على أمرين، ندرسهما واحداً بعد الآخر أمّا عدم وجود كتاب صحيح لدى الشيعة فهذا هو أحد مميزات منهجهم عن السنّة، لأنّ أهل السنّة قد التزموا بكتابين صحيحين بعد كتاب اللّه تعالى وهما صحيحا البخاري ومسلم، وقد اعتقدوا بصحة أحاديثهما، ولاقوا في ذلك ما لاقوا، لأنّ في الصحيحين أحاديث تضاد القرآن الكريم والسنّة النبوية المتواترة والعقل الحصيف الّذي به عرفنا اللّه تعالى.

وإن شئتم أن تتعرفوا على مواضيع هذه الروايات فعليكم بكتابنا «الحديث النبوي بين الرواية والدراية» فقد درسنا فيه أحاديث أربعين صحابياً، ذكرنا روائع أحاديثهم ثمّ أردفناها بأحاديث رويت عنهم تضاد الكتاب والسنة والعقل، ولا يسع المقام هنا لذكر شيء منها وقد طبع الكتاب ووزع في بيروت، ولولا المنع الموجود في الجمارك السعودية لأرسلنا إليكم نسخة منه عن طريق البريد لكي تقفوا على صدق ما عرضنا، ويمكنكم مطالعته عبر موقعنا في الانترنيت على الرابط:

www.imamsadeq.org/book/sub1/al-hadith-al-nabavi/index.htm

وأمّا الشيعة فليس عندهم كتاب صحيح من أوّله إلى آخره سوى كتاب اللّه العزيز الّذي نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين، وهو الكتاب الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مازاد وما نقص.

ومع ذلك فقد وضع الشيعة ضوابط لتمييز الصحيح عن الزائف، والمقبول عن المردود، وهذه كتبهم في الرجال والدراية والحديث تملأ المكتبات.

ولكن مهما صحّ الحديث سنداً فانّما يؤخذ به في الأحكام العملية والفروع الشرعية، وأمّا العقائد فالمرجع فيها هو الكتاب والسنة المتواترة المفيدة للقطع واليقين والعقل الحصيف.

وهنا يفترق طريق السلفية عن الشيعة، فإنّ الطائفة الأُولى يعتبرون الخبر الواحد حجة في العقائد ويستدلّون به، وأمّا الشيعة فلا يرون للخبر الواحد وإن صحّ أسناده دوراً في مجال المعارف، لأنّ المطلوب فيها هو الاعتقاد وهو رهن أُمور تنتج اليقين وتستوجبه والخبر الواحد ـ مهما صحّ ـ لا يلازم اليقين بخلاف الأحكام العملية فانّ المطلوب فيها هو العمل وهو أمر ممكن مع عدم الإذعان بمطابقتها للواقع.

لقد جرت عادة مشايخكم ـ زادهم اللّه شرفاً وعزاً وعلماً وتُقى ـ على الاحتجاج بروايات الآحاد الصحاح في أكثر الساحات، فصار ذلك سبباً لدخول أُمور منكرة في الشريعة المقدسة، نظير:

١. نزوله سبحانه إلى السماء الدنيا.

٢. الشؤم في المرأة.

٣. بول النبي قائماً.

٤. سلطان إبليس على النبي ﷺ في حال صلاته.

٥. طواف النبي على نسائه التسع في ليلة واحدة.

٦. وضع الرب رجله في نار جهنم ليملأها مع أنّه سبحانه وعد بإملائها من الجنة والناس لا بإدخال الرِّجْل.

٧. انّه سبحانه ليس بأعور.

إلى غير ذلك من أُمور لا يقيم لها وزناً من له أدنى إلمام بالمعارف الإسلامية السامية.

وإن أردتم الاطّلاع على عقائد الشيعة الإمامية في مختلف المجالات فبإمكانكم الرجوع إلى كتابنا «العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت»، والّذي اتبعنا فيه منهجاً شفافاً موجزاً، وتستطيعون مطالعته من خلال موقعنا في الانترنيت على الرابط:

www.imamsadeq.org/book/sub3/al-aghibeh/index.htm

إنّ كاتب هذه السطور مستعد للقائكم في أيّ مكان تريدون من غير فرق بين المدنية المنورة أو مكة المشرفة، لنجري الحوار حول عقائد الشيعة الّتي اتفقت عليها فطاحل علمائهم وعظمائهم.

وأمّا الأمر الثاني: أعني الاستدلال بما رواه محمد باقر البهبودي ـ حفظه اللّه ـ بأنّ الزنادقة قاموا بوضع روايات مكذوبة على الأئمّة... الخ.

فهو من أخطاء الشيخ البهبودي، فلو صحت القضية وقلنا بحجية قول الفاسق أو الكافر كابن أبي العوجاء فهو إنّما دسّ في كتب حمّاد بن سلمة الّذي كان ربيباً له، لا في كتب الشيعة فأين هو من كتب الشيعة؟!

وإن شئت توضيحاً أكثر، نقول:

روى المرتضى في أماليه أنّه لما قبض على عبد الكريم بن أبي العوجاء، محمد بن سليمان وهو والي الكوفة من قبل المنصور وأحضره

للقتل، وأيقن بمفارقة الحياة قال: «لئن قتلتموني فقد وضعت في أحاديثكم أربعة آلاف حديث مكذوبة مصنوعة».[١]

وهنا نكتتان نلفت نظركم السامي إليهما:

١. أفيصح الاستدلال بقول الفاسق فضلاً عن الكافر؟! ومن المعلوم أنّ الإنسان الآيس من الحياة المحكوم عليه بالقتل والصلب يطول لسانه ويأتي بالغث والسمين ويثير غضب الحاكم من دون أن يكون ملتزماً بصدق مقاله وقد قيل:

إذا يئس الإنسان طال لسانه كسنّور مغلوب يصول على الكلب.

٢. لو صحّ ما نقله المرتضى فإنّما أراد القائل الدسّ في حديث أهل السنّة، وقد صرّح بذلك ابن الجوزي في كتاب «الموضوعات» انّ ابن أبي العوجاء كان ربيباً لحماد بن سلمة المتوفّى عام (١٦٧ أو ١٦٩هـ) وقد دسّ في كتب حماد (الموضوعات: ٣٧ طبع المدينة المنورة). كما نص على ذلك الذهبي في ميزانه (ج ١، ص ٥٩٠ـ٥٩٥) وابن حجر في تهذيبه(ج٣، ص ١١ـ ١٦).

والجميع ينصّون على أنّ الرجل قد دسّ ما دسّ في كتب من ربّاه الّذي كان من محدّثي السنّة، وأين ذلك من الدس في كتب الشيعة؟!

ما هكذا تورد يا سعد الإبل!!

---

١. أمالي السيد المرتضى: ١٢٨/١.

التشكيك في نسبة نهج البلاغة إلى الإمام علي عليه السلام

كان في كلامكم إلماعاً إلى الشك والترديد في نسبة نهج البلاغة كلّه إلى أمير المؤمنين علي(رضي اللّه عنه و أرضاه) قلتم في رسالتكم:... والصنعة الأدبية ظاهرة على أبوابه ومحتوياته، فيمكن لكم المقارنة بين البلاغة العربية في عهد النبوة وما كان عليه أمير المؤمنين من فصاحة وبلاغة... وكتاب النهج وما فيه من سجع متكلف، وغرائب في بعض الألفاظ وما ساد في بلاغة القرن الرابع ـ زمن جامع الكتاب ـ وأقل ما يقال فيه أنّه: زاد فيه، وأيضاً انقطاع السند بين جامعه وقائله وبين ذلك خرط القتاد.[١]

أقول: ما ذكرتم من التشكيك أمر قد سبقكم إليه أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر المعروف بابن خلكان المولود في مدينة اربل عام ٦٠٨، فهو أوّل من أثار الشكوك في قلوب الباحثين بنسبته الكتاب إلى الشريف الرضي تأليفاً.

ثمّ جاء بعده الصفدي وهو من كتّاب التراجم إلى أن انتقلت الشبه إلى الكتّاب المعاصرين، وهم يدّعون القول بأنّ الكتاب من صنع جامعه وتأليفه بأدلّة منها ما ذكرتم من ظهور الصنعة الأدبية، والسجع المتكلّف.

وقد تحدثنا عن ذلك في الحوار الأوّل معكم بالتفصيل في ص ١٤ـ ٢٠ وممّا قلناه هناك:

---

١ . الصفحة الثانية من الرسالة.

بأنّ الشريف الرضي ليس أوّل من جمع كتب الإمام ورسائله وكلماته، بل سبقه جمهور من الكتاب ذكرنا أسماءهم وكتبهم، وقد صدر عنها وعن غيرها الشريف الرضي. حتّى أنّ الشريف الرضي قد ذكر مصادر بعض خطبه ورسائله وكلماته، وترك ذكر مصادر الكثير وما ذلك إلّا لكون الشريف الرضي كان على ثقة بصحة سائر ما ذكره فلم يرَ حاجة لذكر المصادر. وإنّما ذكر بعض المصادر فيما لم يكن على ثقة بصدوره. وأمامكم كلام الكاتب الكبير الرحالة المسعودي (المتوفّى عام ٣٤٥هـ) ـ قبل أن يولد الرضي ـ مؤلف «مروج الذهب» يقول: والّذي حفظ الناس عن الإمام من خطبه في سائر مقاماتهم هو أربعمائة ونيف وثمانون خطبة يوردها على البديهة تداول الناس ذلك عنه قولاً وعملاً.[١]

وقد أشبعنا الكلام في ذلك في الحوار المذكور. والمظنون أنّه لم تتح الفرصة لكم لمطالعة الحوار الأوّل وعاقتكم عن ذلك كثرة المشاغل، وقد أشرتم إلى ذلك في رسالتكم حيث قلتم: «إنّي أكتب هذه الرسالة على عجل واستسمحكم لكثرة مشاغلي».

فلنرجع إلى ما ذكرتم من وسائل التشكيك: أعني: ظهور الصنعة الأدبية:

وهذا هو أحد الإشكالات الأربعة التي جمعها المحقّق محمد محيي الدين المصري الّذي كتب مقدمة لشرح نهج البلاغة لمحمد عبده (المطبوع في مصر) وقال: الثاني: إنّ فيه من السجع والنميق اللفظي وآثار الصنعة ما لم

---

١. مروج الذهب:٢/٤٥.

يعهده عصر علي، ولا عرفه، وإنّما ذلك شيء طرأ على العربية بعد العصر الجاهلي وصدر الإسلام، وافتتن به أُدباء العصر العباسي و الشريف الرضي جاء من بعد ذلك على ما ألفوه فصنّف الكتاب على نهجهم وطريقتهم.

وقد أجاب هو عن هذا الإشكال في ذات المقدمة قائلاً: وأمّا عن السبب الثاني فليس ما في الكتاب كله سجعاً، وما فيه من السجع فهو ممّا لم تدع إليه الصنعة، ولا اقتضاه الكلف بالمحسنات، وأكثره ممّا يأتي عفواً بلا كد خاطر ولا تجشم هول، ومثله في عبارات عصره واقع، ومن عرف أنّ ابن أبي طالب كان حامي عرين الفصاحة وابن بجدتها لم يعسر عليه التسليم.[1]

ونضع أمام الشيخ نموذجاً من السجع المتكلّف الرائج في العصر العباسي حتّى يعلم أنّ ما جاء في نهج البلاغة نتج عفواً وبلا تكلّف.

هذا هو الحريري أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري صاحب «المقامات» المشهور، وتعمقه في الصناعة يغنينا عن إيراد كثير من نثره ونظمه. فمن نثره قوله:

«فمذ اغبر العيش الأخضر، وازوّر المحبوب الأصفر، اسودّ يومي الأبيض، وابيض فوْادي الأشيب، حتّى رثى لي العدو الأزرق، فياحبذا الموت الأحمر».

فيا شيخنا القاضي بالحق: قِسْ هذا الكلام بقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في عدم الاغترار بالدنيا أعني قوله: فإنّ الدنيا قد أدبرت، وآذنت بوداع، وإنّ

١ . نهج البلاغة شرح الإمام محمد عبده، المقدمة، ص «و».

الآخرة قد أشرفت باطّلاع، ألا وإنّ اليوم المضمار وغداً السباق، والسبقة الجنة، والغاية النار، أفلا تائب من خطيئته قبل منيته؟[١]

وكأن المشكّكين ينكرون على أصحاب المواهب أن يبتكروا ويجودوا بعطاءاتهم الفذة، وأمير المؤمنين ـ كما أصفق الجميع ـ من العباقرة الذين جاءوا في زمن غير زمانهم، ويُبدعوا فلا بِدْعَ أن يكون عطاؤه متميزاً في النحو (وهو مؤسسه) والبلاغة والفقه والكلام والتفسير وغيرها من المجالات.

وأنت ترى أنّ أرباب الأدب و اللغة والفصاحة والبيان من لدن جمعه إلى وقتنا الحاضر قد وقفوا مبهورين أمام سحر تلك الألوان والصور الّتي أبدعتها ريشة أمير البيان وسيد البلغاء وهو ينظم تلك الفرائد.

ولا اعتقد أنّ أحداً ممن يحترم ذوقه وأدبه لا يعشو إلى تلك الأنوار الّتي تتلألأ بها تلك الفرائد، ويخضع لجلالها.

إنّ الشريف الرضي الجامع لنهج البلاغة، قد ألف كتاباً باسم «المجازات النبوية» وقد طبع غير مرة، والفرق بينه و بين «نهج البلاغة» هو انّ الأوّل ألّف باسم النبي الأعظم ﷺ والثاني ألّف باسم تلميذه وربيب القرآن، ولم يشك في الأوّل أي مشكك دون الثاني!!

فما هو الوجه، والمؤلف واحد، وكلا التأليفين على غرار فارد؟!

وفي الختام أقدّم اعتذاري عن الإسهاب في الكلام، راجياً من

---

١. نهج البلاغة، الخطبة:٢٧.

سماحتكم الإمعان في هذه الرسالة وما تقدمها من الحوارين فإنّ الحقيقة بنت البحث.

وتقبّلوا فائق احترامي وخالص سلامي لكم ولكافة الأخوة المـؤمنين الذين من حولكم، وأرجو منكم الدعاء في أيام شهر رمضان ولياليه المباركة، لخلاص المسلمين من الظلم والعدوان، ودسائس الكفار....

وفقكم اللّه

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته

جعفر السبحاني

٣ رمضان المبارك ١٤٢٥هـ

٩

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة الأخ في الله الشيخ صالح بن عبد الله الدرويش

حفظه الله ورعاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرجو من الله سبحانه أن تكونوا في صلاح وفلاح وسرور وحبور، وفي خدمة الدين الحنيف وإصلاح المجتمع.

جعلكم الله مصباحاً منيراً للدرب، وأخذ بيدكم إلى ما فيه رضاه.

استلمت بيد التكريم والتبجيل قبل بضعة أيّام (عاشر شوال المكرم) هديتكم، أعني الكتاب الموسوم بـ«الإمامة والنص» وقلت: في نفسي هدية حلوة من بلاد التمور والحلويّات، وفتحت الغلاف فاستوقف نظري إليه في بادئ الأمر خطكم الشريف والّذي جاء فيه: «إهداء للشيخ العلّامة جعفر السبحاني ـ وفقه الله ـ آمل أن يتّسع وقتكم للاطلاع عليه ودراسته بإنصاف...».

ثم لاحظت تقريظ الكتاب بقلم الشيخ سعد بن عبد الله الحميد حيث ابتدأ كلامه ـ بعد البسملة والحمد ـ بقوله: فإنّ من الأُمور الّتي يبغضها الله

لأهل الإسلام الفرقة والاختلاف كما قال سبحانه: ﴿وَلاٰ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ﴾ إلى أن قال:«وكل غيور على دين اللّٰه ينفر من الاختلاف ويكرهه ويسعى إلى درئه ما استطاع».

فتفألت بمستهل التقريظ وقلت في نفسي: إنّ المقرّظ من دعاة التقريب، والكتاب المهدى في طريقه، ثمّ سبرت فهرس الموضوعات فأخذتني الحيرة بين التعبير الماضي للمقرّظ ومحتويات الكتاب، فأيقنت أنّ المقرظ من رجال التفرقة وحماتها، وانّه اتّخذ التعبير المذكور واجهة لدعمه موقف الكتاب، الّذي يفرّق ولا يجمع، ويشتّت ولا يلمّ، ويؤجج نار الشحناء والعداء بين المسلمين، ولا يعمل على توطيد علائق الأُخوة بينهم.

وممّا لفت انتباهي عند سبر فهرس الموضوعات عنوان «تعظيم الشيعة لليهود و النصارى» فتحيّرت: كيف ينسب الكاتب إلى الشيعة تعظيم اليهود والنصارى مع أنّ إمام الشيعة وإمام المسلمين علي بن أبي طالب عليه السلام هو الذي استأصل شأفة اليهود في قلاعهم، وسقاهم كؤوس الذلّ بسيفه وسنانه، وقتل أبطالهم، وفي مقدّمتهم مرحب الخيبري مرتجزاً:

أنا الّذي سمتني أُمّي حيدرة ضرغام آجام وليث قسورة

وقد كرّمه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عندما بعثه لقتال الخيبريين بقوله: «لأُعطينّ الراية غداً رجلاً يحب اللّٰه ورسوله ويحبه اللّٰه ورسوله يفتح على يديه ، كرار غير فرار»، وقد أطاح بقوله: «غير فرار» باللذيْن أخذا الراية، من قبَل ثمّ رجعا منهزمينَ، واتُّهما بالجبن والفرار.

ثم عدتُ إلى متن الكتاب حتّى أقرأ ذلك الفصل عن كثب وأتعرّف على حقيقة هذه الدعوى، دعوى «تعظيم الشيعة لليهود والنصارى» أو ليس رجال الشيعة هم الذين أخرجوا اليهود عن الوطن الإسلامي ـ في جنوب لبنان ـ صاغرين، وبذلك صاروا أسوة لأبطال فلسطين وقدوة لأبناء الحجارة وعلّموهم بأنّ التحرّر من ذلّ العدوان الصهيوني لا يُكتب إلّا بالتضحية والعمليات الاستشهادية؟!

كنت أفكر بهذا الموضوع، فقرأت ذلك الفصل فلم أجد فيه سوى أنّ جماعة من اليهود سألوا الإمام عليّاً عليه السلام عن مسائل فأجابهم وأقنعهم فأسلموا غبّ ذلك وقالوا: «أشهد أن لا إله اللّه و...»، وكانت نتيجة الإجابة هي رفضهم للديانة اليهودية أو النصرانية ودخولهم حظيرة الإسلام.

شيخنا الجليل! أطال اللّه بقاءَك هل أنّ هذه الروايات ـ سواء أصّحت أم لم تصحّ ـ تدلّ على تعظيم الشيعة لليهود والنصارى؟ أو أنّها تدلّ على سعة علم الوصيّ وإخضاعه اليهود والنصارى بالبيان الرصين لقبول الإسلام واللجوء إليه؟ ولا غرو في ذلك وهو عليه السلام باب علم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأقضى الأُمّة، نطقت بذلك الآثار والأخبار واحتفلت به المجامع والكتب.

باللّه عليك! لو كانت هذه الروايات واردة في حقّ واحد من الصحابة أو أحد الشيخين، وكانت تشير إلى أنّ جماعة من اليهود أو النصارى سألوا أبا بكر أو عمر عن مسائل فأجاب عنها بأجوبة انتهت إلى إسلام السائلين، هل كان الكاتب عندئذٍ يتهم أهل نحلته بتعظيم اليهود والنصارى؟!

قليلاً من الإنصاف! قليلاً من الوعي!

وقد قال اللّه سبحانه: ﴿وَلاٰ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوىٰ﴾.(١)

فلو صحّ ما ادّعاه الكاتب من أنّ إسلام اليهود والنصارى على ضوء بيان الوصي عليه السلام، دليل على تعظيم الشيعة لليهود والنصارى، فالقرآن الكريم أوّل من عظّم اليهود والنصارى. حيث وصف لفيفاً منهم بالإيمان غبَّ سماع الآيات القرآنية، قال سبحانه: ﴿لَيْسُوا سَواءً مِنْ أَهْلِ الكِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ يَتْلُونَ آياتِ اللّهِ آناءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَومِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَأُولئِكَ مِنَ الصّالِحينَ﴾.(٢)

قل لنا يا أيّها الأخ في اللّه هل يصحّ لإنسان عاقل أن يتّهم الذكر الحكيم بتعظيم اليهود والنصارى بحجة أنّه يصفهم بقوله:

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَمَنْ يُؤمِنُ بِاللّهِ وَما أُنْزِلَ إِلَيكُمْ وَما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خاشِعينَ لِلّهِ لاَ يَشْتَرُونَ بآياتِ اللّهِ ثَمَناً قَليلاً أُولئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الحِسابِ﴾(٣)؟!

لقد فرّق سبحانه وتعالى بين اليهود والنصارى ووصف الطائفة الثانية بأنّهم أقرب مودّة إلى المؤمنين وقال: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَّهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا

١. المائدة:٨.

٢. آل عمران:١٣ـ ١٤.

٣. آل عمران:١٩٩.

الَّذِينَ قَالُوا إِنّا نَصارىٰ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْباناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾.[١]

إنّ القرآن الكريم يأمر المشركين بسؤال أهل الكتاب للتعرف على سمات الأنبياء ويقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنا قَبْلَكَ إِلّا رِجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾.[٢]

لا شكّ أنّ لأهل الذكر مفهوماً واسعاً يعم الأحبار والرهبان وغيرهم، ولكنّهما بلا شكّ من مصاديق الآية حسب سياقها، أفيكون الأمر بسؤالهم تعظيماً لليهود والنصارى؟!

لا أدري ولا المنجم يدري ولا القرّاء يدرون!!

كعب الأحبار وعاء العلم!

والحقيقة أنّ بعض الصحابة هم الذين عظّموا اليهود والنصارى، ـ على وفق الضابطة التي ذكرها المؤلف ـ هذا هو كعب بن ماتع الحميري الذي قالوا في حقّه: هو من أوعية العلم ومن كبار علماء أهل الكتاب، أسلم في زمن أبي بكر، وقدم من اليمن في خلافة عمر، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم، وأخذ هو من الكتاب والسنّة عن الصحابة، وتوفّي في خلافة عثمان، وروى عنه جماعة من التابعين، وله شيء في صحيح البخاري وغيره.

قال الذهبي: العلّامة الحبر الذي كان يهودياً فأسلم بعد وفاة النبي ﷺ،

١. المائدة:٨٢.

٢. الأنبياء:٧.

وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر، فجالس أصحاب محمد فكان يحدّثهم عن الكتب الإسرائيلية ويحفظ عجائب.

إلى أن قال: حدّث عنه أبو هريرة ومعاوية وابن عباس، وذلك من قبيل رواية الصحابي عن التابعي وهو نادر عزيز، وحدّث عنه أيضاً أسلم مولى عمر وتبيع الحميري ابن امرأة كعب.

وروى عنه عدّة من التابعين كعطاء بن يسار وغيره مرسلاً.

وقع له رواية في سنن أبي داود والترمذي والنسائي.[١]

وترى الذهبي في كتابه «تذكرة الحفاظ» يعرفه أيضاً بأنّه من أوعية العلم.[٢]

ومعنى ذلك أنّ الصحابة كانوا يعتقدون أنّه موئل العلم والفضل، ولهذا السبب أخذ عنه الصحابة وغيرهم. وعندئذٍ نسأل: إذا أخذ عنه الصحابة وغيرهم على أنّه من أوعية العلم، فما هو ذاك الذي أخذوه عنه؟ هل أخذوا عنه سوى الإسرائيليات المحرّفة والكاذبة؟! فإنّه لم يكن عنده ـ على فرض كونه صادقاً ـ سوى تلك الأساطير والقصص الموهومة. فهل تسعد أُمّة

١ . سير أعلام النبلاء: ٤٨٩/٣. ولاحظ تفسير ابن كثير: ٣٣٩/٣ سورة النمل حيث قال ـ بعد ما أورد طائفة من الأخبار في قصة ملكة سبأ مع سليمان ـ: والأقرب في مثل هذه السياقات أنّها متلقاة عن أهل الكتاب، ممّا وجد في صحفهم كروايات كعب ووهب، سامحهما الله تعالى في ما نقلاه إلى هذه الأُمّة، من أخبار بني إسرائيل من الأوابد و الغرائب والعجائب ممّا كان وما لم يكن، وممّا حرّف وبدّل ونسخ، وقد أغنانا الله سبحانه عن ذلك بما هو أصحّ منه وأنفع وأوضح وأبلغ.

٢ . تذكرة الحفاظ: ٥٢/١.

أخذت معالم دينها عن المحدّث اليهودي، المتظاهر بالإسلام المعتمد على الكتب المحرفة بنص القرآن الكريم؟! وهذا، مع افتراض كونه صادقاً، أمّا إذا كان كاذباً فالخطب أفدح وأجل، ولا يقارن بشيء!!

والمطالع الكريم في روايات كعب يقف على أنّه يركز على القول بأمرين: التجسيم والرؤية، وقد اتّخذهما بعض أهل الحديث من الآثار الصحيحة، فبنوا عليهما العقائد الإسلامية وكفّروا المخالف.

والعجب أنّ عثمان بن عفان ربما كان يستفتيه في بعض الأُمور، فقد سأله عن المال المجتمع المؤداة زكاته هل هو من الكنز أو لا؟ وصار ذلك سبباً للمشاجرة بينه و بين أبي ذر وانتهى ذلك إلى تسيير أبي ذر الغفاري إلى الربذة.[١]

وهب بن منبه ناشر الإسرائيليات

وليس كعب الأحبار هو أوّل من أخذ عنه الصحابة، فقد ابتلى المسلمون بعد كعب الأحبار بكتابيّ آخر قد بلغ الغاية في بثّ الإسرائيليات بين المسلمين حول تاريخ الأنبياء والأُمم السالفة، وهو وهب بن منبه اليماني. قال الذهبي: ولد في آخر خلافة عثمان ، كثير النقل عن كتب الإسرائيليات، توفّي سنة ١١٤ هـ و قد ضعّفه الفلاس.[٢]

وقال في تذكرة الحفاظ: عالم أهل اليمن، ولد سنة أربع وثلاثين وعنده من علم أهل الكتاب شيء كثير، فإنّه صرف عنايته إلى ذلك وبالغ، وحديثه

١ . مروج الذهب:٣٤٩/٢وغيره. ٢ . ميزان الاعتدال:٣٥٢/٤ـ ٣٥٣.

في الصحيحين عن أخيه همام.[١]

وترجمه أبو نعيم في حلية الأولياء ترجمة مفصلة استغرقت قرابة ستين صفحة، وبسط الكلام في نقل أقواله وكلماته القصار.[٢]

وقد خدع عقول الصحابة بأفانين المكر، حيث صار يعرّف نفسه بأنّه أعلم ممّن قبله وممّن عاصره بقوله لبعض حضّار مجلسه: يقولون عبد اللّه بن سلام أعلم أهل زمانه، وكعب أعلم أهل زمانه، أفرأيت من جمع علمهما؟ يعني نفسه.[٣]

وقد تسنّم الرجل، منبر التحدّث عن الأنبياء والأُمم السالفة يوم كان نقل الحديث عن النبي ﷺ ممنوعاً وأخذ بمجامع القلوب فأخذ عنه من أخذ، وكانت نتيجة ذلك التحدّث، انتشار الإسرائيليات حول حياة الأنبياء في العواصم الإسلامية، وقد دوّن ما ألقاه في مجلد واحد، أسماه في كشف الظنون «قصص الأبرار وقصص الأخيار».[٤]

وكم هناك من مستسلمة أهل الكتاب صاروا مصادر للقصص والتفسير كتميم بن أوس الداري راوية الأساطير، وها هي الصحاح والسنن مليئة برواياتهم...وتذكر قصصهم.

فإذا صحّ زعم الكاتب أنّ إيمان أهل الكتاب ـ بعد ما أتم الإمام علي عليه السلام، الحجة عليهم ـ دلل على تعظيمهم، فليكن عكوف الصحابة

---

١. تذكرة الحفاظ:١/١٠٠ـ ١٠١. ٢. حلية الأولياء:١/٢٣ـ٨١.

٣. تذكرة الحفاظ:١/١٠١. ٤. كشف الظنون:٢/٢٢٣، مادة قصص.

والتابعين ومن ثمّ المحدثين على أبواب هؤلاء من أفضل الأدلة على تعظيمهم.

لماذا نُؤْمِنُ بِبَعضٍ وَنَكْفُر بِبَعضٍ؟!

الأخبار المتواترة ونقد أسانيدها

إنّ الكاتب يصبّ جهوده على تضعيف رواة الأحاديث المتواترة أو المتضافرة كما في الروايات الواردة حول آيتي الإكمال والبلاغ(ص٥٦٣ـ ٥٩٦، من نفس الكتاب).

فقد نقل فيه قرابة خمسين حديثاً وبذل جهوده لتضعيف أسانيد الروايات، ذاهلاً عن أنّ الضابط في الحديث المتواتر أو المتضافر هو «إخبار جماعة عن واقعة يفيد إخبارهم العلم» سواء أكانوا ثقاة أم لا، وإذا ضم إلى هذه الروايات الهائلة ما أخرجه أهل السنّة حول نزول الآيتين يوم الغدير لتجلّت الحقيقة بأجلى مظاهرها. وتكون دراسة سند الأحاديث أمراً زائداً.

المؤلف وأبجدية رجال الشيعة

وممّا يثير العجب أنّ الرجل وهو بصدد تضعيف أحاديث الشيعة حول الإمامة أخذ ينقض ويبرم وهو لا يعرف مشاهير رجال الشيعة فضلاً عن غيرهم.

يقول حول رواية العلاء عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام: «والعلاء لم يصرح أحد بوثاقته وتوثيق الخوئي له إنّما لوروده في اسناد كامل

الزيارات»(لاحظ ص ٥٦٩).

أقول: إنّ العلاء بن رزين من مشاهير رواة الشيعة وهو راوية محمد بن مسلم الثقفي وقد ورد في أسانيد الكتب الأربعة بهذا العنوان في (٣٩٢) مورداً، يقول النجاشي: «روى عن أبي عبد الله، وصحب محمد بن مسلم وتفقه عليه وكان ثقة وجهاً»(رجال النجاشي، رقم ٨٠٩)، وقال الشيخ الطوسي: «العلاء بن رزين القلاء، ثقة جليل القدر، له كتاب وهو أربع نسخ» (الفهرست للشيخ، رقم ٥٠٠).

والسيد المحقق الخوئي نقل هذه الكلمات وليس في كلامه أي إشارة إلى أنّ توثيقه لوروده في أسانيد كامل الزيارات وإن ورد في أسانيده، لكن وثاقته أوضح من الشمس، وأبين من الأمس، هذا هو معجم رجال الحديث لسيدنا الأُستاذ الخوئي، لاحظ الجزء ١١ ص ١٦٧، رقم الترجمة ٧٧٦٣.

والعجب أنّه أحال إلى الجزء ١٨٤/٥ من معجم رجال الحديث للسيد الخوئي، ولم نجد أيّ أثرٍ ممّا ذكره هناك!!

اعتذار

إليك ـ أيّها الأخ في الله ـ أرفع آيات الاعتذار عمّا جرى به قلمي ولم يكن إلّا نفثة مصدور، تجلّت على هذه الصحائف، وما دفعني إلى كتابتها سوى حبّ الإصحار بالحقيقة واستعتاب الشاغب لئلا ينطلي عليه أنّ ما نسجه حقائق راهنة. بل هو علبة السبّ ووعاء الشتم، يشبّه علماء الشيعة ـ الذين خدموا الحضارة الإسلامية في مختلف الأصعدة ـ بالذباب الّذي يتتبع

مواضع الدم والجروح!!... كبرت كلمة خرجت من فمه.

وقد تبيّن عندي طيلة حياتي:

إنّ لكلّ شيء دليلاً إلّا الافتراء على الشيعة.

ولكلّ شيء نهاية إلّا الكذب على الشيعة.

وليس في العالم الإسلامي ـ و فلسطين ترزح تحت العدوان الصهيوني ـ مشكلة سوى مشكلة الشيعة، ولذلك لم تزل تدور الردود والأُطروحات في الجامعات حول نقد عقائد الشيعة.

﴿قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصحابُ الصِّراطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدىٰ﴾.[1]

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

جعفر السبحاني

٢٣ شوال ١٤٢٥ هـ

---

١. طه:١٣٥.

١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة الشيخ آية الله العظمى جعفر السبحاني

وفقه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد..

فقد وصلني كتابيكم الكريمين[١] الأوّل فيما يتعلق بالرد على رسالتي لكم، ومع كلّ أسف رأيت سماحتكم ترك صلب الموضوع والفكرة التي طرحتها، وجعلتم محور رسالتكم للنقاش والرد، ولست من أصحاب الجدل واستعراض القوى، وأسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلني وإيّاك من الناصرين لسنّة نبيّه الكريم السائرين على خطاه، المتمسّكين بسنّته العاملين بهديه.

لذا تركت الرد حتّى في بيان المغالطات العلمية التي وردت في الرسالة ومنها زعمكم ظهور النفاق قبل غزوة بدر حيث إنّكم ذكرتم قصة ابن أبي سلول مستدلّين بها على وجود النفاق قبل بدر والرجل في ذلك الوقت معلناً كفره ولم يعلن الإسلام بعد، والنبي ﷺ زاره ليدعوه للإسلام فلا نفاق قبل

١. كذا في أصل الرسالة بالبريد الالكتروني، والصحيح كتاباكم الكريمان.

بدر لا من المهاجرين ولا من الأنصار!!!!!

هذا على سبيل المثال فقط ولا أُريد الإطالة في مثل هذا لسابق ما ذكرت لكم أنّي لست في صدد الجدل والنقاش. ومع هذا أطلب من سماحتكم لكي تشعر بأهمية الفكرة والموضوع أطلب من سماحتكم أن تدلّني على كتاب جمع أقوال أئمة أو بعضهم اتفق الشيعة على صحتها وقطعوا بما فيها، لكي أقرأ فيها ويقرأ فيها غيري من المثقفين الشيعة ليتعبد بها وكله ثقة في صدورها عن الأئمّة عليهم السلام.

فأنت أعلم مني بالمكتبة الشيعية ويكفي من مئات المجلدات مجلدين[1] أو مجلد في جمع الصحيح المقطوع صدوره من الأئمّة عليهم سلام الله فيها الكلام الخاص المصفى ولعل الفكرة وصلتكم ولا تحتاج إلى مزيد توضيح أو بيان.

وقد أعجبني كلام سماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله وفقه الله عند زيارتي له خلال الصيف الماضي حينما ذكر أنّ طرح هذه الأفكار ومناقشتها من الضرورة والأهمية بمكان ويجب العمل عليها وإخراجها للواقع لترى النور فيتميز الحق من الباطل والصحيح من السقيم والمتصل من المنقطع.

كما أشار جمع من الفضلاء من علماء الحوزة العلمية بأهمية هذا الموضوع وضرورته، وأنّ الموقف السلبي من التراث والجمود أمامه لا

١. الفتاوى الحديثية: ٨٦

يخدم إلّا أصحاب المصالح الشخصية، وسماحتكم فيما سمعنا عنكم أنّكم من أبعد الناس عن هذه النظرة الجامدة.

وما يدلك على بعد كبار المحققين والمراجع العلمية من تحقيق التراث عملياً مع دعوتهم إليه نظرياً ما تجده في كتب سماحة آية اللّٰه العظمى السيد محمد الشيرازي فهو في كتاباته وأطروحاته الفكرية يدعو بقوة إلى إعمال العقل والنظر في التراث كما يدعو للتجديد، وإذا ما نظرت إلى مؤلفاته الفقهية والعقدية تجده يستدل بالروايات دون تمييز!!!

أمّا خطابكم الثاني المتعلق بالنص والإمامة لمؤلفه فيصل نور فقد قمت بإيصال ملاحظاتكم إلى صاحب المصنف وهو من الشباب الجادين في البحث والتحقيق، وعنده طموحات كبيرة في إخراج مجموعة من المصنفات حول الموضوع، وهذا يعد أوّل نتاجه العلمي وهو باكورة إنتاجه في التصنيف، وميزته وفقه اللّٰه الحرص على اتباع الحق وتواضعه في قبول كلّ نقد وتوجيه، ومن خلال معرفتي به فإنّه لا يضيره أن يعترف بالخطأ والرجوع عنه هذا ما نحسبه واللّٰه حسيبه ولا نزكي على اللّٰه أحداً.

وقد رد على كتابكم المحتوي على الملاحظات حول مؤلفه والتي تجدونها مرفقة مع رسالتي لكم وليس لي من الأمر إلّا أنّي ناقل لكم منه ومنه لكم وفقكم اللّٰه تعالى لمرضاته وأحسن لنا ولكم الختام.

أخوكم

صالح بن عبداللّٰه الدرويش

١١

بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان الفضل والفضيلة ورمز الأدب والأخلاق
الأخ في الله الشيخ صالح بن عبد الله الدرويش

دامت معاليه وتواترت بيض أياديه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نسأل الله لكم التوفيق في خدمة الدين وإصلاح المجتمع ولمّ الشعث وتوحيد الكلمة....

وصلني كتابكم الكريم مرفقاً برسالة من الشاب الجادّ في البحث والتحقيق ـ كما ذكرتم ـ فأشكر الله سبحانه على هذا التواصل وهذه العلاقات العلمية التي ستثمر في نهاية الأمر، وإن كانت في بدايتها مقترنة بالصعوبة.

أمرتم ـ وإليكم الأمر والنهي ـ أن أدلّكم على كتاب يجمع أقوال الأئمّة عليهم السلام أو بعضهم، اتّفق الشيعة على صحة هذه الأقوال وقطعوا بما فيها لكي تقرأوا فيها... الخ.

أنار الله برهانكم؛ فقد اعتذرنا عن ذلك في رسالتنا المؤرخة ٣رمضان المبارك ١٤٢٤ هـ، و كنا قد قلنا هناك إنّه لا يوجد عند الشيعة كتاب اتّفق

علماؤهم على صحته من أوّله إلى آخره، سوى القرآن الكريم.

والضابطة عندهم هي:

إنّ العقائد والمعارف لا يحتج فيها إلّا بخبر مفيد للعلم الجازم نظير: الخبر المتواتر أو الخبر الواحد المحفوف بالقرائن المفيدة للقطع واليقين.

وأمّا الأحكام العملية فيحتج فيها بهما وبالخبر الصحيح، وإن لم يفد العلم.

ووجه الفرق هو: انّ المطلوب في العقائد هو تحصيل اليقين، وهو رهن القسمين الأوّلين أو حكم العقل الحصيف.

بخلاف المطلوب في الأحكام فالمطلوب فيها هو العمل، وِفْقَ حجة شرعية، والخبر الصحيح أحد الحجج الشرعية.

ومع ذلك فقد بلغ فقهاء الشيعة النهاية في حقل الفقه فميّزوا الصحيح عن غيره.

فهذا هو المحقّق الشيخ حسن بن الشهيد الثاني(٩٥٩ـ ١٠١١هـ) قد ألف كتابه «منتقى الجمان في الصحاح والحسان».

كما ألف العلّامة المجلسي(١٠٣٧ـ ١١١٠هـ) كتابه «مرآة العقول» فميز فيه بين الروايات بالتقسيم الرباعي الموجود في علم الدراية عند الشيعة من الصحيح والموثق والحسن والضعيف، وكذلك تجد في سائر الكتب الفقهية الإشارة عند الاستدلال بالرواية إلى صحّة السند وضعفه.

فإن كنتم تريدون قسم الصحيح وغيره في الفقه فهذا أمر ميسر، وإن أردتم القسم الصحيح فيما ورد حول العقائد فليس عندنا كتاب جامع لهذا الموضوع.

ومع ذلك كلّه فكاتب هذه السطور يفتخر بتلبية طلباتكم في حقل العقائد والأحكام وأدلتهما من الكتاب والسنة المتواترة أو المحفوفة بالقرائن أو الخبر الصحيح....

إنّ باب الحوار الذي فتحتموه باب نافع للأُمّة الإسلامية إذ به يرتفع حجاب الجهل عن البصر و البصيرة، ويقف المسلمون على ما عند الطوائف الأُخرىٰ من ثقافة وعلم وأدب بشرط أن يكون هذا الحوار واجداً لشرائطه وأن يكون الهدف منه تحري الواقع وكشف الحقيقة.

وبعين الحق أنّ أكثر الطوائف ـ بالنسبة إلى عقائد الإمامية ـ أُمّيون لا يعرفون منها شيئاً، هذا هو القصيمي صاحب كتاب «الصراع بين الإسلام والوثنية» يصف شيعة آل البيت عليهم السلام بالوثنية؛ ويأتي آخر فيقرّض هذا الكتاب بشعره لا بشعوره قائلاً:

فما للقوم دين أو حياءٌ ويكفيهم من الخزي «الصراع»

ومن أعجب التهم ـ و ما عشت أراك الدهر عجباً ـ اتهام شيعة آل البيت عليهم السلام بمهزلة «خان الأمين» مع أنّ هذا هو شعار اليهود بالنسبة للمسلمين لا شعار الشيعة.

فاليهود خذلهم اللّه هم القائلون بخان الأمين، ويعتقدون أنّ أمين

الوحي نزل بالوحي إلى أولاد إسماعيل وكان مأموراً بحفظه في عقب إسحاق ويعقوب كما حكاه الرازي في تفسيره ... انظر كيف حرّفوا الكلم!!

ولا أزيدك بياناً سوى أنّي أذكر ما لاقيته عام ١٣٧٥هـ ـ عُقْب وفاة الملك عبد العزيز بسنة ـ في مكّة المعظمة وكنا قد استأجرنا دار أحد المدرسين في الحرم الشريف وقد سألني عند زيارته لنا في منزلنا، فقال: شيخنا السبحاني هل للشيعة تأليف؟ قلت في نفسي يا سبحان الله هذا هو مدرس الحرم الشريف ويعيش في أُمّ القرى، وفي كلّ سنة يزور الكعبة آلاف من الشيعة ووفود عديدة منهم من أقطار الأرض كيف لا يعلم أنّ للشيعة جامعات ومكتبات ومدارس علمية ومؤلفات؟!!

عندما أرجع إلى نفسي وأتذكر هذه الذكريات المرة، فأنّي أثمّن الحوار الذي فتحتم بابه وولجتم منه إلى فسيح العلم والمعرفة.

هذا ما يتعلّق برسالتكم، أمّا ما يرجع إلى رسالة مؤلف كتاب «الإمامة والنص» فسنرفقها مع هذه الرسالة إن شاء الله.

حفظكم الله من كلّ سوء ورعاكم وجعلكم مصباحاً منيراً للدرب وأخاً رؤوفاً لي وأباً عطوفاً لعامة المسلمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

جعفر السبحاني

السبت رابع ذي الحجة الحرام عام ١٤٢٥ هـ

١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله العظمى جعفر السبحاني وفقه الله[١]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد:

فتجدون برفقه مرفقين حول الإجابة على رسالتكم كما تجدون مرفقاً آخر حول ملاحظاتكم على كتاب «الإمامة والنص» نسأل المولى أن يوفقنا وإياكم للحق والسداد ودمتم بخير وعافية.

أخوكم

صالح بن عبد الله الدرويش

١. بعد أن وصلت رسالتنا في نقد كتاب «الإمامة والنص» إلى يد المؤلف عن طريق العلّامة الشيخ صالح الدرويش كتب المؤلف رسالة مطوّلة خرج فيها عن موضوع الحوار وتطرق إلى مواضيع لا صلة لها بالمقام،ولذا نعتذر عن نشرها كاملة ونكتفي بذكر ما له صلة بموضوع الحوار، ضمن جوابنا عليه، وقد قام الشيخ صالح الدرويش مشكوراً بإرسال رسالة المؤلف إلينا وكتب لنا هذه الرسالة المختصرة.

١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الوجيه سماحة الشيخ صالح الدرويش حفظه الله[١]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تهنئة عطرة، بمناسبة عيد الأضحى ذلك اليوم الّذي جعله الله سبحانه عيداً للمسلمين.

نسأل الله لكم التوفيق لما يرضاه.

أرجو أن تصل رسالتي هذه إلى من تتعلق، وسماحتكم أعرف به منّي.

أمّا بعد:

فقد وصلتني رسالته المفصلة والمؤرخة ٢٣شوال ١٤٢٥ هـ، المرفقة مع رسالة سماحة الشيخ صالح الدرويش حفظه الله تعالى.

وكانت الرسالة جواباً عما ذكرتُ من المآخذ والإشكالات على فصل واحد من كتابه المسمّى بالإمامة والنصّ.

وما قرأت من هذا الكتاب إلّا ذلك الفصل وكلّ ما ذكرته يرجع إليه دون سائر الفصول وذلك لأنّي لم أوفق لقراءة غيره إلّا عابراً.

---

١ . وقد أجبنا عن ملاحظات مؤلف كتاب «الإمامة والنص»، وكان خطابنا في هذا الجواب موجهاً للشيخ صالح الدرويش باعتباره هو المرسل إلينا.

وقبل أن أُشير إلى الأُمور والنكات التي ترفع الستار عمّا قلت، أُذكّره بضابطة كلية حول الحوار.

فالحوار المفيد عبارة عن التركيز على الموضوع المطروح والاجتناب عمّا لا علاقة له بالموضوع، وإلّا فيعود الحوار غير مفيد ولا ناجع ويشبه المحاضرات الّتي ينتقل المتكلم فيها من موضوع إلى موضوع ويصير الحوار مظهراً للمثل السائر (الكلام يجر الكلام) وعلى ضوء تلك الضابطة في رسالتي السابقة ألفتنا نظره إلى أُمور:

١. وجود التناقض بين التقريظ ومحتويات الكتاب

إنّ التقريظ يعرب عن أنّ المقرّظ يحمل هموم المسلمين وينفر عن التفرقة، ويحب لمّ الشعث ووحدة الكلمة، ولكنّه في الوقت نفسه يقرّض كتاباً يؤدّي إلى خلاف ذلك.

هذا هو الإشكال الّذي أخذت على المقرِّظ فقط. وليس في رسالتي أيّ شيء ممّا نسبَه المؤلف إليّ، أعني «إظهاركم الحرص على التقريب» و «جمع كلمة المسلمين ونبذ الفرقة»....

وبعبارة أوضح: أنّ مصب الإشكال هو وجود التناقض بين الأمرين، والإشكال إمّا وارد أو غير وارد، فكان عليه بيان تلك النقطة لا توجيه الإشكال إلى الكاتب، فإنّه غير مطروح.

وأمّا وصفه كتبي بأنّها «ممّا يفرّق ولا يجمع» فهو ادّعاء على الغائب «والغائب على حجّته» (الأصل المسلم في القضاء) لا يحكم عليه بشيء حتّى يحضر.

٢. تعظيم الشيعة لليهود

إنّ ما نقله من الروايات في الفصل الخاص المعنون بـ«تعظيم الشيعة لليهود والنصارى» لا يدلّ على ذلك العنوان، فالروايات أصحّت أم لم تصحّ إنّما تشير إلى سعة علم الإمام عليه السلام وقوة منطقه حتّى أسلَمَ في ظل بيانه جماعة من اليهود والنصارى كما أسلَمَ بيد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبفضل رصانة منطقه، جموع من المشركين وغيرهم، فتأثير الدعوة والبيان من الإمام لا صلة له بهذا العنوان.

إنّ في وسع المحقّق، نقد هذه المرويات سنداً ومضموناً لكن ليس له ذلك الاستنتاج الخاطئ إلّا إذا كان ذا رأي مسبق.

ولكنّه زعم أنّي أردت أن أرميه بالطعن في أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

ولكنّي لم أكن بصدد هذا الطعن، إذ من الواضحات انّ أهل السنة من محبي أهل البيت عليهم السلام من غير حاجة إلى دليل وبرهان.

وما ذكرت حول مستسلمة أهل الكتاب نظراء «كعب الأحبار» فقد خفي عليه صلته بالمقام، فهؤلاء هم الكافرون حقاً والمظهرون للإسلام خداعاً لعقولنا، فقد لعبوا في التاريخ والحديث، فأدخلوا الإسرائيليات والمسيحيات، بل المجوسيات، في الحديث والتاريخ إلى حدّ شوهوا كتبنا، ولذا قام غير واحد من الباحثين بإخراجها عن كتب الحديث.

فهذا ابن كثير قد أظهر أسفه من إدخال هذه الأكاذيب في المصادر

الإسلامية، ومع ذلك فقد تضافر المدح من علماء الرجال في حقّهم غافلين عن مقاصدهم الفاسدة، فهل يصحّ أن نصف أهل السنّة بتعظيم اليهود؟!!

٣. الخطأ في ترجمة العلاء بن رزين

وممّا الفت نظره إليه هو الخطأ في ترجمة العلاء بن رزين فقد سلّم بما ذكرت، ونعم ما فعل فالنسيان رفيق الإنسان، والمعصوم هو من عصمه الله سبحانه: ﴿وَما أُبرئ نَفسي﴾.

٤. نقد الأخبار المتواترة

وممّا ذكرتُ في الرسالة أنّ الروايات المتواترة المتضافرة لا تخضع للنقد، وهذا أمر واضح لمن له أدنى إلمام بأُصول الحديث وأحكامه، ولكنّه بدل تصديق الإشكال أو نقده؛ ذكره في جوابه (هل يرى الشيخ ذلك في روايات تحريف القرآن عن طرق الشيعة التي أورد الطبرسي منها في فصل الخطاب أكثر من ١١١٢رواية).

وبما أنّ روايات التحريف وقعت ذريعة للإطاحة بالشيعة ـ وإن نادوا وصرخوا بملء أفواههم بالبراءة من هذه الوصمة، وأنّ رأي واحد من علمائهم ليس دليلاً على رأي الطائفة ولا يُعبّر عن موقفهم في المسألة ـ نلفت نظره إلى أنّ قسماً كبيراً من هذه الأحاديث ـ و أكثرها مراسيل ـ أُخذت من تفاسير السنّة، وأمّا القسم الآخر فأكثره مأخوذ من كتب لا قيمة لها عند أهل العلم والحديث، وهاك أسماء بعض هذه الكتب:

١. رسالة مجهولة النسب نسبت إلى أُناس؛ كسعد بن عبد اللّه الأشعري (المتوفّى ٣٠١ هـ) أو محمد بن إبراهيم النعماني (المتوفّى ٣٦٠هـ) أو السيد المرتضى (المتوفّى ٤٣٦هـ).

٢. كتاب القراءات لأحمد بن محمد السياري (المتوفّى ٢٦٨هـ) وهو ضعيف الحديث، فاسد المذهب، مجفو الرواية، كثير المراسيل.

٣. تفسير أبي الجارود زياد بن المنذر السرحوب (المتوفّى ١٥٠هـ)، والّذي ورد لعنه على لسان الإمام الصادق عليه السلام .

٤. كتاب الاستغاثة لعلي بن أحمد الكوفي (المتوفّى ٣٢٢هـ) الّذي قال عنه النجاشي: غلا في آخر عمره وفسد مذهبه، وصنف كتباً كثيرة أكثرها على الفساد.

٥. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام ، الّذي هو ليس منه وإنّما نسب إليه.

فإذا كانت الروايات الهائلة منقولة من هذه الكتب ونظائرها فلا قيمة لها ولا يصدق عليها وصف التواتر للعلم بضعف المصدر وانتهاء الروايات إلى أُناس لا عبرة بكتبهم.

ونحن لا نريد المقابلة بالمثل فإنّ اتهام كلّ طائفة، الأُخرى، بمعنى انعقاد الإجماع المركب من الطائفتين على تحريف القرآن وهو يتم لصالح الأعداء لا لصالح المسلمين، ولكن أُريد أن أُوقفه شخصياً بأنّه لو كان وجود الروايات دليلاً على التحريف فليكن وجود روايات التحريف عند السنّة

دليلاً على عقيدتهم بالتحريف، وإن كان في شك فليطالع الموارد الموجودة في هذه القائمة في المعاجم الحديثية(الصحاح والسنن) والتفاسير لأهل السنّة.

١. آية الرجم.

٢. آية الرغبة.

٣. آية الجهاد.

٤. آية الفراش.

٥. القرآن (١٠٢٧٠٠٠) حرف.

٦. قد ذهب منه قرآن كثير.

٧. ذهاب القرآن بذهاب حملته يوم اليمامة.

٨. زيادة كانت في مصحف عائشة.

٩. آية الرضعات أكلها داجن البيت.

١٠. آيتان من سورة البيّنة.

١١. آيتان لم تكتبا في المصحف.

١٢. سورة كانت تعادل براءة وأُخرى تشبه المسبحات.

١٣. سورة الأحزاب كانت أطول من البقرة.

١٤. دعاء القنوت.

وهكذا دواليك.

وانّي أجلّ علماء السنة وفطاحلهم من القول بالتحريف.

وأمّا تفسير هذه الروايات الواردة في كتب السنّة بوفرة عن طريق منسوخ التلاوة فهو مهزلة، أشبه بمنطق الصبيان، إذ لسائل يسأل لماذا نسخت؟ هل كان الإشكال في المحتوى فالمفروض أنّ الحكم باق كآية الرجم وغيرها، أو كان الإشكال في التعبير والركاكة في اللفظ فالمصيبة أعظم، والله سبحانه مبدأ الكمال والجمال، أجل من أن ينزل آية فيها ركاكة.

وكلّ من كتب حول عقيدة الشيعة ـ في السعودية ـ بعد قيام الثورة الإسلامية في إيران، استمات لإثبات انّ «تحريف الكتاب العزيز من عقائد الشيعة، معتمداً في ذلك على كتاب الشيخ النوري» وهؤلاء يرون القذى في عين الغير، ولا يرون الجذع في عيونهم، غافلين عن وجود أمثال هذا الكتاب في كتب أهل نحلتهم.

وإن كنت في شكّ ممّا ذكرت فاستمع إلى قول الشيخ محمد المدني رضي الله عنه عميد كلية الشريعة في الأزهر الشريف يقول:

«وأمّا الإمامية فمعاذ الله أن يعتقدوا نقص القرآن،وإنّما هي روايات رُويت في كتبهم كما رُوي مثلها في كتبنا، وأهل التحقيق من الفريقين قد زيّفوها وبيّنوا بطلانها، وليس في الشيعة الإمامية أو الزيدية من يعتقد ذلك كما أنّه ليس في السنّة من يعتقده.

ويستطيع من شاء أن يرجع إلى مثل كتاب الإتقان للسيوطي ليرى فيه أمثال هذه الروايات الّتي نضرب عنها صفحاً.

وقد ألّف أحد المصريين في سنة ١٩٤٨م كتاباً اسمه «الفرقان» ملأه بكثير من أمثال هذه الروايات السقيمة المدخولة المرفوضة، ناقلاً إيّاها عن الكتب والمصادر عند أهل السنّة، وقد طلب الأزهر من الحكومة مصادرة هذا الكتاب بعد أن بيّن بالدليل والبحث العلمي أوجه البطلان والفساد فيه، فاستجابت الحكومة لهذا الطلب وصادرت الكتاب، فرفع صاحبه دعوى يطلب فيها تعويضاً، فحكم القضاء الإداري في مجلس الدولة برفضها.

أفيقال: إنّ أهل السنّة ينكرون قداسة القرآن؟ أو يعتقدون نقص القرآن لرواية رواها فلان؟ أو لكتاب ألّفه فلان؟ فكذلك الشيعة الإمامية، إنّما هي روايات في بعض كتبهم كالرّوايات الّتي في بعض كتبنا...».

ومع أنّ الكتاب صودر، يوم ذاك، فقد انتشرت نسخه في المكتبات.

وأمّا انتقاده كلامي بتعريف ابن تيمية بما نقلت فأُحيل جوابه إلى كلام الحافظ ابن حجر الّذي يقول في كتابه «الفتاوى الحديثية»:

«ابن تيميّة عبدٌ خذله الله وأضلّه وأعماه وأصمّه، وبذلك صرّح الأئمة الذين بيّنوا فساد أحواله وكذب أقواله، ومن أراد فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتّفق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة الاجتهاد أبو الحسن السبكي وولده التاج والشيخ الإمام العز بن جماعة وأهل عصرهم من الشافعية والمالكية والحنفية، ولم يقصر اعتراضه ـ ابن تيميّة ـ على متأخّري الصوفية بل اعترض على مثل عمر بن الخطّاب وعليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ.

والحاصل: أنّه لا يقام لكلامه وزن، يرمي في كلّ وعر وحَزَن، ويعتقد فيه أنّه مبتدع ضالّ مضلّ غال عامَله الله بعدله وأجارنا من مثل طريقته وعقيدته وفعله ـ آمين ـ».[١]

وكم للفطاحل من علماء السنّة كلمات تعرب عمّا ذكرنا وليس المقام مناسباً لنقلها.

ونشير في الختام إلى أمرين:

١. كانت في رسالته إشارة إلى أنّ بعض ما تكتبه الشيعة ينطلق من باب التقية.

وهذه فكرة خاطئة جداً، لأنّ التقية من الأُمور الشخصية وهي سلاح الضعيف أمام العدو الغاشم الذي صادر حريّاته فيتدرع بالتقية فيظهر الموافقة، فإذا انتهت الظروف الحرجة فالرجل على حالته الأُولى.

هذه هي التقية التي وردت في الكتاب ونص عليها أئمّة الفقه في غير واحد من الموارد.

فلو كانت التقيّة أمراً مرغوباً عنه، فالوزر على من حمل الشيعة عليها، فلو لم يصادر حرياتهم، ولم يهدد حياتهم، لما رأيت أثراً من التقية في قاموس حياة الشيعة.

وأمّا تأليف كتاب على نسق التقية فهذا كذب وفرية، وعطف الباطنية على الإمامية خطأ بعد خطأ، فالشيعة الإمامية بفضل اللّه تبارك وتعالى

١. الفتاوى الحديثية: ٨٦.

وبجهادهم العلمي لم يكتبوا كتاباً واحداً على هذا المنوال.

فلو نص علماء الشيعة على عدم التحريف فهو نابع من صميم فكرهم لا من باب التقية، وهذه التهمة شنشنة أعرفها من كلّ من لم يعرف معنى التقية وحدودها.

٢. إنّ التعرف على وثاقة الشخص تارة يحصل من تقليد علماء الرجال كما هو الرائج بين الفريقين، وأُخرى من جمع القرائن والشواهد الحاكية على نفسية الشخص ووثاقته وضبطه ومدى اهتمامه بالحديث وغير ذلك.

فقد فتح ذلك الباب منذ أربعة قرون عدد من العلماء منهم:

١. الشيخ محمد الأردبيلي مؤلف كتاب «جامع الرواة» المطبوع في مجلدين ضخمين.

٢. السيد المحقّق البروجردي أُستاذنا الكبير البارع في الفقه والرجال، فقد أكمل ما بدأ به الرجالي الأردبيلي بموسوعة كبيرة.

وبذلك يُعلم أنّ وثاقة المشايخ كإبراهيم بن هاشم الكوفي ثمّ القمي ثابتة من هذا الطريق والتفصيل في محله.

والطريق الثاني طريق اجتهادي والأوّل طريق تقليدي ولكلّ أهل.

والسلام على عباد اللّه الصالحين ورحمة اللّه وبركاته

جعفر السبحاني

١٠ ذي الحجة الحرام ١٤٢٥ هـ

١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ في الله الشيخ صالح بن عبد الله الدرويش المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرجو من الله سبحانه أن تكونوا في صحة وعافية .

اغتنم فرصة سفر الشيخ هاني المسكين إلى الديار المقدسة لأكتب لكم هذه الرسالة راجياً لكم الخير والتوفيق.

ونحن على أعتاب شهر الله شهر رمضان الّذي أُنزل فيه القرآن نبارك لكم هذه الأيّام ونهديكم خطبة الرسول ﷺ في آخر جمعة من شهر شعبان المعظم والّتي جمع فيها فضائل هذا الشهر، وقد رواها الشيخ الصدوق (٣٠٦ـ ٣٨١ هـ) بسنده إلى الإمام علي الرضا عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: إن رسول الله ﷺ خطبنا ذات يوم فقال:

أيُّها الناس إنّهُ قد أقبل إليكم شهرُ اللهِ بالبركَةِ والرّحمةِ والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور وأيّامه أفضل الأيّام ولياليه أفضل اللّيالي وساعاتهُ أفضل الساعات، هو شهرٌ دعيتم فيه إلى ضيافة اللهِ وجعلتم فيه من أهل كرامةِ

اللهِ، أنفاسكم فيه تسبيحٌ ونومكم فيه عبادةٌ وعملكم فيه مقبولٌ ودعاؤكم فيه مستجابٌ، فسلوا الله ربَّكم بنيّاتٍ صادقةٍ وقلوبٍ طاهرةٍ أن يوفقكم لصيامه وتلاوةِ كتابه، فإنَّ الشقي من حرم غُفران اللهِ في هذا الشهر العظيم، واذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوعَ يوم القيامة وعطشه، وتصدقوا على فقرائكم ومساكينكم ووقّروا كباركم وارحموا صغاركم وصلوا أرحامكم واحفظوا ألسنتكم وغضّوا عمّا لا يحلُّ النظر إليه أبصاركم وعمّا لا يحلُّ الاستماع إليه أسماعكم، وتحنّنوا على أيتام الناس يتحنَّن على أيتامكم، وتوبوا إليه من ذنوبكم، وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء في أوقات صلاتكم، فإنَّها أفضل الساعات، ينظر الله عزَّ وجلَّ فيها بالرحمة إلى عبادهِ، يجيبهم إذا ناجوهُ ويلبيهم إذا نادوه ويستجيب لهم إذا دعوهُ.

أيُّها الناس انَّ أنفسكم مرهونةٌ بأعمالكم ففكّوها باستغفاركم وظهوركم ثقيلةٌ من أوزاركم فخفّفوا عنها بطول سجودكم، واعلموا أنَّ الله تعالى ذكره، أقسم بعزتهِ أن لا يُعذب المصلين والساجدين وأن لا يروّعهم بالنار يوم يقوم الناسُ لربِّ العالمين.

أيُّها الناس من فطر منكم صائماً مؤمناً في هذا الشهر كان لهُ بذلك عند الله عتق نسمة ومغفرةٌ لما مضى من ذنوبه. قيل: يا رسول الله وليس كلنا يقدر على ذلك. فقال صلى الله عليه وآله: اتقوا النّار ولو بشق تمرةٍ، اتقوا النّار ولو بشربةٍ من ماءٍ....» وللحديث صلة.

الشيخ العزيز: كنّا ـ فيما سبق ـ قد أرسلنا اليكم كتابين ألا وهما:

«كتاب الحج» و «كتاب الميراث»، نتمنى أن يكونا قد وصلا إليكم كما نوّد أن نتعرف على انطباعاتكم حولهما، ولو راجعتم الكتابين لتجلى لكم أن ما يجمع بين الشيعة والسنة أكثر ممّا يفرقهم.

تقبلوا سلامنا وتحياتنا

ولا تنسونا من صالح دعائكم في ليالي وأيّام شهر رمضان المبارك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

جعفر السبحاني

٢٢ شعبان المعظم ١٤٢٦ هـ

١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الشيخ صالح بن عبدالله الدرويش حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرجو من الله سبحانه أن تكونوا في صلاح وفلاح وفي خير وسعادة.

لفَتَ نظري كتابُ «**حقيقة وليس افتراء**» تأليف أبي معاذ الإسماعيلي وقد صُدِّر بتقديمكم وسرّني ما جاء في التقديم من دعوتكم إلى توحيد الكلمة بين المسلمين وضرورة وقوفهم صفّاً واحداً أمام اليهود والنصارى وسائر الكفّار.

ولما قرأت صحائف من الكتاب وجدته على خلاف ما دعوتم إليه، ففي الكتاب سبّ لاذع لكبار العلماء وقادة الفكر، فها هو يصف نصير الدين الطوسي بقوله: «أمّا نصير الدين الطوسي فتعامله مع التتار لا ينكره أحد من علماء الشيعة، بل يذكرون كونه سبباً في جريان دماء المسلمين كالأنهار في نكبة التتار...إلى أن قال: والأولى تسميته بخائن الدين صاحب مذبحة بغداد».[1]

---

١. حقيقة وليس افتراء:٦٦.

ويقول في مكان آخر: «وهناك ضربة قاصمة لظهر الشيخ المفيد».[١]

ويقول في موضع ثالث: «ليُدرك خزعبلات وخرافات السيد جعفر مرتضى بشكل خاص»[٢] إلى أمثال ذلك من الكلمات البائسة الّتي لا تصدر إلّا من كاتب ناقم، ذي نفس داكنة وقلب مريض. فلو كانت الغاية تحقيق الموضوع لما احتاج إلى مثل هذه الكلمات. وبما أنّ الرجل أهان إمام العلم ومفخرة المسلمين ـ أعني: نصير الدين الطوسي ـ نذكر شيئاً موجزاً حول هجوم المغول على بغداد، ليُبصر مَن له عينان أنّ عدم كفاءة الخليفة ومن حوله من الوزراء والأُمراء، وانغماسهم في الشهوات واللذائذ، هو الّذي أدّى إلى سقوط الخلافة العباسية:

يقول ابن كثير: «وأحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كلّ جانب حتّى أُصيبت جارية تلعب بين يدي الخليفة وتُضحكه، وكانت من جملة حظاياه، وكانت مولدة تسمى عرفة، جاءها سهم من بعض الشبابيك فقتلها وهي ترقص بين يدي الخليفة، فانزعج الخليفة من ذلك وفزع فزعاً شديداً، وأحضر السهم الّذي أصابها بين يديه فإذا عليه مكتوب: «إذا أراد اللّٰه انفاذ قضائه وقدره أذهب من ذوي العقول عقولهم»، فأمر الخليفة عند ذلك بزيادة الاحتراز وكثرة الستائر على دار الخلافة.[٣]

هب أنّ نصير الدين الطوسي هو السبب لسقوط الخلافة العباسية

---

١. المصدر نفسه:٦١.

٢. المصدر نفسه:٣٤.

٣. البداية والنهاية:١٣/٢١٣.

وسيلان الدماء في عاصمتها، فما هو سبب ذلك الدمار الواسع والانهيار الشامل الّذي عمّ البلاد من أقصى المشرق الإسلامي إلى العاصمة بغداد، وها هو ابن الاثير (المتوفّى عام ٦٣٠هـ) أي قبل سقوط الخلافة الإسلامية بست وعشرين سنة يصف تلك الداهية العظمى بالنحو التالي:

«من الّذي يسهل عليه أن يكتب نعيَ الإسلام والمسلمين ومن ذا الّذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فياليت أُمّي لم تلدني، ويا ليت متُّ قبل حدوثها وكنت نسياً منسياً إلّا انّي حثّني جماعةمن الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف، ثمّ رأيت أن ترك ذلك لا يُجدي نفعاً فنقول:

هذا الفصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى الّتي عقمت الأيام والليالي عن مثلها، عمت الخلائق وخصّت المسلمين، فلو قال القائل: إنّ العالم مذ خلق اللّه سبحانه وتعالى آدم وإلى الآن لم يبتل بمثله لكان صادقاً، فإنّ التاريخ لم يتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها ـ إلى أن قال: ـ هؤلاء لم يُبقوا أحداً، بل قتلوا النساء والرجال والأطفال، وشقّوا بطون الحوامل وقتلوا الأجنّة، فإنّا للّه وإنّا إليه راجعون. فإنّ قوماً خرجوا من أطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر وبلاسغون ثم منها إلى بلاد ماوراء النهر مثل سمرقند وبُخارى وغيرها فيملكونها ويفعلون بأهلها ما نذكره ثمّ تعبر طائفة منهم إلى خراسان فيفرغون منها مُلكاً وتخريباً وقتلاً، ثمّ يتجاوزونها إلى الريّ وهَمَدان وبلاد الجبل وما فيها من البلاد إلى حد العراق، ثمّ يقصدون بلاد آذربيجان وأرانية ويخربون ويقتلون أكثر أهلها ولم ينج إلّا الشريد النادر في أقل من سنة هذا ما لم يسمع بمثله.[١]

١ . الكامل في التاريخ:١٢/٣٥٨ـ ٣٥٩. ولكلامه ذيل من أراد فليرجع.

وهنا نسأل الكاتب: هل كانت يد المحقّق الطوسي تلعب في كلّ هذه الخطوات المرّة من وراء الستار؟ أو أنّ للدمار عوامل تكمن في حياة المسلمين عبر السنين، حيث اشتغلوا بالخلافات الداخلية وانصرف الخلفاء إلى اللهو واللعب، وشرب الخمور و عزف المعازف وسماع المغنيّات، وقد تبعهم الرعاع والسوقة فذهبت الخيمة الإسلامية التي سيطرت على العالم في أوائل قرون العصر الإسلامي.

كان المحقق الطوسي مقيماً مع الإسماعيليّين في «قلعة ألموت» الّتي قاومت الهجوم إلى أن سقطت بيد التتار، فأُخذ أسيراً، ولمّا علموا بفضله خصوصاً بالنسبة إلى النجوم والفلكيات، وقد كان للتتر رغبة كبيرة في هذه العلوم، صار ذلك سبباً لقربه من الحاكم فكان يدفع عاديتهم عن المسلمين مهما أمكن.

يقول الصفدي: كان رأساً في علم الأوائل لا سيّما في الارصاد والمجسطي ووصفه بالجود والعلم وحسن العشرة والدهاء.[1]

وقال بروكلمان الألماني: هو أشهر علماء القرن السابع وأشهر مؤلفيه إطلاقاً.[2]

وقد خدم الثقافة الإسلامية وحفظها من شر التتار بدهائه وحنكته حيث رغّب التتار في حفظ العلوم حتّى وُفّق لجمع العلماء المختفين في أكناف العالم إلى بناء قبة ورصَدَ عظيم في «مراغة» وتأسيس مكتبة كبيرة، احتوت

١. الوافي بالوفيات:١/٧٧٩، برقم ١١٢.

٢. طبقات الفقهاء:٧/٢٤٣.

على أربعمائة ألف مجلّد، فوفد إليها العلماء من النواحي حتّى أنّ ابن الفوطي صنف في ذلك كتاباً سماه «من صعد الرصد».

يقول الدكتور مصطفى جواد البغدادي في مقدمته لكتاب «مجمع الآداب في معجم الألقاب»: أنشأ نصير الدين الطوسي دار العلم والحكمة والرصد بمراغة من مدن آذربيجان، وهي أوّل مجمع علمي حقيقي«أكاديمية» في القرون الوسطى بالبلاد الشرقية، فضلاً عن الأقطار الغربية الجاهلة أيامئذ.[1]

وقال الأُستاذ عبد المتعال الصعيدي في كتابه (المجتهدون في الإسلام) وهو يتحدث عن نصير الدين الطوسي: ولم يمت إلّا بعد أن جدّد ما بليَ في دولة التتر من العلوم الإسلامية، وأحيا ما مات من آمال المسلمين.

هذا وقد ألف بعض المحقّقين ـ من أهل السنّة ـ حول هذه الفرية الشائنة كتاباً أثبت فيه براءة المحقّق ممّا اتّهمه به سماسرة الأهواء من المؤرخين الذين يرمون العظماء بتهمة واضحة لا تليق بمن هو أدنى من المحقّق الطوسي في العلم والتُّقىٰ.

والحاقدون على الطوسي بدل أن يبحثوا عن العلل الحقيقية للهزيمة وعواملها، حاولوا أن يصبّوا جام غضبهم على معلم الأُمّة وحافظ تراثها، وهو ﵀ قد لقى ربّه الّذي لا تخفى عليه خافية، وسوف يحكم بينه و بين خصمائه الذين رموه عن جهل أو ضغينة.

---

١. مجمع الآداب في معجم الألقاب: ٢٠.

وأمّا الشيخ المفيد وما أدراك ما المفيد، فهذا هو اليافعي يعرفه بقوله: في سنة ٤١٣هـ توفي عالم الشيعة وعالم الرافضة صاحب التصانيف الكثيرة شيخهم المعروف بالمفيد وبابن المعلم البارع في الكلام والجدل والفقه، وكان يناظر أهل كلّ عقيدة مع الجلالة والعظمة في الدولة البويهية. قال ابن أبي طي: وكان كثير الصدقات عظيم الخشوع، كثير الصلاة والصوم خشن اللباس.[1]

وقال ابن كثير بعد الإشارة إلى كتبه وكنيته: وكان يحضر مجلسه خلق عظيم من جميع طوائف الإسلام.[2]

إلى غير ذلك من الكلمات الّتي تعرب عن جلالة الرجل وعظمته عند الجميع.

وأمّا العالم الثالث، أعني: الأُستاذ الجليل السيد جعفر مرتضى العاملي فهو محقّق بارع، له باع طويل في الرجال والحديث والتاريخ، فقد ألف كتاباً حول «الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ»، والذي آثار حفيظة الكاتب أنّه أثبت فيه كثيراً من الحوادث التاريخية الّتي لا تلائم فكرته.

وعلى كلّ تقدير، فنحن ننزّه الشيخ الجليل الدرويش عن مباركة ما يسوّده هؤلاء الكتّاب من صحائف، تسيء إلى الحق وأصحابه، وتعكّر صفو الأُخوّة بين المسلمين.

وها أنا أكتب هذه السطور، ووكالات الأنباء تحكي بكلمة واحدة

---

١. مرآة الجنان:١٣٣٨/٣، طبع الهند.

٢. البداية والنهاية:١٥/١٢، طبع مصر.

قصف المدنيين الأبرياء والأطفال والنساء في لبنان وهدم الأبنية ومشاريع الخدمات العامة حتّى محطات الكهرباء، بيد الصهاينة المجرمين المحتلين للأراضي الإسلامية وقتل المسلمين في لبنان وفلسطين.

والعجب أنّ هذه الجنايات تقوم بها دولة إسرائيل بمباركة من بعض زعماء المسلمين وسكوت أكثر المفتين وعلماء المسلمين خوفاً من حكوماتهم، فوالله لم أزل أتعجب من سكوت العلماء في البلاد الإسلامية حتّى نقلت بعض الإذاعات أنّ بعض المفتين حرّم إغاثة هؤلاء المظلومين في لبنان العزيز بحجة أنّ من يقاتل إسرائيل هو كذا وكذا...!!

فلنرجع إلى تحرير مسألة زواج أُمّ كلثوم بنت الإمام علي عليه السلام بعمر بن الخطاب فهل هي أُسطورة أو لها حقيقة؟ وعلى الثاني هل كان هناك تزويج عن طيب نفس أو كانت هناك عوامل ألجأت آل البيت إلى الإجابة لمثل هذا الزواج.

فها هنا نظريات نطرحها على صعيد التحليل:

الأُولى: إنكار التزويج

ذهب الشيخ المفيد وغيره إلى إنكار هذا التزويج، وأنّه لم يثبت عن طريق موثوق به، وإليك نصّ كلامه:

إنّ الخبر الوارد بتزويج أمير المؤمنين عليه السلام ابنته من عمر غير ثابت، وطريقه من الزبير بن بكّار ولم يكن موثوقاً به في النقل وكان متّهماً فيما يذكره، وكان يبغض أمير المؤمنين عليه السلام وغير مأمون فيما يدّعيه على بني

هاشم. وإنّما نشر الحديثَ إثباتُ أبي محمد الحسن بن يحيى صاحب النسب ذلك في كتابه، فظن كثير من الناس أنّه حق لرواية رجل علوي له، وهو إنّما رواه عن الزبير بن بكّار.

والحديث بنفسه مُختلف فتارة يُروى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام تولى العقد له على ابنته، وتارة يُروى أنّ العباس تولى ذلك عنه.

وتارة روي أنّه لم يقع العقد إلّا بعد وعيد من عمر وتهديد لبني هاشم.

وتارة يُروىٰ أنّه كان عن اختيار و إيثار.

ثمّ إنّ بعض الرواة يذكر أنّ عمر أولدها ولداً أسماه زيداً.

وبعضهم يقول: إنّه قُتِلَ قبل دخوله بها.

وبعضهم يقول: إنّ لزيد بن عمر عقباً.

ومنهم من يقول: إنّه قتل ولا عقب له.

ومنهم من يقول: إنّه وأُمّه قُتلا.

ومنهم من يقول: إنّ أُمّه بقيت بعده.

ومنهم من يقول: إنّ عمر أمهر أُمّ كلثوم أربعين ألف درهم.

ومنهم من يقول: أمهرها أربعة آلاف درهم.

ومنهم من يقول: كان مهرها خمسمائة درهم.

وبدوّ هذا الاختلاف فيه يبطل الحديث، فلا يكون له تأثير على حال.[1]

---

١. مصنفات الشيخ المفيد، ج٧، المسائل السروية: ٨٦ ـ ٩٠، قم ـ١٤١٣هـ

وأورد عليه الكاتب بأنّ «اختلاف الروايات في مهر أُمّ كلثوم ووفاتها مع ابنها زيد في يوم واحد وقتلهما من عدمه، هذا الاختلاف بين المؤرخين لا يعني عدم حدوث الزواج، فلا علاقة تربط بينهما، لقد اختلف العلماء والمؤرخون وكتّاب السير في يوم دفن رسول الله ﷺ وكذا اختلفوا في تواريخ معارك وأحداث ووفيات كثير من المشاهير و العظماء بل ومولدهم أيضاً، فهل هذا يعني عدم وجودهم أصلاً؟

يلاحظ عليه: أنّ اضطراب الروايات في جوانب قضية واحدة إلى حدّ يناهز إلى اثني عشر قولاً ، يوجب الشك والتردد في صحة الواقعة، إذ لا معنى أن تختلف الأقوال حول حادثة واحدة إلى هذا الحد من الاختلاف. ولا تركن النفس إلى حديث ظهر فيه الاضطراب إلى هذا الحد الهائل.

وأمّا قياس المقام بالاختلاف بيوم دفن النبي فقياس مع الفارق، فالدفن أمر محقق لا يرتاب فيه أحد وانّما الاختلاف في زمانه، وعلى كلّ تقدير فهذا قول الشيخ المفيد ومن تبعه وهذا دليله.

الثانية: أُمّ كلثوم كانت ربيبة علي عليه السلام

هناك من اختار أنّ أُمّ كلثوم الّتي تزوج بها عمر كانت ربيبة علي عليه السلام ، وهي بنت أسماء بنت عميس الّتي تزوجها أبو بكر ـ بعد موت زوجها، جعفر بن أبي طالب ـ ورُزق منها ولدان:

١. محمد بن أبي بكر.

٢. أُمّ كلثوم بنت أبي بكر.

ولمّا توفّي أبو بكر وتزوجها علي ﷺ انتقلت إلى بيت علي ﷺ مع ولديها محمد بن أبي بكر وأُمّ كلثوم، فتزوّج عمر بن الخطاب بربيبة علي لابنته من صلبه.[١]

يلاحظ عليه: أنّ أصحاب المعاجم لم يذكرو لأسماء بنت عميس ولداً من أبي بكر إلّا محمد بن أبي بكر.

قال ابن الأثير: هاجرت أسماء بنت عميس إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فولدت له بالحبشة عبد اللّه وعوناً ومحمّداً ثمّ هاجرت إلى المدينة. فلمّا قتل عنها جعفر بن أبي طالب ﷺ تزوّجها أبو بكر الصديق فولدت له محمد بن أبي بكر، ثمّ مات عنها فتزوجها علي بن أبي طالب ﷺ فولدت له يحيى.[٢]

نعم كانت لأبي بكر بنت اسمها أُمّ كلثوم، لكن أُمّها بنت وليد بن خارجة يقول ابن الأثير:

أُمّ كلثوم بنت أبي بكر الصديق، وأُمّها بنت وليد بن خارجة، وقد تزوجت هي بطلحة بن عبيد اللّه.[٣]

نعم ذكر عمر رضا كحالة:

أُمّ كلثوم بنت أسماء راوية من راويات الحديث، روت عن عائشة وأُمّ سلمة وروى عنها ابنها موسى بن عقبة.[٤]

---

١ . ينسب هذا القول إلى السيد الجليل: السيد ناصر حسين الموسوي الهندي (المتوفّى ١٣٨٧هـ).

٢ . أسد الغابة:٣٩٥/٥. ٣ . أُسد الغابة:٦١٢/٥. ٤ . أعلام النساء:٢٥٠/٤.

ولكن لم يعلم أنّ أسماء هذه من هي؟ فهل هي أسماء بنت عميس أو غيرها؟ وعلى كلّ تقدير فهل هي زوجة أبي بكر أو زوجة غيره؟

الثالثة: التزويج عن كُرهٍ

هذه النظرية تعترف بصحّة الزواج، ولكنها ترى أنّ التزويج لم يكن عن طيب نفس، بل كانت هناك عوامل سبّبت ذلك التزويج على وجه لولاها لما فوّض الإمام أمر بنته إلى العباس، وإليك ما يدلّ على ذلك على نحو لو تدبر فيه المحقّق لوقف على صحّتها:

ا. ما هو السبب للزواج؟

ذكر ابن سعد أنّ الحافز إلى ذلك الزواج أنّ عمر بن الخطاب قال: سمعت عن النبي ﷺ أنّه قال: كلّ نسب وسبب منقطع يوم القيامة إلّا نسبي وسببي، وكنت قد صحبته فأحببت أن يكون هذا أيضاً.[1] فهذا هو الّذي سبّب رغبة الخليفة إلى التزوج بسبط النبي ﷺ، ولكن الظاهر أنّه يكمن هناك سبب آخر، وهو أنّ عمر بن الخطاب حاول بذلك الأمر أن يغطي على ما صدر عنه بالنسبة إلى بنت النبي ﷺ وبيتها، حيث كشف بيت فاطمة وهدّدها بالإحراق كما سيوافيك بيانه، وقد سبّب ذلك العمل جُرحاً في قلوب أبناء فاطمة لا يندمل أبداً، فأراد بذلك استمالتهم حتّى يندمل الجرح بالزواج على عادة العرب حيث كان التزويج يُنسي ما سبق. فاعتذر الإمام

١ . طبقات ابن سعد:٨/٤٦٣؛ وفي الاستيعاب:٤/١٩٥٤: أنّها صغيرة.

بوجوه مختلفة لكي يترك عمر هذا الموضوع، وإليك ما اعتذر به:

٢. اعتذار الإمام بطرق ثلاثة

أ. لما خطب عمر بن الخطاب إلى علي ابنته أُمّ كلثوم قال له: يا أمير المؤمنين إنّها صبية.

فأجاب عمر: انّك والله ما بك من ذلك ولكن قد علمنا ما بك.[١]

وقال الدولابي: خطب عمر بن الخطاب إلى علي بن أبي طالب عليه السلام بنته أُمّ كلثوم، فأقبل علي عليه فقال: هي صغيرة، فقال عمر: لا والله ما ذلك، ولكن أردت منعي.

ب. ولمّا تكرّرت الخطبة، فعاد علي عليه السلام يعتذر بعذر آخر، فقال: إنّما حبست بناتي على بني جعفر عليه السلام فقال عمر: أنكحنيها يا علي فوالله ما على ظهر الأرض رجل يرصد من حسن صحابتها ما أرصد.[٢]

ولعلّ الخليفة يشير بكلامه إلى أنّه يحسن معاشرته معها لما اشتهر من فظاظته وغلظته خاصّة بالنسبة إلى النساء.

ج. خطب عمر إلى علي بن أبي طالب أُمّ كلثوم فأجاب بأنّه يستشير

١ . الذرية الطاهرة لأبي بشر محمد بن أحمد بن حماء الأنصاري الرازي، (٢٢٤ـ ٣١٠هـ) ص ٥٥، مؤسسة الأعلمي، بيروت؛ وطبقات ابن سعد:٤٦٤/٨. وما أجاب به عمر يكشف عن أنّ ما اعتذر به الإمام كان عذراً ظاهرياً للفرار عن الزواج حتّى وقف عليه الخليفة فقال ما قال بالرمز والإشارة.

٢ . الطبقات لابن سعد: ٤٦٤/٨.

العباس وعقيلاً والحسين ولما استشارهم الإمام خالف عقيل هذا الأمر.

قال ابن حجر الهيتمي: فقال عليٌ للحسن والحسين زوجا عمّكما، فقالا: هي امرأة من النساء تختار لنفسها.[١]

كلّ ذلك يعرب عن أنّ البيت العلوي لم يكن راضياً بذلك الزواج، حتّى أنّ الحسنين أظهرا عدم رضاهما بقولهما: هي امرأة من النساء تختار لنفسها، ولعلّ مشاورة الإمام علي مع هؤلاء كان لكسب ذريعة للامتناع، ومع ذلك كلّه كان من الخليفة الإصرار ومن البيت العلوي الامتناع.

تمّ إلى هنا ما نقله الحفاظ من السنّة، وهناك شيء آخر تفرد به الإماميّة وهو ما رواه الكليني عن الإمام الصادق عليه السلام: لما خطب إليه قال له أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّها صبية، قال: فلقى العباس فقال له: مالي؟ أبيّ بأسٌ؟ قال: وما ذاك؟ قال: خطبت إلى ابن أخيك فردّني. أما والله لأعورنّ زمزم ولا أدع لكم مكرمة إلّا هدمتها ولأقيمنّ عليه شاهدين بأنّه سرق ولأقطعن يمينه، فأتاه العباس فأخبره وسأله أن يجعل الأمر إليه، فجعله إليه.[٢]

أُمور يندى لها الجبين

هذا ما حفظته يد التاريخ، مع ما في المصادر من أُمور لا يصحّ أن تنسب إلى الرعاة والسوقة، فقد نسبوا إلى علي عليه السلام وإلى الخليفة أُموراً غير

---

١. مجمع الزوائد: ٤/٢٧٢ـ ٢٧٣، كتاب النكاح باب في الشريفات. دار الكتاب العربي، بيروت. (بتلخيص).

٢. الكافي: ٥/٣٤٦، كتاب النكاح، باب تزويج أُمّ كلثوم، الحديث ٢.

معقولة: نذكر شيئاً منها:

إنّ علياً دعا أُمّ كلثوم وأعطاها حلّة، فقال: انطلقي بهذه إلى أمير المؤمنين: يقول لك أبي كيف ترى هذه الحلّة، فأتته بها فقالت له ذلك، فأخذ عمر بذراعها، فاجتذبتها منه، فقالت: أرسل، فأرسلها فقال: حصان كريم انطلقي وقولي له ما أحسنها وأجملها، وليست والله كما قلت، فزوّجها إياه.[١]

وفي الاستيعاب: بعثها علي إليه ببرد وقال له: قد رضيت رضى الله عنك، ووضع يده على ساقها، فقالت: أتفعل هذا؟ لولا أنّك أمير المؤمنين لكسرت أنفك، ثمّ خرجت حتّى جاءت أباها، فأخبرته الخبر، وقالت: بعثتني إلى شيخ سوء فقال لها: يا بنية، انّه زوجك....[٢]

وقال أيضاً: إنّ عمر بن الخطاب خطب إلى علي ابنته أُمّ كلثوم، فذكر له صغرها، فقيل له: ردّك، فعاوده فقال له علي: ابعث بها إليك فإن رضيت فهي امرأتك، فأرسل بها إليه فكشف عن ساقها فقالت: مه والله لولا إنّك أمير المؤمنين للطمت عينك.[٣]

هذه الأُمور ما ذكرنا وما لم نذكره، تكشف عن أنّ للوضاعين دوراً حول هذا الخبر، أمّا في أصله أو فروعه، حاولوا بذلك الإساءة إلى آل البيت، وانّه لم يكن لعلي عليه السلام أي اهتمام بحفظ كرامة بنته، فيرسلها إلى بيت الرجل، وهو يعاملها بما يثير غضب هذه الكريمة وتقول له ما قالت.

***

---

١. الذرية الطاهرة:١٥٤.

٢. الاستيعاب:١٩٥٥/٤.

٣. الاستيعاب:١٩٥٥/٤.

هذا ما حفظته يد التاريخ مع وجود الهيمنة عليه في العصرين الأموي والعباسي وهو يدل ـ بوضوح ـ على أنّ البيت العلوي كان يرغب عن هذا التزويج ويعتذر مرّة بعد أُخرى لكي يتخلّص منه.

وحول الموضوع ملابسات لو تأمل فيها الباحث النابه لأذعن بأنّ تحقّق النكاح عن طوع ورغبة أمر بعيد غايته، فالحادثة إمّا لم تتحقّق، أو تحقّقت لكن عن كراهة ودون طيب نفس، وإليك تلك الملابسات:

الأوّل: أُمّ كلثوم وتهديد بيت أُمّها بالإحراق

دلت النصوص القطعية على أنّ عمر بن الخطاب هدّد بيت فاطمة ـ ريحانة الرسول ـ بالإحراق لأخذ البيعة لأبي بكر، وهذا أمر لا يمكن للباحث إنكاره إذا وقف على مصادره ومداركه. وإن كنت في شكّ فيما ذكرنا فاستمع لكلمات المحدّثين والمؤرخين مسندة ومرسلة.

١. ما رواه ابن أبي شيبة ـ شيخ البخاري ـ بسند صحيح قال: حدثنا محمد بن بشر، حدثنا عبيد الله بن عمر، حدثنا زيد بن أسلم، عن أبيه أسلم أنّه حين بويع لأبي بكر بعد رسول الله ﷺ كان عليٌّ والزبير يدخلان على فاطمة بنت رسول الله فيشاورونها ويرتجعون في أمرهم، فلمّا بلغ ذلك عمر بن الخطاب خرج حتّى دخل على فاطمة فقال:

يا بنت رسول الله ﷺ والله ما من أحد أحبّ إلينا من أبيك، وما من أحد أحب إلينا بعد أبيك منك، وأيم الله ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك، إن أمرتهم أن يُحرق عليهم البيت، قال: فلما خرج عمر جاءوها،

فقالت: تعلمون أنّ عمر قد جاءني وقد حلف بالله لئن عدتم ليحرقن عليكم البيت، وأيم الله ليمضين لما حلف عليه، فانصرفوا راشدين.[١]

٢. روى البلاذري في ضمن بحث مفصل عن أمر السقيفة: لمّا بايع الناس أبا بكر اعتزل علي والزبير... إلى أن قال: إنّ أبا بكر أرسل إلى علي يريد البيعة، فلم يبايع، فجاء عمر معه فتيلة، فتلقته فاطمة على الباب، فقالت فاطمة: يا ابن الخطاب، أتراك محرّقاً عليّ بابي؟ قال: نعم، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك.[٢]

وقد نقل تلك الحادثة غير واحد من أعلام التاريخ والحديث نقتصر على ذكر أسمائهم وأسماء كتبهم ومواضع نقلهم لها:

١. ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ص ١٢ـ ١٣.

٢. الطبراني في تاريخه: ٤٣/٢، ط بيروت.

٣. ابن عبد ربه في العقد الفريد:٨٧/٤

٤. ابن عبد البر في الاستيعاب:٩٧٥/٣.

٥. ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة:٤٥/٢.

٦. أبو الفداء في المختصر في أخبار البشر:١٥٦/١.

٧. النميري في نهاية الإرب في فنون الأدب:٤٠/١٩، ط القاهرة.

٨. السيوطي في مسند فاطمة:٣٦، طبع مؤسسة الكتب الثقافية.

---

١ . المصنف:٧٥٢/٨، ط دار الفكر، بيروت.

٢ . أنساب الأشراف:٥٨٦/١، طبع دار المعارف القاهرة.

٩. المتقي الهندي في كنز العمال: ٦٥١/٥برقم ١٤١٣٨.

١٠. الدهلوي في إزالة الخفاء:١٧٨/٢.

١١. محمد حافظ إبراهيم، صاحب القصيدة العمرية، التي جاء فيها:

وقـــولةٍ لعـــلي قـــالها عـــمر
أكـــرم بســـامعها أعـظم بـملقيها

حـرّقتُ دارك لا أُبـقي عـليك بـها
إن لم تـبايع وبـنت المـصطفى فـيها

ما كـان غـير أبـي حـفص يـفوه بـها
أمـــام فـــارس عـدنان وحـاميها

إلى غير ذلك من المصادر الّتي اقتصرت على ذكر أصل التهديد مع التكتم على ما بعده.

وهناك رجال شجعان رفعوا الستر عن وجه الحقيقة وذكروا أنّ القوم الذين هدّدوا البيت بالحرق قد دخلوا البيت وكشفوه حتّى أنّ أبا بكر أظهر الندم على هذا العمل القبيح الّذي وقع بأمره ورضاه وعلى مرأى ومسمع منه، وقال في أواخر أيام حياته ما يُشير إلى ذلك.

روى أبو عبيد عن عبد الرحمن بن عوف قال دخلت على أبي بكر أعوده في مرضه الذي توفّي فيه فسلّمت عليه، وقلت: ما أرى بك بأساً، والحمد للّه، ولا تأس على الدنيا، فواللّه إن علمناك إلّا كنت صالحاً مصلحاً.

فقال: إنّي لا آسى على شيء إلّا على ثلاث فعلتهُن ، وودتُ أنّي لم

أفعلهن، وثلاث لم أفعلهن وددتُ انّي فعلتهن، وثلاث وددت انّي سألت رسول الله ﷺ عنهم. فأمّا التي فعلتها ووددت انّي لم أفعلها، فوددتُ أنّي لم أكن فعلت كذا وكذا، لعلة ذكرها ـ قال أبو عبيد: لا أريد ذكرها ـ ووددت انّي يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين: عمر أو أبي عبيدة، فكان أميراً وكنت وزيراً، ووددت انّي حيث كنت وجّهت خالداً إلى أهل الردة أقمت بذي القصة، فإن ظفر المسلمون ظفروا وإلّا كنت بصدد لقاء أو مدد. الخ.[1]

ثمّ إنّ أبا عبيد صاحب «الأموال» وإن لم يصرح بلفظ الخليفة وكره التلفّظ به، لكن غيره جاء بنفس النص الذي أدلى به الخليفة يوم كان طريح الفراش.

قال المبرد عن عبد الرحمن بن عوف أنّه قال: دخلت على أبي بكر أعوده في مرضه الذي مات فيه، فسلمت وسألته: كيف به؟ فاستوى جالساً، إلى أن قال: قال أبو بكر: أما إنّي لا آسىٰ إلّا على ثلاث فعلتُهن وددتُ انّي لم أفعلهنّ، وثلاث لم أفعلهن وددت انّي فعلتهن، وثلاث وددت انّي سألت رسول الله عنهن.

فأمّا الثلاث الّتي فعلتها: وددت أنّي لم أكن كشفت عن بيت فاطمة وتركته ولو أُغلق على حرب.[2]

وليس المبرد المتفرد في نقل هذا القول بل نقله غيره، نظراء:

---

١. الأموال:١٩٣ـ ١٩٤، مكتبة الكليات الأزهرية.

٢. الكامل:١/١١.

١. الطبراني في المعجم الكبير: ٦٢/١ برقم ٤٣.
٢. ابن عبد ربه في العقد الفريد: ٩٣/٤.
٣. ابن عساكر في مختصر تاريخ دمشق: ١٢٢/١٣.
٤. ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: ٤٦/٢.
٥. الذهبي في تاريخ الإسلام: ١١٧/٣ـ ١١٨.
٦. نور الدين الهيتمي في مجمع الزوائد: ٢٠٢/٥.
٧. ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان: ١٨٨/٤.
٨. المتقي الهندي في كنز العمال: ٦٣١/٥ برقم ١٤١١٣.

إلى غير ذلك من رواة الأخبار ومحققي التاريخ الّذين قد ذكروا ندم الخليفة عند موته لأجل كشف بيت فاطمة الّذي قام به عمر بن الخطاب.

إنّ المخطوبة ـ أُمّ كلثوم ـ و إن كانت صغيرة عند هذه الواقعة ولكن الحديث ممّا تناولته الألسن في البيت العلوي وهي تسمع ما يدور فيه، وطبيعة الحال تقتضي أن تكون غاضبة على من هدّد بيتها بالإحراق أوّلاً، ثمّ كشف البيت وهتك حرمته ثانياً، أيتصور أن تكون مع هذه الأجواء المحيطة بها راضية بالنكاح طيبة نفسها به؟

الثاني: أنّ الخاطب معروف بالفظاظة

إنّ عمر بن الخطاب كان رجلاً خشناً فظاً على الإطلاق خصوصاً بالنسبة للنساء، ولذلك لما انتخب للخلافة من قبل أبي بكر اعترضه الصحابة.

قال أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم البغدادي[١] صاحب أبي حنيفة في «الخراج» ما لفظه:

حدثني إسماعيل بن أبي خالد عن زبيد بن الحارث، عن ابن سابط، قال: لما حضرت الوفاة أبا بكر، أرسل إلى عمر يستخلفه، فقال الناس: أتستخلف علينا فظاً غليظاً، لو قد مَلِكَنا كان أفظ وأغلظ، فماذا تقول لربك إذا لقيتَه وقد استخلفت علينا عمر، قال: أتخوفونني ربي، أقول: اللّهم أمّرت عليهم خير أهلك.[٢]

وفي الطبقات في ترجمة أبي بكر في قصة استخلاف أبي بكر لعمر ما لفظه: وسمع بعض أصحاب النبي ﷺ بدخول عبد الرحمن وعثمان على أبي بكر وخلوتهما به فدخلوا على أبي بكر فقال له قائل منهم: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته، فقال أبو بكر: اجلسوني، أبالله تخوفوني؟ خاب من تزوّد من أمركم بظلم، أقول: اللهم استخلفت عليهم خير أهلك.[٣]

وقال أبو بكر عبد الله بن محمد العبسي المعروف بابن أبي شيبة في كتابه المصنف: حدثنا وكيع، وابن إدريس، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن

---

١ . أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري البغدادي مات ١٨٢، فقيه أُصولي مجتهد محدث حافظ عالم بالسير والمغازي وأيام العرب. تاريخ بغداد:٢٤٢/١٤؛ الكامل لابن الأثير:٥٣/٦؛ تذكرة الحفاظ:٢٦٩/١؛ البداية والنهاية:١٨٠/١٠؛ تاريخ التراجم:٦٠؛ مفتاح السعادة:١٠٠.

٢ . الخراج:١٠٠.

٣ . الطبقات الكبرى:١٩٩/٣.

زبيد بن الحرث، أنّ أبا بكر حين حضره الموت أرسل إلى عمر يستخلفه فقال الناس:

تستخلف علينا فظاً غليظاً، ولو قد ولينا كان أفظ وأغلظ، فما تقول لربك إذا لقيته وقد استخلفت علينا عمر[1]. وهل تطيب نفسك أن تزوّج بنتك لرجل شديد الخلق ، قسيّ القلب وهي وردة حياتك.

الثالث: بنت أبي بكر تردّ خطبة عمر

إنّ عمر بن الخطاب خطب بنتاً لأبي بكر اسمها أُمّ كلثوم، ولكنّها ردت طلبه معتذرة بأنّه رجل خشن.

روي أنّ رجلاً من قريش قال لعمر بن الخطاب: ألا تتزوج أُمّ كلثوم بنت أبي بكر فتحفظه بعد وفاته وتخلفه في أهله؟فقال عمر: بلى إنّ لأُحبّ ذلك فاذهب إلى عائشة فاذكر لها ذلك وعُد إليّ بجوابها. فمضى الرسول إلى عائشة فأخبرها بما قال عمر. فأجابته إلى ذلك وقالت له: حباً وكرامة، ودخل عليها عقب ذلك المغيرة بن شعبة فرآها مهمومة، فقال لها: مالك يا أُمّ المؤمنين؟ فأخبرته برسالة عمر وقالت: إنّ هذه جارية حدثة وأردت لها ألين عيشاً من عمر.

فقال لها: عليّ أن أكفيك، وخرج من عندها فدخل على عمر، فقال: بالرفاء والبنين فقد بلغني ما أتيته من صلة أبي بكر في أهله وخطبتك أُمّ

---

١ . المصنف:٥/٤٤٩.

كلثوم. فقال: قد كان ذاك، قال: إلّا أنّك يا أمير المؤمنين رجل شديد الخلق على أهلك وهذه صبية حديثة السن فلا تزال تُنكر عليها الشيء فتضربها فتصيح فيغمك ذلك، وتتألم له عائشة ويذكرون أبا بكر فيبكون عليه فتجدد لهم المصيبة مع قرب عهدها في كلّ يوم...الخ.[١]

الرابع: عدم التناسب في السن

إنّ أُمّ كلثوم كانت صبية لا يتجاوز عمرها عن عشر سنين أو إحدى عشرة سنة، وأمّا الخاطب فقد خطبها وعمره يناهز الستين، ومن الواضح أنّ حفظ المناسبات العرفية ممّا يعتبر في رغبة البنت للزواج، والعجب أنّ عمر بن الخطاب قال للناس: لينكح الرجل لُمته.

قال الفيروز آبادي في لغة اللؤم: وقول عمر لينكح الرجل لمته بالضم أي شكله ومثله.[٢]

فهل كانت السيدة أُمّ كلثوم وهي زهرة فاطمة الزهراء وهي في أوان تفتحها مِثلاً لمن طعن في السن؟!

الاحتكام إلى روح علي عليه السلام ووجدانه

بلغ الإمام علي القمة في سموّ روحه ونُبله، وكان قلبه يتفجّر رحمة

١ . أعلام النساء:٢٥٠/٤. نقلها عن المصادر التالية: تهذيب التهذيب لابن حجر، التهذيب للذهبي، الإصابة لابن حجر، العقد الفريد لأبي عبد ربه إلى غير ذلك من المصادر.

٢ . القاموس المحيط :١٧٤/٤، مادة «لؤم».

وعطفاً وحناناً، وهو من عُرف بحدَبِهِ على المسلمين عامة وعلى أبنائه، وبمراعاته لموازين العدل وأحكام الوجدان في كلّ شأن وقضية.

كما عُرف ببشاشة وجهه، وكثرة تبسّمه، وسجاحة خلُقه، ورقّة روحه، فهل يُعقل وهو بهذه الصفات والخلال أن يعرّض ريحانته للذبول والجفاف، وأن يدفع بإحدى قواريره الّتي يعتزّ بها لتنالها يد العنف والشدة؟!

هذا إذا أعرضنا عن الأجواء السلبية الّتي كانت تحكم العلاقة بين البيتين، والظروف الّتي كانت تسودها آنذاك.

كلّ هذه الأُمور تثير الشكّ في أصل تحقّق الأمر وإن ذكره غير واحد من المؤرخين والمحدثين، لما هو المحقّق في محله من أنّه كان للأمويين الدور الأوّل في حركة تدوين الحديث والتاريخ بما يخدم مصالح النظام الأموي و اتجاهاته السياسية والفكرية والغلبة على فكر أهل البيت عليهم السلام وكرامتهم.

وعلى فرض تحقّقه فلا محيص من القول: إنّه كانت هناك عوامل سبّبت وقوع النكاح ودفعت البيت العلوي إلى التسليم، ولا يُعدّ مثل هذا الزواج دليلاً على وجود التلاحم بين البيتين، والجرح بعدُ لم يندمل.

جعفر السبحاني

٥ رجب المرجب ١٤٢٧هـ

الفصل الثاني:

مراسلاتنا مع الأُستاذ حسين محمد علي شكري

١٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حضرة العلّامة الأُستاذ جعفر السبحاني الموقر[١]

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته

فقد تواصلت معكم الصلة بما وقفت عليه من بعض مؤلفاتكم، وبما حمله إليّ مشكوراً مأجوراً الفاضل المحب الشيخ رضواني من كتابكم «العقيدة الإسلامية» ففرحت بما حمل وسعدت بالهدية منكم.

لقد جلت بين صفحات الكتاب ووقفت فيه على عجالة على فوائد

---

١ . أهدى صديقنا الوفي الأُستاذ الفاضل الشيخ حسين الرضواني ممثل قائد الجمهورية الإسلامية في المدينة المنوّرة نسخة من كتابنا «العقيدة الإسلامية» إلى الأُستاذ حسين محمدعلي شكري الّذي حقّق كتاب «الإشاعة لأشراط الساعة» تأليف محمد بن الرسول البرزنجي الحسيني مع تعليقات محمد زكريا الكاندهلوي.

وبعد أن اطّلع الأُستاذ الفاضل حسين محمد علي شكري على كتابنا أرسل لنا هذه الرسالة والتي ذكر فيها انطباعاته عنه.

غالية ومعلومات جديرة بالتقدير والإشادة، وصارت لدي رغبة ملحة في الحصول على ما تسطره يراعتكم من مؤلفات جعل الله فيها النفع للمسلمين وتوحيد كلمتهم ورفع رايتهم.

ولقد قيل: العلم رحمٌ بين أهله، ووسيلة الصلة هي المراسلات العلمية والإهداءات لتلك الكتب الحاملة للفوائد. فلا حرمنا الوصل والصلة وجعل الله عملنا وعملكم لوجهه الكريم.

ودمتم بخير محفوظين

محب الصلة بكم

حسين محمد علي شكري

١٤٢٦/٥/١٠هـ

١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الأُستاذ الفاضل حسين محمد علي شكري المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرجو من الله سبحانه أن تكونوا في سلامة وعافية وأن يوفقكم لنشر المآثر والآثار القيّمة الّتي تركها لنا السلف من العلماء الأبرار.

لقد وافتني رسالتكم الميمونة، مرفقة بكتاب «الإشاعة لأشراط الساعة»[1] تأليف العلاّمة محمد بن الرسول البرزنجي الحسيني مع تعليقات محمد زكريا الكاندهلوي رحمهما الله. وقد سُررت بنشره ووقفت على ما تحملتم من جهود مشكورة في تقويم النص وإخراجه بصورة جميلة تهفو إليه النفوس وتستسيغ قراءته.

غير أنّ هذا لا يصدّنا عن إبداء النظر في بعض المواضيع، إذ النقاش العلمي المجرّد عن الهوى والعصبية، سيرة السلف الصالح ودعامة حفظ الدين عن التحريف وهديّة علمية هي من أغلى الهدايا وأثمنها يقدّمها القارئ المستفيد إلى المؤلف المفيد، المشكور جهده، أو المحقّق المقبول سعيه.

١. قام مؤلف هذا الكتاب بإماطة اللثام عن عدد من الحقائق وخرق الأقنعة الّتي صنعها المتزلفون إلى الأمويين والعباسيين، ومع ذلك رأيت في الكتاب عثرة لا تستقال، وكان المرجو من محقّق الكتاب أن يعلّق عليها شيئاً، قياماً بواجب التحقيق، ولأجل ذلك بعثت إليه بهذه الرسالة.

نقل عن بعض الأعلام[١]: «إنّ عدم محاباة العلماء بعضهم لبعض من أعظم مزايا هذه الأُمّة الّتي أعظم اللّه بها عليهم النعمة، حيث حفظهم عن وصْمة محاباة أهل الكتابين، المؤدية إلى تحريف ما فيهما، واندراس تينك الملتين، فلم يتركوا لقائل قولاً فيه أدنى دخل إلّا بيّنوه، ولفاعل فعلاً فيه تحريف إلّا قوّموه، حتّى اتضحت الآراء، وانعدمت الأهواء، ودامت الشريعة الواضحة البيضاء على امتلاء الآفاق بأضوائها، وشفاء القلوب بها من أدوائها، مأمونة من التحريف، مصونة عن التصحيف».

وانطلاقاً من هذا المبدأ نذكر انطباعتنا عن هذا السِفْر القيّم راجين الإمعان والدقة في السطور التالية:

لقد أماط السيد المؤلف ﷺ اللثام عن عدد من الحقائق، ومزّق في عدة مواضع الأقنعة الّتي صنعها الطامعون والمتزلّفون والمرتجفون لإخفاء الصورة الحقيقية لأسيادهم الطغاة وأعوانهم، الذين قفزوا إلى السلطة بالبغي والمكر والعدوان، فاستبدّوا بالحكم، واستأثروا بالأموال، وغرقوا في المتَع والشهوات، وضلّوا وأضلّوا، وأردوا جموعاً من المسلمين، واللّه تعالى سائلهم عن ذلك في يوم تشخص فيه الأبصار، وينادى فيه: **﴿أَلَا لَعْنَةُ اللّهِ عَلى الظَّالِمينَ﴾**.

ومن المواضع الّتي أبدى فيها المؤلف شجاعة أدبية، حديثه الصريح المعزّز بالروايات والأخبار عن بني أُمية الذين أطفأوا البسمة من على شفتي نبيّنا الأكرم ﷺ، حينما رآهم ينزون على منبره الشريف كما تنزوا القردة،

١. الناقل هو شيخ الشريعة الإصفهاني أحد أعلام النجف الأشرف ومراجع الفتيا، المتوفّى عام ١٣٣٩هـ.

فما رئي ﷺ ضاحكاً مستجمعاً حتّى توفّي (ص ٦١ـ ٦٢ من الكتاب).

وأنّى له ﷺ ـ فدته نفسي ونفوس العالمين ـ أن فتّر ثغره عن ضحكة، وهو يعلم ـ بإخبار اللّٰه تعالى له ـ ما سيرتكبه هؤلاء في حقّ دينه وأُمّته وذريّته من جرائم وموبقات. أشنعها قتلُ سبطه وريحانتِه من الجنة، الحسين الشهيد وأهل بيته الذين ما كان على وجه الأرض لهم يومئذٍ شبيه، على حدّ تعبير الحسن البصري (ص ٦٨).

وليت المؤلف ﷺ الّذي تحدّث عمّا لحق بأهل البيت من ظلم واضطهاد، وروى في علامات ظهور المهدي أنّ منادياً ينادي من السماء: انّ الحقّ في آل محمد (ص ٢٢٤)... ليته كان أكثر إنصافاً في حديثه عن شيعة آل محمّد ﷺ الذين استضاءوا بنورهم وانتهلوا من علومهم وسلكوا منهاجهم.

وكم كان حريّاً به أن يزيح بعض الستائر الّتي وضعتها يد السياسة والأهواء والأطماع لحجب الرؤى وإرباك الأفكار وتزييف الحقائق.

وكم كان جديراً به أن يكشف بعض الحيف والظلم والقهر الّذي أصابهم ، كما أصاب من قبل أئمتهم من أهل البيت عليهم السلام .

وإنّي أرى أنّ المؤلف ـ غفر اللّٰه تعالى لي وله ـ قد أحسن الظنّ ببعض من كتب عن الإمامية جهلاً أو تعصّباً وعناداً، فأورد في كتابه هذا بعض كلماتهم الّتي لا تمت إلى الحقيقة بصلة.

ومنها: أنّ الإمامية تقول إنّ المهدي دخل سرداب سامراء طفلاً صغيراً، وهم ينتظرونه كلّ يوم، ويقفون بالخيل على باب السرداب، ويصيحون به: أن أخرج يا مولانا... ثمّ يرجعون بالخيبة والحرمان، فهذا دأبهم...ولقد أصبح

هؤلاء عاراً على بني آدم، وضحكة يسخر منها كلّ عاقل.(ص ٢٣٠).

إنّ هذا الكلام الّذي نقله المؤلف ـ كما يبدو ـ عن ابن حجر في صواعقه الّتي أحرقته ـ حسب تعبير أحد الأعلام ـ ولم يذكر مستنده ما هو إلّا افتراء، يُراد منه التشنيع على الإمامية ، والحطّ عليهم لمآرب شيطانية، وإلّا ما معنى هذا الإصرار على نسبة مثل هذه الأُمور إلى الإمامية، وهم يبرأون منها وينفونها عن أنفسهم قولاً وعملاً.

إنّ واضع هذه الأسطورة حاكها في غير موضعها فإنّ سامراء مدينة سنيّة من عصر العباسيين إلى يومنا هذا، لا يوجد فيها من الشيعة إلّا القليل الذين ليس لهم شأن، فكيف يمكن لهم أن يقفوا بالخيل على باب السرداب ويصيحوا عليه أن أخرج يا مولانا؟!

وما أشبه هذه الأسطورة بكذبة إخوة يوسف حيث أتوا بقميصٍ سالمٍ من أي خرق أو شق وعليه دماء يوسف يدّعون....

إنّ ما يقوم به الشيعة، هو زيارة مرقد الإمامين العسكريين في سامراء والصحن الّذي فيه السرداب (الّذي يكثر وجوده في بيوت العراق القديمة)، لأنّها كانت مصلّاهم ومحل عبادتهم عليهما السلام ، وموضع سكناهم، وهم يعبّرون بزيارتها عن حبّهم ووفائهم لأهلها، وينشدون تعزيز الروابط الروحية معهم، مجسّدين بذلك ما قاله الشاعر:

أمرّ على الديار ديار ليلى ... أُقبّل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حبّ الديار شغفن قلبي ... ولكن حبّ من سكن الديارا

وممّا جانب فيه المؤلف الحقيقة، قوله: وظهر بهذا كذب الرافضة وافتراؤهم أنّ علياً واطأ أبا لؤلؤة في قتل عمر رضي اللّه عنهما، وانّه انّما قتله عن أمر علي رضي اللّه عنه(ص ٣٩).

ولم يذكر المؤلف المصدر الّذي اعتمده في نقل هذا الكلام السقيم، ومن هو هذا الحاقد الّذي نسجتْ مخيّلتُه المريضة هذا الكذب المحض. وكان المتوقع من محقّق الكتاب، التعليق على هذه المواضع الّتي ليس لها مسحة من الحقّ ولا لمسة من الصدق.

ومع كلّ هذا أرى أنّ طبع هذا الكتاب أو نشره في المملكة العربية السعودية، يُعدّ خطوة متقدّمة على طريق الانفتاح على الحقائق التاريخية، والتأشير على المواضع السوداء في صفحات التاريخ.

وانّ مثل هذه الأعمال ستساهم ـ بلا ريب ـ في تعزيز إيمان ووعي المسلمين، وتنأى بهم عن الجمود والتحجّر أو الانصياع لبعض الرؤى وإن حفلت بالمتناقضات، وقيّدت من آفاق النظر.

فشكراً لجهودكم يا سماحة العلّامة الشيخ حسين محمدعلي شكري وبارك اللّه تعالى فيكم وسدّد خطاكم، وأملنا أن تشيروا في المستقبل إلى مثل هذه الموارد الّتي تسيء لإخوانكم، وتعلّقوا عليها في الهامش، انتصاراً للحق، وسعياً وراء تمتين الروابط بين المسلمين وتعزيز العلاقات بينهم، ودمتم بكلّ خير.

المخلص لكم

جعفر السبحاني

١٨ جمادى الآخرة ١٤٢٦ هـ

١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الفاضل المحقّق الشيخ جعفر السبحاني

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد سعدت بتواصلكم وتحميلكم ثنايا رسالتكم ما أبديتموه، كما أفدتموني كلاماً نفيساً عالي القيمة والأثر.

ولقد تضمّنت رسالتكم تنبيهات ومساءلات أرى من منطلق ما أفدتمونيه من كلام أحد علمائكم أن تكون عدم المحاباة أساس البحث والمناظرة، فلذا سأجعل جوابي إليكم مفصّلاً بعض الشيء، وأرجو أن يتسع له صدر المتلقي.

١. بالنسبة لموضوع ما جرى من بني أُمية خلال حكمهم، وما فعله يزيد ـ قاتله الله ـ ابن سيدنا معاوية ، فهذا ممّا لا نشك في انتقام الله منه، ومن أعوانه الظلمة عاملهم الله بعدله.

٢. لكن لماذا لا نكون منصفين لله ثمّ لتاريخنا، ماذا فعل بنو العباس في آل بيت رسول الله ﷺ من أجل الوصول إلى سدة الحكم والبقاء فيها مع بني عمومتهم، ومن هم أحق بالخلافة منهم؟ أليس ما فعلوه بهم كان

ممكناً فعلـه مـع سيدنا الحسين عليه السلام وآل بيته؟، أليس جرائمهم في آل البيت أكثر وأشنع؟

فعلينا أن نكون منصفين، ولا نجعل مسألة الكارثة التي حلت بسيدنا الحسين وآل بيته عليهم سلام الله ورضوانه شيئاً لا يمكن أن يفعله غير بني أُمية، بل يفعله كلّ من بغى وتطلع للحكم دون مراعاة لأي رابـطة. ثـمّ هـذا المؤلف من آل البيت تكلم بما هو من الإنصاف، وكما قيل: صـاحب الدار أدرى بما فيه، وهو من ذرية الإمام الحسين عليه السلام. فما قولكم؟!

٣. ما المقصود من قولكم شيعة آل محمد. فهذا المصطلح غير واضح عندنا في عرفكم، فأمّا هو عندنا فنحن نطلقه على جميع من يحبهم وينصر قضيتهم دون أن يكون متمذهباً بمذهب آل البيت، سواء كان إمامياً، أو زيداً، أو إسماعيلياً، أو، أو... إلخ.

ونحن أهل السنّة نستمد من علومهم ونـتدارس سـيرتهم ومـناقبهم، ونربي صغارنا على وجوب حبهم جميعاً، ولكن ليس مضيقين ذلك مثلكم في الأئمة الاثني عشر فقط، بل مفهوم آل البيت عندنا واسع يشمل نسل سيدا شباب أهل الجنة عليهما السلام جميعاً.

٤. لقد أكبرت غفلتكم عن مصدر ما نقله السـيد الإمـام البـرزنجي ـ ونحن نعتبره من علماء آل البيت من أهل السنة ـ حول مسألة الإمام المهدي المشار إليها ص ٢٣٠ من كتاب الإشاعة، مع العلم بأنّ المؤلف رحمه الله تعالى قد

ذكر في ص ٢٢٩ المصدر، وختم كلامه ص ٢٣١ بقوله: انتهى ملخصاً بمعناه».

فهلا تأنيتم في القراءة وبعدتم عن التسرع الذي مصدره: حاجة في نفس يعقوب. ثمّ ما نقلتموه عن أحد الأعلام، قد سمعنا عن عدة أعلام أنّ صواعق يمينه قد أحرقت؛ وسَلِمَت.

٥. قلتم: إنّ مدينة سامراء هي مدينة سنية منذ عصر العباسيين حتى يومنا هذا، وهذه المعلومة ليست ذات فائدة في موضوع البحث، فلم يقل أحد بأنّ سامراء مدينة شيعية أو سنية حتى يكون لذلك علاقة في وجود شعائر لأي طائفة، إلّا إن كان عندكم أنّ المدينة الشيعية تكون صبغتها الدينية وعباداتكم بها غير ما يعرفه المسلمون.

ثمّ قلتم بعد استنكاركم أن يفعل الشيعة ما ذكر، وقلتم أنّ زيارة الشيعة لمرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام في سامراء والصحن الذي فيه السرداب، هو تعبير حبهم ووفائهم، لكن كيف حورتم في الكلام وقلتم بأنّ الصحن يكثر وجوده في بيوت العراق القديمة، ولم تبينوا هل عند الشيعة، أم عند غيرهم قصدتم.

ثمّ أين الإمام الغائب إن لم تقول الشيعة أو الرافضة أنّه دخل السرداب، فأين غاب؟!

٦. ما ذكرتم من مجانبة المؤلّف للحقيقة في ردّه على الرافضة ـ ما هو الفرق عندكم بين مصطلح الرافضة والشيعة ـ ص ٣٩، أرى من الواجب أن

تفيدوا بما هو الحق عندكم، وما هو موقفكم مما ذكر من قول الرافضة مما لم تكملوا نقل عبارته عن المؤلف كاملة؟

٧. معلومة أخيرة أحب إفادتكم عنها أنّ الكتاب قد طبع في لبنان وليس بالسعودية، وهو يوزع على نطاق واسع بالعالم الإسلامي، وتوجد له عدة طبعات داخل المملكة وخارجها وليس هو محظور في المملكة العربية السعودية.

أرجو في ختام هذه العجالة أن لا يضيق صدركم، وأن يكون عملي هذا مطابقاً لقولكم في هذه الأعمال تنأى عن الجمود والتحجّر، أو الانصياع لبعض الرؤى وإن حفلت بالمتناقضات، وقيدت من آفاق النظر.

نصر الله الحق وأهله ووفق لما يحبه الله سبحانه وتعالى ورسوله عليه وعلى آله أجمعين الصلاة والسلام.

ودمتم بخير

خادم العلم وطلابه

بمدينة المصطفى ﷺ

حسين محمدعلي شكري

١٥/شعبان/١٤٢٦هـ

١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الأُستاذ الكريم حسين محمدعلي شكري أعزكم الله تعالى

السلام عليكم ورحمة وبركاته

انتهز فرصة الإجابة عن رسالتكم المؤرخة في ١٥/شعبان/١٤٢٦هـ لأعبّر لكم عن أطيب تحياتي، وأصدق دعواتي بقبول صيامكم وأورادكم في هذا الشهر الفضيل شهر رمضان المكرّم، راجين المولى جلّ شأنه أن يسدّد خطاكم على طريق الخير والفلاح.

أمّا بعد؛

فنحن نشاطركم رأيكم السديد الّذي أبديتموه في رسالتكم بشأن ما فعله بنو العباس من جرائم مع بني عمومتهم من أجل الوصول إلى سدة الحكم والبقاء فيها.

ولا ريب في أنّ الحكام المستبدّين منهم قد فاقوا حكّام الشجرة الملعونة في القرآن في ظلم واضطهاد المسلمين عامة، والعلويين بشكل خاص، ومنهم أئمّة أهل البيت الذين عاصروا تلك الفترة (جعفر الصادق وموسى الكاظم وعلي الرضا ومحمد الجواد وعلي الهادي والحسن العسكري عليهم السلام)[1] الذين تعتقد الشيعة الإمامية بإمامتهم وعصمتهم، ويجلّهم

---

١. كان المتوكل العباسي قد أحضر الإمام علي الهادي من المدينة وأقرّه بسامراء(وتسمّى

سائر المسلمين ويُشيدون بفضائلهم ومناقبهم ومكانتهم العلمية والدينية.

إنّ الحقّ الّذي صدعتم به وصدع به الواعون من أبناء الأُمّة سيعلو بلا شك على الرغم من كلّ المساعي الّتي بُذلت وتُبذل للتغطية على تلك الجرائم أو تبريرها، وستملأ الأسماع تلك الصرخة الّتي أعلنها منذ مئات السنين الشاعر الفحل والفارس المغوار أبو فراس الحمداني، وهو يتحدّث عن المآسي الّتي لحقت بآل عليّ وأهل البيت عليهم السلام على أيدي بني العباس، فيقول من جملة قصيدة في ذلك:

ما نالَ منهم بنو حربٍ وإن عظُمت ... تلك الجرائر، إلّا دون نيلِكُم

كم غدرةٍ لكُم في الدين واضحة ... وكم دمٍ لرسول اللّه عندكمُ

أأنتم آلُهُ فيما ترون، وفي ... أظفاركم من بنيه الطاهرين دم

لا يطغَينَّ بني العباس ملكهُمُ ... بنو عليّ مواليهم وإن رغموا

أتفخرون عليهم لا أبا لكمُ ... حتّى كأنّ رسول اللّه جدُّكمُ

وما توازنَ يوماً بينكم شرف ... ولا تساوتْ بكم في موطنٍ قدم

ليس الرشيد كموسى في القياس ولا ... مأمونكم كالرضا إن أنصفَ الحكم

باءوا بقتل الرضا من بعد بيعته ... وأبصروا بعض يوم رُشْدَهم وعَموا

العسكر)، فعُرف (هو وابنه الحسن) بالعسكري، وغلبت هذه النسبة على ابنه أكثر. قال اليافعي في ترجمة (علي بن محمد الهادي): كان متعبّداً فقيهاً إماماً. مرآة الجنان:٢/١٥٩ـ ١٦٠(سنة ٢٥٤هـ).

كما أنّ جمهور الناس كان ينشد هذا البيت الساخر الّذي اشتهر في عصرهم:

يا ليت جور بني مروان دام لنا   وليت عدل بني العباس في النار

وإنّني إذ أُقدّر قولكم (فعلينا أن نكون منصفين)، وجسّدتموه فعلاً في موقفكم من يزيد ـ قاتله اللّه ـ و الطغاة من بني العباس، آمل أن يكون هذا الإنصاف، هو المنطلق في نظرتكم إلى معاوية بن أبي سفيان أيضاً.

فيزيد المتفق على فسقه وفجوره، لم يكن ليقترف ما يقترف من جرائم، لولا سعي أبيه الجادّ وبكل الوسائل غير النزيهة ـ كما حفلت بذكر ذلك التواريخ ـ إلى تنصيبه ملكاً، وتسليطه على المسلمين.

والداهية الكبرى، هي أنّ أباه كان يعلم علم اليقين بما تنطوي عليه شخصية ولده من رجس ودنس، ولكنّ عدم مبالاته بالأُمّة واستهزائه بالشريعة وهواه في ولده (كما أعرب هو بنفسه عن ذلك بقوله: لولا هواي في يزيد لأبصرت قصدي ـ أو طريقي ـ)[1]، كلّ ذلك وغيره، هو الّذي دفعه إلى اتخاذ هذا الموقف المُشين.

ليت شعري، هل كان خفيَ عليه ما قاله ولده يزيد في الجيش الّذي أصابه الجوع والمرض عند غزوه للقسطنطينية، وكان يزيد قد تخلّف عنه، فأنشا يقول:

ما إن أُبالي بما لاقت جموعهمُ   بالفرقدونة من حمّى ومن مومِ

١ . تاريخ مدينة دمشق: ٣٩٥/٦٥، برقم ٨٣٤٩ (ترجمة يزيد).

إذا اتكأتُ على الأنماط مرتفقا   بديْر مرّان عندي أُمّ كلثوم[١]

فطوبى لك يا أبا يزيد، إذ مكّنتَ يزيد الابنَ المدلّل المائع من العرش، ليزيد في عدد صفحات حياتك السوداء، وليكن موبقة من موبقاتك الكثيرة، والّتي لم يذكر منها الحسن البصري سوى أربعة، وكفى بها لمن أبصر واعتبر، قال ﷺ: (أربع خصال كنّ في معاوية، لو لم تكن فيه إلّا واحدة لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأُمة بالسيف حتّى أخذ الأمر من غير شورة وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه بعده ابنه سكّيراً خمّيراً يلبس الحرير ويضرب الطنابير، وادعاؤه زياداً وقد قال رسول اللّه ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر، وقتله حُجراً وأصحابه، فيا ويلاً له من حُجر! ويا ويلاً له من حجر وأصحاب حجر).[٢]

إنّ انتزاءه على هذه الأُمّة بالسيف، وقيادته للفئة الباغية[٣] على الخليفة الشرعي الإمام علي عليه السلام (الّذي بايعه المهاجرون والأنصار وسائر المسلمين) قد أثخن الأُمة بالجراح وأوهنها وأطمع فيها المتربصين بها، وكأنّ في أُذنيه وقراً عن سماع ما هتف به النبي الأكرم ﷺ من فضائل أمير المؤمنين ومناقبه الجمّة، والّتي لو حظي بواحدة منها (معاوية) لتبجّح بها ليله ونهاره، ولذا راح المتزلفون والمتعصّبون ينسجون الروايات الكاذبة في فضائله، ولكنّ اللّه

١. الكامل في التاريخ:٣/٤٥٨ـ ٤٥٩(سنة ٤٩هـ)، وفيه: أنّ أُمّ كلثوم امرأته، وهي ابنة عبد اللّه بن عامر.

٢. تاريخ الأُمم والملوك:٣/٢٣٢(سنة ٥١هـ)، الكامل في التاريخ:٣/٤٨٧(سنة ٥١هـ).

٣. قال الذهبي: وقُتل عمّار مع عليّ، وتبيّن للناس قول رسول اللّه ﷺ: تقتله الفئة الباغية. سير أعلام النبلاء:٣/١١٩، برقم ٢٥(ترجمة معاوية).

تعالى قيّض من تصدّى لدحضها وتزييفها.

ولعلّ في قصة الحافظ أبي عبد الرحمن النسائي خير دليل على عقم تلك الجهود، إذ بان الصبح لكلّ ذي عينين لما قال (وقد سُئل في دمشق عن فضائل معاوية): ما أعرف له فضيلة إلّا «لا أشبع اللّٰه بطنه»[١]، ولكن كلمة الحقّ هذه جعلته يدفع الثمن باهضاً، إذ داسه الجامدون وعُبّاد الرجال وأخرجوه من المسجد، فلم يزل عليلاً إلى أن توفّي ﷺ.[٢]

أمّا الملاحظات والتساؤلات الّتي وردت في رسالتكم، فنمرّ عليها مروراً سريعاً، لأنّ المجال لا يتسع لأكثر من ذلك:

الفائدة من معلومة أنّ مدينة سامراء سُنيّة، هي أنّ تلك الشعائر المنسوبة كذباً للشيعة، لو كان لها نصيب من الواقع لتحدّث عنها أهل تلك المدينة ولشاعت بين أهل العراق، ولكنّنا لا نجد من يتحدّث عنها (في العصور الماضية) سوى من نأى عن ذلك البلد وعن أهله، وتحكّم به التعصّب المقيت، ثمّ كيف يتأتّى للشيعة ممارسة شعائرهم عصر كلّ يوم في مدينة ليس لهم فيها تواجد عبر القرون، لا سيما في عصر مختلق هذه الفرية؟؟!! وهذا هو المراد من قولنا: إنّ مدينة سامراء مدينة سنيّة.

وأرغب إليك ـ عزيزي الشيخ ـ أن تحسن الظنّ بإخوانك الشيعة الذين ينفون عن أنفسهم ممارسة تلك الشعائر التافهة، وليس ثَمّة عبادات

---

١ . رواه الطيالسي في مسنده: برقم ٢٦٨٨.

٢ . انظر: وفيات الأعيان: ١ / ٧٧ برقم ٢٩؛ سير أعلام النبلاء: ١٤ / ١٢٥ برقم ٦٧.

عندهم يؤدونها في مدنهم غير ما يعرفه المسلمون.

كما أنّنا لم نلجأ إلى تحوير الكلام، وإنّما كان قصدنا انّ السراديب ـ لا الصحون كما فهمتم ـ يكثر وجودها في بيوت العراقيين، ومن هنا ينتفي تساؤلكم حول وجودها في بيوت الشيعة أو في بيوت غيرهم.

ومن الغريب قولكم: أين الإمام الغائب إن لم تقل الشيعة أو الرافضة أنّه دخل السرداب، فأين غاب؟!

فكأنّ الأمر منحصر في طريق واحد، وكأنّ قدرة اللّٰه تعالى ـ إذا اقتضت حكمته جلّ شأنه حفظ إنسان لمصلحة رسالية ـ محدودة وليست مطلقة، ولنا في تاريخ الأنبياء والأولياء شواهد عديدة تعلمونها.

أمّا الفرق بين مصطلح الرافضة والشيعة، فنحن لا نستعمل مصطلح الرافضة، ولا تجد شيعياً واحداً يُطلق على نفسه هذا المصطلح الّذي استحدثه بعض المتعصبين والمغرضين، وأُلصق بالشيعة الّذين ناهضوا الطغاة والفجّار في محاولة منهم لتشويه سمعتهم، وإبعادهم عن ساحة الحياة، وتهميش أو إلغاء دورهم فيها.

وأمّا عن مصطلح شيعة آل محمد، فهو واضح وضوح الشمس في رابعة النهار، وقد تولّى فريق من علماء الشيعة الإمامية ـ قديماً وحديثاً ـ عرض عقائد الشيعة وأفكارهم وشرحها وتبيينها بشكل وافٍ، وبإمكانكم الرجوع إليها والاطلاع عليها.

ولست أدري كيف ترون: أنّ مفهوم آل البيت واسع، يشمل نسل

سيدي شباب أهل الجنة عليهما السلام ؟!

ولعلكم ـ سماحة الشيخ ـ لم تلتفتوا إلى الآية الكريمة﴿إِنّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1] وغيرها من الآيات والأحاديث الّتي خصّصت أهل البيت بأفراد معينين،[2] وإلّا فإنّ جمعاً غفيراً جداً من ذرية السبطين عليهما السلام ، ستشمله ـ حسب المفهوم الّذي ذكرتموه ـ هذه الآية وغيرها، ويصبحون جميعهم مُبرَّأين من الإثم مطهّرين من مذامّ الأخلاق،[3] وهذا أمر لا يقبله المنطق، ولا يؤيده الواقع.

أمّا بشأن التأنّي في القراءة والابتعاد عن التسرّع، فهو أمر لازم لكلّ باحث موضوعي، ومن هنا يتسع صدره لمن يُذكّره به، بيد أنّ النصّ الموجود في (ص ٣٢٠) من كتاب الإشاعة قد تمّت قراءته جيّداً، وأوردناه كما هو، ولم ننسبه للمؤلف، بل صدّرناه بقولنا(وإنّي أرى المؤلف قد أحسن الظن ببعض من كتب عن الإمامية، فأورد في كتابه هذا بعض كلماتهم)،

---

١ . الأحزاب:٣٣.

٢ . أخرج مسلم بسنده عن عائشة، قالت: خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم غداة، وعليه مرط مرجّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثمّ جاء الحسين فدخل معه، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء علي فأدخله، ثمّ قال: ﴿إنّما يريد...﴾ الآية. انظر: صحيح مسلم برقم (٢٤٢٤)، وحديث الكساء هذا رواه أحمد في مسنده:٦/٢٩٨ و ٣٠٤؛ والترمذي برقم (٣٢٠٥) و (٣٧٨٧) وغيرهما.

٣ . قال ابن حجر: ثمّ هذه الآية منبع فضائل أهل البيت النبوي لاشتمالها على غرر من مآثرهم والاعتناء بشأنهم، حيث ابتدأت بـ(إنّما) المفيدة لحصر إرادته تعالى في أمرهم على إذهاب الرجس الّذي هو الإثم أو الشك فيما يجب الإيمان به عنهم ويطهرهم من سائر الأخلاق والأحوال المذمومة. الصواعق المحرقة:١٤٤، الباب الحادي عشر، الفصل الأوّل.

والاشتباه فقط في المصدر الّذي نقل عنه المؤلف، ولا نرى كبير أهمية لذلك، لأنّ كليهما (ابن حجر الهيتمي وصاحب ذلك المصدر) سيّان في التعصب على الشيعة والتحامل عليهم والتحدث عنهم بغير دليل ولا برهان.

والأمر الّذي كنّا قد رجوناه، ونعتب فيه عليكم، هو مروركم على مثل هذه الخرافة دون التحقيق فيها والتعليق عليها، والعتب علامة الحبّ كما تعلم.

أُحييكم مرة أُخرى، ولكم مني وافر التقدير والاحترام.

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته

جعفر السبحاني

٦ رمضان المبارك ١٤٢٦هـ

الفصل الثالث:

مراسلاتنا مع الدكتور عيسى بن عبدالله بن مانع الحميري

٢٠



فضيلة الشيخ / جعفر السبحاني الموقر

المدير العام لمؤسسة الإمام الصادق عليه السلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد

تلقيت رسالتكم الكريمة بالفرحة والسرور لما تنم عنه من صدق المحبة والثقة العلمية فيما بيننا (فالعلم رحم بين أهله)، وما استفسرتم عنه في مسألة القبض في الصلاة على مذهب الإمام مالك، بأنّه: ليس بحرام، ولكنه مكروه في الفرض، مسنون في النفل، وسبب ذلك أنّ الإمام مالك نظر في أحاديث القبض فوجدها مضطربة متناً ـ أي لم يأت الخطاب فيها متحد الكيفية ـ لذلك حكم عليها بالاضطراب، أمّا حديث وائل بن حجر الذي في

الموطأ وفي صحيح مسلم وفي البيهقي فهو حديث صحيح سنداً مضطرباً متناً كما قرره مفتي المالكية الشيخ محمد عابد وغيره من علماء الفن.

وقد أرفقت بهذا الخطاب رسالة الشيخ محمد عابد (القول الفصل في تأييد سنة السدل) في هذه الرسالة.

شاكرين لكم حسن تعاونكم معنا

وتفضلوا بقبول وافر الشكر والتقدير

الدكتور عيسى بن عبدالله بن مانع الحميري

عميد كلية الإمام مالك للشريعة والقانون

دبي

١٠ ربيع الآخر ١٤٢٧ هـ

٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة الدكتور عيسى بن عبدالله بن مانع الحميري المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد تسلمنا بيد الشكر والتقدير كتاب العلّامة السخاوي مع تقديم رائع بقلم سماحتكم.

وقد اطّلعنا على التقديم وبقيت قراءة الجزء الثاني، فشكر الله مساعيكم في نشر مآثر آل البيت والدعوة إلى حبهم.

غير أن هناك أُموراً أُحب أن أعرضها عليكم:

١. قمنا بترجمة حياة العلّامة السخاوي في موسوعة طبقات الفقهاء[1] وأوردنا فيها آثاره، وذكرنا في الهامش المصادر الّتي جاء فيها ذكر السخاوي.

٢. ذكرتم في الصفحات الأُولى من الجزء الأوّل أشعاراً تتضمن مدح النبي الأكرم والخلفاء من بعده وفاطمة الزهراء وغيرهم، ولكن الّذي

١. موسوعة طبقات الفقهاء: ١٠ / ٢٤٠ ـ ٢٤٢.

استوقفني هو أنكم قد أفضتم البيان في ذكر مآثر الخلفاء الثلاثة وأوجزتم فيما يخص الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الّذي هو باب مدينة علم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأخوه.

وكانت أشعاركم في ذلك لا تتجاوز الأربعة أبيات، ولذا أحببت مشاركتكم في هذا الميدان، وأبعث إليكم الأبيات التالية لتكون متممة لما كتبتم وإليكم هذه الأبيات، الّتي نفضّل أن تكون بعد البيتين التاليين:

ويليه في الفضل المبين مهنّد صنو الرسول وقوسه الختميُّ

قد جاء في غرر المواكب رفعة والختم في الأُخرى به حتميّ

***

كم موقفٍ نكص الأشاوسُ دونه

قد خاضه زينُ الهداة: عليُّ

ومشىٰ إلى الموت الزؤام كأنّه

أزيّ لديهِ، سائغ وشهيُّ

فاق الورىٰ علماً، وبذّ أولي النُّهىٰ

حُكماً، وإنْ شئت الندىٰ فَسَريُّ

آخاه من دون الأنام محمدٌ

أمرٌ رواه المسلمون جليُّ

وغدا ربيعَ العدل في قيظ الدُّنىٰ

يزهو، ويعبق عطره المسكيُّ

لا غَـزْوَ أن عـانىٰ هَـواكَ سَـلامةٌ [١]

حــــتّى بــــدا، وكأنــــه شــــيعيٌّ

فهواك ريحانُ المحبّ ورَوْحُهُ

وهواك وحدك حلمُهُ الورديُّ

٣. ذكرتم في المطلب الثالث الاختلاف في مفهوم آل البيت عند المفسرين وأن هناك اتجاهات، والحق أن يقال أن هنا اتجاهاً واحداً، ويعلم ذلك من التدقيق في الآية الكريمة، بالبيان التالي:

انّه سبحانه يقول: ﴿وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَ لاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْـجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَ أَقِمْنَ الصَّلاةَ وَ آتِينَ الزَّكَاةَ وَ أَطِعْنَ اللهَ وَ رَسُولَهُ﴾. [٢]

ثم يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [٣].

فالفقرة الأُولى من الآية تشير إلى بيوت ولها أهلها وهن أزواج النبي.

والفقرة الثانية تشير إلى بيت واحد وله أهله.

فمعنىٰ المقابلة أنّ أهل ذلك البيت غير أهالي البيوت المتبقية. ومع هذا فكيف يحتمل دخول أزواج النبي ﷺ في مفهوم أهل البيت الّذي أشرتم إليه في الاتجاه الأوّل.

---

١. هو الشاعر المسيحيّ المفلق بولس سلامة، صاحب الملحمة الشعرية الرائعة في أهل البيت عليهم السلام.

٢. الأحزاب: ٣٣.

٣. الأحزاب: ٣٣.

إنّ اللام في أهل البيت لام عهد تشير إلى بيت معهود فيجب أن نبحث عن هذا البيت المعهود، وليست اللام هي لام الجنس كما هو معلوم. والروايات تفسر وتحدد هذا البيت كما هو واضح لمن تدبر الروايات الواردة حول الآية.

إن أوّل من سمّى متابعي «علي» بالشيعة هو النبي الأكرم ﷺ، وقد ورد في ذلك قرابة أربعين حديثاً عن النبيﷺ نقل بعضها الحافظ السيوطي في تفسير قوله سبحانه: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾**[1] .

٤. لقد أفضتم الكلام حول الرفض والروافض وذكرتم أنّ وجه تسمية الشيعة بالروافض هو أنّهم طلبوا من زيد بن علي أن يتبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر. وقال رداً عليهم: «كانا وزيري جدّي، وحكما فعدلا» فتركوه ورفضوه، وارفَضُّوا عنه، فسميت الرافضة والنسبة رافضي.

والحق أنّ الرواية غير صحيحة، كما أنّ ما ذكرتم أنّ الروافض كل جُندٍ تركوا قائدهم، مثل السابق.

بل الرفض مصطلح سياسي لا يختص بمن رفض الشيخين، أو تركوا قائدهم.

ان مصطلح الرافضة كان قد استُعمل قبل أن يولد زيد بن علي ومن بايعه من أهل الكوفة، وهو يطلق على كل جماعة لم تقبل الحكومة القائمة،

---

١ . البيّنة: ٧.

سواء أكانت حقاً أو باطلاً.

هذا هو معاوية بن أبي سفيان يصف شيعة عثمان ـ الذين لم يخضعوا لحكومة علي بن أبي طالب عليه السلام وسلطته ـ بالرافضة، ويكتب في كتابه إلى «عمرو بن العاص» وهو في البيع في فلسطين أمّا بعد: فإنّه كان من أمر علي وطلحة والزبير ما قد بلغك، وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في رافضة أهل البصرة وقدم علينا جرير بن عبدالله في بيعة علي وقد حبست نفسي عليك حتّى تأتيني، أقبل أُذاكرك أمراً.[١]

وأنت ترى أن معاوية يصف من جاء مع مروان بن الحكم بالرافضة وهؤلاء كانوا أعداء علي ومخالفيه، وما هذا إلّا لأن هؤلاء الجماعة كانوا غير خاضعين للحكومة القائمة آنذاك.

٥. ذكرتم في الصفحة (١٦١) قولاً بأن غلاة الشيعة يعترضون على أغلب صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وينكرون جهودهم، وان الناس ارتدوا غير أربعة أو غير ستة.

نقول: إنّ وزان رواية ارتداد الصحابة نظير ما رواه البخاري عن أبي هريرة، الّذي كان يحدث أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يرد عليّ يوم القيامة رهط من أصحابي فيحلّؤون عن الحوض، فأقول: يارب أصحابي، فيقول: إنّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى».[٢]

---

١. وقعة صفين: ٢٩.

٢. صحيح البخاري: ٤ / ٢٢٨، برقم ٦٥٨٥.

وهناك تسع روايات أُخرى تحمل هذا المعنى، والفريقان أمام هذه الروايات شرع سواء.

وبما أنّ البحث في هذا الموضوع غير مفيد في ظروفنا الحالية الّتي تحالف فيها الكفر على ضرب الإسلام والنيل من المسلمين بدون تمييز بينهم، فلا نطيل البحث، والحرّ تكفيه الإشارة.

شكر الله مساعيك إذ أديت حق البحث في آل البيت وفي الدفاع عن الشيعة خصوصاً في مسألة التحريف.

وكان الأَولى ترك البحث في فرق الشيعة والخوارج، والتركيز بدلاً من ذلك على الهدف الّذي كنت ترومه من نشر كتاب العلّامة السخاوي.

جعلنا الله وإياكم ممن تناله شفاعة محمد وآله الطاهرين

والسلام عليكم وعلى من حولكم من الأعزاء

جعفر السبحاني

٢٤ ربيع الثاني ١٤٢٩ هـ

الفصل الرابع:

مراسلاتنا مع الشيخ صالح بن عبدالرحمن الحصين

٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة العالم الجليل الشيخ صالح بن عبد الرحمن

المحترم دامت معاليه

رئاسة شؤون الحرمين الشريفين

السلام عليكم ورحمة اللّٰه وبركاته

أرجو من اللّٰه سبحانه أن يوفّقكم لما فيه مرضاته، ويسدّد خطاكم في سبيل تحقيق الوحدة الإسلامية إنّه على ذلك قدير.

كان للقائي بفضيلتكم في مكة المكرمة ـ زادها اللّٰه شرفاً ـ تأثير بالغ في نفسي إذ وجدت فيكم الوعي والانفتاح وبالتالي حمل هموم الأُمّة الإسلامية، فلم أزل أذكركم بين الزملاء والأساتذة بالخير.

الّذي دعاني إلى كتابة هذه الرسالة، هو التأكد ممّا نُقل عن بعض

المحاضرين في الحرم الشريف، ليلة الثالث عشر من رجب ١٤٢٤هـ أنّه أجاب عن حلّية ذبيحة من يزور القبور أوّلاً، ويذبح لها ثانياً:

«إنّ هذا الشخص مشرك ولا تحلّ ذبيحته».

لا أظنّ أنّ الجواب كان على هذا الوجه، وانّ فضيلتكم ـ بحمد اللّه ـ أعلم بحدود التوحيد والشرك والإيمان والكفر، ولعل السامع اشتبه عليه لفظ المحاضر، وعلى كلّ تقدير فالجواب خاضع للردّ.

وذلك **أوّلاً**: إنّ زيارة القبور أمر مستحب أجمع عليه العلماء، وإن اختلفوا في زيارة النساء لها. ونحن لا نناقش في الاستثناء.

وأمّا الذبح لأصحاب القبور والضرائح أو الأنبياء والأئمّة، فله صورتان:

١. أن يكون الذبح باسم أصحاب القبور، فلا شكّ في أنّه من الشرك، لأنّ الذبح لغيره سبحانه أمر محرّم يشمله قوله سبحانه:﴿**وَمَا ذُبِحَ عَلى النُّصُبِ**﴾.[١]

لكن، لا أظن أنّ أحداً من المسلمين يذبح لأصحاب القبور والضرائح بهذا المعنى.

٢. أن يكون الذبح للّه سبحانه والغاية منه انتفاع الأموات بثوابه. وهذا لا مانع فيه، ومثال ذلك أن يقول الشخص مثلاً: إن عوفيتُ من هذا المرض، فللّه عليّ أن أذبح شاة للنبي، فالنذر للّه، والمنتفع منه هو النبي.

وهذا هو سعد بن عبادة سأل النبي ﷺ قال: يا نبي اللّه إن أُمّي قد

١. المائدة: ٣.

افتلتت وأعلم أنّها لو عاشت لتصدقت أفإن تصدّقت عنها أينفعها ذلك؟

قال ﷺ :«نعم». فسأل النبي ﷺ : أيّ الصدقة أنفع يا رسول اللّه؟ قال: «الماء». فحفر بئراً، وقال: هذه لأُمّ سعد.

واللام في قوله: «هذه لأُمّ سعد» لبيان من يهدي إليه الثواب، كاللام في قول الناذر: للنبيّ أي ثوابه له.

وليست من قبيل اللام الداخلة على المعبود المتقرب إليه، مثل قولنا: «نذرت للّه»، بل اللام في قوله«لأُمّ سعد» للانتفاع أو الاختصاص مثل اللام الواردة في قوله تعالى: ﴿**إِنّما الصَّدقَاتُ لِلْفُقَراءِ**﴾.[1]

فاتّضح انّ اللام في قوله:«هذا للنبي أو للوليّ» كاللام في قوله : هذه لأُمّ سعد، فالقوم ـ على ضوء هذا الحديث ـ سعديون لا وثنيون، فالذبح مطلقاً للّه والمنتفع به من ذبح له لأجل انتفاعه بثوابه. والرائج عند من ينذر للنبي أو الوليّ هو هذا الصنف لا غير.

والروايات[2] في هذا المضمار أكثر من أن تُذكر في هذه الرسالة.

سبحان اللّه!! تؤكل ذبيحة اليهودي والنصراني في الحرمين الشريفين، مع أنّها ذبيحة لم يذكر عليها اسم اللّه﴿**وانّهُ لَفِسْقٌ**﴾، لكن لا تباح ذبيحة من آمن باللّه رباً، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً، وبالقرآن كتاباً وبالكعبة قبلة؟!

---

١ . المائدة: ٦٠ .

٢ . للوقوف على مصادر هذه الروايات: يلاحظ: صحيح مسلم، كتاب النذر: ٥ / ٧٣ و ٧٨ ؛ كنز العمال: ١٥ / ١٥ ؛ جامع الأُصول: ٨؛ والموطأ؛ والتوسّل والزيارة في الشريعة الإسلامية للشيخ الفقي: ٢٢٩ وغيرها.

أحـــرام عـــلى بـــلابله الدو ح وحلال للطير من كل جنس

وأنتم يا صاحب الفضيلة تعلمون أنّ هذه الأسئلة مدروسة وذات أغراض سياسية مريضة تطرح لغاية التفريق بين المسلمين في وقت، نحن أحوج ما نكون فيه إلى الوحدة والتآلف والوئام.

ونحن نعتقد أنّكم تنظوون على رغبة صادقة في تعزيز العلاقات بين البلدين فليقتد سائر المحاضرين بكم. فالحذر الحذر من الإجابة عن هذا النوع من الأسئلة الّذي يثير الخلاف، ويعكّر الصفو.

إنّ المنقول عن هذا المحاضر، هو نفس ما أفتى به عبد الله بن جبرين إثر استفتاء مدروس، وقد قمنا بدراسته في رسالة طبعت ضمن كتاب «الإيمان والكفر» نقدّمه إليكم مع هذه الرسالة المتواضعة.

فالرجاء الأكيد، مذاكرة المحاضر في الموضوع ودعوته إلى اتخاذ موقف صحيح، حول هذه المسائل الحسّاسة التي تثير الحفائظ، وتشتت الشمل.

ودمتم للمسلمين

جعفر السبحاني

٢٢ رجب ١٤٢٤ هـ

٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة العالم الجليل الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين
المحترم دامت معاليه

رئاسة شؤون الحرمين الشريفين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرجو من الله سبحانه أن يوفّقكم لما فيه مرضاته، ويسدِّد خُطاكم، على طريق تحقيق الوحدة الإسلامية إنّه على ذلك قدير.

تقديراً لأخلاقكم السامية وعزيمتكم الصادقة في تقريب الخطىٰ بين المسلمين أُهدي إليكم الجزء الأوّل من كتاب الحج، و هو جزء من محاضراتي في الفقه المقارن في الحوزة العلمية. والنظرة الثاقبة في المسائل المعنونة في هذا الجزء تكشف عن أنّ المشتركات بين الفريقين أكثر من غيرها، وما أصدق قول القائل: «ما يجمعنا أكثر ممّا يفرقنا».

أرجو من الله سبحانه لفضيلتكم الصحّة والعافية والسعي وراء الصالح العام للمسلمين.

ودمتم سالمين للإسلام وأهله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

جعفر السبحاني ١١ جمادى الآخرة ١٤٢٥ هـ

٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة العلّامة النحرير الفقيه المحقّق الشيخ
جعفر السبحاني دام علاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وأدعو الله أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية، وقد تلقّيت رسالتكم اللطيفة بتاريخ ١١ جمادى الثانية ١٤٢٥هـ ومعها هديتكم القيمة(الحجّ في الشريعة الإسلامية الغراء) ولا شكّ كما تفضّلتم بأنّ عبادة الحجّ تتميز بكثرة مسائلها وتشعّب فروعها وأكثر مسائلها غير مأنوس ولا متكرر، كما لا أشك أنّ هذا الكتاب القيّم وإن لم تتح لي قراءته بعد، فإنّه ينطبق عليه الوصف «وافر المقاصد جمّ المطالب»، كيف لا وهو تحرير عالم واسع الاطّلاع، عميق التفكير، صبور على مكابدة البحث، حريص على ما يجمع ولا يفرّق.

وكما دعا السيد المحقّق البروجردي فإنّي أدعو الله أن يؤلّف بين قلوب المسلمين ويجعلهم يداً على من سواهم ويوجّههم إلى أن يعملوا بقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّٰه جَميعاً وَلاٰ تَفَرَّقُوا﴾ وأن يجزيكم على ما قدمتم عظيم الأجر والثواب.

أُكرر شكري لكم وتقبّلوا لائق التحية والسلام من أخيكم

صالح بن عبد الرحمن الحصين **في ١٤٢٥/٧/٦**

٢٥



سماحة العالم الجليل الشيخ صالح بن عبدالرحمن الحصين دامت معاليه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرجو من الله سبحانه أن يديم نعمة الصحة والعافية وأن يرزقنا زيارة بيته الحرام والمشاعر المشرّفة.

أُرفق رسالتي الأخوية هذه بـاهداء كـتاب «تـاريخ الفـقه الإسـلامي» والّذي يتعرض لدراسة ما مرّ به الفقه الإسلامي من المراحل، والكتاب بحق خير وسيلة في سبيل تعزيز الوحدة الإسلامية، حيث تضمّن بيان أدوار الفقه الشيعي إلى جنب الفقه السني، والتقدير لجهود علمائنا في إيناع ثمار ذلك الميراث عبر قرون.

أُكرر شكري لكم وتقبلوا منا التحية والتقدير

جعفر السبحاني

٣ ربيع الأوّل ١٤٢٧ هـ

الفصل الخامس:

مراسلتنا مع الشريف أنس الكتبي الحسني

٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الفاضل الفقيه الشريف أنس الكتبي الحسني حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرجو من الله سبحانه الصحة والعافية لكم ولمن حولكم من الأعزاء.

أخبرني الصديق العزيز الأُستاذ «رضواني» حفظه اللّه أنّ جنابكم بصدد تأليف كتاب حول المذاهب الإسلامية، مضيفاً إلى المذاهب الأربعة المذهب الإمامي والمذهب الزيدي.

فسررت بسماع ذلك فكيف بمشاهدته إن شاء اللّه تعالى، وهو خطوة كبيرة على طريق التقريب بين المذاهب الإسلامية.

إنّ الفقه الإسلامي ثروة كبيرة تركها فقهاء الإسلام جيلاً بعد جيل حتّى وصل إلى القمّة من الكمال وهو بحمد اللّه مستعد لحلّ الأزمات القانونية

الّتي يعاني منها الغرب والشرق.

وقد أرسلنا إليكم عن طريق الصديق كتاب «الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف» في أجزائه الثلاثة، والّذي يتناول المسائل الفقهية الّتي اختلف فيها الفريقان تماماً وطرحنا هناك أدلة المذهب الإمامي فليكن هذا مساهمة صغيرة في مشروعكم السامي.

والّذي اقترحه عليكم هو أن تتخذوا مساعداً في تدوين هذا المشروع خصوصاً بما يتعلق بالمذهب الإمامي والزيدي ليركزوا على الرأي السائد بينهم لا على كتاب خاص، وهذا أمر تخصصي لا يقوم به إلّا الأمثل فالأمثل في حق الفقه الإمامي.

وختاماً أسألكم الدعاء في مواقع إجابته خاصة في الحرم النبوي الشريف سلام اللّه على صاحبه سلاماً لا نهاية له ولا أمد.

والسلام عليكم ورحمة اللّه بركاته

جعفر السبحاني

١٨ ذي القعدة الحرام ١٤٢٥ هـ

٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله الشيخ جعفر السبحاني دام ظله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

من جوار قبر المصطفى وأهل بيته الأطهار أئمة الهدى في بقيع الغرقد عليهم الصلاة والسلام. وتلك الروضة الشريفة والقبة الخضراء، وذكريات الرعيل الأوّل من بيت النبوة حيث بيت النبي الأعظم ﷺ ودار الزهراء وزوجها الإمام المرتضى ابن عم المصطفى ومحلة الهاشميين وانطلاق الدعوة وهم منبع الرسالة ومعدن الحكمة، الشجرة اليانعة الّتي أحكمت عروقها فصلى الله على محمد وآل محمد وعجل فرجهم.

بهذه العبارات بدأت هذه الرسالة وتلك المعاني الّتي يجهلها كثير من المسلمين ولا يعرفون حقيقة الأمر، فأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يرزقنا وإيّاكم محبة نبيه وأهل بيته الخالصة إلى يوم الدين.

لقد سعدت كثيراً برسالتكم التي سلّمني إياها الأُستاذ رضواني حفظه الله وتمعنت بها، وقد كانت دافعاً وتشجيعاً كبيراً للاستمرار في العمل على إخراج موسوعتي الفقهية على المذاهب المشتهرة، وأقول ـ ولو أنّنا لم نلتقي من قبل ـ لكني أعرفك جيداً وليَّ بك صلة وثيقة ممّا تعلمته من مؤلفاتك النافعة وموسوعاتك الدينية التي وصلت إلى أيدينا وعرفتنا الكثير من الحقائق، ومنها أحببنا الشيخ السبحاني ذلك العلّامة الّذي أغنى المكتبة

الإسلامية بالمؤلفات النافعة وهو إضافة إلى ذلك يعد في مقدمة علماء العصر.

سماحة الشيخ أود أن أوضح لكم أنّ عملي في الموسوعة يعتمد على أُصول الكتب، وهو بصفة مبسطة إلى جميع طبقات المجتمع، فقد اعتمدت على أُمّهات الكتب لأُصول المذاهب، وقد أضفت أخيراً إلى المذاهب الستة المذهب السابع الإسماعيلي لتقاربه في كثير من الأحكام والعبادات والمعاملات مع المذاهب الستة .

وإنّني على عجل أكتب لكم هذه الرسالة وسوف أثقل عليكم قليلاً بأنّي حال انتهائي من الكتاب سوف أُرسله لكم لأتشرف بمراجعتكم، ووضع الملاحظات إن وجدت .

على كلّ حال أُؤكد لكم مدى سعادتي بالتخاطب معكم وأتمنى أن يكتب الله لكم الزيارة للمدينة المنورة في موسم العمرة لنتشرف بخدمتكم سائلاً المولى أن يحفظكم من كل سوء. وأُوصيكم أن لا تنسوني من الدعاء في الخلوات والجلوات، وصلى الله على محمد وآل محمد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حرر وجرى بمدينة خير الورى

دار المجتبى

كتبه على عجل ابن الحسنين

الشريف أنس بن يعقوب الكتبي الحسني

يوم الغدير وعيد الولاية

١٨ ذي الحجة ١٤٢٥ هـ

الفصل السادس:

مراسلاتنا مع الدكتور فاروق حمادة

٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده .

الأخ الكبير، العلّامة آية الله جعفر السبحاني، رعاه الله[١]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد أطيب التحية بطلعة شهر رمضان المبارك، وكل عام وأنتم بخير.

فإني أسأل الله تعالى أن تكونوا ومن حولكم ممتعين بالصحة والسلامة.

أخي العزيز:

لما كنت في مدينة قم، زرت مكتبة آية الله المرعشي، واستقبلنا الدكتور

١ . هذه الرسالة بعثها لنا الدكتور فاروق حمادة وهو أُستاذ علم الحديث في الأكاديمية الملكية في المغرب.

محمود المرعشي، وتجولت في قسم المخطوط، فوقع في يدي تفسير (أبي الحكم بن برجان) المغربي الصوفي، في مجلدين ضخمين، وسألتهم أيمكن تصويره ؟ فقالوا: نعم، ولكن وقتنا كان قصيراً، وبقيت النفس تتشوف إليه ولا تزال.

فأرجو أن تكلفوا من طلابكم النابهين من ترونه أهلاً للبحث عنه، وتصوير الأوراق الأُولى منه، في حدود ٣٠ صفحة.

مع شكرنا لكم، وشوقنا لرؤياكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم

الأُستاذ الدكتور فاروق حمادة

القنيطرة بالمغرب الأقصىٰ

٢٦ شعبان ١٤٢٥ هـ

٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي العلامة آية الله جعفر السبحاني، رعاه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد عاطر التحية والتقدير.

فأبارك لكم عيد الفطر سائلاً المولى تعالى أن يجعله رحمة ونهوضاً لأُمّة الإسلام .

وإنّي إذ أشكر لكم مودتكم وتهانيكم أُخبركم بأنّي للتو عدت للمغرب وسأتصل بصديقنا الدكتور ساجدي، لأخذ الكتب وإخباركم بذلك، وهذه ليست بأوّل مكارمكم، وسأوافيكم بكتابنا الجديد الذي حدثتكم عنه «العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي».

مع خالص المحبة

أخوكم

د. فاروق حمادة

٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأُستاذ الفاضل الدكتور فاروق حمادة

ـ دامت معاليه ـ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرجو من الله سبحانه أن تكونوا ومن يلوذ بفضيلتكم في صحة وسعادة، وسداد وعافية.

كما أشكركم لما أوليتموني به من حسن الضيافة والحفاوة التي استقبلت بها.

سيدي: فقد بعثت إليكم الكتب التالية بالبريد المسجل:

١. الخلاف للشيخ الطوسي جزءان: الخامس والسادس.

٢. مكاتيب الرسول في ثلاثة أجزاء، وهوكتاب ممتع جداً.

٣. الشفاعة في الكتاب والسنة، وقد ركزنا فيها على طلب الشفاعة من الأنبياء والأولياء .

٤. التوسل.

والرجاء الأكيد إعلامنا بوصولها إليكم.

وهذه الرسالة مرفقة بشيء يسير من الزعفران أرجو أن ينال موقع القبول.

كما أرجو أن ترسلوا الينا نسخة من مغازي ابن إسحاق المدني.

بلّغوا سلامي إلى الاخوان والأساتذة الذين تشرفنا بزيارتهم في بيتكم العامر الرفيع وأخص بالذكر الأُستاذ المفضال المفسر، والأُستاذ المتكلم الماهر، حفظهم الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ودمتم موفقين

جعفر السبحاني

١ صفر ١٤٢٥ هـ

٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

الأُستاذ الفاضل: الدكتور فاروق حمادة المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرجو من الله سبحانه أن تكونوا في صحة وعافية.

اغتنم فرصة سفر العلّامة الحجة الأُستاذ الفاضل: السيّد محمد رضا الجلالي ـ دامت بركاته ـ إلى الديار المغربية لإلقاء محاضرات فيها، لأكتب لكم هذه الرسالة، وبما أنّنا في شهر رمضان المبارك فأودّ أن أهديكم خطبة الرسول الّتي خطبها في آخر جمعة من شهر شعبان المعظم والّتي جمع فيها فضائل هذا الشهر، وقد رواها الشيخ الصدوق (٣٠٦ـ ٣٨١هـ) بسنده إلى الإمام علي الرضا عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطبنا ذات يوم فقال:

أيّها الناس إنّه قد أقبل إليكم شهرُ الله بالبركَة والرّحمةِ والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور، وأيّامه أفضل الأيّام، ولياليه أفضل اللّيالي، وساعاته أفضل الساعات، هو شهرٌ دعيتم فيه إلى ضيافة الله وجعلتم فيه من

أهل كرامة اللّٰه، أنفاسكم فيه تسبيحٌ، ونومكم فيه عبادةٌ، وعملكم فيه مقبولٌ، ودعاؤكم فيه مستجابٌ، فاسألوا اللّٰه ربّكم بنيّات صادقةٍ وقلوبٍ طاهرة أن يوفّقكم لصيامه وتلاوة كتابه، فإنّ الشقي من حرم غُفران اللّٰه في هذا الشهر العظيم، واذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوعَ يوم القيامة وعطشه، وتصدقوا على فقرائكم ومساكينكم، ووقّروا كباركم وارحموا صغاركم وصلوا أرحامكم واحفظوا ألسنتكم، وغضوا عمّا لا يحلُّ النظر إليه أبصاركم وعمّا لا يحلّ الاستماع إليه أسماعكم، وتحنّنوا على أيتام الناس يتحنَّن على أيتامكم، وتوبوا إليه من ذنوبكم، وارفعوا إليه أيديكم بالدّعاء في أوقات صلاتكم، فإنّها أفضل الساعات، ينظر اللّٰه عزّ وجلّ فيها بالرحمة إلى عباده، يجيبهم إذا ناجوه، ويلبيهم إذا نادوه، ويستجيب لهم إذا دعوه.

أيّـها النـاس إنّ أنـفسكم مـرهونة بـأعمالكم فـفكّوها بـاستغفاركم، وظهوركم ثقليةٌ من أوزاركم فخفّفوا عنها بطول سجودكم، واعلموا أنّ اللّٰه تعالى ذكره أقسم بعزته أن لا يُعذب المصلين و الساجدين وأن لا يروّعهم بالنار يوم يقوم الناس لربّ العالمين.

أيّها الناس من فطّر منكم صائماً مؤمناً في هذا الشهر كان له بذلك عند اللّٰه عتق نسمة ومغفرةٌ لما مضى من ذنوبه. قيل: يا رسول اللّٰه وليس كلنا يقدر على ذلك. فقال ﷺ : اتقوا النار ولو بشق تمرةٍ، اتقوا النار ولو بشربةٍ من ماءٍ...». هذا و للحديث صلة.

وصديقنا المعزز: السيد الجلالي غني عن التعريف و البيان وهو كاتب قدير وله مواقف مشكورة، وآثار وتصانيف ثمينة، وهو ـ مع ما له من مكانة

عالية في الفقه والأُصول ـ خبير في علمي الرجال والدراية، أسأل اللّه سبحانه أن يوفقه في هذه الرحلة لما يحب ويرضاه.

وأود أن ترسلوا لي كتابكم حول حياة الأئمة الاثني عشر، فإنّه دليل على ولائكم الخالص إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام.

كما أخبركم بأنّه لم يصل من مجلة بصائر الرباط إلّا العدد الأوّل منها، ونحن ننتظر بفارغ الصبر سائر الأعداد.

وقد أرسلنا إليكم مقالاً حول «اكتشاف كذب الرواية في التاريخ» ، راجياً نشره ـ و لو مع النقد ـ على صفحات المجلة.

وهذه الرسالة مرفقة بكتاب «أُصول الحديث وأحكامه»، أرجو أن يحظى برضاكم.

بلّغوا سلامي إلى الأهل والعيال، ولا تنسونا من صالح دعواتكم في أسحار شهر رمضان.

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته

جعفر السبحاني

٧ رمضان المبارك ١٤٢٦ هـ

٣٢



الأخ الكريم، الأُستاذ الفاضل الدكتور
فاروق حمادة المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أحيّيكم أحسن تحية: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأقدّم لكم أسمى التهاني وأزكى التبريكات بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك، مبتهلاً إلى المولى جلّ شأنه أن يُسعدكم بسابغ نعمائه، ووافر فضله وعطائه، وأن يُعيده عليكم وعلى المؤمنين بالسلامة، والغنيمة من كل برّ كما أدعوه تعالى أن يمنّ على المسلمين بما يصلح أمرهم، ويرفع شأنهم، ويعزّز كرامتهم ووحدتهم. إنّه بالأجابة جدير.

بلغوا سلامي الوافر إلى الأهل والأولاد خاصة ولدكم البار، ومن حولكم من الأصدقاء الأعزاء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

جعفر السبحاني

٩ ذي الحجة ١٤٢٦ هـ

٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ العلامة الكبير آية الله جعفر السبحاني رعاه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد التحية والمودة والسؤال عن طيب خاطركم، فاشكر لكم مبادرتكم وسبقكم إلى الخيرات، وتهنئتكم بالعيد، أعاده الله عليكم وعلى المسلمين باليمن والبركة.

أخي الكريم، صدر لي بعض الكتب سأوافيكم به قريباً إن شاء الله، وأجدد شكري للأحبة الذين لم يسعفني القدر برؤيتهم في شهر رمضان، وأتحفوني بهداياكم وهداياهم الغالية، والتحية والمودة لكل من يلوذ بكم من الأهل والأحباب وكل عام وأنتم بخير

أخوكم فاروق حمادة

١٠ / ١ / ٢٠٠٦ م

٩ ذي الحجة الحرام ١٤٢٦ هـ

الفصل السابع:

مراسلاتنا مع الدكتور وهبة الزحيلي

٣٤

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الأُستاذ الدكتور وهبة الزحيلي أعزكم الله تعالىٰ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في هذه الأجواء المعطرة بنفحات ذكرىٰ مولد الرسول الأكرم ﷺ، أودّ أن أزف إليكم أجمل التهاني، وأسمى التبريكات بهذه المناسبة الطيّبة .

وأود أيضاً أن أزجي لكم كتاب «القصص القرآنية» مشفوعاً بصادق ودادي، وخالص دعائي لكم بالتوفيق والسعادة والحياة الهانئة في ظلال القرآن الكريم، وأن يجعلني وإياكم من حفظته وأتباعه .

أحمد الله تعالىٰ على ما منّ به من التوفيق لارتياد آفاقه الواسعة، راجياً أن أكون قد أسهمت في خدمة هذا الكتاب الخالد، الّذي نتطلّع إلى أن تهتدي أمتنا الإسلامية بأنواره، وتحكّمه في شؤون حياتها، وتسترشد به في مواقفها

في هذا المنعطف الخطير، الّذي يتكالب فيه الأعداء للإجهاز على الإسلام ومبادئه السامية، وتحطيم شخصية أمتنا العريقة، وصولاً إلى الهدف الخبيث المعلن: إقامة الشرق الأوسط الكبير، وفق مقاساتهم الشيطانية، اعتماداً على نشر ما يسمّونه: الفوضى البنّاءة.

لقد بذل أعلامنا وأساتذتنا الكرام أمثال السيد حسين الطباطبائي البروجردي، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ عبدالمجيد سليم، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء رحمهم الله تعالى، وغيرهم من الأعلام الذين اتسموا بالإخلاص واتّساع الأُفق والهمم العالية، بذلوا جهوداً مشتركة جبارة في توعية الأُمّة وإرشادها إلى النهج القويم ودعوتها إلى الوحدة والتآلف والتضامن، وصيانتها من التفكّك والتمزّق.

ونحن إذ نذكر ذلك، نتمنىٰ أن يواصل الأعلام في هذه الأيام العصيبة، حمل لواء التقريب والوئام بين أبناء المذاهب الإسلامية، لدرء الفتنة الّتي تسعىٰ لإثارتها أمريكا والكيان الصهيوني وأذنابهما، والّتي تستهدف بث الشقاق، وتأكيد الخلاف بين أبناء الأُمة الواحدة من خلال تحريض المنتفعين والجهلة وقاصري النظر على إصدار أقوال وارتكاب أعمال سفيهة، يُراد منها تأجيج الصراع وإشعال المنطقة برمّتها وصولاً إلى الهدف المذكور آنفاً، وصدق شاعر حلب الكبير أبو فراس الحمداني، في قوله:

وقد يكبر الخطب اليسير وتجتني أكابر قوم ما جناه الأصاغر

ومهما تآمر الأعداء على أُمّتنا، فكلّي أمل وتفاؤل، بأنّ أُمّتنا، ستُفشل مخططاتهم وتُخيِّب مساعيهم، وستبقىٰ أُمّة واحدة كالجسد الواحد، ما دام

فيها رجال مخلصون، من الطائفتين، تنبض قلوبهم غيرة على الإسلام، ويتواصلون بينهم في محبة واستشعار بأخوة الإيمان.

وأرىٰ أنّكم ـ أخي المفضال ـ أحد الأعلام الذين يُعوَّل عليهم في هذا الميدان. وفقكم الله تعالىٰ وسدّد خطاكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

جعفر السبحاني

٢٠ ربيع الأوّل ١٤٢٨ هـ

٣٥

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب الفضيلة الشيخ الجليل آية الله جعفر السبحاني أيده الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

أسأله سبحانه أن يتم عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، وأن يحميكم من كل سوء، ويحفظ عليكم نعمة الإيمان والصحة والسلامة في الدين والدنيا والآخرة.

ثم إنّني لشاكر فضلكم بإرسال هدية «القصص القرآنية» الجزء الأوّل في ثوب قشيب وجديد بتتبع قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بحسب التسلسل التاريخي، وهو أحد إنجازاتكم العلمية المبتكرة الّتي يمطرها عليّ فضلكم العظيم بالهدايا المتتابعة الدالة على وفائكم وصفاتكم الطيبة والّتي غرست حبي وتقديري لسماحتكم منذ تشرفي بزيارتكم في مركزكم العلمي العامر.

وقد بشرني سماحة آية الله سفيركم الكبير في دمشق بأنّه سيعقد مؤتمر للعلماء في سورية يجمع طوائف العلماء من كل بلد، وأنكم في

طليعة المدعوين، وأنتظر ذلك، ويشرفني الاجتماع بكم في دمشق .

نحن كما ذكرتم ـ أهل العلم ـ واجبنا الاتفاق على مرضاة الله، والحفاظ على قيم الإسلام الكبرىٰ فيما يخص اجتماعنا على الحق لمواجهة باطل المستعمرين الدخلاء والمستكبرين الذين يزرعون الفتن بين الطوائف الإسلامية، والله ناصرنا بفضله ومشيئته .

حقق الله الآمال، وأيدكم بروح من عنده، والله يحب المحسنين .

أخوكم

وهبة مصطفى الزحيلي

دمشق

١٢ من ربيع الآخر سنة ١٤٢٨ هـ

٢٩ / ٤ / ٢٠٠٧ م

الفصل الثامن:

مراسلاتنا مع الشيخ حسن الصفار

٣٦



سماحة حجة الإسلام الشيخ حسن الصفار

ـ دامت إفاضاته ـ

السلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته

أمّا بعد، فالرجاء من الله سبحانه أن يوفّقكم لما فيه رضاه ويسدّد خطاكم في نشر الشريعة وتوعية الجيل الحاضر.

أخبركم بأنّه وصلت إلينا رسائل النادي الرياضي، كما وصلتنا الأوراق الكبيرة الّتي تحتوي على ما جرى في المؤتمر الّذي أقامه ولي العهد في الرياض.

وقد سررت بعد قراءتي لما أتيتم به من تحليل لمسألة تقريب الخطىٰ

والاستماع لصوت الآخرين خصوصاً الجيل الشيعي مهضوم الحقوق جزاكم الله خير الجزاء.

كما أرسلت إليكم الكتابين التاليين:

١. المذاهب الإسلامية.

٢. أدوار الفقه الإمامي.

وأزيد عليهما بثالثٍ وهو «التحسين والتقبيح العقليين»..

أرجو أن لا تنسونا من صالح دعواتكم في شهر رمضان القادم كما أنّني لا أنساكم فيه.

بلغوا سلامي إلى الإخوان جميعاً.

ودمتم موفّقين

جعفر السبحاني

التاسع عشر من شعبان المعظم ١٤٢٤ هـ

٣٧

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله العلّامة المحقّق الشيخ جعفر السبحاني

حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

قضيت وقتاً ممتعاً ثميناً في فناء مدرسة عطائكم العلمي الوفير،حيث وفقني الله للإطلاع على الجزأين الأوّل والثاني من موسوعة (معجم طبقات المتكلمين)، وأمعنت النظر في قراءة المقدمتين الضافيتين اللتين رشح بهما قلمكم الشريف.

سماحة الشيخ الفقيه: لقد شهدت ساحة الأُمّة في هذا العصر، بداية تواصلٍ معرفي يبشّر بالخير بين نخبها العلمية والفكرية لكنّها اتّجهت غالباً صوب المجالين الفقهي والثقافي. ففي المجال الفقهي صدرت عام ١٩٦١ م موسوعة جمال عبدالناصر الفقهية من القاهرة، لتذكر آراء المذاهب الإسلامية في مسائل الفقه جنباً إلى جنب، المذاهب الأربعة والمذهب الظاهري ومذهب الشيعة ومذهب الزيدية ومذهب الاباضية. وصدرت مجموعة من الكتب الفقهية التي تتناول آراء مختلف المذاهب في جميع أبواب الفقه الإسلامي أو بعضها، ككتاب (الفقه على المذاهب الخمسة) للشيخ محمد جواد مغنية، وموسوعة (الفقه الإسلامي وأدلته) للدكتور وهبة الزحيلي، وكتاب (الأحوال الشخصية) للشيخ محمد أبو زهرة، وكتاب (أحكام الأسرة

في الإسلام) للدكتور محمد مصطفى شلبي، وغيرها كثير.

وكان تأسيس (مجمع الفقه الإسلامي) بالقرار الصادر عن مؤتمر القمة الإسلامي الثالث المنعقد بمكة المكرمة، بتاريخ ٢٢ ربيع الأوّل ١٤٠١ هـ الموافق ٢٨ يناير ١٩٨١ م خطوة رائدة على هذا الصعيد. حيث يتكون هذا المجمع من علماء وفقهاء يمثلون كل الدول الإسلامية الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي بمذاهبها المختلفة، من السنة والشيعة والزيدية والاباضية. وينتظم أعضاؤه في شعب متخصصة لها لجان فرعية، ومن شعبه شعبة التقريب بين المذاهب، وفي كل دورة من دورات المجمع تناقش قضية أو أكثر من قضايا الفكر والفقه الإسلامي، حسب تخطيط مسبق من قبل الأعضاء المشاركين. كما تصدر عن المجمع مجلة تتضمن البحوث المقدمة والمداخلات والتعقيبات، بعنوان (مجلة مجمع الفقه الإسلامي) وقد صدر منها أربعون مجلداً.

ومن الانجازات الطيبة التي قام بها مجمع الفقه الإسلامي لتفعيل حركة التواصل المعرفي بين المذاهب الإسلامية، ما قرره المجمع في دورته الثالثة المنعقدة بعمان ـ الاردن بتاريخ ٨ صفر ١٤٠٧ هـ من تشكيل لجنة لدراسة مشروع تحت اسم (معلمة القواعد الفقهية) يستهدف الدراسة المقارنة للقواعد الفقهية في شتى المذاهب، وبعد سنوات عقدت ندوة خاصة لمتابعة المشروع انتهت بالاتفاق على مقترح للوفد الإيراني يتلخص في أن يقوم ممثلو كل مذهب بانتخاب عمدة الكتب الأصيلة الفقهية والأُصولية لديهم، ثم استخلاص القواعد منها، مع الإشارة إلى المصادر في كل كتاب. ويعتمد ذلك مرجعاً ومصدراً لرأي المذهب على هذا الصعيد. وقد أنجز الجانب

الإيراني مهمته بتشكيل لجنة من الحوزة العلمية قامت بإعداد كتاب جامع للقواعد الأُصولية والفقهية للمذهب الإمامي طبع في ثلاثة مجلدات، هذا العام ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م.

أمّا على الصعيد الثقافي فحركة التواصل بين مفكري الأُمّة وعلمائها ومثقفيها من مختلف المذاهب والتيارات أقوى وانشط، فهناك أكثر من مؤتمر ولقاء يعقد كل عام في مختلف أنحاء العالم، لتناول قضايا الإسلام وأوضاع الأُمّة، وهناك عدد من المجلات الفكرية الثقافية العامة أو المتخصصة التي يشارك في تحريرها كتاب من مختلف الاتجاهات والمذاهب في الأُمّة. لكن مجال البحوث العقدية، وميدان علم الكلام هو ما تشكو فيه حركة التواصل المعرفي بين مذاهب الأُمّة وتياراتها من الخمول والركود. حيث لا زال هذا الميدان ساحة للصراع، ومعتركاً للنزاع، تسود أجواءه حالة التوتر، وتسيطر على حركته حالة التشنّج. ويبدو لي أنّ العلماء الناضجين في الأُمّة لم يولوا هذا المجال ما يستحق من عناية واهتمام، وتركوه لتفاعلات تراث العصور الماضية، بما فيه من خصومات وخلافات، فأصبح ساحة للقوى المتطرّفة المتعصّبة من مختلف المدارس والمذاهب. وأكبر شاهد على ذلك كتابات التهريج ضد هذا المذهب أو ذاك، وفتاوى التكفير ضد هذه الطائفة أو تلك، والمناظرات غير العلمية التي تبثها بعض الفضائيات، والمشتملة على كثير من الإثارات والمهاترات التي تؤجّج نار العداوة والبغضاء بين المسلمين. ولا شك أنّ القضية العقدية هي الأكثر أهمية على المستوى الديني، فهي أساس الدين وجوهره وعمقه وأصله، كما أنّ لها تأثيرها الكبير على مشاعر الإنسان وتوجّهاته السلوكية والعملية.

وإذا كان التعارف والتواصل مطلوباً بين أبناء الأُمّة في مختلف المجالات، فهو في المجال العقدي أكثر أهمية وفائدة، وذلك للأسباب التالية:

أوّلاً: يساعد الإنسان المسلم على اكتشاف الحق ومعرفة الصواب في مسائل العقيدة، عن طريق اطّلاعه على مختلف الآراء، وفهمه لأدلّتها، فليس صحيحاً أن يسترسل الإنسان في معتقداته مع ما ورثه من آبائه وأجداده، أو ما ألفه في بيئته ومحيطه، دون بحث وتمحيص، ودليل وبرهان.

ثانياً: إن القراءة الموضوعية لآراء الفرق والاتجاهات العقدية الأُخرى، تمكّن الإنسان من معرفة الآخرين على حقيقتهم وواقعهم، بينما تكون القطيعة المعرفية سبباً للجهل بالآخر، ورسم صورة غير دقيقة عن توجّهاته.

إنّ بعض المسلمين يسيئون الظن ببعضهم الآخر، ويحكمون عليهم أحكاماً جائرة، بناءً على مقدمات خاطئة، ومعلومات مغلوطة. قد تؤخذ عن طريق مناوئيهم وخصومهم. وهذا ما حذر منه القرآن الكريم: **﴿فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾**[1] ولعل أكثر المصادر التي تتحدث عن الملل والنحل، والمذاهب والفرق، مصابة بهذا الخلل الكبير، والمؤسف جداً أنّ مصدراً حديثاً هو (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة) أصدرته مؤسسة إسلامية عالمية هي (الندوة العالمية للشباب الإسلامي) وروجته بشكل مكثف وبطبعات متكررة، لكنّه يقدم سائر المذاهب والاتجاهات الإسلامية المخالفة للنهج السلفي، بصورة مشوهة، وبأسلوب

---

١. الحجرات: ٦.

يقطر حقداً وتعصباً. وكأنّ الجهة التي أصدرته تريد نشر الخصومة والعداوة بين أجيال الأُمّة المعاصرة. إن مثل هذه الجهود البغيضة تؤكد ضرورة الانفتاح والتواصل المعرفي المباشر بين المدارس الكلامية والاتجاهات العقدية في الأُمّة، وخاصة على صعيد النخبة العلمية.

ثالثاً: أنّ التواصل العلمي وتدارس القضايا بموضوعية وإخلاص على أي صعيد ديني ومعرفي يتيح المجال لبلورة الرأي، وتكامل الفكر، وحل العُقَد، ومعالجة الثغرات. وكما يمكن التقارب والتكامل في معالجة قضايا الفقه والثقافة، فإنّه يمكن الوصول إلى بعض المعالجات وتصحيح بعض الآراء في المسائل الكلامية والعقدية. خاصة وأنّ بعض الخلافات كانت تغذّيها عوامل سياسية ومصلحية، في التاريخ الماضي، وقد تجاوزتها الأُمّة.

رابعاً: هناك مسائل جديدة في علم الكلام تشكل تحدياً أمام العقيدة الإسلامية ككل، وهي تستوجب تعاوناً بين علماء الأُمّة المتخصصين من مختلف المذاهب، لتوضيح الرؤية الإسلامية تجاه هذه المسائل المطروحة في أذهان الجيل المسلم المعاصر. لهذه الأسباب وغيرها يتوجب الاهتمام ببعث حركة علمية معرفية للتواصل والانفتاح بين علماء الأُمّة المهتمين ببحوث العقيدة وعلم الكلام، من مختلف المدارس والمذاهب.

سماحة الشيخ السبحاني: إنّ قراءتي لمؤلفاتكم النافعة في ميدان العقيدة وعلم الكلام، كموسوعتكم الهامة حول (الملل والنحل) وموسوعتكم الجديدة (معجم طبقات المتكلمين) وكتابكم القيّم (الإلهيات) وسائر الأبحاث التي أثريتم بها المكتبة الإسلامية، أقول: إنّ قراءتي لعطائكم الثري، أثار في ذهني بعض المقترحات لتفعيل حركة

التواصل العلمي في معارف العقيدة بين المذاهب والمدارس الإسلامية، أودّ عرضها بين يدي سماحتكم:

١. إنشاء كلية لدراسة العقائد وعلم الكلام المقارن على نسق دراسة علم الفقه المقارن.

٢. تشكيل مؤسسة علمية إسلامية تهتم بالدراسات والبحوث العقدية بمشاركة علماء ومفكرين يمثلون مختلف المدارس الكلامية في الأُمّة على غرار مجمع الفقه الإسلامي. ونتمنى تكرار التجربة الرائدة لمجمع الفقه الإسلامي التي سبقت الإشارة إليها من تكليف ممثلي كل مذهب بتقديم رأي مذهبهم على صعيد القواعد الأُصولية والفقهية.

نتمنى حصول مثل ذلك على الصعيد العقدي أيضاً بأن يقدم العلماء من كل مذهب آراءهم العقدية والكلامية بأُسلوب علمي موثق، ليكون ذلك هو المصدر والمرجع المعتمد لدى الآخرين عنهم.

٣. إصدار مجلة متخصّصة ببحوث علم الكلام والدراسات العقيدة تنفتح على مختلف التوجّهات بنشر كتاباتها العلمية وإجراء الحوارات مع شخصياتهم المعرفية.

٤. عقد مؤتمرات تخصّصية تناقش قضايا العقيدة وعلم الكلام، تشارك فيها مختلف المدارس، ويبحث كل مؤتمر قضية محددة، مثلاً: مسألة العصمة، أو القضاء والقدر، أو أسماء الله وصفاته، أو الإمامة... وكذلك بحث المسائل الجديدة في علم الكلام كالتعددية الدينية، والعلاقة بين الدين والعلم، والهرمنوتيك أو تفسير النصوص..

قد يقال: إنّ ما تواجهه الأُمّة من تحديات سياسية واقتصادية أولى بالاهتمام من هذه البحوث النظرية، لكنّي أُجيب ـ مع إدراكي لخطورة التحديات المذكورة ـ بأنّ إهمال ساحة البحث العقدي، يسبب الكثير من عوامل الخلل والإضعاف لقدرة الأُمّة على مواجهة تلك التحديات، ومن مظاهر الخلل إتاحة الفرصة للمتعصبين والمغرضين، ليعبثوا بوحدة الأُمّة، ويمزقوا صفوفها بطروحاتهم الطائفية المتشنّجة، فلابد من مواجهتهم بالطروحات العلمية الموضوعية. كما أنّ لقضايا العقيدة تأثيراً لايمكن إنكاره وتجاهله في نفوس أبناء الأُمّة، وتشكيل فكرهم الديني، وعلاقاتهم مع بعضهم، فلماذا نترك هذه القضايا الهامة خاضعة لتأثير الموروث التاريخي، وضمن حالة المفاصلة والقطيعة، ولغة الانفعال والعاطفة؟ أليس من الأفضل الارتقاء بالشأن العقيدي إلى لغة العلم والمعرفة، وضمن أفق التواصل والحوار.

بارك الله في جهود شيخنا الأُستاذ السبحاني، ونفعنا بالمزيد من عطائه العلمي، ولاحرمنا الله من صالح دعواته، والسلام عليه وعلى الباحثين العاملين معه في مؤسسته الرائدة (مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام) ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله رب العالمين

حسن بن موسى الصفار

القطيف / المنطقة الشرقية

المملكة العربية السعودية

١٤ / ٧ / ١٤٢٥هـ ٣١ / ٨ / ٢٠٠٤م

٣٨

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ حسن الصفار

زيد عزّه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نرجو من الله سبحانه أن تكونوا في صلاح وفلاح ويوفّقكم للأخذ بحقوق الطائفة المهضومة في المنطقة الشرقية عبر قرون.

قرأت ما دار بينكم وبين مندوب مجلة الجسور فوجدت فيه نكات وعبر، غير أنّ اللازم عدم التصريح بما يثير مشاعر بعض المعاصرين غير الواقفين على موقفكم في الدفاع عن الشيعة، والظروف التي تتحدثون فيها.

ولقد بعثت إليكم بيد الأخ العزيز الشيخ العواد كتاب «رسائل ومقالات» في أربعة أجزاء والكتاب ليس كشكولاً فاقداً للنظام بل أنّ كلّ جزء منه مؤلف من فصول وفي كلّ فصل مقالات متسلسلة ومرتبة، وهي حصيلة جهود أكثر من عشرين سنة قضيناها ونحن بالمرصاد لكلّ من يكتب شيئاً على خلاف آراء الطائفة.

وهذه الرسالة مرفقة بالجزء الثالث من كتاب «طبقات المتكلّمين»، وقد أشرنا في مقدمته إلى ما تعانيه الأُمّة الإسلامية اليوم من الإرهاب والتكفير، أتمنّى أن أقف على انطباعاتكم حول هذه المقدمة، وكتاب «رسائل ومقالات».

بلغوا سلامنا إلى الإخوان جميعاً بالأخص مدير الحوزة العلمية في القطيف.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

جعفر السبحاني

١٨ شعبان المعظم عام ١٤٢٥ هـ

٣٩



سماحة آية الله العظمى الشيخ جعفر السبحاني دام ظله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عظم الله أجورنا وأجوركم بمصابنا بسيد الشهداء أبي عبدالله الحسين عليه السلام، وشكراً لتفضّلكم بالمراسلة والتواصل ممّا يؤكّد الشعور بأبوّتكم الحانية على أبنائكم من الطلبة والسائرين في طريق التبليغ، حفظكم الله ورعاكم ذخراً وملاذاً.

وأبشركم بأنّ موسم عاشوراء هذا العام كان حافلاً جداً بالحضور الجماهيري الضخم في المآتم والمواكب، وبالنشاط الثقافي المتنوع من كتب ونشرات ومعارض للرسم ومسرحيات تمثيل الواقعة الأليمة.

أشكر اهتمامكم بترجمة كتاب (الأوقاف وتطوير الاستفادة منها)، كما سأبعث لكم ما ذكرتم من كتب مع أقرب مسافر إن شاء الله.

وبالمناسبة كنت مسافراً إلى جدة للمشاركة في تكريم الشيخ محمد الحبيب بن الخوجة أمين عام مجمع الفقه الإسلامي، حيث اقتصر الحفل

علـى كـلمتي وكـلمته إضـافة إلى كـلمة الافـتتاح لراعـي الحـفل الشـيخ عبدالمقصود خوجة، والمداخلات في نهاية البرنامج، وكان الحضور كـبيراً ونوعياً من قناصل وممثلي الدول الإسلامية في منظمة المؤتمر الإسـلامي، ومن العلماء والأكاديميين والمثقفين، وبقيت في جدة عدة أيام استفدت منها في اللقاءات والاجتماعات التي تهدف التقارب والوحدة والتعاون. وتعرفت في الحفل على المندوب الجديد للجمهورية الإسلامية الدكتور بروجردي.

أكرر شكري وتقديري لسماحتكم والتماسي لصالح دعواتكم .

والسلام عليكم وعلى من يلوذ بكم ورحمة الله وبركاته

حسن بن موسى الصفار

٢٧ محرم ١٤٢٩ هـ

٥ فبراير ٢٠٠٨ م

الباب الثالث

ردود ومقترحات

ويشتمل على الرسائل التالية:

١. رسالة إلى محمود شلتوت شيخ الأزهر الشريف

٢ ـ ٣. مكاتباتنا مع الشيخ القرضاوي

٤. رسالتنا إلى سعود الفيصل وزير خارجية المملكة العربية السعودية

٥. رسالة إلى سفير المملكة العربية السعودية

٦ ـ ٨. رسائل إلى الدكتور محمد عبده يماني

٩. رسالة إلى الدكتور ناصر القفاري

١٠. رسالة إلى السيد طاهر هاشمي

١١. رسالة إلى الدكتور أحمد راسم النفيس

١٢. رسالة إلى الدكتور محمد الكايد رئيس تحرير صحيفة الرأي

١٣ ـ ١٤. رسالتان إلى الأستاذ حسن التل رئيس تحرير صحيفة اللـواء الأردنية

١٥ ـ ١٧. رسائل ثلاث إلى الأُستاذ قيس ظبيان مدير تحرير مجلة الشريعة

١٨. رسالة إلى الأُستاذ بسام ظبيان رئيس تحرير مجلة الشريعة

١٩. تعليق على مقال الدكتور عبدالكريم عكيوي

٢٠. رسالة جوابية إلى الشيخ زين العابدين قرباني حول طلاق المرأة وهي حائض

ورسائل أُخرى إلى شخصيات إسلامية بارزة من الفريقين وإلى بعض الجاليات الإسلامية وإلى بعض المهرجانات العلمية والتجمعات الإسلامية...

رسالة إلى محمود شلتوت شيخ الأزهر الشريف

٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الأُستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت

شيخ «الأزهر» الشريف (دام عزّه)[١]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أمّا بعد؛ فإنّي أتقدّم إليكم بأسنى التحيات لما أبديتم فيه من تضامن مع علماء قم و مراجع الحوزة حيال ما يجري في إيران خصوصاً مداهمة طغمة الشاه الحاكمة الجامعة الإسلامية.

---

١ ـ الشيخ محمود شلتوت (١٣١٠ ـ ١٣٨٣ هـ) المصري، أحد شيوخ الأزهر الشريف، فقيه، عالم، مفسر، من رجال الإصلاح ودعاة الوحدة والتقريب بين المذاهب الإسلامية، ألف كتباً ورسائل عديدة في مختلف المواضيع الإسلامية. وهذه الرسالة كنّا قد بعثناها إلى فضيلته بعد أن داهمت طغمة الشاه الحاكمة الجامعة الإسلامية في مدينة قم المقدسة عام ١٣٨٣هـ وكان قد أبرق فضيلته ببرقية إلى علماء قم عبر فيها عن انزعاجه لما اقترف من انتهاكات صارخة في حقّ الجامعة الإسلامية ولا سيما مراجعها وعلمائها، كما عبر عن تضامنه معهم.

وقد بادرت شخصياً ببعث رسالة شكرته فيها على عواطفه حيال علماء الإسلام، ومع الأسف الشديد لم أحتفظ بنص البرقية التي بعثها الشيخ شلتوت. وهذه هي رسالتي إلى فضيلته.

وأنا بدوري كأحد أعضاء الجامعة الإسلامية في مدينة قم المقدسة أشكركم علىٰ نواياكم الحسنة.

وأودّ أن أُطلعكم إلى أنّ رجال الدين وعلماء الحوزة مازالوا يتعرضون لضغط شديد من قبل جهاز الشاه وقد أودع بعضهم السجن، ولم يزل الجهاز الحاكم يمارس الكبت والاضطهاد والإرهاب ضد المؤسسة الدينية بكلّ‌ما أُتيح له من وسائل إعلامية وعسكرية كي يوفر لنفسه البقاء على سدة الحكم لفترة أطول.

وفي الختام أرجو أن توصلوا نداء استغاثتنا للعالم كي يطلع على ما يمارس من جرائم وحشية في حقّ الشعب الإيراني المسلم الذي ينشد تطبيق الإسلام علىٰ صعيد واقعه العملي، كما أرجو أن تكون على اتصال وثيق بما يجري في إيران من حوادث مريرة .

جزاكم اللّٰه عن الإسلام وأهله خير الجزاء

جعفر السبحاني

قم ـ الجامعة الإسلامية

٧ جمادى الأُولى من شهور عام ١٣٨٣ هـ

مكتباتنا مع الشيخ القرضاوي[١]

٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الأُستاذ الجليل الشيخ يوسف القرضاوي

حفظه الله ورعاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نسأل الله لكم دوام الصحّة والتوفيق لخدمة الإسلام والمسلمين.

أمّا بعد؛ فقد وقفنا في إحدى المجلات الإسلامية على مقالة رثائية قيّمة لكم بمناسبة رحيل المفكّر الإسلامي القدير الشيخ الغزالي ـ رحمه الله ـ تحت عنوان: «النجم الساطع».

ولقد كان الشيخ الغزالي حقاً ـ كما وصفتموه ـ العقل الذكي، والقلب النقي، وصاحب الرشد في الفكر والشجاعة في الحق، والغيرة على الدين

---

١ . كُتبت هذه الرسالة جواباً لمحاضرة الشيخ يوسف القرضاوي التي ألقاها في إحدىٰ جامعات قطر.

فقد صدع بما يرى أنّه الحق غير آبهٍ بما يُثيره رأيه الصريح، من انتقادات واعتراضات، لأنّه كان ـ كما قلتم ـ حرّ الفكر والضمير، حرّ اللسان والقلم، ولأنّه رفض الخضوع لأهواء العوام كما فعل أدعياء العلم الذين يحسبهم الناس دعاةً !!

ولقد طالعنا في نفس الوقت رسالتكم القيمة إلى الندوة الثانية للتقريب بين المذاهب الإسلامية بالرباط (١٢ ـ ١٤ ربيع الثاني ١٤١٧هـ) التي انطلقت من روح متوقّدة متطلّعة إلى عزّة المسلمين وفهم عميق ومنطقي للقرآن والسنّة.

وقد أعجبتنا فيها رؤيتكم الصائبة حولَ ما يحول دون تحقيق الوحدة الإسلامية الكبرى والتقريب بين فصائل المسلمين وطوائفهم، وأبرز ذلك فراغ نفوس المسلمين من الهموم الكبيرة والآمال العظيمة، واعتراكهم على المسائل الصغيرة والهامشية من فروع العقيدة أو الفقه، وقد كان من الواجب ـ كما قلتم فيها ـ على الدعاة والمفكرين الإسلاميين أن يشغلوا جماهير المسلمين بهموم أُمّتهم الكبرى وليلفتوا أنظارهم وقلوبهم وعقولهم إلى ضرورة التركيز عليها والتنبيه لها.

والحق كما تفضّلتم: مشكلة المسلمين اليوم ليست في الذي يؤوِّل آيات الصفات وأحاديثها بل في مَن ينكر الذات والصفات الإلهية جميعاً ويدعو إلى العلمانية والإلحاد، ومشكلة المسلمين ليست في مَن يجهر بالبسملة أو يخفضها أو لا يقرؤُها في الصلاة، ولا في مَن يرسل يديه في الصلاة أو يقبضهما، إنّما مشكلة المسلمين في من لا ينحني يوماً لله راكعاً ولا

يخفض جبهته لله ساجداً ولا يعرف المسجد ولا يعرفه ...

ولا ... ولا .. . انّما انّما .....

وبالتالي انّ المشكلة حقاً هي: وهن العقيدة في النفوس، وتعطيل الشريعة في الحياة، وانهيار الأخلاق في المجتمع، وإضاعة الصلوات، ومنع الزكوات واتّباع الشهوات، وشيوع الفاحشة، وانتشار الرشوة، وخراب الذمم، وسوء الإدارة، وترك الفرائض الأصلية، وارتكاب المحرمات القطعية، وموالاة أعداء الله ورسوله والمؤمنين.

إنّ مشكلة المسلمين ـ كما تفضّلتم فيها ـ تتمثل في إلغاء العقل وتجميد الفكر وتخدير الإرادة، وقتل الحرية، وإماتة الحقوق، ونسيان الواجبات، وفشوّ الأنانية، وإهمال سنن الله في الكون والمجتمع.

وهي بالضبط وعلى التحديد كل هذا، وبخاصة ما ذكرتموه في أرقام سبعة تحت عنوان هموم سبعة أساسية.

ولقد أعجبتنا كل هذه الرؤى جملةً وتفصيلاً، وتمنّينا لو كان مثل هذه الرؤية والبصيرة شائعة بين مفكري الإسلام وعلمائه اليوم سنةً وشيعةً ومن جميع الفرق والمذاهب، وكان هناك تعاون صادق وعميق ومتواصل لحلّ هذه المشكلات ما دامت كل هذه الفرق والمذاهب متفقة على وحدانية الله، ورسالة النبي الخاتم محمّد بن عبد الله ﷺ ، وأركان الإسلام العملية، ومكارم الأخلاق، وأُمور كثيرة أُخرى تفوق الحصر، وتستعصى على العدّ والإحصاء.

وتمنّينا لو كان المسلمون يكفّون ـ إلى جانب ذلك ـ عن التراشق بسهام الاتهام فيما بينهم، ويتحرّرون من عقدة الطائفية وأساليبها الجاهلية، ويقوموا ـ بدل ذلك ـ بدراسة نقاط الخلاف والاختلاف بروحٍ أخوية ونهجٍ علميٍ، وأُسلوب رصين، ويفسحون للجميع فرصة التعبير عن مذهبه، والإدلاء بأدلّته، وبراهينه في جوٍ ملؤُه رحابة الصدر واتساع الفكر والسماحة، ويتركون إثارة ما يبعد القلوب بعضها عن بعضها، ويكدر الصفو، ويفسد المودة.

***

غير أنّه بلغنا أنّكم في محاضرة لكم في «قطر» تعرضتم بسوء لشيخ الأباطح ناصر الإسلام وحامي نبيه الأكبر أبي طالب ـ رضوان اللّه تعالى عليه ـ الذي تكفّل رسولَ اللّه ﷺ وآواه، وحامىٰ عنه بعد ابتعاثه بالرسالة، وضحى في سبيل دعوته براحته، ونفسه، وبأولاده وأفلاذ كبده، كاتماً إيمانه، ومتّقياً قومه العتاة ليبقى على منصبه، من أجل أن يخدم في ظلّه الرسولَ والرسالة، ويدفع به عنهما أذى معارضيهما، وكيدهم كما فعل مؤمن آل فرعون طوال أربعين سنة، بلا انقطاع.

فهل ترى كان حقيقاً بأن يُنكر فضله، وتُتجاهل خدمته؟ وهو الذي صرّح بصحة الرسالة المحمدية وصدق الدعوة النبوية الخاتمة في قصائده، وأشعاره وترجم إيمانه، بالوقوف الصريح ـ هو وأبناؤه الغرّ ـ إلى جانب رسول اللّه ﷺ حيث يقول:

كَذَبتُم وبيتِ اللهِ نُبْزَى محمّداً
ولما نُطاعِن دونَهُ ونناضل [١]

ونُسلِمُه حتّى نُصرَّعَ حولَهُ وَنَذهَل عن أبنائنا والحلائِل
لَعمري لقد كلِّفتُ وجداً بأَحمدٍ وإخوته دأبَ المحبِّ المواصل
فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلها وزَيناً لمن والاه ربُّ المشاكل [٢]
فَمنْ مثلُه في الناس أيُّ مؤمَّل إذا قاسَهُ الحُكّام عند التفاضل
حليمٌ رشيدٌ عادلٌ غير طائش يُوالي إلاهاً ليس عنه بغافِلِ
لقد علِمُوا أنَّ ابْننا لا مكذَّبٌ لدينا ولا يُعنى بقولِ الأَباطِل
فأصبَحَ فينا أحمدٌ في أُرومة تقصّر عنه سَورةُ المتطاول [٣]
حَدِبْتُ بنفسي دونَه وحميته ودافعتُ عنه بالذُّرا والكلاكل [٤]
فَأيّدَهُ ربُّ العباد بنصره وأظهرَ ديناً حقُّه غير باطل [٥]

نقل ابن هشام في سيرته أربعة وتسعين بيتاً من هذه القصيدة، فيما أورد ابن كثير الشامي في تاريخه «اثنين وتسعين بيتاً» وأورد أبو هفان العبدي الجامع لديوان «أبي طالب» مائة وواحد وعشرين بيتاً منها في ذلك الديوان ولعلّها تمام القصيدة وهي في غاية العذوبة والروعة، وفي منتهى القوة

١ . أي نُغلَبَ عليه.
٢ . المشاكل: العظيمات من الأُمور.
٣ . السَورة: الشدة والبطش.
٤ . الذرا: جمع ذروة وهي أعلى ظهر البعير.
٥ . راجع السيرة النبوية: ٢٧٢/١ ـ ٢٨٠.

والجمال، وتفوقُ في هذه الجهات كلَّ المعلّقات السبع التي كان عرب الجاهلية يفتخرون بها ويعدّونها من أرقى ما قيل في مجال الشعر.

وله وراء هذه اللامية، قصيدة أُخرى ميميّة فهو ﷺ يصرح فيها بنبوة ابن أخيه وأنّه نبي كموسى وعيسى عليهما السلام إذ يقول:

لِيعلم خيارُ الناس أنَّ محمّداً نبيٌ كموسى والمسيح بن مريم
أتانا بهديٍ مثل ما أتيا به فكلٌّ بأمرِ اللّهِ يهدي ويعصم [(١)]

ونظيرها قصيدته البائيّة وفيها:

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمداً نبياً كموسى خط في أوّل الكتب [(٢)]

أفبعد هذه البلاغات والتصريحات يصحّ لإنسان واع أن يكفّر سيد الأباطح أو يشك في إيمانه؟

وعلى فرض التسليم، فهل هذه هي واقعاً مشكلة الأُمّة الإسلامية اليوم وأنتم الأدرى بمشاكل الأُمّة، وهل التنكيل بحامي الرسول، والإيقاع فيه من ما يخدم الأُمّة؟!

هل يكون أبو طالب مع كل تلكم المواقف المشرفة ومع كل تلك الإثارة الصريحة الكاشفة عن عمق إيمانه بالرسالة المحمديّة مشركاً، وأبو سفيان الذي أشعل حروباً وقام بمؤامرات مدة عشرين سنة وأبناؤه الذين

---

١. مجمع البيان: ٣٧/٧؛ مستدرك الحاكم: ٦٢٣/٢.

٢. مجمع البيان: ٣٦/٧، وقد نقل ابن هشام في سيرته: ٣٥٢/١ خمسة عشر بيتاً من هذه القصيدة.

كانوا أساس المشكلة ومبدأ الانحراف في المسار الإسلامي، مسلمين موحّدين يستحقون كل تقدير وكل احترام منّا ؟!

وهل ترى لو كان أبو طالب والداً لغير علي ﷺ كان يرى هذا الحيف من قِبَل أبناء الإسلام؟!

هلّا كنتم يا فضلية الأُستاذ ـ وأنتم على ما أنتم عليه من مستوى رفيع ومرموق في الرؤية والبصيرة ـ على نهج زميلكم الراحل الفقيد الشيخ الغزالي ـ رحمه الله ـ من الصدع بالحق، وعدم الخضوع للمرويّات الباطلة.

نحن ـ وقد وقفنا على قسم من مؤلفاتكم القيمة الزاخرة بالفكر المشرق ـ كنا ولا نزال نأمل أن تنصفوا الحقيقة ولا تقعوا فيما وقع فيه الأوّلون من غمطها وتجاهلها والجناية عليها، وأن تكونوا المرجعَ الأمينَ لشباب هذا العصر في تصحيح التاريخ، وتنقيته من الأباطيل، ورفع الضيم والظلم عن المظلومين.

ورحم الله ابن أبي الحديد القائل:

ولولا أبو طالب وابنه لما مثل الدين شخصاً وقاما

فهذا بمكة أوى وحامى وذاك بيثرب ذاق الحماما

كل ذلك لو كان النبأ الواصل إلينا عن محاضرتكم صادقاً، وأرجو أن لا يكون كذلك.

***

هذا ونرسل إليكم ما قمنا به من دراسة لإيمان أبي طالب في ضوء الكتاب والسنّة والتاريخ، وقد طبع ضمن دراستنا لحياة وتاريخ سيد المرسلين ﷺ .

ثم إنّنا انطلاقاً من ضرورة السعي لإيجاد المزيد من التفاهم والتقارب نرسل إليكم كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنّة، و حكم الأرجل في الوضوء، والأسماء الثلاثة ، وأملنا أن تكون هذه الكتب خطوات على سبيل تحصيل التقارب بين الفقهين.

وختاماً نقول: إنّكم في رسالتكم للمؤتمر رجّحتم قول الإمام أحمد في مسألة خلق القرآن، وما كان قوله إلّا بـ«قدم القرآن» ، وكيف يكون هذا القول هو القول الأرجح وليس القديم إلّا الله سبحانه، فيكون القرآن عندئذٍ إلهاً ثانياً، وهو يضاد أصل التوحيد ؟!

ولو أُريد من قِدم القرآن قدمُ علمه سبحانه فهذا أمر لا سترة عليه ولا نزاع فيه.

والجدير بالإمام أحمد الذي يأخذ العقائد من الكتاب والسنّة أن لا يخوض في هذا الموضوع بحجة أنّ الكتاب والسنّة لم يذكرا شيئاً حول قدم القرآن و حدوثه لو لم نقل انّه تبنّى حدوثه.

وتقبلوا في الختام أسمى تحياتنا، وأفضل تمنياتنا، وفقكم الله لصالح العلم والعمل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

جعفر السبحاني

تحريراً في ١٤١٧/١١/١٥ هـ ق

٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الأُستاذ الجليل: الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي

أعزه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد؛ أرجو من الله سبحانه أن تكونوا في صحة وعافية.

أودُّ أن أخبركم بأنّي قد أرسلت إليكم عن طريق الأخ عبدالحميد مكارم مستشار ونائب رئيس البعثة في سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، كتابين، وهما:

١. الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف.

٢. الحديث النبوي بين الرواية والدراية.

وقد أخبرني الأخ مكارم بأنّه تشرّف بزيارتكم وسلّم إليكم الكتابين وقد سُررت بذلك، وأرجو من فضيلتكم إبداء الرأي حولهما وما رسمته لهما من خطوط عريضة.

ودمتم موفقين لمرضاة الله

مع تقديم فائق الاحترام

جعفر السبحاني ١ جمادى الآخرة ١٤٢٤ هـ

رسالتنا إلى وزير الخارجية في المملكة العربية السعودية

٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب السمو الملكي معالي وزير الخارجية
الأمير «سعود الفيصل» (حفظه الله ورعاه)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أمّا بعد، أرجو من الله سبحانه أن تكونوا بخير وصلاح وأن يسدد خطاكم في سبيل خدمة الإسلام ويلمّ بكم شعث المسلمين ويوحّد كلمتهم ويجعلهم صفاً واحداً أمام أعدائهم.

غير خفي على سموكم أنّ المسلمين في الأقطار الإسلامية يعانون من التشتّت والتفرّق، وما هذا إلّا لعدم الإلمام بالمشتركات التي تجمعهم في الأُصول والفروع ممّا حدا إلى تكفير بعضهم البعض واتهام طائفة أُخرى بالشرك، كلّ ذلك نتيجة عدم وقوفهم على حدّ الإيمان والكفر أو حدّ التوحيد والشرك بدقة.

وانطلاقاً من الحرص على وحدة المسلمين، أتقدّم إليكم بأُطروحة كانت تخامرني منذ سنوات عديدة والأمل يحدوني في أنّها سوف تجد أُذناً صاغية لها. وهي إقامة مؤتمر يضم كافة أكابر علماء الإسلام من مختلف الفرق والنحل بغية البحث والتشاور حول موضوعين:

الأوّل: الإيمان والكفر في الكتاب والسنّة.

الثاني: التوحيد والشرك في القرآن الكريم.

ويكون هدف المؤتمر صياغة أُطر محددة للإيمان والكفر والشرك والتوحيد.

فالمسلمون بحمد الله على نحو ما يصفهم شاعر الأهرام بقوله:

انّا لتجمعنا العقيدة أُمة ويضمّنا دين الهدى أتباعاً

ويؤلف الإسلام بين قلوبنا مهما ذهبنا في الهوى أشياعاً

وفي الختام تقبلوا منّا أسمى آيات التحيّة والثناء.

جعفر السبحاني

١٢ شعبان المعظم ١٤٢٠هـ

ملحق

اقتراح عقد مؤتمرين حول التوحيد

والشرك والإيمان والكفر [١]

بسم الله الرحمن الرحيم

يعاني المسلمون عامة والشيعة الإمامية خاصة من أمرين:

الأوّل: تدمير الآثار الإسلامية بعناوين مختلفة، فتارة باسم الشرك والبدعة، وأُخرى باسم توسعة الحرمين الشريفين ، مع أنّ الآثار الإسلامية تحتضن هوية إسلامية لأُمّة عريقة في الحضارة، فتدميرها وهدمها طمس لهويتها وأصالتها.

الثاني: تكفير بعض السلفيين لبعض الطوائف الإسلامية وفي طليعتهم الشيعة الإمامية الذين لا ذنب لهم سوى حبّ أهل بيت النبي ﷺ ـ الّذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً وعدّهم النبي ﷺ عِدْلَ القرآن وقرينه، وقال: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه وعترتي ـ واعتناق مذهبهم والاقتداء بهم وأخذ الأُصول والفروع عنهم .

وحرصاً على تقريب الخطى والحط من المضاعفات السيئة التي

---

١ . ملحق لرسالتنا إلى وزير الخارجية السعودي.

يمكن أن يتركها كلا الأمرين فقد بذلنا الوسع في الإفصاح عن التوحيد والإيمان و ما يقابلهما عبْر كتابين أحدهما يحمل عنوان: «التوحيد والشرك في القرآن الكريم » والآخر تحت عنوان: «الإيمان والكفر في القرآن والسنّة».

هذا وإكمالاً للمهمة التي شرعنا بها فقد قمنا بزيارة الحرمين الشريفين والالتقاء بعدد من الشخصيات منهم الدكتور محمد عبده يماني ودار بيني وبينه حوار حول هذا الموضوع واتفقنا على أن أكتب شيئاً في هذا الموضوع إلى المعنيين بالأمر في المملكة العربية السعوديّة لعل اللّه يحدث بعد ذلك أمراً.

وحيث إنّ هذه الرسائل تعد وثائق تاريخية مهمة توخّينا نشرها على صفحات الكتاب لتبقى أثراً خالداً، ولتكون دليلاً ساطعاً على انفتاح الشيعة في كلّ عصر على كلّ حوار علمي هادئ.

رسالة إلى سفير المملكة العربية السعودية

٤٤



صاحب السعادة: سفير المملكة العربية السعودية المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بعد تقديم فائق الاحترام: يؤسفنا جدّاً أن نبلغكم توزيع رسائل وكتيبات ضدّ الشيعة الإمامية في موسم الحجّ عامنا هذا، وقد وصلت إلينا عدّة نسخ منها و نخص بالذكر رسالة: «الخطوط العريضة للأُسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية، لكاتبها محب الدين الخطيب». و قد حاول مؤلّفها فيها الحط من سمعة الشيعة، بافتعالات وأكاذيب بيّنة، كأنّه يحدث عن أُمة بائدة ليس لها من يدافع عن كيانها أو يكتب عن جماعة تعيش في أقاصي العالم، لا تصل إليهم اليد، وقد أوجد ذلك العمل استياء وقلقاً شديداً في الأوساط الدينية وغيرها لأنّه:

أوّلاً: هذه الرسائل مليئة بافتراءات وأكاذيب ألصقها المؤلّف بالشيعة الإمامية بلا تنقيب ولا اكتراث وهم بريئون من هذه التهم و الموضوعات،

شهدت بذلك كتبهم حول عقائدهم، و نستطيع الآن أن نقدّم إليكم الدلائل على بطلان تلكم النسب المفتعلة والموضوعات الشائنة.

ثانياً: أنّ المسلمين اليوم في أشدّ حاجة إلى الاتحاد والترابط والتآخي من أيّ وقت مضى، لأنّهم اليوم يواجهون الصهاينة المعتدين والاستعمار الغاشم. فلا شكّ أنّ نشر هذه الرسائل المكذوبة، يجلب النفاق والافتراق، ويضر بمصالح الإسلام والمسلمين، ولا يبعد انّ يد الاستعمار الغاشم، تلعب خلف الستار في نشر هذه الأوراق.

ثالثاً: أنّ المملكة العربية السعودية مازالت مهتمة بالدعوة إلى الاتحاد والترابط الإسلامي والتآخي بين الأُمّة المسلمة، ونشر مثل هذه الكتب ينافي تلك الخطة التي درجت عليها مملكتكم الشقيقة، فإنّها ـ بلا شكّ ـ تضرّبالاتحاد والوحدة الإسلامية، و تميت روح التآخي، و تفرق صفوف المسلمين و تشق عصاهم.

رابعاً: أنّ الحكمة في تشريع الحجّ هو إيجاد التجاوب والتقارب وإزالة أسباب التفرق وسوء التفاهم بين الأُمّة الإسلامية ومحو التخطيطات العدوانية المضرة بوحدة المسلمين وتوحيد كلمتهم.

فهذا العمل ـ في حرم اللّه الذي سواء العاكف فيه و الباد والذي من دخله كان آمناً ـ يضادّ هذه الحكمة.

أو ما كان في وسع ناشري هذه الأوراق لا سيما في هذه الأيّام التي اشتدت فيها الروابط بين شعوب العالم، أن يتصلوا بأحد المراكز والجامعات الدينية الشيعية ويطّلعوا على أوضاعهم عن كتب، ليعرفوا أنّه لا قرآن للشيعي

غير هذا القرآن، و انّ الشيعة الإمامية براء من تلكم التهم والافتراءات التي رموهم بها، بدل تسويد صحائف ونشرها بين الناس. و مع ذلك فنحن على استعداد لذلك في كلّ موطن و زمان. و نرحب بكلّ من أراد الاستطلاع على حقيقة الأمر.

وختاماً نرجو من سماحتكم إبلاغ المراجع المسؤولة في المملكة العربية السعودية نصّ هذا الكتاب، فلعلّ في ذلك تلافياً لما أحدثه ذلك العمل من أثر سيء في الأوساط الإسلامية.

وإنّ السيرة المحمودة من الدولة العربية السعودية في تكريم حجاج حرم الله سبحانه عامة والإيرانيين خاصة ترخص لنا أن نطلب من الدولة الشقيقة الإسلامية إصدار أوامر مؤكدة لصدّ مثل هذا العمل في مستقبل الأيّام.

وتفضّلوا بقبول فائق

الاحترام

حرر في تاريخ ٢٦ من ذي

الحجة الحرام ١٣٨٩ هـ

رسائلنا إلى الدكتور محمد عبده يماني

٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

سعادة الأخ الدكتور محمد عبده يماني (دامت معاليه)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أمّا بعد، فأرجو من الله سبحانه أن يوفّقكم لمرضاته، وأن يسدّد خطاكم في سبيل تحقيق الوحدة الإسلامية المنشودة.

بالإشارة إلى ما دار بيننا و بينكم في اللقاء الأخير عند تشرفي للعمرة في شهر جمادى الأُولى من أنّ الوضع السائد على البقيع يؤلم قلوب المسلمين لا سيما الشيعة المحبين لأهل بيت النبوة عليهم السلام الذين يقصدون هذه البقاع المباركة من أقصى نقاط العالم ويشهدون مثوى العديد من الصحابة والتابعين وأئمّة أهل البيت بوضع مؤسف للغاية في حين أنّ نظيرتها «المعلى» في مكة المكرمة تتميز بوضع مناسب.

فالرجاء الوافر أن تحظىٰ مقبرة البقيع بنفس العناية والاهتمام التي تحظى بها نظيرتها المعلى.

فنحن نقترح على الحكومة الراشدة في العربية السعودية أن تبذل مزيداً من الاهتمام بالبقيع من خلال رصفه بالأحجار ونصب لوحات للوقوف على أسماء أصحاب القبور، وبناء مظلة لزوار هذه البقعة المباركة.

كلّ ذلك خدمة لصحابة النبي ﷺ والتابعين وأئمّة أهل البيت، وحفظاً للهوية الإسلامية من الاندثار والاندراس علماً بأنّ النبيّ ﷺ أقام حجراً كبيراً على قبر عثمان بن مظعون للتعرّف عليه.

هذا هو اقتراحنا واقتراح عامة المسلمين، على أمل أن يصل اقتراحنا هذا إلى أيدي المسؤولين في البلدة المباركة كي يلاقوا اللّه سبحانه و تعالى بوجوه مشرقة ويرضى عنهم النبي ﷺ والمسلمون كافة.

مع تقديم فائق الاحترام

جعفر السبحاني

٧ جمادى الآخرة ١٤٢١ هـ

٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

سعادة الأخ الدكتور محمد عبده يماني (دامت معاليه)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أمّا بعد، فقد أعجبني كتابك حول فاطمة الزهراء الصديقة الطاهرة عليها السلام سيّدة نساء العالمين التي يجب أن يحتذى بها.

وقد وقفت على أنّكم بصدد البحث والكتابة حول أُمّها خديجة الكبرى عليها السلام التي هي أوّل من آمنت بالرسول صلى الله عليه وآله من النساء.

وأود أن أزيدكم اطلاعاً أنّه ثمة بحوث هامة حول السيدة خديجة عليها السلام استللناها من كتاب سيّد المرسلين نرسلها إليكم عسى أن تنتفعوا بها.

وبما أنّا لمسنا من ثنايا كتبكم انّكم تهتمون بوحدة الكلمة ولمّ شمل المسلمين، فأُخبركم بأنّا قد بعثنا إلى صاحب السمو الملكي معالي وزير الخارجية الأمير سعود الفيصل رسالة في هذا الموضوع عن طريق السفارة في الرياض عندما كان السيد النوري سفيراً للجمهورية الإسلامية هناك، وقد قام السفير مشكوراً بتسليمها إلى الأمير، وعلى الرغم من ذلك لم يصل

جوابها لحدّ الآن.

ونحن نبعث إليكم نسخة ثانية من هذه الرسالة عسى أن تثمر عن نتائج إيجابية وتتحقّق الأُمنية الكبرى ألا و هي عقد مؤتمر يتبنّىٰ مسودة عمل تتضمن الموضوعات التالية:

١. الإيمان والكفر في الكتاب والسنّة.

٢. التوحيد والشرك في القرآن الكريم.

مع جزيل الشكر

جعفر السبحاني

٧ جُمادى الآخرة ١٤٢١ هـ

٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الأُستاذ الدكتور محمد عبده يماني (دامت معاليه)

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته

أمّا بعد؛ لقد وصلتني رسالتكم الكريمة مرفقة بكتاب «فاطمة الزهراء عليها السلام» ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ووجدته دليلاً ساطعاً على ولائك الصادق، والكتاب جدير بالترجمة إلى سائر اللغات.

بيد أنّ هناك وقفات جديرة بالتأمّل.

هي ما نقلتم حول إيمان أبي طالب و ربما يلوح من الكتاب أنّه مات كافراً ولم يؤمن، وإن ذكرتم أنّه قال: أموت علىٰ دين عبدالمطلب، وفي هذا بلاغ لمن ألقى السمع وهو شهيد؛ وقد ذكرتم ـ أنار اللّه برهانكم ـ في ص ١٣٨ إيمان عبد المطلب باللّه وأنّه كان يعبد اللّه على دين إبراهيم عليه السلام، فلو مات على دينه، فقد مات موحّداً غير مشرك باللّه.

الوقوف على سيرة الرجل رهن الرجوع إلى ما ترك من تراث، ففيما تركه شيخ الأباطح ناصر الإسلام وحامي نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم خير شاهد على إيمانه، كيف و قد صرح بصحّة الرسالة المحمدية وصدق الدعوة النبوية الخاتمة في قصائده وأشعاره، وترجم إيمانه من خلال دعمه الصريح ـ هو وأبناؤه الغر ـ لرسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، حيث يقول:

كَذَبتُم وبيتِ الله نُبْزي محمّداً ولمـا نُطاعِن دونَهُ ونـناضل
ونُسـلِمُهُ حـتّى نُـصرَّعَ حـولَهُ وَنَـذهَل عـن أبـنائنا والحـلائِل
لَعَمري لقد كُلِّفتُ وجداً بأحمد وإخوته دأبَ المحبِّ المواصل
فلا زال في الدنيا جمالاً لأهـلها وزَيناً لمن والاه ربُّ المشاكـل
فمن مثلُه في النـاس أيُّ مـؤمَّل إذا قاسَهُ الحُكّام عـند التـفاضل
حليمٌ رشيدٌ عـادلٌ غـير طـائش يُـوالي إلهـاً ليس عـنه بـغافِلِ
لقـد عـلِمُوا أنّ ابـننا لا مكـذَّبٌ لديـنا ولا يُـعنى بـقولِ الأبـاطل
فـأصبَحَ فـينا أحـمدُ فـي أُرومـة تـقصّر عـنه سَـورةُ المـتطاول
حَـدِبْتُ بـنفسي دونَـه وحـميته ودافعتُ عنه بـالذُّرا والكـلاكـل
فـأيّدهُ ربُّ العـباد بـنصره وأظـهرَ ديـناً حقُّه غـير بـاطل

نقل ابن هشام في سيرته(٢٧٢/١ـ٢٨٠) أربعة وتسعين بيتاً من هـذه القصيدة، فيما أورد ابن كثير الشامي في تاريخه «اثنين وتسعين بيتاً»، و أورد أبو هفان العبدي الجامع لديوان «أبي طالب» مائة وواحداً وعشرين بيتاً منها في ذلك الديوان، ولعلّها تمام القصيدة وهي في غاية العذوبة والروعة، وفي منتهى القوة والجمال، وتفوقُ في هذه الجهات كلَّ المعلّقات السبع التي كان عرب الجاهلية يفتخرون بها ويعدّونها من أرقى ما قيل في مجال الشعر.

وله وراء هذه اللامية، قصيدة أُخرى ميميّة، فهو سلام الله عليه يصرح فيها بنبوّة ابن أخيه وأنّه نبي كموسى وعيسى ﴿ع﴾ ، إذ يقول:

لِـيعلم خـيارُ النـاس أنّ مـحمّداً نبيٌ كموسى والمسيح بـن مـريم

أتـانا بـهديٍ مـثل مـا أتـيا بـه   فكلٌّ بأمرِ اللّهِ يهدي ويـعصم[١]

ونظيرها قصيدته البائيّة وفيها:

ألم تـعلموا أنّـا وجـدنا مـحمداً   نبيّاً كموسى خط في أوّل الكتب[٢]

أفيصحّ لأحد بعد كلّ هذه البلاغات والتصريحات أن يكفّر سيد الأباطح أو يشكّك في إيمانه؟!

و للمزيد نذكر ما يلي:

إنّكم بحمد اللّه ممّن يحيطون علماً انّ من رمى أبا طالب ـ شيخ الأباطح ـ مؤمن قريش بالشرك، فإنّما تبع الروايات التي حاكها أبناء البيت الأموي بغية التحامل على أبي تراب ﷺ من خلال تكفير والده.

فهل يكون أبو طالب مشركاً مع كلّ تلكم المواقف المشرفة ومع كلّ تلك الإشارات الصريحة الكاشفة عن عمق إيمانه بالرسالة المحمديّة، وأبو سفيان الذي أشعل نائرة الفتن وحاك مؤامرات عديدة هو و أبناؤه الذين كانوا أساس المشكلة ومبدأ الانحراف عن المسار الإسلامي، مسلمين موحدين يستحقون كلّ تقدير وتبجيل؟!!!

هذا قليل من كثير.

وفي الختام تقبلوا منّا أطيب التحيات وأجمل الأُمنيات راجين لكم من اللّه أن يسدد خطاكم في سبيل خدمة الإسلام والمسلمين.

جعفر السبحاني   ٢٢ رجب المرجّب ١٤٢٠هـ

---

١. مستدرك الحاكم: ٦٢٣/٢.   ٢. سيرة ابن هشام: ٣٥٢/١.

رسالتنا إلى الدكتور القفاري حول كتابه

٤٨



الدكتور ناصر القفاري

السلام عليكم ورحمة اللّٰه وبركاته

أمّا بعد؛ فقد وصلني كتاب «أُصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية» فقرأته حسب ما سمح لي الوقت، وها أنا ذا أذكر انطباعاتي حول هذا الكتاب.

إنّ المؤلّف لم يستخدم الأُسلوب الصحيح في نقد عقائد هذه الطائفة وذلك من جهات:

الأُولى: زعم أنّ الرواية في كتب المحدّثين دليل على العقيدة ، مع أنّ العقيدة تطلب لنفسها دليلاً مفيداً لليقين، وخبر الواحد لا يفيد علماً، وهذا هو أساس الزلّة التي وقع بها في هذا الكتاب، فإنّ العقيدة شيء، والرواية شيء آخر، و بينهما من النسبة عموم و خصوص من وجه.

الثانية: أنّي لا أتّهم المؤلّف شخصياً ولكن أُسلوب الكتابة ينمّ عن تحامل شديد على الشيعة وعدم نزاهة في البحث.

وهذا الأُسلوب منبوذ عند العقلاء شرعاً وعقلاً، والقرّاء يستهجنون هذا النوع من الكتابة. ولا يؤثر في العقول الحرّة، لأنّ السبّ والهجو آية العجز عندهم.

الثالثة: لو قام القارئ بجمع الشتائم الموجودة في هذا الكتاب لخرج بصحائف سوداء.

ولهذا وذاك قمت بتأليف كتاب جمعت فيه أُصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، التي هي نفس أُصول العقيدة الإسلامية، بعبارات موجزة، وأشرت إلى دلائلها فلو كان لديكم نقد على تلك الأُصول فنحن مستعدون للمناقشة والمناظرة في أيّ مدينة شئتم، سواء أكان في «الرياض» أو «المدينة المنورة» أو «مكّة المكرمة» أو «جدّة».

ونعلن أنّ أُصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية هي ما جاء في هذا الكتاب وهي واضحة المعالم، مشرقة البراهين لا ما جاء في الكتاب السابق ذكره.

ونرجو أن ينال هذا الاقتراح موضع القبول شريطة أن يسود الحوار روح الموضوعية والتجرد والحرية وترأسه لجنة من علماء الإسلام، ونحن بفارغ الصبر في انتظار تلبية هذا الاقتراح.

جعفر السبحاني

رسالة إلى السيد طاهر هاشمي

٤٩

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأخ الماجد فضيلة السيد طاهر هاشمي دام مجده

بعد السلام والتحيّة أرجو أن تكونوا بخير وفلاح.

لقد وافتني رسالتكم التي قمتم فيها بنقل ما ذكره ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب حول أحمد بن عبد الحليم المعروف بابن تيمية، وفيه من الإطراء والثناء عليه .

و لكن نود أن نلفت نظركم السامي إلى أنّ الوقوف على شخصيّته وحقيقته لا يمكن إلّا بأحد أمرين:

الأوّل: الرجوع إلى الآثار العلمية التي تركها.

الثاني: الرجوع إلى ما ذكره الآخرون من معاصريه في حقّه. ولا يصحّ الاكتفاء بإطراء واحدٍ، وثنائه عليه.

أمّا الأوّل فيكفي فيه الرجوع إلى كتابه «منهاج السنة» و هو كتاب فيه

تحكّمات فظيعة وإنكار للمسلّمات وأكاذيب واضحة، ويكفي في ذلك الرجوع إلى المواضع التالية:

١. قوله: من حماقات الشيعة انّهم يكرهون التكلّم بلفظ العشرة وذلك لبغضهم العشرة المبشرة إلّا علي بن أبي طالب، ومن العجب انّهم يوالون لفظ التسعة وهم يبغضون التسعة من العشرة (راجع ج١، ص ٩).

فهل هو كذلك؟ أيّها السيد الجليل وأنت تعيش في أحضان الشيعة وبين ظهرانيهم؟

٢. قوله: تجد الرافضة يعطلون المساجد التي أمر اللّه أن ترفع ويذكر فيها اسمه (راجع ج١، ص ١٣١).

فهل هو كذلك أيّها السيّد الجليل؟

٣. قوله: قد وضع بعض الكذّابين حديثاً مفترىً، انّ هذه الآية ﴿إِنَّما وَلِيّكُمُ اللّه وَرَسُولهُ﴾ إلى آخرها، نزلت في علي عليه السلام لما تصدّق بخاتمه في الصّلاة و هذا كذب بإجماع أهل العلم .(لاحظ ج١، ص ١٥٦).

فهل هو كذلك يا صاحب الفضيلة، وقد رواها ستة وستون من أعلام السنّة آخرهم على ما نعلم الشيخ عبد القادر بن محمد السعيد الكردستاني (المتوفّى عام ١٣٠٤هـ) في «تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام للتفتازاني»، ج٢، ص ٣٢٩ طبعة مصر، وتكلم فيه كبقية المتكلّمين ، مخبتاً إلى اتّفاق المفسرين، على أنّها نزلت في حقّ أمير المؤمنين علي عليه السلام .

هذه بعض أكاذيبه أيّها السيد الجليل.

وأمّا عقائده الباطلة فيكفي للوقوف عليها مراجعة رسائله الكبرى المطبوعة بمصر، و إلى غيرها.

وأمّا الطريق الثاني فيكفي في ذلك كلمة الحافظ ابن حجر حوله، في كتابه «الفتاوى الحديثية» حيث قال في صفحة ٨٦: ابن تيمية عبد خذله اللّه وأضلّه، وأعماه وأصمّه وأذلّه، و بذلك صرح الأئمة الذين بيّنوا فساد أحواله، وكذب أقواله، ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتّفق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة الاجتهاد أبي الحسن السبكي وولده التاج والشيخ الإمام الغر ابن جماعة، وغيرهم من الشافعية والمالكية والحنفية، ولم يقصر اعتراضه على متأخري الصوفية بل اعترض على مثل عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب ـرضي‌الله‌عنهماـ. (إلى أن قال:) إنّه قائل بالجهة وله في إثباتها جزءٌ، ويلزم أهل هذا المذهب، الجسميةُ والمحاذاة والاستقرار... إلى آخر ما أفاده.

وليس ابن حجر بالوحيد في اعتراضه هذا على ابن تيمية، بل نقل مؤلف «دفع الشبَه»(ص ٤٥ـ ٤٧) والشيخ محمد زاهد الكوثري في «تكملة السيف الصقيل» (ص ١٩٠) ما أصدره الشاميون من الفتوى حول ابن تيمية التي تتضمن تكفيره، ويكفي في ذلك ما كتبه معاصره: الذهبي في خطابه إيّاه، وقد نقل الخطاب الكوثري في تكملته ففيها من التعبيرات ما يوقف الباحث على ما انطوى عليه ذلك الشيخ من الجهل والضلال، وفيه بعد ملامته: أما آن لك أن ترعوي؟ أما حان لك أن تتوب وتنيب؟ أما أنت في عشر السبعين وقد قرب الرحيل؟ فإذاكان هذا حالك عندي وأنا الشفوق المحب الوادّ فكيف

حالك عند أعدائك؟ وأعداؤك ـ والله ـ فيهم صلحاء وعقلاء و فضلاء ، كما أنّ أولياءك فيهم فَجَرَة، وكَذَبة وجَهَلَة ، وبَطَلَة، وعُورٌ، وبُقْر؟!

هذا بعض ما حضرني عاجلاً حول هذا الشيخ ، شيخ البدَع والضلال، وكنت أودّ لو سَمَح لي الوقت بأن أؤلِّف رسالة كاملة تتضمن بدعه، ومخاريقه، وقد أودعنا كلمات المحقّقين في حقّه في موسوعتنا «بحوث في الملل و النحل» الجزء الرابع، فلاحظ.

وفي الختام أرجو أن لا تنساني من الدعاء

جعفر السبحاني

رسالة إلى الدكتور أحمد راسم النفيس

٥٠



معالي الدكتور أحمد راسم النفيس المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تحيّة طيّبة مباركة مرفقة بباقات من ورود الإخلاص والمودّة الإسلامية الصافية في سبيل الله وحبّ آل البيت عليهم السلام .

أهدى إليّ بعض الأُخوان نسخة من مقالتكم القيمة في جريدة القاهرة تحت عنوان «المؤرخ الزرقاوي والمصير الاصفهاني»، وأودّ أن أُضيف إن القوم ـ مكان أن يحقّقوا علل الهزيمة وعواملها التي تكمن في سيرة الخلفاء العباسيين ووزرائهم وحواشيهم عبر القرون ـ حاولوا أن يصبُّوا جام غضبهم تارة على ابن العلقمي ـ هذا الوزير الذي سعى في صد عاتية التتار بحزمه وعقله ولم يتوفّق لذلك بسبب مخالفة مَن أحاطوا بالخليفة ـ و أُخرى على معلم الأُمة وحافظ التراث بعد إقالة التتار نصير الدين الطوسي.

وها نحن نذكر هنا بعض النصوص التاريخية ـ مضافاً إلى ما ذكرتم ـ

ليعلم المغفّل أن سبب الهزيمة كان موجوداً في داخل الخلافة.

* هب أنّ الوزير العلقمي أو نصير الدين الطوسي هو السبب لسقوط الخلافة العباسية وسيلان الدماء في عاصمتها، فما هو السبب للدماء التي بدأت تسيل من أقصى المشرق الإسلامي إلى العاصمة بغداد، فها هو ابن الأثير (المتوفّى عام ٦٣٠هـ) قبل سقوط الخلافة الإسلامية بخمس وعشرين سنة يصف تلك الداهية العظمى بالنحو التالي:

«من الّذي يسهل عليه أن يكتب نعيَ الإسلام والمسلمين ومن ذا الّذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت أُمّي لم تلدني، ويا ليتني متُّ قبل حدوثها وكنت نسياً منسياً إلّا أنّي حثّني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف ثم رأيت أن ترك ذلك لا يُجدي نفعاً فنقول:

هذا الفصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى الّتي عقمت الأيام والليالي عن مثلها، عمت الخلائق وخصّت المسلمين، فلو قال القائل:إنّ العالم مذ خلق اللّه سبحانه وتعالى آدم وإلى الآن لم يبتل بمثله لكان صادقاً، فإنّ التاريخ لم يتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها ـ إلى أن قال: ـ هؤلاء لم يُبقوا أحداً، بل قتلوا النساء والرجال والأطفال، وشقّوا بطون الحوامل وقتلوا الأجنّة، فإنّا للّه وإنّا إليه راجعون. فإنّ قوماً خرجوا من أطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر وبلاسغون، ثمّ منها إلى بلاد ما وراء النهر مثل سمرقند وبُخارى وغيرها فيملكونها ويفعلون بأهلها ما نذكره، ثمّ تعبر طائفة منهم إلى خراسان فيفرغون منها مُلكاً وتخريباً وقتلاً، ثمّ يتجاوزونها إلى الريّ وهَمَدان وبلاد الجبل وما فيها من البلاد إلى حدّ العراق، ثمّ

يقصدون بلاد آذربيجان وأرانية ويخربون ويقتلون أكثر أهلها ولم ينج إلّا الشريد النادر في أقل من سنة، هذا ما لم يسمع بمثله.[١]

فها نحن نسأل الكاتب: هل كانت يد العلقمي أو نصير الدين تلعب في هذه الحوادث المرّة تحت الستار؟ أو أنّ للدمار عللاً تكمن في سيرة الخلفاء والأُمراء عبر سنين حيث اشتغلوا بالخلافات الداخلية، واشتغل الخلفاء باللهو واللعب، وشرب الخمور وعزف المعازف وسماع المغنيّات، وقد تبعهم الرعاع والسوقة فذهبت الخيمة الإسلامية التي سيطرت على العالم في أوائل قرون العصر الإسلامي.

يقول ابن كثير: أحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كلّ جانب حتّى أُصيبت جارية تلعب بين يدي الخليفة وتضحكه، وكانت من جملة حظاياه، وكانت مولدة تسمّى عرفة، جاءها سهم من بعض الشبابيك فقتلها وهي ترقص بين يدي الخليفة، فانزعج الخليفة من ذلك وفزع فزعاً شديداً، وأحضر السهم الّذي أصابها بين يديه، فإذا عليه مكتوب:«إذا أراد اللّه إنفاذ قضائه وقدره أذهب ذوي العقول عقولهم» فأمر الخليفة عند ذلك بزيادة الاحتراز وكثرت الستائر على دار الخلافة، وكان قدوم هولاكوخان بجنوده كلها ـ و كانوا نحو مائتي ألف مقاتل ـ إلى بغداد في ثاني عشر المحرم من هذه السنة.[٢]

نشكركم على هذه المواقف الشجاعة دفاعاً عن الحق والحقيقة.

---

١ . الكامل في التاريخ:٣٥٨/١٢ـ ٣٥٩. ولكلامه ذيل من أراد فليرجع إليه .

٢ . البداية والنهاية:٢٠٠/١٣ـ ٢١٣.

أخي العزيز عندي بحث في توضيح حقيقة «أبي هريرة» ودور السيد شرف الدين العاملي في هذا التوضيح، ومراسلاته مع شيوخ الأزهر ومنهم الشيخ عبد المتعال الصعيدي، ويعوزني في هذا المجال، مقالاته المطبوعة في مجلة «الرسالة» المصرية وردود الشيخ عبد المتعال الصعيدي ومداخلات السيد شرف الدين عليها، هي منشورة في مجلة الرسالة، السنة الخامسة عشرة، عدد ٧١٥(ص ٣٢٣)، بتاريخ ١٩٤٧/٣/١٧، و ٧١٨(ص ٤٠٩) بتاريخ ١٩٤٧/٤/٧، وعدد ٧٢١ بتاريخ ١٩٤٧/٤/٢٨، وعدد ٧٢٤(ص ٥٧٥) بتاريخ ١٩٤٧/٥/١٩، وعدد ٧٢٥ بتاريخ ١٩٤٧/٥/٢٦.

لو تفضلتم عليّ بالحصول على هذه المقالات من أرشيف إحدى المكتبات المصرية وإرسالها إليّ تكون منّة كبيرة، ونعمة جسيمة لا تنسى أبداً.[١]

وكذلك وصلنا خبر نشر كتبكم على الانترنت بمشاركة إحدى دور النشر اللبنانية، فنهنئكم عليها ونسأل اللّه لكم مزيد التوفيق والتسديد، إنّه عليّ قدير.

ودمتم سالمين غانمين.

أخوكم في الإيمان

الشيخ جعفر السبحاني

الخامس من شهر رجب ١٤٢٦هـ

---

١ . وقد قام الدكتور حفظه الله ـ من بعد ـ مشكوراً بإرسال الجميع عن طريق الانترنت، شكر اللّه مساعيه الجميلة.

ملحق

المؤرخ الزرقاوي والمصير الأصفهاني [١]

الدكتور أحمد راسم النفيس

جريدة القاهرة بتاريخ ٢٠٠٥/٧/٢٦

لا زال الأخ أبو مصعب الزرقاوي حامي حمى العروبة والإسلام والبوابة الشرقية للأُمّة العربية يُتحفنا بدرره العلمية والأخلاقية فضلاً عن تلك الجهادية التي أصبحنا نعرفها جيداً.

الأخ أبو مصعب ورغم انشغاله بالمسلخ البشري الذي نصبه في العراق لم ينصرف عن واجبه في تنوير الأُمّة وتعريفها بما غاب عن وعيها من علم ومعرفة!!

من بين تلك الدرر وصفه للشيعة في بياناته التاريخية بالعلقميين!

فما هي حكاية العلقميين هذه؟؟!!

---

١ . نشرت وسائل الإعلام وشبكات الانترنيت كلمة الزرقاوي المقبور وقد أباح فيها قتل الشيعة وسفك دمائهم، وممّا جاء فيها اتّهام الوزير «العلقمي» بأنّه سبب سقوط بغداد وسفك دماء المسلمين، وقد كرر هذه الفرية في كلمته أكثر من مرة، وهذا الاتّهام ليس بدعاً منه و لكنّه قد أخذه عمن سبقه.

وقد ردّ على هذه التهمة الدكتور أحمد راسم النفيس المصري في مقال نشر على صفحات الانترنيت، وبالنظر لأهميته وإكباراً لكاتبه ننشره هنا مع تعقيب لنا بعده.

يزعم المؤرخ الكبير أبو مصعب الزرقاوي أنّ الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي وكان من الشيعة هو من قام بتسليم مفاتيح بغداد للغزاة المغول، وبالتالي فالرجل ومن ثم الشيعة أجمعون من يومها إلى يوم الدين هم المسؤولون عن كارثة سقوط بغداد فضلاً عن نكسة يونيو حزيران عام ١٩٦٧.

ولو أنّ الرجل توقف برهة عن سفك الدماء وكلّف خاطره قراءة التاريخ لعلم أنّ بغداد لم تسقط في يد التتار منذ اللحظة الأُولى حيث حاول البعض ومن بينهم ابن العلقمي منع هذا السقوط المحتوم، ولكنّها سقطت بعد ذلك بسبب الفساد والتفكك اللّذين عانى ولا زال يعاني منهما عالمنا الإسلامي المريض، حيث يروي ابن أبي الحديد وكان معاصراً لتلك الكارثة (وكان مدبر أمر الدولة والوزارة في هذا الوقت هو الوزير مؤيد الدين محمد بن أحمد العلقمي ولم يحضر الحرب «أي أنّه لم يكن قائداً للجيش»، بل كان ملازماً ديوان الخلافة يمد العسكر الإسلامي من آرائه وتدبيراته بما ينتهون إليه ويقفون عنده فحملت التتار على عسكر بغداد حملات متتابعة ظنوا أن واحدة منها تهزمهم، لأنّهم قد اعتادوا أن لا يقف عسكر من العساكر بين أيديهم فثبت اللّه لهم عسكر بغداد مما اضطر التتار للانسحاب من حولها).

أمّا السبب الحقيقي في الهجمة التترية على العالم الإسلامي الذي يجهله المؤرخ الزرقاوي فكان حمق بعض حكام المسلمين وطغيانهم، ويكفي أن نورد شهادة المؤرخ المصري المعاصر الدكتور يوسف زيدان ـ الذي نقل عن ابن الأثير في حوادث سنة ٦١٧ هجرية ما نصه:(فإنّ هؤلاء

التتر انّما استقام لهم الأمر لعدم المانع، وسبب عدمه أنّ محمد خوارزمشاه كان قد استولى على البلاد وقتل ملوكها وأفناهم، وبقى هو وحده سلطان البلاد جميعها، فلمّا انهزم من التتر لم يبق في البلاد من يمنعهم ولا من يحميها).

لا فارق بينه وبين حامي حمى البوابة الشرقية للأُمّة العربية سيِّئ الذكر التكريتي [1]!!

ويكمل الدكتور زيدان فيقول:(دفعتني هذه الملاحظة إلى التأمل فيما كان من أمر محمد خوارزمشاه، فوجدته حاكماً عربياً شديد المعاصرة! كان خوارزمشاه قد ملك المنطقة الممتدة من فرغانة إلى بحر آرال، ومن نهر سيحون (سرداريا) إلى أفغانستان، وهي منطقة واسعة تستغرق الرحلة فيها اليوم بالطائرات ساعات. ومع ذلك دفعه الطيش وسطوة السلطة إلى الاستيلاء على بغداد، فأرسل لها جيشاً سيطر أولاً على همذان، ثم انطلق منها قاصداً بغداد... وفي كردستان هبت عاصفة ثلجية شديدة فبدّدت شمل الجيش

---

١. المقصود به: صدام حسين التكريتي، هذا السفّاح الّذي حكم العراق لمدة ٣٥ سنة (١٩٦٩ ـ ٢٠٠٣ م) بالحديد والنار وأذاق شعبه الويل والثبور وعظائم الأُمور، وخاض حربين ظالمتين ضد الجمهورية الإسلامية في إيران والكويت أدّتا إلى مقتل مئات الآلاف من أبناء الشعب العراقي والإيراني والكويتي ووجّه ضربة قاصمة للأُمّة الإسلامية والعربية ولازالت آثارهما السلبية على العراق والمنطقة أجمع إلى الآن، وقد استمر هذا الطاغية بعيّه وسياسته الرعناء حتّى سلّم العراق للغزاة الطامعين الأمريكان على طبق من ذهب، والأنكى من ذلك أنّه سلّم بغداد العاصمة للمحتلّين بدون مقاومة وفرّ هارباً ذليلاً هو وأعوانه من دون أن يطلق حتّى ولو إطلاقة واحدة!! وليقبض عليه بعد ذلك في جحر لاذ به في أعماق الأرض وهو في حالة مزرية بائسة.

وقتلت الألوف، وتخطف الأكراد ما تبقى من فلول الجيش فلم يعد منهم إلى خوارزم إلّا عدد قليل، ولم يهدأ محمد خوارزمشاه بعد هذه الواقعة وإنّما واصل رعونته وأحلامه التوسعيّة، ونجح في استفزاز أقوى قوة عسكريّة في العالم آنذاك جنكيز خان.. بدأ الأمر باتصال بينهما وتبادل سفارات وإبداء الرغبة في التعاون بين البلدين المملكة الخوارزميّة والدولة المغوليّة التي كان جنكيز خان قد أقامها على أنقاض امبراطوريّة الصين التي احتلها، وكان خوارزمشاه يحلم بامتلاكها وبدأ النشاط التجاري بين الدولتين بقافلة أرسلها جنكيزخان مع هدايا لخوارزمشاه ورسالة تقول ضمن كلمات تودّد: إنّه لا يخفى علي عظيم شأنك وما بلغت من سلطان وإنّي أرى مسالمتك من جملة الواجبات وأنت عندي مثل أعز أولادي. ولا يخفى عليك أيضاً أنّني ملكت الصين وما يليها من بلاد الترك وقد خضعت لي قبائلهم.. فإن رأيت أن تهيئ للتجار في الجهتين سبيل التردّد والحركة عمّت المنافع وشملت الفوائد.

واعتقد خوارزمشاه أنّ جنكيزخان أهانه! لأنّه وصفه بأنّه (مثل أعز أولادي) فأرسل لحاكم مدينة (أوترار) الواقعة على الحدود بينهما بأن يتم الاستيلاء على القافلة التجاريّة التي بادر جنكيزخان بإرسالها وتُباع حمولتُها (خمسمائة جمل تحمل سلعاً تجارية) ويُرسل المال إلى خوارزمشاه! بل أكثر من ذلك، يقتل جميع أفراد القافلة.. فقتلوا جميعاً (كانوا ٤٥٠ رجلاً، كلهم من المسلمين).

وبالطبع استشاط جنكيزخان غضباً ولم يصدق أنّ خوارزمشاه يفعل ذلك، فأرسل له سفارة مؤلفة من ثلاثة رجال أحدهما مسلم والآخران

مغوليّان ومعهم خطاب احتجاج على ما جرى من الغدر بالقافلة، فما كان من خوارزمشاه إلّا أن قتل المبعوث المسلم، وحلق لحية زميليه المغوليين إمعاناً في إذلالهما.

وهكذا اندفع جنكيزخان بجيوشه ليجتاح مشرق العالم الإسلامي وانتقم لكرامته بقتل كلّ ما كان حيّاً في البلاد التي صادفته الناس الحيوان الشجر، ومات مئات الأُلوف من المسلمين رجالاً ونساء وأطفالاً، أمّا خوارزمشاه نفسه.. فقد هرب!!

هذا هو تاريخنا الذي لم يقرأه أحد اكتفاء بقصة وإسلاماه وتحميل الوزير العلقمي مأساة احتلال بغداد، فضلاً عن تحميل الصول إسماعيل مأساة نكبة يونيو ١٩٦٧م.

المسلمون والصراعات الطائفية والغزو المغولي

يحكي لنا ابن أبي الحديد واقعة أُخرى عن الطريقة التي تصرف ولا يزال المسلمون يتصرفون بها في عصور الانحطاط فيقول: (ولم يبق للتتار إلّا أصفهان حيث نزلوا عليها مراراً سنة ٦٣٣هـ فحاربهم أهلها ، وقتل من الفريقين مقتلة عظيمة، ولم يبلغوا منها غرضاً حتى اختلف أهل أصفهان على طائفتين حنفية وشافعية وبينهم حروب متواصلة، فخرج قوم من الشافعية إلى من يجاورهم من ملوك التتار فقالوا لهم: اقصدوا البلد حتى نسلمه إليكم، فأرسل إليهم جيوشاً والصراع على أشده بين الأحناف والشوافع، وفتح الشافعية أبواب المدينة على عهد بينهم وبين التتار أن يقتلوا الحنفية ويعفوا

عن الشافعية، فلمّا دخلوا المدينة بدأوا بالشافعية فقتلوهم قتلاً ذريعاً ولم يقفوا مع العهد الذي عاهدوه، ثم قتلوا الحنفية ثم قتلوا سائر الناس وسبوا النساء وشقوا بطون الحبالى ونهبوا الأموال وصادروا الأغنياء ثم أضرموا النار في أصفهان حتى صارت تلّاً من الرماد).

التتار يحكمون مصر!!

الذي لا يعرفه الكثيرون أيضاً أنّ التتار قد حكموا مصر بالفعل وان (الملك العادل زين الدين كتبغا) الذي تسلّط على عرش مصر سنة ٦٩٣هـ كان جندياً في جيش هولاكو أسر في واقعة «عين جالوت» ثم دارت به وبنا الأيام ليصبح هذا العبد التتري ملكاً لمصر.

أمّا الأسوأ من هذا فهو التمادي في وصف المخالفين في المذهب والرأي بتهم الخيانة والعمالة وتسليم مفاتيح بغداد لا لشيء سوى أنّهم فعلوا الممكن واجتهدوا في حقن دماء المسلمين الذين أسلمهم حكامهم للتتار، وهو ما لم يكن قاصراً على مسلمي البوابة الشرقية في بغداد، بل هو نفس ما فعله شيوخ دمشق ومن بينهم ابن تيمية.

ففي العام ٦٩٨هـ غزا التتار بلاد الشام على عهد السلطان محمد بن قلاوون حيث كان كثير من قيادات الجيش المملوكي المصري أو (الغز) من التتر المتعاونين مع عدوهم غازان ملك التتار آنئذ وهزم الجيش المصري يومها وكاد التتار يدخلون دمشق والعهدة على ابن تغري بردي (لما بلغ أهل دمشق كسرة السلطان، عظم الضجيج والبكاء وخرجت المخدرات حاسرات

لا يعرفن أين يذهبن والأطفال بأيديهن وصار كلّ واحد في شغل عن صاحبه إلى أن ورد الخبر أنّ ملك التتار «قازان» مسلم وأن غالب جيشه على ملة الإسلام وأنّهم لم يتبعوا المهزومين وبعد انفصال الوقعة لم يقتلوا أحداً ممن وجدوه وإنّما يأخذون سلاحه ومركوبه ويطلقونه، فسكن بذلك روع أهل دمشق قليلاً، فاجتمعوا وتشاوروا وأرسلوا وفداً يطلب الأمان من قازان حيث حضر الوفد من الفقهاء: قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة خطيب جامع دمشق، والشيخ زين الدين الفارقي، والشيخ تقي الدين ابن تيميه، وقاضي قضاة دمشق نجم الدين ابن صصرى، والصاحب فخر الدين بن الشيرجي، وغيرهم).

لا حاجة بنا أن نوغل في التفاصيل المتعلّقة بتلك التهمة الافتراء عن خيانات ابن العلقمي المزعومة، ويكفينا شهادة ابن الأثير عن السبب المباشر لاجتياح التتار للعالم الإسلامي، وكلّ ما يمكننا قوله :إنّ الزرقاويّين يصرون على مواصلة التصرف على طريقة المتحاربين من أهل أصفهان، ممّا أدى في النهاية إلى هلاكهم وهلاك مدينتهم، ولا شك أنّ ما يفعله هؤلاء من تأجيج نيران الصراعات الطائفية جميعاً إلى مصير مشابه على الطريقة الأصفهانية.

الدكتور أحمد راسم النفيس

٢٠٠٥/٧/١٩ م

رسالة إلى الدكتور محمد الكايد رئيس تحرير صحيفة الرأي

٥١



السيد الدكتور محمد الكايد
رئيس تحرير صحيفة الرأي المحترم

السلام عليكم و رحمة الله وبركاته

أمّا بعد، فقد طالعنا على صفحات الرأي مقالاً يحمل عنوان «إشكالية الاعتقاد و التاريخ لدى الشيعة» بقلم ذياب شقيرات، بتاريخ ٢٠٠٠/٢/٢٠م، وهو يحاول في مقاله هذا أن يعطي انطباعاً بأنّ عقائد الشيعة ليست متأصلة بل مستحدثة صنعها التاريخ ولم تكن موجودة من ذي قبل. وقد ساق شواهد على مدّعاه هذا، و هي كالتالي:

١. معتقد التقية ٢. معتقد عصمة الأئمّة

٣. معتقد الإمامة ٤. معتقد الرجعة

وقام بتحليلها حتى خرج بحصيلة أنّ هذه المعتقدات لم تكن من

عقائد الشيعة الإمامية، وإنّما دفعتهم الظروف الحرجة إلى الاعتقاد بـها عـبر التاريخ، و بما أنّ القرّاء الكرام لصحيفة «الرأي» قد طالعوا هذه المقالة، فنحن نرى أنفسنا في غنى عن إعادة ما ذكره بنصه، ونكتفي بتحليل هذه المعتقدات الأربعة كي يتضح أنّها من صميم عقائد الشيعة الإمامية من دون أن يستحدثها التاريخ.

وقبل أن ندخل في صلب الموضوع نودّ أن نشير إلى أمرين:

١. انّ صحيفة الرأي صحيفة سياسية والطابع العام الذي يسودها هو الطابع السياسي، فما هو الحافز لطرح هذه البحوث الكلامية أو التاريخية في هذه الصحيفة ...يا ترىٰ؟

٢. انّ الكاتب يرمي من مقاله تحليل عقائد طائفة كبيرة أطلّت عـلى العالم بتاريخها وحضارتها وعلمائها ومشاهيرها، وخدمت الحضارة الإنسانية خدمة جليلة، وهو لم يذكر في مجموع ما كتب أيّ مصدر لما ينقل عنه أو يرميهم به، وهذا يحطّ بطبيعة الحال من القيمة العلمية للمقال المذكور.

إنّ المذهب الإمامي كسائر المذاهب أُقيمت دعائمه علىٰ أمرين:

الأوّل: العقائد والمعارف الإلهية وهي ثوابت لا تمسّ كرامتها الأحداث والمستجدّات، لأنّها نتاج الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه، والسنة النبوية والبراهين العقلية وبذلك لا يمكن أن يتطرق إلى معتقد قد صيغ على هذه الأُسس الثلاثة أيٌّ تغيّر و تبدّل.

الثاني: الأحكام الشرعية العملية وهي بين ثوابت لا تتغير عبر التاريخ،

ومقررات موضوعة حسب الحاجات، والأحكام الثابتة هي رمز خلود الإسلام و خاتمية الشريعة المحمدية والمقررات المتغيرة هي رمز تفاعلها مع مستجدات الأحداث ومتطوراتها، و قد فصّلنا الكلام في ذلك في موسوعتنا القرآنية المنتشرة باسم «مفاهيم القرآن» فليرجع إلى الجزء الرابع.

هذه هي عقيدة الشيعة الإمامية في الثوابت والمتغيّرات ، فلو كان هنا معتقد فإنّما هو نتاج الدليل القطعي لا نتاج التاريخ والأحداث المريرة التي مرّت بها هذه الطائفة، و من أراد أن يقف على عقائد الشيعة الإمامية في القرنين الأوّلين فليرجع إلى كتبهم.

وبعد أن فرغنا من هذه المقدمة الموجزة، فلنتناول الشواهد التي سردها الكاتب تأييداً لمدّعاه، وهي أربعة:

ا. معتقد التقية

شرّعت التقية بنص القرآن الكريم حيث وردت في جملة من الآيات، أعني: قوله سبحانه: **﴿مَنْ كَفَرَ بِاللّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمانِهِ إِلّا مَنْ أُكْره وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمان﴾**[1] ، وقوله سبحانه: **﴿لا يَتَّخِذ المُؤْمِنُونَ الكافِرينَ أَولياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيءٍ إِلّا أن تتَّقُوا منهم تُقاة﴾**[2]. وقوله سبحانه: **﴿وَ قالَ رَجلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَون يَكْتُمُ إِيمانَه﴾**[3].

---

١. النحل: ١٠٦ . ٢ . آل عمران: ٢٨ .
٣. غافر: ٤٥ .

وهذا ممّا لا خلاف فيه بين المسلمين ولكن الكاتب رأى أنّ الشيعة تمارس هذا الأصل في مقابل أهل السنّة، مع أنّ مورد الآيات هم الكفّار، ويقول: «لم يستخدم الشيعة هذا المعتقد ويمارسوه إلّا مع أهل السنّة والجماعة».

وممّا يؤخذ عليه أنّ مورد الآيات وإن كان هم الكفّار، ولكن المورد ليس بمخصص، وقد قال بالتعميم لفيف من محقّقي أهل السنّة، و هذا هو الرازي يقول:

ظاهر الآية: ﴿إِلّا أن تتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاة﴾ على أنّ التقية إنّما تحلّ مع الكفّار إلّا أنّ مذهب الشافعي ﷺ انّ الحالة بين المسلمين إذا شاكلت الحالة بين المسلمين والكافرين حلّت التقية محاماة عن النفس[1].

وبما أنّ التقية سلاح الضعيف أمام القوي فلا فرق بين قوي كافر وبين مسلم ظالم متسلّط.

الشيعة لم تمارس هذا الأصل مع إخوانهم أهل السنّة، بل مارسته مع الخلفاء الجائرين من الأمويين والعباسيين الذين قتلوا الشيعة تحت كل حجر ومدر، ويكفيك شاهداً على ما نقول ذلك البيان الذي أصدره معاوية بن أبي سفيان في حقّ شيعة علي:

انظروا من قامت عليه البيّنة أنّه يحب عليّاً وأهل بيته، فأمحوه من الديوان، واسقطوا عطاءه و رزقه. ثمّ شفع ذلك البيان ببيان آخر وهو من

١. مفاتيح الغيب: ٢ / ١٣ في تفسير الآية ؛ وعلى ذلك جرى جمال الدين القاسمي في محاسن التأويل: ٤ / ١٠٨، والمراغي في تفسيره: ٣ / ١٣٦ .

اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به وأهدموا داره...[١]

ثمّ إنّ الكاتب أضاف قائلاً: فإخواننا الشيعة يبررون قبول علي بن أبي طالب عليه السلام بخلافة الثلاثة الذين سبقوه بأنّها على سبيل التقية. وفي هذا طعن مزدوج بعلي نفسه و بالخلفاء الثلاثة...

لكن فات الكاتب أنّ علياً لم يبايع الخلفاء طيلة عمره لما كان يرى نفسه أحقّ بهذا الأمر من غيره بتنصيص من الرسول في غير موقف من المواقف سواء أكان في بدء الدعوة، عند نزول قوله سبحانه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشيرتَكَ الأَقْرَبين﴾[٢] أم في غزوة تبوك عندما خاطبه، بقوله: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لانبيّ بعدي»[٣] أم في محتشد عظيم عند منصرف النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من حجّة الوداع حيث أدلى بخطابه إلى عامة المسلمين، وقال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» (حديث متواتر رواه من الصحابة ما يربو على ١٢٠ صحابياً) إلى غير ذلك من المواقف، ولكنّه لما رأى أنّ الأمر قد تم للآخرين و رأى أنّ الشر قد أحاط بالإسلام والمسلمين، من جانب أهل الردة وغيرهم رأىٰ أنّ المصلحة تكمن في معاضدة القوم، وها هو يصرح بذلك في كتابه إلى أهل مصر مع مالك الأشتر لما ولّاه إمارتها، حيث قال: «فوالله ما كان يُلقىٰ في روعي، ولا يخطر ببالي أنّ العرب تُزعِج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله وسلم عن أهل بيته، ولا أنّهم مُنَحُّوهُ عني من بعده، فما

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١١ / ٤٠٠ ـ ٤٤٦.

٢. الشعراء: ٢١٤.

٣. صحيح مسلم: ٧ / ١٢٠، باب من فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام.

راعني إلّا انثيال الناس علىٰ فلان يبايعونه، فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله ان أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليَّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنّما هي متاعُ أيامٍ قلائل» إلى أن يقول: فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأنّ الدِّين و تنهنه».[1]

وهذا هو موقف علي من البيعة لا ما نسبه الكاتب إلى عليّ عليه السلام و إن كان في شكّ ممّا نقلناه فليقرأ ما رواه ابن قُتيبة في تاريخ الخلفاء ، حيث يقول:

إنّ علياً كرم الله وجهه أُتي به إلى أبي بكر، وهو يقول: أنا عبد الله أخو رسول الله، فقيل له: بايع، فقال: أنا أحق بهذا الأمر منكم، لا أبايع وأنتم أولى بالبيعة لي...إلى أن يقول: فقال له عمر: أنت لست متروكاً حتى تبايع، فقال له علي: احلب حلباً لك شطره، وشُدّ له اليوم يرده عليك غداً، ثمّ قال: والله يا عمر لا أقبل قولك ولا أبايعه، فقال له أبو بكر: فإن لم تبايع فلا أكرهك[2].

نعم اشتهر بين أهل السنّة أنّ الإمام بايع الخلفاء بعد وفاة بضعة المصطفى فاطمة الزهراء عليها السلام . ولكن هذه الشهرة من الوهن بمكان وأقل ما يمكن أن يقال فيها أنّ فيها طعناً مزدوجاً بعلي نفسه وبالخلفاء الثلاثة.

أمّا بعلي نفسه فلأنّه إذا تمت الخلافة لواحد من الصحابة وكانت خلافة شرعية، فلماذا تخلّف علي، وأمّا بالخلفاء فهو غني عن البيان.

١. نهج البلاغة، قسم الرسائل: ٦٢ .

٢. تاريخ الخلفاء الراشدين، لابن قتيبة: ١ / ١١ .

ولعمري إنّ الخوض في هذه المباحث يجرح العواطف ويشتّت الصفوف، فهي أحداث شرب عليها الدهر وأكل، ولولا أنّ الكاتب نبش هذه القضايا لم نكن نستعرض هذه الأحداث التاريخية المريرة.

ثمّ قال صاحب المقالة:«إنّ التقية مبدأ فرضه التاريخ على جملة المبادئ و الثوابت لتفسير وتبرير صحة تسلسل الأئمة وتعارض آرائهم في بعض القضايا المتشابهة».

وملخّص كلامه: أنّ الشيعة اتخذت التقية ذريعة لأمرين:

١. صحّة تسلسل الأئمّة.

٢. تعارض آرائهم في بعض القضايا المتشابهة.

أمّا الأمر الأوّل فقد أجمل فيه الكلام و لم يبيّن ماهي الصلة بين التقية وصحة تسلسل الأئمة، وكان عليه أن يوضح ذلك غير أنّ تسلسل الأئمة إلى اثني عشر خليفة منصوص في صحاح السنة.

فقد أخبر النبي ﷺ عن عددهم وتسلسلهم إلىٰ اثني عشر خليفة فيما أخرجه مسلم عن جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة، ثمّ قال كلمة لم أفهمها، قال: قلت لأبي، ما قال؟ قال: كلّهم من قريش[1].

وقد أخرج مسلم هذه الرواية بأسانيد مختلفة، وللقارئ الكريم أن يتدبّر في معنى الحديث حتى يظهر له المراد من هؤلاء الخلفاء الاثني عشر

---

١. صحيح مسلم: ٦ / ٣، باب الناس تبع لقريش.

الذين أُنيطت بهم عزة الإسلام، وقد جاءوا واحداً تلو الآخر عبر الزمان، وهو لا ينطبق إلّا على الأئمّة الاثني عشر، أوّلهم علي بن أبي طالب عليه السلام و آخرهم القائم المهدي عليه السلام .

فهل يتصوّر الكاتب أنّ هؤلاء هم الأمويون أو العباسيون الذين ضرّجوا الأرض بدماء الأولياء والصلحاء، و هل يزيد بن معاويةأحد من أُنيط به عزّ الإسلام وهو الذي يشرب الخمر و يرفع عقيرته، ويقول:

ليت أشياخي ببدر شهدوا	جزع الخزرج من وقع الأسل
قد قتلنا القرم من ساداتهم	وعدلنا ميل بدرٍ فاعتدل
لأَهلّوا واستهلّوا فرحاً	ثمّ قالوا: يا يزيد لا تشل
لست من خندف إن لم أنتقم	من بني أحمد ما كان فعل
لعبت هاشم بالملك فلا	خبر جاء و لا وحي نزل

وأمّا الأمر الثاني أي تعارض آراء الأئمّة عليهم السلام ، فنقول: نعم كان للتقية دور في الإفتاء وفق هوى الجهاز الحاكم صيانة لأنفسهم وأنفس شيعتهم، حيث إنّ الجهاز الحاكم قد مارس ضغوطاً على الأئمّة عليهم السلام وشيعتهم للحد من نشاطهم، وقد أعمل فيهم السيف بغية صهر هويتهم، و في مثل هذه الظروف العصيبة والقاسية يبيح العقل والنقل الإفتاء على وجه التقية، وقد كان الضغط على أئمّة أهل البيت عليهم السلام بمكان يفرض عليهم بعض الأحيان الانصياع لحكم الحاكم في يوم الشكّ من شوال، فقد أفطر الإمام الصادق عليه السلام وهو يعلم أنّه يوم من شهر رمضان، فسئل عن إفطاره، فقال: «إفطاري يوماً

وقضاؤه، أيسر عليّ من أن تضرب عنقي»[١].

٢. معتقد عصمة الأئمّة عليهم السلام

هذا هو الشاهد الثاني الذي زعم الكاتب أنّ التاريخ فرضه على الشيعة ولم يكن من صلب عقائدهم.

إنّ الاعتقاد بعصمة الإمام وعدم عصمته، نابع من اختلاف التفكير في ماهية الإمامة والخلافة، فذهبت السنّة إلى أنّ الإمام كرئيس دولة ينتخبه الشعب أونواب الأُمّة أو يتسلّط على رقابهم بانقلاب عسكري، فالإمام وفق هذه النظرية لا يشترط فيه سوى الكفاءة الاجتماعية، ولذلك لا ينخلع بفسقه وظلمه وغصب الأموال وضرب الأبشار وتناول النفوس المحرمة وتضييع الحقوق وتعطيل الحدود ولا يجب عليه الخروج.[٢]

فالإمام عند أهل السنة كرئيس الدولة، والذي يصفه التفتازاني، بقوله: ولا ينعزل الإمام بالفسق أو بالخروج عن طاعة اللّه، والظلم على عباد اللّه، لأنّه قد ظهر الفسق وانتشر الجور من الأئمة، والسلف كانوا ينقادون لهم ويقيمون الجمعة والأعياد بإذنه ولا يرون الخروج عليه[٣].

وفي هذه النظرة لا يشترط في الإمام العصمة ولا العدالة ولا العلم ولا سائر المواصفات إلّا الكفاءة على إدارة البلد وعمرانه و توزيع الأرزاق

---

١. الوسائل: ٧ / ٩٥.

٢. التمهيد للقاضي أبي بكر الباقلاني: ١٠٨.

٣. شرح العقائد النسفية: ١٨٥.

والذب عن الحدود.

وأمّا الإمامة عند الشيعة فهي استمرار لوظائف الرسالة ـ لا نفس الرسالة ـ التي كانت على عاتق النبي ﷺ من تفسير القرآن الكريم، والإجابة على المستجدات، والدفاع عن حياض العقائد، مضافاً إلى الكفّاءة على إدارة البلد، فالإمام في هذه النظرة بحكم انّه يقوم بوظائف النبي ﷺ يجب أن يكون معصوماً كنفس النبي ﷺ .

دلت الآيات على عصمة الإمام، كآية الابتلاء في قوله سبحانه: ﴿وَإِذِ ابْتَلىٰ إِبْراهيمَ ربُّهُ بِكَلماتٍ فَأَتَمَهُنَّ قالَ إِنِّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً قالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتي قالَ لا ينالُ عَهدِي الظالِمين﴾[1].

و أمّا دلالتها على عصمة الإمام ، فإليك بيانها موجزاً .

إنّ الناس بالنسبة إلى الظلم على طوائف أربع:

١. من كان طيلة عمره ظالماً.

٢. من كان طاهراً ونقياً طيلة عمره.

٣. من كان ظالماً في بداية عمره وتائباً في آخره.

٤. من كان طاهراً في بداية عمره وظالماً في آخره.

عند ذلك يجب أن نقف على أنّ إبراهيم عليه السلام الذي سأل الإمامة لبعض ذريته، أي طائفة منها أراد.

---

١. البقرة: ١٢٤ .

حاشا إبراهيم أن يسأل الإمامة للطائفة الأُولى أو الرابعة من ذريته، لوضوح أنّالغارق في الظلم من بداية عمره إلى آخره أو الموصوف به أيّام تصدّيه للإمامة لا يصلح لأن يؤتمن عليها.

فبقيت الطائفتان الثانية والثالثة، وقد نص سبحانه على أنّه لا ينال عهده الظالم، و الظالم في هذه العبارة لا ينطبق إلّا على الطائفة الثالثة، أعني من كان ظالماً في بداية عمره وكان تائباً حين التصدي.

فإذا خرجت هذه الطائفة بقيت الطائفة الثانية وهي من كان نقي الصحيفة طيلة عمره لم ير منه لا قبل التصدي لمنصب الإمامة ولا بعده أي انحراف عن جادة الحقّومجاوزة للصراط السوي وهو يلازم العصمة.

إنّ الدليل على عصمة الإمام لا ينحصر بالآية، بل آية التطهير أوضح دليل على عصمة أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم من الدنس، قال سبحانه: ﴿**إِنَّما يُريدُ اللّهُ لِيُذهِبَ عَنْكُمُ الرِّجسَ أَهلَ البَيتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[1].

والآية بحكم تذكير الضمائر لا صلة لها بنساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، بل هي راجعة إلى الذين عيّنهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حديثه المتواتر بالكساء حيث ألقى الكساء على علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وقال: اللّهمّ لكلّ نبي أهل بيت، وهؤلاء أهل بيتي.[2] والمراد من الرجس، هو الذنب كما لا يخفى. وإذهاب الرجس كناية عن عصمتهم، و إرادته سبحانه في الآية تكوينية

١. الأحزاب: ٣٣.

٢. تفسير الطبري: ٢٢ / ٥ ـ ٧، الدر المنثور: ٥ / ١٩٨ ـ ١٩٩.

خاصة بأهل البيت لا تشريعية عامة لجميع الناس.

على أنّ حديث الثقلين المتواتر عن النبي ﷺ جعل العترة أعدال القرآن وقرناءه، وقال: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب اللّه وعترتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي» كافٍ في إثبات عصمتهم.

لأنّه إذا كانت العترة عدل القرآن، والقرآن معصوم من الزلل، فالعترة مثله، وإلّا لم تكن جديرة بأن تصبح عدل القرآن وتكون هادية بعده إلى يوم القيامة.

ومنه يتضح أنّ الذي فرض العصمة على الإمام هو القرآن أوّلاً والحديث النبوي ثانياً، لا التاريخ، كما زعم الكاتب .

والظاهر أنّ الكاتب تأثر إلى حد بعيد بالأفكار التي بثّها بعض المستشرقين أمثال «دونالدسن» الذي احتمل أن تكون فكرة العصمة قد ظهرت في عصر الصادق عليه السلام [1] .

٣. معتقد الإمامة

إنّ الإمامة عند الشيعة الإمامية ليست وراثية، سواء أُريد منها وراثة الابن عن الأب، أو الأخ الأصغر عن أخيه الأكبر، وإنّما هي بالتنصيص من اللّه سبحانه عن طريق نبيّه ﷺ فملاك الإمامة هو المؤهلات الذاتية؟

فإمامة الحسن عليه السلام ليست وراثة عن أبيه، وإنّما هي بتنصيص

١. عقيدة الشيعة، دونادسن: ٣٢٨ .

النبي ﷺ، كما أنّ إمامة الحسين عليه السلام ليست وراثة عن أخيه، وإنّما هي تنصيص لقوله ﷺ: الحسن والحسين ابناي إمامان سواء قعدا أو قاما، وهكذا إمامة سائر الأئمّة عليهم السلام.

نعم تعلّقت إرادته سبحانه بتسلسل الإمامة في عترة النبي ﷺ على النحو المألوف.

وعلى أيّة حال فقد بدت محاولة الكاتب عقيمة لما سرد الحالات في تسلسل الإمامة التي خرجت عن المألوف كي يخرج بحصيلة أنّ الإمامة معتقد استحدثه التاريخ فقال:

«انتقاض التسلسل في إمامة الحسين بعد أخيه الحسن رغم أنّ إمامة الحسن جاءت بعد إمامة أبيه و كان مقتضى الضابطة تسلسل الإمامة في أعقاب الحسن عليه السلام ولكنّها تحوّلت إلى أخيه الحسين عليه السلام».

والإشكال نابع عن فكر مسبق وهو أنّ الإمامة أمر وراثي كخلافة الأمويين والعباسيين فكيف انتقلت الخلافة من الحسن إلى أخيه دون أعقاب الأوّل؟!

و منه يظهر خلل آخر في كلامه لمّا قال:

«إمامة الإمام موسى الكاظم عليه السلام بعد أبيه رغم أنّ الإمامة كانت لأخيه عبد اللّه الأفطح، وقيل لأخيه إسماعيل ولكن وفاة عبد اللّه الأفطح في حياة أبيه خلقت إشكالية في سلسلة الأئمّة».

«فالإمام بعد الإمام الصادق عليه السلام ـ حسب وجهةنظر الكاتب ـ هو ابنه الأكبر عبد اللّه الأفطح أو ابنه إسماعيل و مع ذلك تولى الإمامة نجله الأصغر

الإمام موسى الكاظم عليه السلام ».

والحقيقة أنّ النص كان من الإمام الصادق عليه السلام على شخص معين، وهو موسى الكاظم عليه السلام دون أيّ شخص آخر وكانت بطانته عارفة بذلك، وإنّما اشتبه الأمر على السُّذّج من الناس واجتمعوا حول عبد اللّه الأفطح، إلّا أنّه سرعان ما تبيّن الحق فرجع أكثر القائلين بإمامة الأفطح إلى إمامة موسى الكاظم عليه السلام .

ونود أن نشير إلى خطأ وقع فيه الكاتب، وهو قوله: «إنّ عبد اللّه الأفطح مات في حياة أبيه الصادق عليه السلام » مع أنّ الذي مات في حياة أبيه هو إسماعيل بن جعفر لا عبد اللّه الأفطح، فإنّه مات بعد أبيه بمضي ٧٠ يوماً باتّفاق المؤرّخين وأصحاب المقالات.

ثمّ إنّ الكاتب رأى غيبة الإمام الثاني عشر عند الشيعة أمراً لا ينسجم مع الإمامة، و نحن نكشف الستر عن وجه الحقيقة بوجه موجز ونقول:

إنّ الإمام المهدي عليه السلام قضية إسلامية اتّفقت الشيعة والسنّة على خروجه في آخر الزمان، و ليس لأحد إنكارها بعد ورود روايات متواترة من الفريقين، وإنّما الكلام في الأُمور التالية:

الأوّل: هل ولد الإمام المهدي عليه السلام و هو اليوم ممّن يرزق بأمر اللّه سبحانه كما عليه الشيعة الإمامية ولفيف من محقّقي السنّة أو هو لم يولد؟

وهذه قضية تاريخية لا يسع المجال لطرحها واستقصاء دلائل الولادة إلّا أنّنا نحيل الكاتب إلى الكتب التي أُلّفت في هذا المضمار.

وأقول باختصار: إنّ هناك ١٤٠ عالماً سنّياً نص على ولادته في بيت الإمام العسكري عليه السلام ، فلو حاول الكاتب أن يقف على نصوصهم وكلماتهم، فعليه الرجوع إلى كتاب «موسوعة الإمام المهدي»، فقد جاء مؤلفه بنفس النصوص معيناً اسم الكتاب والمؤلف و رقم الصفحة.

الثاني: زعم الكاتب أنّ القول بحياة الإمام الثاني عشر يشكل إشكالية يستحيل تفسيرها، فهل أراد الله للعالم أن يمكث ردحاً من الزمان دون إمام ولماذا؟ وهل ينسجم هذا مع كون الإسلام خاتم الأديان والرسالة الخالدة إلى جميع البشر ولماذا؟

حاصل كلامه يرجع إلى أمرين:

الأوّل: أنّ الغيبة لا تنسجم مع الإمامة

والجواب: أنّ لله سبحانه أولياء فهم بين ظاهر في أوساط الناس يقومون بما خوّل إليهم من أمر الهداية، وغائب عن الأنظار بمعنى أنّ الناس لا يعرفوه ولكنّه يقوم بما خوّل إليه حسب الإمكان.

و هذا كمصاحب موسى فقد كان ولياً من أوليائه سبحانه رُزق من العلم ما لم يرزقه موسى الكليم عليه السلام فأراد أن ينهل من نمير علم مصاحبه ، فقال: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾ [1] .

فصاحَبَه فترة فعرف أنّه ولي مستور، ولكنّه يقوم بوظائفه بأحسن ما يرام. وقد ذكر القرآن الكريم من أعماله ما يحير العقول، والإمام الثاني عشر كهذا الولي المستور فهو إمام بين الأُمّة وقد فوّضت إليه وظائف يقوم بها في

---

١. الكهف: ٦٦ .

أوساط الناس دون أن يعلموا به.

والكاتب لبعده عن عقائد الشيعة وكتبهم، تصور أنّ الإمام الغائب يعيش بعيداًعن الناس أو في عالم آخر غير عالمنا لا يمت إلينا بصلة، فقال: هل أراد اللّه للعالم أن يمكث ردحاً من الزمان دون إمام و لما ذا؟!

فنقول: ما أراد اللّه ذلك، بل أراد أن يكون للأُمة إمام يمكث معهم ويقوم بما فوض إليه من وظائف الإمامة من دون أن يعرفه الناس.

وليس الاختفاء عن الناس أمراً بديعاً في أوليائه سبحانه، فقد اختفى موسى عن أعين الأُمّة نازلاً في ميقاته أربعين ليلة فكان هو نبياً رسولاً ، قال سبحانه: **﴿وَواعَدْنا مُوسىٰ ثَلاثينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْناها بِعَشْر فَتَمَّ ميقاتُ رَبِّهِ أَرْبعينَ لَيْلَةً وَقالَ مُوسىٰ لأخيهِ هارُونَ اخْلُفني في قَومي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبيلَ المُفْسِدِين﴾**[1].

الثاني: أنّ القول بغيبة الإمام الثاني عشر لا ينسجم مع كون الإسلام خاتم الأديان والرسالة الخالدة إلى جميع البشر.

لا شكّ انّ الكلام المذكور يكتنفه كثير من الغموض، لأنّه لم يبين وجه الملازمة بين غيبة الإمام الثاني عشر وعدم كون الإسلام خاتم الأديان والرسالة الخالدة إلى جميع البشر، فأي صلة بين الأمرين، فلا شكّ أنّ الإسلام خاتم الشرائع وأنّ النبي ﷺ خاتم الأنبياء، وأنّ القرآن خاتم الكتب، فأيّ ملازمة بين القول بذلك و كون الإمام ظاهراً بين الناس وقائماً

---

١. الأعراف: ١٤٢.

بينهم، فليس الإمام الثاني عشر رسولاً ولا نبياً، وإنّما هو خليفة رسول اللّه بعد أحد عشر خليفة، ولم تكن البيئة آنذاك مستعدة لظهوره بين الناس وكان الجهاز العباسي الحاكم يتحين الفرص للانقضاض عليه وقتله، فاقتضت المصلحة الإلهية أن تخفيه عن الأنظار رغم وجوده بينهم.

وبذلك يعلم انّ الاعتقاد بإمامة الإمام الثاني عشر أمر موافق للقرآن الكريم والسنن الإلهية في الأُمم السابقة وليس هذا أمراً استحدثه التاريخ بل كانت أئمّة أهل البيت عليهم السلام متنبئين بولادته ثمّ غيبته ثمّ ظهوره قبل أن يولد الإمام بسنين كثيرة، وهذا مذكور في العديد من الكتب التي أُلّفت حول الإمام المهدي عليه السلام .

٤. معتقد الرجعة

قام الكاتب بتفسير الرجعة بالنحو التالي: وهو الإيمان بعودة الأئمّة عليهم السلام في آخر الزمان ليتمكنوا من تولي السلطة والخلافة التي حرموا منها.

إنّ القول بالرجعة أي رجوع طائفة من الناس بعد موتهم إلى الدنيا قبل يوم القيامة ممّا نصّ به القرآن الكريم، يقول سبحانه: **﴿وَيَومَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمّة فَوجاً مِمَّنْ يُكَذِّب بآياتنا فهُم يُوزَعُون﴾** [1]، فهذا الحشر غير الحشر يوم القيامة، فإنّ الحشر الثاني يعم الناس جميعاً: **﴿ويومَ يحشُرهُمْ جميعاً﴾**[2].

---

١. النمل: ٨٣. ٢ . الأنعام: ١٢٨ .

غير أنّ الوارد في هذه الآية هو حشر خصوص المكذبين، والوارد في الروايات هوحشر قليل من المؤمنين، وفي طليعتهم بعض أئمّة أهل البيت عليهم السلام كالحسين عليه السلام، هذا هو واقع الرجعة عند الشيعة وليس أمراً بديعاً، فقد جرت سنّته سبحانه على إعادة لفيف من الناس إلى الدنيا قبل يوم القيامة، يقول سبحانه: ﴿أَوْ كَالَّذي مَرَّ علىٰ قَريةٍ وَهِيَ خاويةٌ عَلى عُروشِها قالَ أَنّىٰ يُحيِي هذهِ اللّٰهُ بَعْدَ مَوتِها فَأَماتَهُ اللّٰهُ مِائةَ عامٍ ثُمَّ بعثَهُ قالَ كَمْ لَبِثْتَ قالَ لَبِثْتُ يوماً أَوْ بَعْضَ يَومٍ قالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَة عامٍ فَانْظُر إِلىٰ طَعامِكَ وَشَرابِكَ لَمْ يَتَسَنَّه وَانْظُر إِلى حِمارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آية لِلنّاسِ وَانْظُر إِلىٰ العِظامِ كَيْفَ نُنْشِزُها ثُمَّ نَكْسُوها لَحْماً فَلَمّا تَبيّنَ لَهُ قالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدير﴾[١].

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ المَوتِ فَقالَ لَهُمُ اللّٰهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحياهُمْ إِنَّ اللّه لَذُو فَضْلٍ عَلى النّاسِ وَلكنَّ أَكْثَر النّاسِ لاٰ يَشْكُرُون﴾[٢]

والعجب أنّ الكاتب يسخّف فكرة الرجعة مع أنّالخليفة الثاني هو أوّل من طرح فكرة الرجعة بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

روى ابن هشام و غيره لما توفّي رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قام عمر بن الخطاب، فقال: إنّ رجالاً من المنافقين يزعمون أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قد

١. البقرة: ٢٥٩.

٢. البقرة: ٢٤٣.

توفي، وإنّ رسول الله ﷺ ما مات، ولكنّه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة، ثمّ رجع إليهم بعد أن قيل قد مات، و والله ليرجعنّ رسول الله ﷺ كما رجع موسى، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنّ رسول الله ﷺ مات.[١]

ولا يسعني في هذا المختصر سرد أسماء المصادر التاريخية والكلامية التي تتناول تاريخ تلك المعتقدات بالتفصيل إلّا أنّني على استعداد للدخول في مناظرة مع الكاتب في أي قاعة يرغب بها من قاعات الأُردن الكبيرة و أمام محتشد غفير من الناس لكي أنقل له ما ذكرناه في هذه المقالة بالتفصيل من مصادرها وقد ألقيت محاضرتين حول عقائد الشيعة في سالف الزمان في مؤسسة «عبدالحميد شومان».

ثمّ إنّ الكاتب قد نحا نفس المنحىٰ في مقال آخر له تحت عنوان «الشيعة والتجديد» وخرج منه بنفس النتيجة التي خرج بها في هذا المقال، وانّ هناك معتقدات للشيعة استحدثها التاريخ تلبية للمستجدات والتطورات. تظهر الحال فيه ممّا ذكرناه في المقام. كلّ ذلك يعرب عن قصور باع الكاتب في الإحاطة بعقائد الشيعة من مصادرها، ودلائلها وعذره انّه لم يتعرّف على دخائل الشيعة ولم يجالس علماءهم ولم يستبطن ثقافتهم. وفي الختام، تقبلوا منّا خالص التحية والثناء.

جعفر السبحاني
٦ ذي الحجة الحرام ١٤٢٠هـ

---

١. السيرة النبويّة: ٤ / ٦٥٥ .

رسالتان إلى الأُستاذ حسن التل رئيس تحرير صحيفة اللواء الأردنية

٥٢



«حضرة الأُستاذ حسن التل»
رئيس تحرير صحيفة اللواء الأُردنية، الموقّر

أتقدم لكم بالتحية الخاصة متمنياً دوام التوفيق .

أمّا بعد: فقد قرأنا في العدد ١٢١١ والمؤرَّخ في ٢٤ / ٧ / ٩٦ مقالاً قيّماً حول التقيّة بعنوان: التقية رخصة شرعية بقلم الأُستاذ الفاضل أُسامة عبد الكريم الكساسبة من قسم الدراسات الإسلامية بجامعة مؤتة .[١]

ونحن إذ نقدّر منكم ومن الأُستاذ الكاتب لذلك المقال ، هذه الخطوة الهادفة إلىٰ التقريب بين المذاهب نسأل الله سبحانه أن ينصر المسلمين

١ . نشرنا هذه المقالة كاملة في رسائل ومقالات: ١ / ٦٠٩ .

ويعيد إليهم عزّتهم وكرامتهم على أيدي المخلصين من أبناء أُمّتنا الإسلامية .

إنّ المقال المذكور تضمّن ـ ولله الحمد ـ أدلّة مشرقة أثبتت أنّ للتقية أُصولاً وجذوراً في القرآن الكريم والسنّة المطهّرة والتاريخ الإسلامي ، فهو بحق مقال علمي كشف القناع عن وجه التقية وبيّن الفرق بينها وبين النفاق بشكل واضح .

بيد أنّه جاء في آخر المقالة عبارة مجملة هي: «وإذا كان البعض قد أساء فهم مدلول التقية فانّ الخطأ لم يكمن في القاعدة أو الحكم إنّما الخطأ يكمن في الخطأ في العمل والتطبيق» .

فإذا كان مقصود الكاتب من هذه العبارة ـ كما فهمنا أو احتملنا ـ هو اختصاص أدلّة مشروعة التقيّة باتقاء المسلم من الكافر ، فلا يشمل اتّقاء المسلم من المسلم فهو غير صحيح ، لأنّ الغرض من تشريع التقيّة عند الابتلاء بالكفّار ليس إلّا صيانة النفس والمال من الشرّ والضرر ، فإذا ابتُلي المسلم بمسلم ظالم صادر حرّيته ، ومنعه من إظهار عقيدته من دون خوف بحيث لو أظهر عقيدته نكّل به واستباح دمه وماله ، حكم العقل والنقل هنا بصيانة النفس والمال بواسطة التقيّة ، وعدم إظهار المعتقد ، ومماشاة من يهدّد حياته أو ماله ، وحينئذٍ لا يكون اللوم متوجّهاً إلى المسلم المقهور بل إلى الآخر الذي صادَرَ حرّيته ، وقهره بمنعه من إظهار معتقده .

وقد صرح بهذا (أي مشروعيّة التقيّة حتّى عند المسلم) طائفة من أعلام المسلمين ، نشير إلى عبارات بعضهم في هذا المجال:

١ . يقول الإمام الرازي في تفسير قوله سبحانه: **﴿إلّا تتقوا منهم تقاة﴾** ظاهر الآية يدل على أنّ التقية إنّما تحلّ مع الكفّار الغالبين إلّا أنّ مذهب الشافعي أنّ الحالة بين المسلمين ، وقال: التقية جائزة لصون النفس، وهل هي جائزة لصون المال ؟ يحتمل أن يحكم فيها بالجواز لقوله ﷺ «حرمة مال المسلم كحرمة دمه» وقوله ﷺ : «من قُتِل دون ماله فهو شهيد» . (مفاتيح الغيب: ٨ / ١٣) .

٢ . نقل جمالُ القاسمي عن الإمام المرتضى اليماني في كتابه «إيثار الحقّ على الحق» مانصّه: «وزاد الحقّ غموضاً وخفاءً أمران: أحدهما: خوف التقية عند ذلك بنصّ القرآن وإجماع أهل الإسلام ، ومازال الخوف مانعاً من إظهار الحقّ ، ولا برح المحقّ عدوّاً لأكثر الخلق وقد صحّ عن أبي هريرة انّه قال في ذلك العصر الأوّل: حفظت من رسول الله ﷺ وعائين أمّا أحدهما فبثثته في الناس وأمّا الآخر فلو بثثته لقُطع هذا البلعوم . (محاسن التأويل: ٤ / ٨٢) .

٣ . قال المراغي في تفسير قوله سبحانه: **﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلّا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾**: ويدخل في التقية مداراة الكفر والظلمة والفسقة ، وإلانة الكلام لهم، والتبسّم في وجوههم وبذل المال لهم لكفّ أذاهم وصيانة العِرض منهم ، ولا يُعدّ هذا من الموالاة المنهي عنها، بل هو مشروع ، فقد أخرج الطبراني قوله ﷺ : «ما وقى المؤمن به عرضَه فهو صدقة» . (تفسير المراغي: ٣ / ١٣٦) .

وهكذا يذهب اعلام من المسلمين إلى مشروعيّة إتقاء المسلم من

المسلم إذا خاف على نفسه وحتى ماله من الهلاك والضياع ، ولا إثم على المسلم إذا اتقى أخاه المسلم وعامَلَه بالتقية وأخفى عنه معتقده إذا لم يسمح له أخوه المسلم بأن يظهر عقيدته بدافع العصبية والطائفية .

فالذي ينبغي أن يسعى إليه المسلمون وبخاصة المهتمون بشؤونهم هو فتح آفاق الحوار البنّاء ، والسماح للجميع بإظهار عقائدهم ، بعيداً عن الإرهاب والإرعاب، والتكفير والتفسيق لتعود الأُمّة الإسلامية قوّة متراصة الصفوف، متكاتفة حتى مع الاختلاف في الاجتهادات، والآراء .

وعلى كلّ حال نعود لنثمن جهدكم وجهدَ الكاتب الفاضل هذا .

وفقكم الله وأخذ بأيديكم لما فيه صالح المسلمين .

جعفر السبحاني

٢٠ / ٤ / ١٤١٧ هـ

٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأخ العزيز الأُستاذ حسن التلّ المدير العام و رئيس التحرير المسؤول لصحيفة اللواء الأُردنية، الموقر

السلام عليكم و رحمة اللّه و بركاته

أتقدّم إليكم بالتحية و السلام ، و أرجو من اللّه سبحانه مزيد التوفيق لكم و لمن حولكم من الأعزاء.

منذ مدّة و نحن نقرأ في صحيفتكم الغرّاء مقالات بقلم الأُستاذ الفاضل محمد الآلوسي حول عقائد الشيعة و تاريخها، و قد امتازت هذه المقالات بالبحث الموضوعي و الدراسة الهادئة بعيداً عن المهاترات، والاتهامات وبمعزل عمّا لا يليق بالكاتب الإسلامي، فشكر اللّه مساعيه وكثّر في المجتمع الإسلامي أمثاله، إذ طالما نقرأ في الصحف والمجلات أو في الكتب المنشورة حول الشيعة مقالات بأقلام بذيئة، لا تنتج عند القارئ إلّا النفور من الكاتب و إساءة الظن به وبأهدافه، فإنّ البحث العلمي يرتفع عن إقرانه بالشتم و السب غير أنّ كاتبنا ـ وللّه الحمد ـ مستثنىً من تلك الزمرة، فهو كاتب مؤدب، ذو صدر رحب، و لهجة مهذبة.

لكن الذي بعثنا على أن نسجل شيئاً أو هامشاً على بعض مقالاته ما قرأناه في صحيفة اللواء المؤرّخة في ١٠ جمادى الآخرة ١٤١٧ هجري، الموافق لـ٢٢ تشرين الأول ١٩٩٦م، العدد ١٢٢٢ السنة الخامسة و العشرون.

ففي الصفحة ٢٤ كتب الأخ تحت عنوان «الخلافة والإمامة عند الشيعة» أُموراً لنا فيها تأمّلات و مناقشات يرجىٰ نشرها على صفحات اللواء لتكون الصحيفة منبر الإسلام الحرّ، و معرضاً لمختلف الآراء، و فرصة لتلاقح الأفكار الذي منه ينبثق النور، و يضاء الطريق، و قد قيل: الحقيقة بنت البحث.

و إليك موجز كلامه:

قال الأُستاذ الآلوسي:

إنّ أهمّ نصّ استدل به الشيعة و توصلوا من خلاله إلى عصمة من قالوا بعصمتهم هو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللّٰه لِيُذهبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهل الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [1].

فقد قالوا: إنّها نزلت بشأن علي و زوجته فاطمة و ولديهما الحسن والحسين وقد جمعهم النبي ﷺ إثر نزول الآية و ألقى عليهم كساء و قال: «اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس و طهّرهم تطهيراً... » و عليه يكون المقصود بأهل البيت هم هؤلاء الأربعة فقط و ذرّيتهم من بعدهم دون غيرهم، لأنّ كلمة إنّما تفيد الاختصاص الدالّ على الحصر...و هذا الحديث والرواية بشأن نزول الآية هي إحدى الروايات المشهورة عند أهل السنّة أيضاً

١. الأحزاب: ٣٣.

في مصادرهم المعتمدة كالسيوطي و الطبري و ابن كثير والآلوسي في تفاسيرهم و كثيرون غيرهم، و قالوا أيضاً إنّ قوله تعالى في الآية: ﴿**إِنَّما يُريد**﴾ يفيد الإرادة الإلهية القدرية النافذة و من ثمّ دلّت على حصول الشيء فعلاً وهو التطهير و ذهاب الرجس عن الأربعة «رضي اللّٰه عنهم» و هو ما يعرف عند المتكلّمين بالإرادة الكونية للّٰه الذي يقول للشيء إذا أراده ﴿**كُنْ فيكون**﴾.

ثمّ ناقش استدلال الشيعة الذي نقله بوجوه نأتي بها:

١. انّ أهل السنة قالوا: إنّ المقصود بأهل البيت هم نساء النبي و ليس الأربعة رضي اللّٰه عنهم، و انّ الّذي رجّح عندهم هذه الرواية هو سياق الآيات التي سبقتها، و السياق له اعتباره في استنباط الأحكام ثمّ نقل الآيات المتقدمة على آية التطهير والمتأخرة عنها و كلّها نازلة في نساء النبي.

٢. انّ الخطاب في آية التطهير و إن جاء بصيغة المذكر: ﴿**عنكم أهل البيت و يطهركم...**﴾ خلافاً للضمائر الواردة في سائر الآيات التي سبقتها والتي أعقبتها ، فهي بصيغة المؤنث. لكنّه لا يصير دليلاً على التغاير، و انّ المقصودين من آية التطهير غير المقصودين من سائر الآيات، و ذلك لأنّه يجوز في لغة العرب مخاطبة جمع المؤنث بصيغة جمع المذكر تعبيراً لعلو المقام والمبالغة.

٣. انّ حديث الرسول جاء بصيغة الطلب «اللّهمّ اذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً» و هي صيغة تفيد عدم شمول الأربعة وقت نزول النصّ، فدعا الرسول ربه أن يشملهم أيضاً بحكمه، و لو كانوا هم المقصودين لكان

الرسول ناجى ربّه بصيغة الشكر لا بصيغة الطلب.

٤. انّ الإرادة الواردة في الآية هي الإرادة التشريعية أي الأمر الذي لا يسلب المخاطب القدرة على الاختيار، و ليست إرادة كونية ـ التي تـدّعيها الشيعة ـ و التي تتعلق بكلّ قضايا الخلق و الإيجاد فقد خُلِقتْ من دون اختيار، و ذلك لأنّه عندئذ تصبح طهارتهم ـ عصمتهم ـ أمراً خارجاًعن الاختيار ولا تكون خاضعة للثواب و العقاب.

هذه هي الأدلة التي استدل بها على نزول الآية في نساء النبيّ ، و لكن الأُستاذ ـ أنار اللّه برهانه ـ لم يتجرّد عن عقيدته في تفسير الآية، ولو كان ناظراً إليها وما حولها و ما فيها من القرائن المتصلة و المنفصلة الدالّة على نزولها في آل العباء والكساء، لما عدل عن مقتضاها، و لما اختار ما اختار.

إنّ استدلال الشيعة بهذه الآية على عصمة آل الكساء مبني على أُمور تنتج مختارهم بوضوح:

الأوّل: ما هوالمراد من الإرادة في الآية؟

إنّ الإرادة المتعلّقة بالإيجاد و التكوين إرادة تكوينية و هي لا تنفك عن المراد إذا كان المريد هو اللّه سبحانه كقوله سبحانه:﴿**إنَّما أمره إذا أراد شيئاً أَنْ يقول لهُ كُنْ فَيَكُون**﴾[1] فخلق السماوات و الأرض مراد بإرادة كونية.

وأمّا الطلب الموجّه إلى البشر الحاكي عن تعلّق إرادته سبحانه بـقيام الناس بالوظائف فهي إرادة تشريعية و لم يكتب عليها عدم التفكيك، فـانّه

---

١. يس: ٨٢.

سبحانه أراد الطاعة من الإنسان، وكم هناك إنسان كافر أو عاص لله سبحانه.

و هذا التقسيم ممّا لا غبار عليه.

إنّما الكلام هو في الإرادة الواردة في آية التطهير و أنّها من أي القسمين، والأُستاذ ذهب إلى أنّها تشريعية، و لكن الدليل يسوقنا إلى أنّها كونية، و ذلك لأنّها إذا كانت تشريعية كان من لوازمها انّها لاتختص بفئة دون فئة، بدليل أنّه سبحانه أراد التطهير و التطهّر من كلّ شين و رين و طلبه من جميع الناس، من دون تخصيص و حصر. قال سبحانه:

﴿وَ لَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَ لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُم﴾[1].

﴿وَ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ منَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بهِ﴾[2].

﴿إِنّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوابينَ و يُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ﴾[3].

﴿فيه رِجَالٌ يُحِبُّون أَنْ يَتَطَهّروا و اللّهُ يُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ﴾[4].

وحبه سبحانه علامة بعثه و طلبه، و إرادته التشريعية المتعلّقة بتطهير كل المؤمنين عامة لا جماعة خاصة.

و سؤالنا هو : لو كانت الإرادة الواردة في الآية المبحوثة كالإرادة الواردة في هذه الآيات فما هو وجه التخصيص بأُمور خمسة:

ألف: بدأ قوله سبحانه بحرف ﴿إنّما﴾المفيدة للحصر.

---

١. المائدة: ٦.
٢. الأنفال: ١١.
٣. البقرة: ٢٢٢.
٤. التوبة: ١٠٨.

ب: قدّم الظرف وقال:﴿ليذهب عنكم الرجس﴾ و لم يقل ليذهب الرجسَ عنكم، و ذلك لأجل أنّ التقديم يفيد التخصيص .

ج: بيّن من تعلّقت الإرادة بتطهيرهم بصيغة الاختصاص و قال: ﴿أهل البيت﴾أي أخصُّكم أهل البيت مثل قول النبي ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء...».

وقول قائلهم: نحن العرب أسخى من بَذَل.

د: أكد المطلوب بتكرير الفعل و قال: ﴿و يطهّركم﴾ الذي هو تأكيد لمعنى إذهاب الرجس المتقدّم عليه.

هـ: أرفقه بالمفعول المطلق و قال: ﴿تطهيراً﴾ .

فهذه الوجوه الخمسة آية أنّ هذه الإرادة إرادة خاصّة بأهل البيت لا يشاركهم فيها أحد من الأُمّة، و إلّا لكانت تلك العناية البالغة في مجال التخصيص و الاختصاص لغواً مضراً بالبلاغة، وغير لائقة بكلام ربّ العزة.

ثمّ إنّ تعلّق إرادته التكوينية بطهارة أهل البيت من الذنب ليس بأمر جديد، فقد جاء نظيره في مريم سلام اللّه عليها ، قال اللّه سبحانه: ﴿إنّ اللّهَ اصطَفَاكِ وَطَهَّركِ واصْطَفَاكِ على نِسَاءِ العَالَمِينَ﴾[1].

و ليس هذا الإصطفاء و التطهير بالإرادة التشريعيّة، فإنّ مريم و غيرها أمام هذه الإرادة سواسية، بل هناك إرادة خاصّة تعلّقت بمريم دون غيرها فطهّرتها من الذنوب و حصّنتها من اقتراف المعاصي.

و سيوافيك انّ تعلّق الإرادة التكوينية بالطهارة من الذنب لا ينافي

١. آل عمران: ٤٢.

الاختيار على الاستجابة و الرفض، والثواب و العقاب، والفعل و الترك.

***

الثاني: ما هو المراد من الرجس؟

هذا هو الأمر الثاني الذي يجب الإمعان فيه حتّى يكون الدليل منتجاً لا عقيماً و قد غفل الأُستاذ عن تبيين تلك الناحية في كلامه فنقول: إنّ الرجس استعمل في الذِّكر الحكيم، في الخمر و الميسر والأنصاب و الأزلام [١] كما استعمل في الميتة و الدم و لحم الخنزير [٢] وفي الأوثان [٣] و في المنافقين [٤] و في المشركين [٥] و في غير المؤمنين [٦] إلى غير ذلك من موارد استعماله في الكتاب والسنّة النبوية واللغة العربية، فينتقل الإنسان من مجموع هذه الموارد إلى أنّ الرجس عبارة عن كلّ قذارة ظاهرية كالدم و لحم الخنزير، أو باطنية و روحية كالشرك و النفاق وفقد الإيمان. و بالجملة مساوئ الأخلاق، و الصفات السيئة والأفعال القبيحة التي يجمعها الكفر و النفاق والعصيان.

فالمنفي في الآية المبحوثة عنها هو هذا النوع من الرجس، فهو بتمام معنى الكلمة ممّا أذهبه اللّه عن أهل البيت.

---

١. المائدة: ٩٠.
٢. الأنعام: ١٤٥.
٣. الحجّ: ٣.
٤. التوبة: ٩٥.
٥. يونس: ١٠٠.
٦. الأنعام: ١٢٥.

فإذا كان أهل البيت منزهين عن النفاق و الشرك و الأعمال القبيحة و ما يراد منها، فهم معصومون من الذنب مطهّرون من الرجس، بإرادة منه سبحانه.

وقد ربّاهم اللّه سبحانه و جعلهم معلّمين للأُمّة هادين للبشر، كما ربّى أنبياءه و رسله لتلك الغاية.

فهل الأُستاذ ـ حفظه اللّه ـ يوافقنا على هذا التفسير أم أنّ له في تفسير الرجس مذهباً آخر فليبينه لنا؟ ولا أظن أن يفسره بغير ما يفسره القرآن.

وعلى ضوء ذلك فأهل البيت ـ كانوا من كانوا ـ معصومون بنصّ هذه الآية، مطهّرون من الذنب والعثرة في القول و العمل بإذن من اللّه سبحانه وإرادة حاسمة. وقد اتّفقت الأُمّة على أنّ نساء النّبي لسنَ بمعصومات، فانّ الآيات الواردة في سورة الأحزاب، أوّلاً ثمّ في سورة التحريم ثانياً حيث يقول سبحانه:﴿إِنْ تَتُوبَا إِلى اللّهِ فَقَد صَغَت قُلُوبُكُمَا و إن تَظَاهَرَا عَلَيهِ فَإِنَّ اللّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صَالِحُ المُؤمِنِينَ والملائكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾[1] تثبت ذلك.

و هذا لا يعني أن نبخس حقّهن، و نترك تكريمهن فإنّهن أُمّهات المؤمنين لهنّ من الحقوق ما شرعها اللّه في كتابه و سنة نبيّه المطهّرة.

***

١. التحريم: ٤.

الثالث: ما هوالمراد من «البيت»؟

لا شكّ انّ ﴿البيت﴾ في هذه الآية محلّاة باللام و هي تستعمل في تعريف الجنس، والاستغراق، والعهد فيجب التدبّر في مفادها، فهل هي هنا لتعريف الجنس أو لبيان الاستغراق، أو انّها تشير إلى بيت معهود بين المتكلّم و المخاطَب؟

أمّا الأوّل والثاني فلا سبيل إليهما، لأنّه سبحانه ليس بصدد بيان انّ إرادته الحكيمة تعلقت باذهاب الرجس عن أهل جنس البيت أو كلّ البيوت في العالم، و ذلك واضح لا يحتاج إلى الاستدلال إذ تكون حينئذٍ شاملة لبيوت عامة المؤمنين.

فتعيّن الثالث، و هو كون المراد (بيت واحد) معيّن معهود، بين المتكلّم والمخاطب (أي النبي ﷺ).

و عندئذٍ يجب علينا أن نحاول فهم ذلك البيت المعهود و انّه ما هو؟

و لا يمكن لنا أن نطبقه على بيوت نساء النبي بشهادة أنّه سبحانه عند ما يذكر بيوتهنّ فانّه يذكرها بصيغة الجمع إذ أنّ لهنّبيوتاً لا بيت واحد.

و الآية تركز على البيت الواحد، و الدليل على تعدّد بيوتهنّ:

قوله سبحانه: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَ لا تَبَرَّجْن تَبرّج الجاهليّةِ الأُولى﴾[1].

---

١. الأحزاب: ٣٣.

و قوله سبحانه: ﴿واذكُرْنَ ما يُتلَى في بُيُوتِكُنَّ من آياتِ اللّٰهِ والحكمَةِ﴾[١].

فإنّنا نرى هنا انّه لم يكن لنساء النبي بيت واحد بل بيوت عديدة.

و لم يكن للنبيّ أيضاً بيت واحد.

قال سبحانه: ﴿يا أيُّها الذينَ آمَنْوا لا تَدخُلُوا بُيُوتَ النبيّ إلّاأن يُؤذَنَ لَكُم﴾[٢].

فإنّنا نرى هنا انّه لم يكن للنبي ﷺ ولا لنسائه بيت واحد بل بيوت عديدة فما هو المراد ـ ياترى ـ بالبيت الذي جاء بصيغة المفرد؟

فعندئذ يجب على المفسّر المحقّق المجرّد من كلّ عقيدة مسبّقة تبيين هذا البيت و تعيينه، فهذا البيت ليس من بيوت نسائه، ولا بيوت نفس النبيّ بشهادة ما مضى من أنّ القرآن عندما يتحدّث عن أزواج النبي و نفس النبي إنّما يتحدّث عن بيوت لهن لا عن البيت الواحد. فلا محيص عن تفسيره ببيت واحد معهود فأيّبيت ذاك؟ فعلى الأُستاذ تعيينه.

هذا إذا كان المراد من البيت هو البيت المحسوس ، أي البيت المادي وهناك احتمال آخر و هو أن يكون المراد منه هو مركز الشرف و مجمع السيادة و العزّ ، وإن شئت قلت: إذا أُريد منه بيت النبوّة و بيت الوحي و مركز أنوارهما فلا يصحّ أن يراد منه إلّا المنتمون إلى النبوّة و الوحي بوشائج

١. الأحزاب: ٣٤.

٢. الأحزاب: ٥٣.

روحيّة خاصة على وجه يصحّ مع ملاحظتها، عدّهم أهلاً لذلك البيت، و تلك الوشائج عبارة عن النزاهة في الروح و الفكر.

ولا يشمل كل من يرتبط ببيت النبوّة عن طريق السبب أو النسب فحسب، و في الوقت نفسه يفتقد الأواصر الروحيّة الخاصة، و لقد تفطّن العلّامة الزمخشري صاحب التفسير لهذه النكتة، فهو يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّٰهِ رَحْمَةُ اللّٰهِ وَ بَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾[1]:

لأنّها كانت في بيت الآيات و مهبط المعجزات و الأُمور الخارقة للعادات فكان عليها أن تتوقّر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيوت النبوّة، و أن تسبّح اللّٰه و تمجّده مكان التعجّب، و إلى ذلك أشارت الملائكة في قولها:﴿رَحْمَةُ اللّٰهِ وَ بَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ...﴾أرادوا أنّ هذه و أمثالها ممّا يكرمكم به ربّ العزّة و يخصّكم بالأنعام به يا أهل بيت النبوّة.[2]

و على ذلك لا يصح تفسير الآية بكل المنتمين عن طريق الأواصر العائلية إلى بيت خاص حتى بيت فاطمة إلّا أن تكون هناك الوشائج المشار إليها.

ولقد جرى بين «قتادة» ذلك المفسّر المعروف و بين أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام مناظرة لطيفة أرشده الإمام فيها إلى هذا المعنى الذي أشرنا إليه قال ـ عند ما جلس الإمام الباقر عليه السلام ـ: لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدّام

١. هود: ٧٠.

٢. ميزان الاعتدال: ٣ / ٩٣ ـ ٩٧؛ سير أعلام النبلاء: ٥ / ١٨ ـ ٢٢.

ابن عباس فما اضطرب قلبي قدّام واحد منهم ما اضطرب قدّامك. قـال له أبوجعفر الباقر ﷺ: ويحك أتدري أين أنت؟ أنت بين يدي﴿بُيُوتٍ أَذِنَ اللّٰهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِـالْغُدُوِّ وَ الآصَـالِ* رِجَـالٌ لاٰ تُلْهِيهِمْ تِجٰارَةٌ وَ لاٰ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّٰهِ وَإِقامِ الصَّلاةِ وَ إِيتٰاءِ الزَّكاةِ﴾ [١] فأنت ثم و نحن أُولئك. فقال قتادة: صدقت و اللّٰه جعلني اللّٰه فداك، و اللّٰه ما هي بيوت حجارة ولا طين. [٢]

و ما جاء في كلام باقر الأمّة ﷺ يحضّ المفسّر فيها على البحث والتحقيق عن الذين يرتبطون بذلك البيت الرفيع بأواصر روحيّة معينة و بذلك يظهر وهن القول بأنّ المراد من البيت أزواج النبي ﷺ، لأنّه لم تكن تلك الوشائج الخاصة ـ باتفاق المسلمين ـ بينهنّ، و أقصى ما عندهنّ أنّهنّ كنّ مسلمات مؤمنات.

***

الرابع: الضمائر

نرى أنّه سبحانه عندما يتحدث عن أزواج النبي و نسائه يذكرهنّ بصيغة جمع المؤنث، ولا يذكرهنّ بصيغة الجمع المذكر، فإنّه سبحانه يأتي في تلك السورة من الآية ٢٨ إلى الآية ٣٤ باثنين و عشرين ضميراً مؤنثاً مخاطباً بها نساء النبي وإليك الإيعاز إليها:

---

١. النور: ٣٦ ـ ٣٧.

٢. الشرح الحديدي: ٤ / ١٠٢؛ سير أعلام النبلاء: ٤ / ٤٢١ ـ ٤٢٧.

١. كنتنّ؛ ٢. تردن؛ ٣. تعالين؛ ٤. امتعكنّ؛ ٥. أُسرّحكنّ [١].

٦. كنتنّ؛ ٧. تردن؛ ٨ منكنّ [٢].

٩. منكنّ [٣].

١٠. منكنّ [٤].

١١. لستنّ؛ ١٢. اتقيتنّ؛ ١٣. فلا تخضعنَ؛ ١٤. و قلنَ [٥].

١٥. وقرنَ ؛ ١٦. بيوتكنَّ؛ ١٧. تبرّجنَ؛ ١٨. اقمنَ؛ ١٩. آتينَ؛ ٢٠. اطعنَ [٦].

٢١. و اذكرنَ؛ ٢٢. في بيوتكنَّ [٧].

نرى أنّه سبحانه عندما يتحدّث عن نساء النبي يذكرهن بهذه الضمائر، مع انّا نرى انّه سبحانه عند ما يذكر أهل البيت يذكرهم بضمائر المذكر، ويقول: **﴿ليذهب عنكم﴾** ، **﴿و يطهّركم﴾**.

فما هو وجه العدول في هذه الآية عن السياق الوارد في الآيات المتقدمة والمتأخرة عنها؟

و ما يقوله الأُستاذ من أنّ أهل السنة يجوّزون في لغة العرب مخاطبة الجمع المؤنث، بصيغة جمع المذكر تعبيراً لعلوّ المقام، والمبالغة، لو كانت صحيحة، فما هو وجه العدول في مورد واحد عمّا ورد في اثنين وعشرين مورداً؟!

---

١. الأحزاب : ٢٨ .
٢. الأحزاب: ٢٩.
٣. الأحزاب: ٣٠.
٤. الأحزاب: ٣١.
٥. الأحزاب: ٣٢.
٦. الأحزاب: ٣٣.
٧. الأحزاب: ٣٤.

أليس هذا العدول لذلك التبرير المزعوم موجباً للالتباس و وقوع المخاطب في الاشتباه؟

إلى هنا ثبت أنّ الآية لا تهدف إلى نساء النبي، و إنّما تهدف إلى بيت واحد وإلى أهله خاصّة.

فعند ذلك يجب علينا أن نميط الستر عن وجه الحقيقة عن طريق السنة النبوية.

السنّة النبوية تميط الستر عن وجه الحقيقة

إنّ للنبي ﷺ عناية وافرة بتعريف أهل البيت لم ير مثلها إلّافي أُمور نادرة حيث قام بتعريفهم بطرق مختلفة ، و إليك بيانها على سبيل الإيجاز والاختصار .

لقد قام النبيّ بتعريف أهل البيت بطرق ثلاثة:

أوّلاً: صرّح بأسماء من نزلت الآية في حقّهم، حتى يتعين المنزول فيه باسمه و رسمه.

ثانياً: قد أدخل جميع من نزلت الآية في حقّهم تحت الكساء و منع من دخول غيرهم.

ثالثاً: كان يمر ببيت فاطمة عدّة شهور كلّما خرج إلى الصلاة فيقول: الصلاة أهل البيت **﴿إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾**.

و نذكر من كلّ طائفة نماذج:

أما الأُولى: أخرج الطبري في تفسير الآية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللّه ﷺ : نزلت الآية في خمسة: فيّ وفي علي رضي اللّه عنه وحسن رضي اللّه عنه ، وحسين رضي اللّه عنه، و فاطمة رضي اللّه عنها، ﴿**إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهّركم تطهيراً**﴾ .

و قد رويت في هذا المجال روايات فمن أراد فليرجع إلى تفسير الطبري والدر المنثور للسيوطي.

و أمّا الثانية: فقدروى السيوطي و أخرج ابن أبي شيبة و أحمد ومسلم وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: خرج رسول اللّه غداة و عليه مرط مرجّل من شعر أسود فجاء الحسن و الحسين رضي اللّه عنهما فأدخلهما معه، ثمّ جاء علي فأدخله معه ثمّ قال: ﴿**إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهّركم تطهيراً**﴾ .

ولو لم تذكر فاطمة في هذا الحديث فقد جاء في حديث آخر، حيث روى السيوطي قال: و أخرج ابن جرير و الحاكم و ابن مردويه عن سعد قال: نزل على رسول اللّه الوحي فأدخل علياً و فاطمة و ابنيهما تحت ثوبه، قال: اللّهمّ انّ هؤلاء أهلي وأهل بيتي.

و في حديث آخر جاء رسول اللّه ﷺ إلى فاطمة و معه حسن وحسين، و علي حتى دخل فأدنى علياً و فاطمة فأجلسهما بين يديه و أجلس حسناً و حسيناً كل واحد منهما على فخذه ثمّ لف عليهم ثوبه و أنا مستدبرهم

ثمّ تلا هذه الآية : ﴿إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾ .

وأمّا الطائفة الثالثة : فقد أخرج الطبري عن أنس أنّ النبي كان يمرّ ببيت فاطمة ستة أشهر كلّما خرج إلى الصلاة فيقول الصلاة أهل البيت **﴿إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهّركم تطهيراً﴾**..

و للوقوف على مصادر هذه الروايات لاحظ تفسير الطبري ، ج٢٢، ص ٥ـ٧، و الدر المنثور:ج٥، ص ١٩٨ـ ١٩٩، و الروايات تربو على أربع وثلاثين رواية، و رواها من عيون الصحابة: أبو سعيد الخدري، أنس بن مالك، ابن عباس، أبو هريرة الدوسي، سعد بن أبي وقاص، واثلة بن الاسقع، أبو الحمراء أعني هلال بن حارث، أُمّهات المؤمنين عائشة و أُمّ سلمة.

و رواه من أصحاب الصحاح: مسلم في صحيحه :ج٧، ص ١٢٢ـ١٢٣ و الترمذي في سننه.

ولاحظ جامع الأُصول لابن الأثير ج ١٠ ، ص ١٠٣.

و بالإمعان في ما ذكرنا من النصوص تقف على ضعف قول الأُستاذ حيث يقول: إنّ حديث الرسول جاء بصيغة الطلب، اللّهمّ اذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، و هي تفيد عدم شمول الآية للأربعة وقت نزول النص، فدعا الرسول ربّه بأن يشملهم أيضاً بحكمه.

فانّ ما ذكره الأُستاذ إنّما جاء في بعض صور هذا الحديث، و لكن الكثير على خلاف هذا فانّ صيغة (أذهِب) جاءت في قليل من النصوص

والصور، و أمّا الأكثر فمشتمل على أنّ النبي جللهم تحت الكساء و تلا الآية المذكورة.

فقد أخرج مسلم عن عائشة أنّها قالت: خرج النبي ﷺ وعليه مرط مرجل أسود فجاءه الحسن فأدخله، ثمّ جاءه الحسين فأدخله، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء علي فأدخله، ثمّقال: **﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهّركم تطهيراً﴾**.

ولو افترضنا صحّة ما ورد من صيغة الطلب، فهذا لا يدل على عدم الشمول، وإنّما هو دعاء على استمرار الشمول كقوله سبحانه: **﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾** فانّه يتلوه النبي و الوصي والمؤمنون كلهم، وليس معناه خروجنا عن الصراط المستقيم حتى يهدينا الله سبحانه إليه.

بقي هنا كلام و هو أنّ لفيفاًمن التابعين ذكروا انّ الآية نزلت في حقّ نساء النبي و أزواجه ، ولكن هذه الرواية تصل إلى عكرمة الخارجي الحروري [١] و عروة ابن الزبير المعروف بالانحراف عن علي عليه السلام [٢] ومقاتل بن سليمان [٣] الذي يعد من أركان المشبّهة.

---

١ . ميزان الاعتدال : ٣ / ٩٣ .

٢ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ٤ / ٦٩ .

٣ . ميزان الاعتدال : ٤ / ١٧٣ .

عود إلىٰ بدء

قد تعرفت علىٰ منطق الشيعة في نزول الآية في آل العباء و الكساء ودلالتها علىٰ عصمتهم من الذنب و العصيان، غير انّ الكاتب القدير محمد الآلوسي قد استبعد نزولها في حقّهم بأُمور ربما مضىٰ تحليلها في ثنايا البحث و لإيضاح المطلب نرجع إلى تحليل ما استند إليه ثانياً.

قد مضى أنّه استند في تقريب مختاره إلى الأُمور التالية:

١. سياق الآيات يمنع عن نزولها في غير أزواج النبي ﷺ.

٢.انّ تذكير الضميرين في آية التطهير مع أنّ المقصود هو نساء النبي ﷺ هو لأجل الإشعار بعلو المقام و المبالغة.

٣. حديث الرسول ﷺ جاء بصيغة الطلب، و هذا دليل علىٰ عدم شمول الآية لآل العباء و لو شملت الآية لهم لجاء بصيغة الشكر.

٤. الإرادة التكوينية المتعلقة بالعصمة تسلب الاختيار عن المعصوم ولا يكون عمله خاضعاً للثواب و العقاب.

وإليك تحليل تلك الأُمور:

الف: مشكلة السياق

إنّ القول بنزول الآية في آل الكساء لا توجد أيّ مشكلة في سياقها شريطة الوقوف على أُسلوب البلغاء في كلامهم و خطاباتهم. فإنّ من عادتهم

الانتقال من خطاب إلى غيره ثمّ العود إليه مرّة أُخرى.

قال صاحب المنار: إنّ من عادة القرآن أن ينتقل بالإنسان من شأن إلى شأن ثمّ يعود إلى مباحث المقصد الواحد المرة بعد المرة. [١]

و قد اعترف الكاتب بهذه الحقيقة أيضاً عند بحثه في آية الولاية التي سيوافيك البحث عنها بعد الفراغ من آية التطهير حيث قال ما هذا نصّه:

الأصل عند أهل السنّة انّ الآية تعتبر جزءاً من سياقها إلّا إذا وردت القرينة علىٰ أنّها جملة اعتراضية تتعلّق بموضوع آخر علىٰ سبيل الاستثناء وهو اسلوب من أساليب البلاغة عند العرب جاءت في القرآن الكريم علىٰ مستوى الإعجاز.

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام : «إنّ الآية من القرآن يكون أوّلها في شيء وآخرها في شيء». [٢]

فعلى سبيل المثال، أنّه سبحانه يقول في سورة يوسف حاكياً عن العزيز أنّه بعدما واجه الواقعة في منزله قال: **﴿إنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أعْرِضْ عَنْ هذا و اسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إنّكِ كُنتِ مِن الخاطِئين﴾**[٣].

ترى أنّ العزيز يخاطب زوجته بقوله: **﴿إنّه من كيدكن﴾** و قبل أن يفرغ من كلامه معها يخاطب يوسف بقوله: **﴿يوسف أعرض عن هذا﴾** ثمّ يرجع

١. تفسير المنار: ٢ / ٤٥١.

٢. الكاشف: ٦ / ٢١٧.

٣. يوسف: ٢٨ ـ ٢٩.

إلى الموضوع الأوّل، و يخاطب زوجته بقوله:﴿واستغفري لذنبكِ﴾ فقوله: ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾ جملة معترضة، وقعت بين الخطابين، و المسوّغ لوقوعها بينهما كون المخاطَب الثاني أحدَ المتخاصمين و كانت له صلة تامّة بالواقعة التي رفعت إلى العزيز.

و الضابطة الكلية لهذا النوع من الخطاب هو وجود التناسب المقتضي للعدول من الأوّل إلى الثاني ثمّ منه إلى الأوّل، وهي موجودة في الآية فانّه سبحانه يخاطب نساء النبي بالخطابات التالية:

١. ﴿يا نِساءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بفاحِشَةٍ مُبيّنَةٍ يُضاعَفْ لَها العَذابُ ضِعْفَيْن﴾ [١].

٢. ﴿يا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ إنِ اتّقَيْتُنّ﴾ [٢].

٣. ﴿و قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ولاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيّةِ الأُولى﴾ [٣].

فعند ذلك صحّ أن ينتقل إلى الكلام عن أهل البيت الّذين أذهب اللّه عنهم الرجس و طهّرهم تطهيراًو ذلك لوجهين:

١. تعريفهن على جماعة بلغوا في التورع و التقى الذروة العلياء و في الطهارة عن الرذائل والمساوئ، القمةَ، و بذلك استحقوا أن يكونوا أُسوة في الحياة و قدوة في مجال العمل، فيلزم عليهنّ أن يقتدين بهم،و يستضئن بنورهم.

٢. كان النبي ﷺ محوراً للطائفتين المجتمعتين حوله ﷺ.

---

١. الأحزاب: ٣٠. ٢. الأحزاب: ٣٢. ٣. الأحزاب: ٣٣.

الأُولى: أزواجه و نساؤه.

الثانية: بنته و زوجها و أولادها.

فالنبي ﷺ هو الرابط الذي تنتهي إليه تلك المجموعتان، فنحن ننظر إلى كلّ طائفة مجرّدةً عن الأُخرى و لأجل ذلك نرى انقطاع السياق، إذا فسرنا أهل البيت بفاطمة و زوجها و بنيها.

ولكن لما كان المحور للمجموعتين هو النبي ﷺ واللّه سبحانه يتحدث فيما يرتبط بالنبي من بيوتٍ و أهلها، فعند ذلك تتراءى المجموعتان كمجموعة واحدة حول النبي و هو الرابط بينهما ، فيعطى لكل جماعة حكمها فيتحدث عن نسائه بقوله :﴿**يا أيّها النبي قل لأزواجك. يا نساء النبي من يأت. يا نساء النبي لستنّ**﴾ الخ.

كما أنّه يتحدث عن المجموعة الأُخرى الموجودة في تلك الجماعة بقوله: ﴿**إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم**﴾ .

فالباعث للجمع بين الطائفتين في تلك المجموعة من الآيات و في ثنايا آية واحدة إنّما هو انتساب الكلّ إلى النبي ﷺ وحضورهما حوله، وليس هناك أي مخالفة للسياق.

ب: تذكير الضمائر لأجل التعبير عن علو المقام

قد تعرفت في ثنايا الكلام ضعف هذا الاعتذار، والواجب أن لا نعود إليه.

وقد عرفت أنّ مجموعة الآيات الواردة في هذا المضمار تشتمل على

اثنين وعشرين ضميراًبصيغة الجمع المؤنث كلّها ترجع إلى نساء النبي ﷺ فعند ذلك يطرح هذا السؤال فأي سبب دعا المتكلم إلى الإيعاز لعلو مقامهم و المبالغة في تكريمهم في هذا المورد دون الموارد الأُخرى مع أنّ المورد لا يقتضي الإيعاز إلى علو مقامهم، فترى أنّ المتكلّم يتشدد في كلامه معهنّ حيث يقول:

﴿يا نِساءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضاعَفْ لَها العَذابُ ضِعفَيْنِ ... ﴾[1].

و يقول: ﴿يا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأحَدٍ مِنَ النِّساءِ إنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي في قَلْبِهِ مَرَضٌ...﴾[2].

و يقول: ﴿وَ قَرْنَ في بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولى...﴾[3]. أفي هذا المقام الذي أخذ المتكلم يندد بهنّ و يطلب منهنّ أن لا يتبرجن تبرج الجاهلية الأُولى يستحق الإيعاز بتكريمهن و بيان علو مقامهن!

ترى أنّ لحن الكلام لحن التشدد و التنديد و مثل هذا المقام لا يناسب الإيعاز بعلو مقامهنّ و الإشارة إلى تكريمهنّ خصوصاً أنّ العدول يوجب الالتباس والذي دعا الكاتب إلى التمسك بهذا الحبل الموهن هو صيانة عقيدته التي نشأ عليها منذ نعومة أظفاره إلى يومه هذا، وإلّا فالأُستاذ كاتب قدير يعلم مواقف التكريم والتقدير عن غيرها.

---

١. الأحزاب: ٣٠.

٢. الأحزاب: ٣٢. ٣. الأحزاب: ٣٣.

ج: حديث الرسول جاء بصيغة الطلب

يقول الأُستاذ الآلوسي: إنّ حديث الرسول جاء بصيغة الطلب، و قال: «اللهمّ اذهب» و لو كانت الآية شاملة لهم لكان المناسب هو صيغة الشكر لا صيغة الطلب.

يلاحظ عليه: أنّ الأُستاذ انتقى من أحاديث الرسول ما جاء فيها صيغة الطلب و ترك غيرها و قد عرفت لفيفاً من الأحاديث و كيف أنّ الرسول ﷺ تكلم فيها مخبراً عن ذهاب الرجس عنهم لا طالباً، و فيما مضىٰ كفاية.

د: الإرادة التكوينية تسلب الاختيار

هذا هو السبب المهم لما ذهب إليه الأُستاذ من أنّ الإرادة في الآية تشريعية لا تكوينية، و ذلك لأنّ الإرادة التكوينية تسلب الاختيار و بالتالي لا تصبح العصمة فخراً، لأنّ الإنسان مع هذه الإرادة يصبح بلا اختيار.

يلاحظ على هذا الكلام: أنّ القول بالعصمة لو كان سالباً للاختيار، فالإشكال يسري إلى جميع الأنبياء والمرسلين و على رأسهم سيد المرسلين فإنّهم معصومون من الخطأ في إبلاغ الأحكام و من العصيان في تطبيق الشريعة على الساحة باتفاق الأُمة إلّا من شذ ممن لا يعبأ به فلو كانت العصمة سالبة للاختيار فما قيمة عصمتهم و ما قيمة اجتنابهم عن المعاصي.

و هذا الإشكال ليس جديداً و إنّما هو مطروح في الموسوعات

الكلامية والكتب التفسيرية و قد قام المحقّقون من علماء الإسلام بالإجابة عنه و قالوا:

إنّ العصمة لا تسلب الاختيار عن الإنسان، فإنّ المعصوم قادر علىٰ اقتراف المعاصي وارتكاب الخطايا حسب ما أُعطي من القدرة و الحرية غير أنّ وصوله إلى الدرجة العليا من التقوى واستشعاره بعظمة الخالق يصدّه عن اقترافها.

وإن شئت قلت: إنّ المعصوم قد بلغ في العلم بآثار المعاصي مرحلة يشاهد آثارها السيئة مشاهدة حضورية لا يتسرب إليها الشك و الترديد، يقول سبحانه:

﴿كلاّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليَقِينِ * لتَرَوُنَّ الجَحِيم﴾ [1].

و مثل هذا العلم يصدّ الإنسان عن ارتكاب المعاصي، و لأجل تقريب الفكرة نأتي بالمثال التالي:

إنّ الوالد العطوف بالنسبة إلى قتل ولده معصوم لا يقدم عليه، و مع ذلك هو قادر عليه، أمّا أنّه قادر فلا شكّ انّ بإمكانه أن يأخذ بالسكين و يذبحه كما يذبح الكبش، وأمّا أنّه لا يقدم عليه و لو أُعطي له الكنوز المكنوزة والمناصب المرموقة، لأنّ عطفه و حنانه قد ملئ بهما قلبه فلا يبادله بشيء.

فالعلم بآثار الموبقات تعطي ملكة العصمة، و لكن لا تغير الطبيعة

١. التكاثر: ٥ـ ٦.

الإنسانية ، المختارة في أفعالها الإرادية، ولا يخرجها إلى ساحة الإجبار والاضطرار.

هذا إجمال ما أوضحناه في موسوعتنا التفسيرية. [١]

آية الولاية و زعامة الإمام علي عليه السلام

قال الأُستاذ الآلوسي:

لم تزل الشيعة عن بكرة أبيهم يستدلّون علىٰ إمامة الإمام علي و قيادته وزعامته بعد النبيّ صلى الله عليه وآله بقوله سبحانه:﴿**إنّما وَلِيُّكُمُ اللّه و رَسُولُهُ و الّذِينَ آمَنُوا الّذِينَ يُقِيمُونَ الصّلاَة و يُؤتُونَ الزّكاَة و هُمْ راكِعُون**﴾(و قد سقط في نص المقال جملة «و يؤتون الزكاة») ﴿**و مَن يَتَوَّل اللّهَ و رَسُولَهُ والّذِينَ آمَنُوا فإنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الغالِبُون**﴾[٢].

و إليك عرضاً موجزاً لاستدلالهم:

استدلت الشيعة بهذه الآية على أنّ عليّاً عليه السلام وليّ المسلمين بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله ، قائلين بأنّ الآية تعد الولي ـ بعد اللّه و رسوله ـ الّذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة في حال الركوع، و قد تضافرت الروايات بأنّ عليّاً عليه السلام تصدّق بخاتمه و هو راكع فنزلت الآية.

أخرج الحفاظ و أئمّة الحديث عن أنس بن مالك و غيره أنّ سائلاً أتى

---

١ . مفاهيم القرآن :٣/٤٠١ـ٤٠٥.

٢ . المائدة: ٥٥ ـ ٥٦.

مسجد النبي ﷺ و عليٌّ ﷺ راكعٌ فأشار بيده للسائل أي اخلع الخاتم من يدي.

قال رسول اللّٰه : يا عمر وجبت. قال: بأبي أنت و أُمّي يا رسول اللّٰه ما وجبت؟! قال: وجبت له الجنّة واللّٰه، و ما خلعه من يده حتّى خلعه اللّٰه من كلّ ذنب و من كلّ خطيئة. قال: فما خرج أحدٌ من المسجد حتّى نزل جبرئيل بقوله عزّ وجلّ: **﴿إنّما وليّكم اللّٰهُ و رسوله و الّذين آمنوا الّذين يُقيمون الصَّلاة و يُؤتون الزَّكاة و هُمْ راكعون﴾** . فأنشأ حسّان بن ثابت يقول:

أبا حسن تفديك نفسي و مهجتي ... و كلّ بطيءٍ في الهدى و مسارع
أيذهب مدحي و المحبّين ضايعاً؟! ... وما المدح في ذات الإله بضائع
فأنت الذي أعطيت إذ أنت راكعٌ ... فدتك نفوس القوم يا خير راكع
بخاتمك الميمون يا خير سيّدٍ ... و يا خير شارٍ ثمّ يا خير بائع
فأنزل فيك اللّٰه خير ولاية ... و بيّنها في محكمات الشرائع [١]

و قد أخرجه ابن جرير الطبري [٢] والحافظ أبوبكر الجصاص الرازي في أحكام القرآن [٣] و الحاكم النيسابوري (المتوفّى ٤٠٥ ه) [٤] والحافظ أبو

١. رواه السيد البحراني عن الحافظ أبو نعيم الاصبهاني عن كتابه الموسوم بـ «نزول القرآن في أمير المؤمنين» : ١٠٦.
٢. تفسير الطبري: ١٨٦/٦.
٣. أحكام القرآن:٥٤٢/٢ و رواه من عدة طرق.
٤. معرفة أُصول الحديث: ١٠٢.

الحسن الواحدي النيسابوري (المتوفّى ٤٦٨ ﻫ) [١] وجار الله الزمخشري (المتوفّى ٥٣٨ ﻫ) إلى غير ذلك من أئمّة الحفاظ و كبار المحدثين ربما ناهز عددهم السبعين ، وهم بين محدّث ومفسّر و مؤرخ و يطول بنا الكلام لو قمنا بذكر أسمائهم ونصوصهم، و كفانا في ذلك مؤلّفات مشايخنا في ذلك المضمار. [٢]

و لا يمكن لنا إنكار هذه الروايات المتضافرة لو لم تكن متواترة، فإنّ اجتماعهم على الكذب أو على السهو و الاشتباه أمر مستحيل.

و المراد من الولي في الآية المباركة هو الأولى بالتصرف كما في قولنا : فلان وليّ القاصر، و قول الرسول ﷺ: «أيّما امرأة نُكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل» وقد صرّح اللغويّون و منهم الجوهري في صحاحه بأنّ كلّ من ولي أمر أحد فهو وليّه ، فيكون المراد: انّ الّذي يلي أُموركم فيكون أولى بها منكم إنّما هو الله عزّوجلّ و رسوله و من اجتمعت فيه هذه الصفات: الإيمان و إقامة الصلاة، و إيتاء الزكاة في حال الركوع. و لم يجتمع يوم ذاك إلّا في الإمام علي حسب النصوص المتضافرة.

و في حقّه نزلت هذه الآية.

و الدليل على أنّ المراد من الولي هو الأولى بالتصرف أنّه سبحانه أثبت في الآية الولاية لنفسه و لنبيه و لوليه على نسق واحد، وولاية الله عزّوجلّ

١ . أسباب النزول: ١٤٨.

٢ . لاحظ المراجعات للسيد شرف الدين العاملي، المراجعة الأربعون، ص ١٦٢ـ ١٦٨ و الغدير لشيخنا الأميني :١٦٢/٣ و قد رواه من مصادر كثيرة.

عامة فولاية النبي و الولي مثلها و على غرارها. غير انّ ولاية اللّه، ولاية ذاتية وولاية الرسول والولي مكتسبة معطاة، فهما يليان أُمور الأُمّة بإذنه سبحانه.

ولو كانت الولاية المنسوبة إلى اللّه تعالى في الآية غير الولاية المنسوبة إلى الّذين آمنوا لكان الأنسب أن تفرد ولاية أُخرى للمؤمنين بالذِّكر، دفعاً للالتباس كما نرى نظيرها في الآيات التالية:

قال تعالى: ﴿قُلْ أُذُنٌ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ باللّهِ و يُؤْمِنُ للمُؤمِنِين ﴾ [1].

نرى أنّه سبحانه كرر لفظ الإيمان، و عدّاه في أحدهما بالباء، و في الآخر باللّام لاختلاف في حقيقة إيمانه باللّه، و للمؤمنين حيث إنّ إيمانه باللّه سبحانه إيمان جدّي و تصديق واقعي، بخلاف تصديقه للمؤمنين المخبرين بقضايا متضادة حيث لا يمكن تصديقهم جميعهم تصديقاً جدياً، و الذي يمكن هو تصديقهم بالسماع و عدم الرفض و الرد، ثمّ التحقيق في الأمر، وترتيب الأثر على الواقع المحقّق.

و ممّا يكشف عن وحدة الولاية في الآية المبحوثة انّه سبحانه أتى بلفظ «وليكم» بالافراد ، و نسبه إلى نفسه و إلى رسوله و إلى الّذين آمنوا، و لم يقل: «وإنّما أولياؤكم» وما هذا إلّا لأنّ الولاية في الآية بمعنى واحد و هو: الأولى بالتصرف، غير أنّ الأولوية في جانبه سبحانه بالأصالة و في غيره بالتبعية.

وعلى ضوء ذلك يُعلم انّ القصر والحصر المستفاد من قوله:«إنّما»

---

١ . التوبة: ٦١.

لقصر الإفراد، و كأنّ المخاطبين يظنون أنّ الولاية عامّة للمذكورين في الأُمّة و غيرهم، فأُفرد المذكورون للقصر، و أنّ الأولياء هؤلاء لا غيرهم.

ثمّ يقع الكلام في تبيين هؤلاء الّذين وصفهم اللّه سبحانه بالولاية و هم ثلاثة:

١. اللّه جلّ جلاله.

٢. و رسوله الكريم ﷺ.

وهما غنيان عن البيان.

وأمّا الثالث فبما أنّه كان مبهماً بيّنه بذكر صفاته و خصوصياته الأربع:

١. ﴿ **الّذين آمنوا**﴾.

٢. ﴿ **الّذين يقيمون الصلاة**﴾.

٣. ﴿**و يؤتون الزكاة**﴾ .

و لا شكّ أنّ هذه السمات، سمات عامة لا تميز الولي عن غيره.

فالمقام بحاجة إلى مزيد توضيح يجسّد الولي و يحصره في شخص خاص لا يشمل غيره، و لأجل ذلك قيّده بالسمة الرابعة أعني قوله:﴿**و هم راكعون**﴾ .

وهي جملة حاليّة لفاعل يؤتون، وهو العامل فيها. وعند ذلك انحصر في شخص خاص على ما ورد في الروايات المتضافرة.

هذا هو منطق الشيعة في تفسير الآية لا تتجاوز في تفسيرها عن ظاهرها قيد أنملة.

نعم نقل الكاتب القدير نظرية أُخرى و هي لأهل السنة فقال: إنّ هذه الآية لم تنزل بهذا السبب رغم ورود هذه الرواية (نـزولها فـي حقّ علـيّ) عندهم، و في كتبهم و تفاسيرهم، مرجحين في ذلك روايات أُخـرى تـفيد نزولها بحقّ الّذين كانت بينهم و بين اليهود في المدينة تحالفات عُقِدت قبل الإسلام و قبل الهجرة فمنهم من رفض فكّ ارتباطه باليهود حرصاً منه على موالاتهم، و منهم من أنهى هذا التحالف قائلاً بولاية اللّٰه و رسوله و المؤمنين عليه معززين رأيهم الذي رجحوه على جملة اعتبارات:

منها انّ كلمة الولاية مشتركة في معانيها، فـهي مثلما تـعني الرئـاسة والزعامة تعني الولاء والنـصرة والحب والود والتـحالف وانّ هـذا المـعنى الأخير هو المرجح عند نزول الآية لوجود تحالف كان قائماً فـعلاً، و عـدم وجود ولاية لليهود في جنبه بمعنى الزعامة والقيادة.

و لذلك رأى أهل السنّة أنّ هذا الترجيح أقرب لواقع الحال في حينه.

إضافة إلى ذلك فإنّ السياق و هو الآيات التي سبقت هـاتين الآيـتين والآيات التي أعقبتها جاءت تحذر من كيد اليهود و تندد بـمن أصـر عـلى استمرار التحالف معهم، أمثال عبد اللّٰه بن أُبي، زعيم المنافقين فـي حـينه. والأصل عند أهل السنة أنّ الآية تعتبر جزءاً من سياقها إلّاإذا وردت القرينة على أنّها جملة اعتراضية تتعلق بموضوع آخر على سـبيل الاسـتثناء، وهـو أُسلوب من أساليب البلاغة عند العـرب جـاءت فـي القـرآن الكـريم عـلى مستوى الإعجاز.

عرض و تحليل

هذا نصّ الأُستاذ وحاصله يرجع إلى أمرين:

١. انّ لفظ الولاية مشترك بين عدّة معان، فلا سبيل إلى حملها على القيادة والزعامة إلّا بدليل.

٢. انّ سياق الآيات يؤكد على حملها على ذلك المعنى أي النصرة و الود والحب و التحالف.و الأخير هو المناسب.

هذا عرضاً موجزاً لمقاله و إليك تحليله:

يلاحظ على الوجه الأوّل:

نحن نفترض أنّ الولاية مشتركة بين المعاني المختلفة، و لكن القرائن القاطعة تدل على أنّ المراد منها هو التصرف، لما عرفت.

أوّلاً: أنّ الولاية بالمعنى الواحد نسب إلى اللّه و إلى رسوله و الّذين آمنوا.

أفيصحّ لنا أن نحصر ولاية اللّه سبحانه بالنصر و الود و الحب والتحالف، فانّ ولايته سبحانه ولاية عامة تشمل جميع ما يعدّ مظاهر لها.

فإذا كانت الولاية منسوبةً بمعنى واحد إلى الثلاثة فيجب أن تفسر بمعنى واحد،لا أن تُفرز الولاية المنسوبة إلى اللّه عمّا نسبت إلى الآخرين.

وثانياً: لو فسرنا الولاية بالنصر و الود و التحالف، فيلزم اتحاد الولي

والمولّى عليه، إذ لو كان المؤمنون المصلّون المزكّون أولياء فمن المولّى عليه إذن؟

و بعبارة أُخرى: أنّه سبحانه يعدّ جميع المؤمنين أولياء فيجب أن يكون هناك مولّى عليه غيرهم و ليس هناك شيء... و «لا قرية وراء عبادان».

ثالثاً: لو فسرنا الولاية بالنصر و الود و التحالف، فالمؤمنون كلّهم في صفّ واحد، فلماذا قيد الولاية بالزكاة في حالة الركوع ؟

فلو افترضنا أنّ مؤمناً صلّىٰ و زكّى في غير حال الصلاة ـ و ما أكثرهم ـ أو يصح لنا إخراجهم عن عداد الأولياء.

كلّ ذلك يدلنا بوضوح على أنّ الآية وردت في جمع أو فرد خاص عبّر عنه بصيغة الجمع، و ما أكثر نظيره في القرآن حيث عبر عن المفرد بالجمع.

قال سبحانه: ﴿**الّذِينَ قَالُوا إنَّ اَللّه فَقِيرٌ و نَحنُ أغـنِياء**﴾ والقائل هو فنحاس اليهودي [1].

قال سبحانه: ﴿**و منهُمُ الّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ و يَقُولُونَ هُوَ أُذُن**﴾ [2]. نزل في رجل من المنافقين [3].

إلى غير ذلك من الآيات التي يطول المقام بنقلها.

فقد وردت صيغة الجمع في عشرين آية وأُريد منها شخص واحد.

فهذه الوجوه الثلاثة تصدنا عن تفسير الولاية بغير الزعامة و القيادة،

---

١. راجع تفسير القرطبي: ٢٩٤/٤. ٢. التوبة: ٦١.

٣. تفسير القرطبي: ١٩٢/٨.

فانّها المعنية بقوله سبحانه: ﴿أَمِ اتّخَذُوا مِن دُونِهِ أولياءَ فاللّٰهُ هُوَ الوَلِيُّ﴾[١].

وقال سبحانه: ﴿مالَكُم مِن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ و لاَ شَفِيعٍ أفَلاَ تَتَذَكَّرون﴾[٢].

و قال سبحانه: ﴿أنتَ وَلِيّي فِي الدُّنيا وا لآخِرَة ﴾[٣].

وقال سبحانه: ﴿فما لَهُ مِن وَلِيٍّ مِن بَعْدِه﴾[٤].

وقال سبحانه: ﴿و اللّٰهُ وَلِيُّ المُؤمِنين﴾[٥].

غير أنّ ولاية اللّٰه سبحانه ولاية ذاتية، و ولاية غيره بالجعل و النصب والافاضة.

و يشير إلى ولاية الرسول بقوله: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ من أَنْفُسِهِم﴾[٦].

و إلى ولاية الرسول وأُولي الأمر بقوله: ﴿أَطِيعُوا اللّٰهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[٧].

و من يريد تفسير ولاية اللّٰه و الرسول بالحب و الحلف و قصرها في إطار ضيق بالنصر، فقد أخرج الآية عن ذروة البلاغة إلى حدّ نازل.

فكما أنّ السياق جزء من التفسير، و سبب يستعان به على كشف المراد، فكذلك الخصوصيات الموجودة في نفس الآية أدلّدليل يرشد القارئ إلى التعمق في مراده سبحانه.

---

١. الشورى: ٩.
٢. فصلّت: ٤.
٣. الشورى:١٠١.
٤. الشورى: ٤٤.
٥. آل عمران: ٦٨.
٦. الأحزاب: ٦.
٧. النساء: ٥٩.

فعلى من يفسر الآية بغير الأولوية في التصرف فعليه الإجابة عن الأُمور الثلاثة السالفة.

هذا كلّه حول الأمر الأوّل و أمّا الكلام في السياق الذي تمسك به فنقول:

مشكلة السياق عند الكاتب

إنّ الكاتب القدير إنّما ترك الروايات المتضافرة لأجل صيانة السياق، وإليك توضيح دليله و تحليله:

قال سبحانه: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصارىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُم إِنَّ اللّٰهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [1].

وقال سبحانه: ﴿إنّما وَلِيُّكُمُ اللّٰه و رَسُولُهُ و الّذِينَ آمَنُوا الّذِينَ يُقِيمُونَ الصّلاَة و يُؤتُونَ الزّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ﴾ [2].

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الّذِينَ أُوتُواْ الكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَ الْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَ اتَّقُواْ اللّٰهَ إن كُنتُم مُؤْمِنِينَ﴾ [3].

ذكر المفسرون أنّ نزول الآية الأُولى في حقّ عبادة بن صامت

---

١. المائدة: ٥١. ٢. المائدة: ٥٥.

٣. المائدة: ٥٧.

الخزرجي و عبد اللّه بن أُبي حيث إنّ الأوّل تبّرأ من أوليائه من اليهود، بخلاف الثاني فإنّه لم يتبّرأ من ولاية اليهود، و قال: لأنّي أخاف الدوائر.

و ذكروا في سبب نزول الآية الثانية: انّه لما تصدّق عليّ عليه السلام بخاتمه في الصلاة و هو راكع نزلت الآية الكريمة.

و ذكروا في سبب نزول الآية الثالثة أنّها نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث اللّذين أظهرا إسلامهما ثمّ نافقا، و كان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت الآية.

فبما انّ الولايةَ في الآية الأُولىٰ ليست بمعنى الزعامة بل بمعنى الود والنصر أو الحلف كما هو الحال في الآية الثالثة، فمقتضى السياق يقتضي تفسير الآيةَ الثانية بهما لا بالزعامة.

هذا ما يتبناه الكاتب و قد سبقه الرازي في تفسيره.[1] غير انّا نركز على أمرين و بهما يتجلّىٰ أنّ تفسير الولاية في الآية الثانية بالزعامة لا يستلزم مخالفة السياق:

الأوّل: أنّ الغوص في غمار اللغة و مجاميع الأدب وجوامع العربية يدفعنا إلى القول بأنّه ليس للولي في الآيات الثلاث إلّا معنى واحد و هو الأولىٰ بالشيء و لو أُطلق على الناصر والمحب والزعيم فانّما أُطلق بمعنى واحد، و لو كان هناك اختلاف فإنّما هو في جانب المتعلّق.

و بعبارة واضحة: ليس للولي معان مختلفة وضع لها اللفظ بأوضاع

١. التفسير الكبير: للفخر الرازي:٢٦/١٢.

متعددة حتى يصبح اللفظ مشتركاً لفظياً بين المعاني المتباينة. بل هو موضوع لمعنى واحد جامع بين مصاديق و موارد مختلفة، فلو كان هناك اختلاف فإنّما هو في المتعلق والمورد، لا في المفهوم والمعنى.

فالربّ ولي لأنّه أولىٰ بخلقه من أي قاهر عليهم حيث خلق العالمين كما شاءت حكمته و يتصرف فيهم بمشيئته.

و كل من المحب و الناصر ولي، لأنّ كلاً منهما أولى بالدفاع عمّن أحبه و نصره.

و الزعيم و القائد ولي، لأنّه أولىٰ بأن يتصرف في مصالح من تولّىٰ أمره.

فإذا كان للفظ معنىً واحد فلا يكون هناك أي اختزال مهما ذهبنا إلى التفريق بين الآيات الثلاثة، فإنّ المفروض أنّ لكلّ شأناً و سبباً للنزول، و بينها جامع و هو الأولوية المطلقة كما في الآية الثانية، والمقيدة كما في الآية الأُولى والثالثة.

هذه حقيقة لغوية قد نصّ عليها المحقّقون. قال الإمام أبو الفتح المطرزي: الولي: كلّ من ولي أمر واحد فهو وليه، و منه ولي اليتيم أو القتيل: مالك أمرهما، و والي البلد: ناظر أُمور أهله و مصدرهما الولاية (بالكسر). [1]

و ألفت نظر الأُستاذ السامي إلى أنّ النهي عن تولّي اليهود والنصارىٰ

---

١ . المغرب للمطرزي: ٢ / ٣٧٢.

والكفّار في الآيات التي تقدّمت أو تأخّرت، لا يرجع إلى التولي المجسّد في مجرد العطف القلبي و لا يتلخص في الحنان الروحي، فإنّهما أمران قلبيان خارجان عن الاختيار ، فإنّ حب الأب أو الأُم و إن كانا كافرين أمر جبلي لا يصحّ النهي عنه بل يرجع إلى التولي المستعقب، للتصرف في أُمور المسلمين والتدخل في مصالحهم الذي ليس إلّا من شأنه سبحانه و رسوله ومن عيّنه الرسول بأمر منه.

فالآيات بأجمعها سبيكة واحدة، تصد المؤمنين عن اتخاذ أيّ ولي ـ غير اللّه و رسوله ـ يتصرف في أُمورهم و إن كان سببه التحالف فلو صار الحلف بين المسلمين والكافرين سبباً لولاية الكفّار على المسلمين وتدخلهم في أُمورهم فهو ممنوع، لأنّه لا ولي للمؤمنين إلّا اللّه و من نصبه سبحانه.

و الذي يرشدنا إلى أنّ الولاية في الآية: **﴿إنّما وليكم اللّه و رسوله...﴾** بمعنى الزعامة و القيادة، هو انّه سبحانه يقول بعدها: **﴿وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾** [1]، فيطرح حزب اللّه أوّلاً، ثمّ غلبته على سائر الأحزاب، والكلّ يناسب القيادة والزعامة، لا مجرد الحب والود، أو النصر والحلف.

الثاني: أنّ في نفس الآيات الثلاثة قرينة واضحة على الاختلاف في تفسير الولي (لو قلنا بأنّه اختلاف في المفهوم)، و ذلك أنّه سبحانه يجمع لفظ الولي في الآية الأُولىٰ و الثالثة.

---

١ . المائدة: ٥٦.

فقال في الأُولىٰ: ﴿**لا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ و النَّصارى أَوْلِيَاءَ**﴾ .

وقال في الثالثة: ﴿**و الكفّار أولياء**﴾ .

و لكنّه نرىٰ أنّه سبحانه أتىٰ بها بلفظ المفرد في ثانية الآيات.

وقال: ﴿**إنّما وليّكم اللّٰه...**﴾ فما هو الوجه في الإتيان بالجمع في الآيتين والإفراد في الثانية؟

و الإمعان فيه يدلنا على التغاير في تطبيق معنى الولي، و ذلك لأنّ الولاية في الآيتين ترجع إلى الحب والنصر و بما أنّها متعددة حسب تعدد المحب و الناصر فهناك ولايات و أولياء، و لأجل ذلك أتى سبحانه بلفظ الجمع.

وأمّا الآية الثانية فهناك ولاية إلهية سماوية خصّها سبحانه بالذات لنفسه وأفاضها بالتشريع على رسوله و من جاء بعده و لذلك أتى بلفظ المفرد فيحمل على الولاية الملازمة للقيادة والزعامة.

و آخر كلمة أُقدّمها إلى الأُستاذ، انّه لو كانت الولاية بمعنى الحب والنصر فما معنى تقييد الولي بإيتاء الزكاة و هم راكعون، فإنّ كلّ مؤمن يقيم الصلاة و يؤتي الزكاة ولي لأبناء أُمّته، زكّىٰ في حال الركوع أم لا ، مع أنّنا نرى أنّه سبحانه يشير إلى الولي بعلامة خاصة تميّزه عن غيره و هو إيتاء الزكاة في حال الركوع، و الركوع حقيقة في الصورة المعلومة منه في الصلاة لا في مطلق الخضوع، إذ مع أنّه خلاف الظاهر، ينافيه قوله سبحانه:﴿**يقيمون الصّلاة**﴾.

على أنّ الأُستاذ تفرد في تفسير الولاية بـالتحالف، فـإنّ أهـل السـنة يفسرونها بالودّ و الحب و النصر. لاحظ التفسير الكبير للرازي.

هذا غيض من فيض و قليل من كثير ممّا أفاضه علماؤنا و أصحابنا في تفسير الآية و إن كان ما ذكرناه مقتبساً من أنوار علومهم. غفر اللّه للماضين من علماء الإسلام و حفظ اللّه الباقين منهم و رزقنا اللّه توحيد الكلمة كما رزقنا كلمة التوحيد.

والسلام عليكم وعلىٰ من حولكم من الدعاة إلى الوحـدة الإسـلامية لترفرف في ظلّها راية الإسلام خفاقة في ربوع العالم وأرجاء الدنيا بإذن منه سبحانه.

جعفر السبحاني

١ شعبان المعظم ١٤١٧ هـ

رسائل إلى الأُستاذ قيس ظبيان مدير تحرير مجلة الشريعة

٥٤



إلى فضيلة الأُستاذ قيس ظبيان المحترم

مدير تحرير مجلّة الشريعة الغرّاء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أمّا بعد، فلقد وصلني العدد ٣٣٩ من مجلة الشريعة، فتصفّحت مواضيعها، واسترعىٰ انتباهي ما أجاب به فضيلة الشيخ عبد الله بن منيع عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، حينما وجهت إليه مجموعة من الأسئلة، إلّا أنّني لا أُشاطره الرأي في جواب السؤال التاسع والحادي عشر، وإليك نصّ كلامه:

السؤال التاسع: لماذا سمّيت حجّته بحجّة الوداع؟

فأجاب بأنّه ﷺ تُوفي بعد أربعة أشهر من هذا الحجّ فكانت وداعاً منه ﷺ لأُمّته.

أقول: الصحيح أن يقول ثلاثة أشهر لا أربعة أشهر، لأنّه ﷺ توفّي في الثاني عشر من ربيع الأوّل حسب رأي أهل السنّة، والفترة بين الثاني عشر من ذي الحجّة الذي تنتهي فيه أعمال الحجّ، إلى الثاني عشر من ربيع الأوّل، لا تتجاوز عن ثلاثة أشهر.

السؤال الحادي عشر: هل زيارة المسجد النبوي الشريف من مكمّلات الحجّ؟

فأجاب (حفظه اللّه): بأنّ من استكمل في حجّه أركان الحجّ وواجباته ولم يقم بزيارة المسجد النبوي، فحجّه صحيح وقد فاته فضل الزيارة.

ألفت نظر فضيلة الشيخ والقرّاء إلى أمرين:

الأمر الأوّل: انّ زيارة المسجد النبوي مستحبة في جميع أيّام السنة، وإقامة ركعة فيه تعادل ألف ركعة أو أزيد من غير فرق بين أيّام الحجّ وغيرها، وهذا ممّا لا خفاء فيه ولا تحوم حوله الشكوك.

الأمر الثاني: تضافرت الروايات على استحباب زيارة قبر النبي ﷺ مطلقاً، بالأخص عند شدّ الرحال إلى الحجّ ويبلغ عدد الروايات ما يربو على العشرين، ونذكر منها ما يلي:

١. روى عبد اللّه بن عمر مرفوعاً إلى النبي ﷺ: من زار قبري وجبت له شفاعتي.

٢. روى عبد اللّه بن عمر مرفوعاً: من جاءني زائراً لا تحمله إلّا زيارتي

كان حقّاً عليّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة.

٣. روى عبد الله بن عمر مرفوعاً: من زار قبري بعد وفاتي كمن زارني في حياتي.

٤. عن عبد الله بن عمر مرفوعاً: من حجّ البيت ولم يزرني فقد جفاني.

٥. عن عبد الله بن عمر: من حجّ حجّة الإسلام، وزار قبري، وغزا غزوة، وصلّى عليَّ في بيت المقدس لم يسأله الله عزّ وجلّ فيما افترض عليه.

إلى غير ذلك من الروايات الحاثّة على زيارة قبر النبيّ ﷺ مطلقاً أو عند حجّ بيت الله الحرام.

وقد أخرج هذه الروايات، الأثبات من أئمّة الحديث وحفاظه وصحّحوا أسنادها، وعلى رأسهم تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي (المتوفّى ٧٥٦هـ) وقد ذكر طرق هذه الأحاديث في «شفاء السقام» في أوائل الكتاب، كما تكلم فيها السيد نور الدين عبد الله الشافعي القاهري السمهودي (المتوفّى ٩١١هـ) في كتاب «وفاء الوفا» إلى غير ذلك، كما أُلّفت رسائل خاصّة في هذا المضمار.

ونحن لا نحوم حول هذه الأحاديث وأسانيدها ومصادرها، وإنّما نلفت نظر القارئ إلى نكتة مهمة وهي:

إنّ هذه الأحاديث والفتاوى المتضافرة على زيارة قبر النبيّ ﷺ خصوصاً ما روي عنه ﷺ : «من حجّ البيت ولم يزرني فقد جفاني» صار

سبباً لإثارة هذا السؤال عند بعض الناس: وهو هل زيارة قبر النبي من مكمّلات الحجّ؟

فهذا السؤال هو الذي يتبادر إلى الأذهان ـ من هذه الأحاديث ـ وتتناوله الألسن، لا انّ زيارة مسجد النبي من مكمِّلات الحجّ، إذ لا يتبادر منها انّ مجرّد زيارة المسجد من مكملات الحجّ حتى يجيب عليه فضيلة الشيخ، لأنّ لسان الروايات هو زيارة قبر النبي في أيّام الحجّ لا زيارة مسجده، فلو كان ثمة سؤال فإنّما يتعلّق بزيارة قبر النبي لا بمسجده، وسيوافيك تصريح بعض الأعلام أنّ زيارة قبره ﷺ من كمالات الحجّ.

والذي أظن أنّ السؤال كان على النحو الذي طرحناه، ولكن لما كانت زيارة قبر النبي ﷺ و شدّ الرحال إليه لا تنسجم مع وجهة نظر المجيب بدّل السؤال من «زيارة قبر النبي» إلى «زيارة مسجد النبي».

وعلى أيّة حال فإذا كان السؤال هو الدارج بين بعض الناس فالجواب عنه كالتالي:

إنّ زيارة قبر النبي ﷺ ليست من مكمّلات الحجّ، ومن حجّ البيت واستكمل أركانه وواجباته ولم يقم بزيارة قبر النبي ﷺ فحجّه صحيح، ولكن فاتته فضيلة كبيرة حثّت عليها السنّة النبويّة والسيرة العملية للمسلمين.

أمّا السنّة النبوية فقد وقفت على شيء قليل منها، وقد بلغ ما روي حول زيارة قبر النبي ﷺ ما يربو على عشرين حديثاً حتى أنّ الأئمّة الأربعة أفتوا

باستحباب زيارته، حيث اتّفقت عليه كلمات أعلام فقهاء المذاهب الأربعة[١] وقالوا: إنّ زيارة قبر النبيّ ﷺ أفضل المندوبات. وقد ورد فيها أحاديث ثمّ ذكروا ستة منها، وجملة من أدب الزّائر وزيارة للنبيّ ﷺ وأُخرى للشيخين.[٢]

وأمّا السيرة: فقد حكاها غير واحد من أئمّة الفقه والحديث نقتصر على النزر اليسير منها.

١. **قال أبو الحسن الماوردي(المتوفّى ٤٥٠هـ)**: فإذا عاد وليّ الحاج، سار به على طريق المدينة لزيارة قبر رسول اللّه ليجمع لهم بين حجّ بيت اللّه عزّوجلّ، وزيارة قبرِ رسول اللّه رعايةً لحرمته وقياماً بحقوق طاعته، وذلك وإن لم يكن من فروضِ الحجّ، فهو من مندوبات الشرع المستحبّة وعبادات الحجيج المستحبة.[٣]

٢. **يقول الإمام النووي (٦٣١ـ٦٧٦هـ)**: فصل في زيارة قبر رسول اللّه وأذكاره

اعلم أنّه ينبغي لكلّ من حجّ أن يتوجّه إلى زيارة رسول اللّه ﷺ، سواء كان ذلك في طريقه أو لم يكن، فإنّ زيارته ﷺ من أهمّ القربات وأربحِ المساعي وأفضلِ الطلبات، فإذا توجّه للزيارة أكثر من الصلاة عليه ﷺ، فإذا

١. انظر كتاب الفقه على المذاهب الأربعة:١/٥٩٠.

٢. انظر كتاب الفقه على المذاهب الأربعة:١/٥٩٠.

٣. الأحكام السلطانية:١٠٥.

وقع بصره على أشجار المدينة وحرمها و ما يُعرف بها، زاد من الصلاة والتسليم عليه ﷺ وسأل الله أن ينفعه بزيارته ﷺ و أن يُسعِدَه بها في الدارين، وليقل: «اللّهمّ افتح عليّ أبواب رحمتك وارزقني في زيارة قبر نبيّك ﷺ ما رزقته أولياءك وأهل طاعتك واغفر لي وارحمني يا خير مسؤول».[١]

٣. وقال ابن الحاج محمد بن محمد العبدوي القيرواني المالكي (المتوفّى ٧٣٧هـ): وأمّا عظيم جناب الأنبياء والرسل عليهم السلام فيأتي إليهم الزائر ويتعيّن عليه قصدهم من الأماكن البعيدة، فإذا جاء إليهم فليقف بالذلّ والانكسار، والمسكنة والفقر، والفاقة والحاجة، والاضطرار و الخضوع، ويُحضر قلبَه وخاطره إليهم وإلى مشاهدتهم بعين قلبه لا بعين بصره، لأنّهم لا يبلون ولا يتغيرون.[٢]

٤. قال شيخ الإسلام أبو يحيى زكريا الأنصاري الشافعي (المتوفّى ٩٢٥هـ): يستحبّ لمن حجّ أن يزور قبر النبي ﷺ ويسلم عليه، وعلى صاحبيه بالمدينة المشرّفة.[٣]

٥. قال الشيخ زين الدين عبد الرؤوف المناوي (المتوفّى ١٠٣١هـ): وزيارة قبره الشريف من كمالات الحجّ.[٤]

---

١ . الأذكار النووية:٣٣٣، طبعة دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ ق.

٢. المدخل: ٢٥٧/١، فضل زيارة القبور.

٣. أسنى المطالب في شرح روض الطالب: ٥٠١/١.

٤. شرح الجامع الصغير: ١٤٠/٦.

وهو يعدُّه من كمالات الحجّ لا من مكمّلات الحجّ وشتان بينهما.

٦. **قال الشيخ علاء الدين الحصكفي الحنفي (المتوفّى ١٠٨٨هـ)**: وزيارة قبره ﷺ مندوبة بل قيل واجبة لمن له سعة، ويبدأ بالحجّ لو فرضاً، ويُخيّر لو نفلاً ما لم يمرّ به، فيبدأ بزيارته لا محالة، ولينو معه زيارة مسجده ﷺ.[1]

٧. **قال الشيخ إبراهيم الباجوري الشافعي (المتوفّى ١٢٧٧هـ)**: وتُسنّ زيارة قبره ﷺ ولو لغير حاج ومعتمر كالذي قبله، ويُسن لمن قصد المدينة الشريفة لزيارته ﷺ أن يُكثِر من الصلاة والسلام عليه في طريقه، ويزيد في ذلك إذا رأى حرم المدينة وأشجارها، ويسأل اللّه أن ينفعه بهذه الزيارة ويتقبلها منه.[2]

٨. **وقال الشيخ عبد الباسط بن الشيخ علي الفاخوري مفتي بيروت**: وهي (زيارة النبي) متأكدة مطلوبة ومستحبة ومحبوبة ـ إلى أن قال: ـ وتحصل الزيارة في أي وقت وكونها بعد تمام الحجّ أحب.[3]

٩. **قال الشيخ عبد المعطي السقافي**: زيارة النبيّ ﷺ إذا أراد الحاج أو المعتمر الانصراف من مكة ـ أدام اللّه تشريفها وتعظيمها ـ طلب منه أن يتوجّه إلى المدينة المنورة للفوز بزيارته عليه الصلاة والسلام، فإنّها من أعظم القربات وأفضل الطاعات، وأنجح المساعي المشكورة، ولا يختص طلب

---

١. الدر المختار في شرح تنوير الأبصار: آخر كتاب الحجّ.

٢. في حاشية على شرح ابن الغزي على متن الشيخ أبي شجاع في الفقه الشافعي: ٣٤٧/١.

٣. الكفاية لذوي العناية: ١٢٥.

الزيارة بالحاج غير أنّها في حقّه آكد.

والأولى تقديم الزيارة على الحجّ إذا اتّسع الوقت، فإنّه ربما يعوقه عنها عائق، و قد ورد في فضل زيارته ﷺ أحاديث كثيرة.[١]

١٠. قال السيد محمد بن عبد اللّه الجرداني الدمياطي الشافعي (المتوفّى ١٣٠٧هـ): فزيارة قبره ﷺ من أعظم الطاعات وأفضل القربات فينبغي أن يُحرص عليها و ليحذر كلّ الحذر من التخلّف عنها مع القدرة خصوصاً بعد حجّة الإسلام، لأنّ حقّه ﷺ على أُمّته عظيم.[٢]

هذه كلمات الأثبات الحفّاظ أتينا بها كنموذج لما لم نذكر وما تركناه أكثر ممّا نقلناه، وقد انتقينا هذه الكلمات لأنّها تركّز على زيارة قبر النبي ﷺ لمن أراد الحجّ.

إنّ هذه الكلمات تعرب عن اتّفاق الأُمّة بكافة مذاهبها على استحباب زيارة قبر النبي ﷺ لمن زار البيت، و تؤكد ـ في الوقت نفسه ـ على أنّها ليست من مكمّلات الحجّ، فكان اللازم على الشيخ المجيب طرح السؤال والجواب على النحو الذي قررناه.

وممّا ينبغي الإشارة إليه هو انّ الذي دعاني إلى تعقيب هذه الفتوى سؤالاً وجواباً، هو ما لمست من التحريف الذي تطرق إلى كتاب «الأذكار» للإمام يحيى النووي لا سيما فيما يرجع إلى استحباب زيارة قبر النبيّ ﷺ

---

١. الإرشادات السنية: ٢٦٠.

٢ . مصباح الظلام: ١٤٥/٢.

للحاج، فقد حرّف بعضٌ من ينتمي إلى السلفية عنوان الفصل ومحتواه، ولمزيد الإيضاح أقول:

طبع هذا الكتاب مرّة في القاهرة عام ١٣٧٥هـ، ثمّ أُعيد طبعه ثانياً في دار ابن كثير عام ١٤٠٧هـ، ولما أُعيد طبعه ثالثاً في دار الهدى للنشر والتوزيع حرّف عنوان الفصل فقد كان العنوان في الطبعتين الأُوليين هكذا: «فصل في زيارة قبر رسول اللّه وأذكارها»، وجاء في الطبعة الثالثة مكانه: «فصل في زيارة مسجد رسول اللّه».

كما حرّف مضمون الفصل ومحتواه حيث جاء في الطبعتين الأُوليين ـ بعد العنوان ـ قوله: «اعلم أنّه ينبغي لكلّ من حجّ أن يتوجّه إلى زيارة رسول اللّه سواء كان ذلك في طريقه أو لم يكن، فإنّ زيارته من أهمّ القربات و أربح المساعي وأفضل الطلبات، فإذا توجّه للزيارة أكثر من الصلاة عليه في طريقه، فإذا وقع بصره على أشجار المدينة...».

لكن جاء في الطبعة الثالثة مكان تلك العبارة ما يلي:«يستحبّ من أراد زيارة مسجد رسول اللّه ﷺ أن يكثر الصلاة عليه في طريقه، فإذا وقع بصره على أشجار المدينة».

والمختلق المسكين مع أنّه خان الأمانة العلمية لم يستطع أن يسدل الستار على خيانته، فإنّ ما جاء به عقب العنوان، حتى بصورته المحرّفة، لا يناسب عنوان الفصل المجعول.

فإنّ العنوان حسب جعله منصبٌ على زيارة المسجد، وما أعقبه ـ مع

تحريفه ـ يركز على الصلاة على الرسول و يقول: «من أراد زيارة مسجد رسول اللّه أن يكثر من الصلاة عليه في طريقه»، فإنّ هذه العبارة تناسب حال من أراد زيارة قبره لا مسجده.

وها أنا أُهيب بالأحرار من المثقّفين في البلاد العربية أن لا يسمحوا لأهل التحريف أن يتلاعبوا بالتراث الذي خلفه السلف الصالح.

وممّا أدهشني أنّ محقّق الكتاب ـ في الطبعة الثالثة ـ هو عبد القادر الأرناووط السوري، وهو معروف بأمانته العلمية ولا أدري لماذا سمح بطروء التحريف إلى ما حقّقه، ولا أظن أنّه قام بهذا التحريف.

﴿وليسئلنّ يوم القيامة عمّا كانوا يفترون﴾ [1].

والله من وراء القصد

جعفر السبحاني

---

١. العنكبوت:١٣.

٥٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

فضيلة الأُستاذ قيس تيسير ظبيان

المدير العام لمجلة «الشريعة» المحترم

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته

أمّا بعد؛

أتقدّم لكم بالشكر الجزيل لما قمتم به من نشر محاضرتي التي ألقيتها في جامعة «الاردن» على صفحات مجلّتكم الغراء«الشريعة» في عددها الصادر برقم ٣٩٤ من شهر تشرين الأوّل ١٩٩٨م، وبذلك أكدتم أواصر الأُخوّة بين المسلمين وقد كانت المحاضرة حول عناصر الوحدة الإسلامية وموانعها .

قرأت العدد الآنف الذكر بما فيه من مقالات متنوعة حسب ما سمح لي الوقت، وأخصُّ بالذكر من بينها، الأسئلة التي تصدّىٰ للأجابة عنها فضيلة الشيخ عبد المنصف عبد الفتاح فكانت الأجوبة مقنعة في أغلب مواردها لكن استرعىٰ انتباهي السؤالَ الذي طرحه أحد القراء بالشكل التالي، وقال:

ضربتُ زوجتي ذات يوم فتركتْ المنزل وذهبتْ إلى بيت أُسرتها فلم

ألبث ان ذهبتُ إليها لكي أصالحها ولكي تطمئن إلىٰ عدم ضربي لها مرّة ثانية، قلت لها: عليَّ الطلاق لن أضربك مرّة أُخرى، فهل إذا ضربتُها لأمر ما، تكون طالقاً أم ماذا؟

وأجاب فضيلته عن هذا السؤال بما هذا ملخصه:

هذا النوع من الطلاق علىٰ قسمين:

تارة يريد القائل بهذا النوع من الكلام الحملَ على فعل شيء أو تركه أو التهديد أو التخويف، لا إيقاع الطلاق بالفعل.

وأُخرى يريد بذلك إنشاء الطلاق بالحلف إذا حصلت المخالفة.

ففي الأوّل نَقَل عن ابن تيمية وابن قيم أنّ الطلاق المعلّق الذي فيه معنى اليمين، غير و اقع وتجب فيه كفارة اليمين.

وفي الثاني تقع طلقة واحدة رجعية وللزوج أن يراجعها قبل انقضاء العدة.(انتهى).

***

الطلاق المعلّق لا كفّارة فيه ولا فراق

أقول: إنّ الاجتهاد الحرّ المستمد من الكتاب والسنة من دون التزام بمذهب إمام دون إمام يجرّنا إلى القول بخلاف ما أجاب به فضيلة الشيخ (مدّ الله في عمره) في كلا القسمين و انّه لا كفارة في الصورة الأُولىٰ ولا فراق في الصورة الثانية .

وبكلمة موجزة : الطلاق المعلّق لا يترتب عليه أيُّ أثر وإن كان المختار

لدى أئمّة المذاهب الأربعة غير ذلك. وإليك توضيح كلا الأمرين.

أمّا الأوّل (لا كفارة): فلأنّ الدليل على كفارة اليمين هي الآية المباركة التالية.

قال سبحانه: ﴿**لا يُؤاخِذكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ في أَيمانِكُمْ وَلكِنْ يُؤاخِذُكُمْ بِما عَقَّدْتُمُ الأَيْمانَ فَكفّارَتُهُ إِطْعامُ عَشَرةِ مَساكينَ مِنْ أَوسطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْليكُمْ أَوْ كِسْوتُهُمْ أَوْ تَحْريرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيّامٍ ذلِكَ كَفّارَةُ أَيْمانِكُمْ إِذا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمانكُم كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾. [1]

والآية توجب الكفّارة المترتبة على من نكث يمينه، ولكنّها ظاهرة في اليمين بلفظ الجلالة أو ما يعادله ويقاربه من الأسماء المقدسة، وليس الحلف بالطلاق داخلاً في الآية المباركة حتى يستلزم نقضُه،الكفارة، بل هي قضية شرطية كعامة القضايا الشرطية المجرّدة عن معنى الحلف باللّه سبحانه كما لو قال: لئن كشفت سرّي، فأنا أيضاً أفعل كذا.

وتصور أنّ الطلاق المعلّق يتضمن معنى الحلف باللّه تصور خاطئ إذ لا يتبادر منه الحلف باللّه أوّلاً، وعلى فرض تضمّنه فليس هو ممّا قصده المتكلم بكلامه ثانياً. وعلى فرض تسليمهما فالموضوع لوجوب الكفارة، هو الحلف الصريح بشهادة قوله سبحانه: ﴿**بِما عَقَدْتُمُ الأَيمان**﴾ لا الحلف الضمني.

---

١. المائدة: ٨٩

ولذلك يطلقون الفقهاء علىٰ هذا النوع من الحلف، اليمين بالطلاق، لا الحلف بالله سبحانه ولو ضمنياً.

وأمّا الثاني: أي وقوع الطلاق إذا كان قاصداً إنشاء الطلاق المعلق فهو لا يصمد امام النقاشات التالية:

الأوّل: أنّ عناية الإسلام بنظام الأُسرة الذي أُسُسُها النكـاح والطـلاق، يقتضي أن يكون الأمر فيها منجَّزاً لا معلقاً، فإنّ التعليق ينتهي إلى مالا تُحمد عاقبته من غير فرق بين النكاح والطلاق، فالمرء إمّا أن يقدم عـلى النكـاح والطلاق أو لا. فعلى الأوّل فينكح أو يطلّق بتاتاً، وعلى الثاني يسكت حتى يحدث بعد ذلك أمراً، فالتعليق في النكاح والطـلاق لا يـناسب ذلك الأمـر الهام، قال سبحانه:

﴿وَلَنْ تَسْتَطيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّساءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاٰ تَميلُوا كُـلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهٰا كَـالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تَـصْلِحُوا وَتَـتَّقُوا فَـإِنَّ اللّٰـهَ كـانَ غَـفُوراً رَحيماً﴾[1].

والله سبحانه يُشبِّه المرأة التي يترك الزوجُ أداء واجبها بـ«المعلّقة» التي هي لا ذات زوج ولا أيّم. وعلقة الزوجية علقة مقدسة لا تخضع لأهواء الزوج فهو إمّا أن يطلقها ويسرّحها، أو يتركها ولا يمسُّ كرامتها، والزوجة في الطلاق المعلّق أشبه شيء بالمعلقة الواردة في الآية، فهي لا ذات زوج ولا أيّم.

الثاني: أنّ هذا النوع من الطلاق يقوم به الزوج في حالات خاصة دون

---

١. النساء: ١٢٩.

أن يشهده عدلان، والإشهاد على الطلاق شرط لصحة وقوعه ومتىٰ فقد لم يقع الطلاق من دون فرق بين المنجّز والمعلّق، ويدلّ عليه قوله سبحانه: ﴿يٰا أَيُّهَا النّبيّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ...* فَإِذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهادةَ للّٰهِ﴾[1].

فقوله سبحانه: ﴿وَأَشْهِدُوا ذوي عدلٍ﴾ قيد للطلاق والرجعة علىٰ قول أو لخصوص الأوّل على قول آخر. وإليك دراسة كلا القولين.

الإشهاد في الآية راجع إلى الطلاق والرجوع

فهناك من ذهب إلى كونه قيداً لهما، وقد نقل هذا القول عن عدة من الصحابة والتابعين: نقل عن ابن عباس: انّه فسرها بالطلاق والرجعة.[2]

وقال السيوطي: أخرج عبد الرزاق عن عطاء، قال: النكاح بالشهود والطلاق بالشهود، والمراجعة بالشهود.

وسئل عمران بن حصين عن رجل طلق ولم يشهد، وراجع ولم يشهد؟ قال:بئس ما صنع طلق في بدعة وارتجع في غير سنّة فليشهد علىٰ طلاقه ومراجعته وليستغفر اللّٰه.[3]

قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وأَشْهِدُوا﴾ أمرنا بالإشهاد على الطلاق، وقيل: على الرجعة.[4]

---

١. الطلاق: ١ ـ ٢.

٢. تفسير الطبري:٨٨/٢٨.

٣. الدر المنثور:٢٣٢/٦.

٤. الجامع لأحكام القرآن:١٥٧/١٨.

وقال الآلوسي: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوي عَدْلٍ مِنْكُم﴾ عند الرجعة إن اخترتموها أو الفرقة إن اخترتموها تبريّاً عن الريبة. [١]

إلى غير ذلك من الكلمات الواردة في تفسير الآية.

وممّن قال برجوع القيد إلى الطلاق والرجعة الشيخ أحمد محمد شاكر القاضي المصري . قال بعد ما نقل الآيتين من أوّل سورة الطلاق:والظاهر من سياق الآيتين أنّ قوله: ﴿وَأَشْهدوا﴾ راجع إلى الطلاق وإلى الرجعة معاً والأمر للوجوب، لأنّه مدلوله الحقيقي، ولا ينصرف إلى غير الوجوب ـ كالندب ـ إلّا بقرينة، ولا قرينة هنا تصرفه عن الوجوب، بل القرائن هنا تؤيّد حمله على الوجوب ـ إلى أن قال: ـ فمن أشهد على طلاقه، فقد أتىٰ بالطلاق على الوجه المأمور به، و من أشهد على الرجعة فكذلك، ومن لم يفعل فقد تعدّىٰ حدود اللّه الذي حدّه له فوقع عمله باطلاً، لا يترتّب عليه أي أثر من آثاره . [٢]

الإشهاد في الآية راجع إلى الطلاق خاصة

وهناك من يذهب إلى أنّ قوله: ﴿وَأَشْهِدُوا ذويْ عَدْلٍ مِنْكُم﴾ يرجع إلى خصوص الطلاق، فقط، قائلاً بأنّ السورة بصدد بيان أحكام الطلاق، وقد افتتحت بقوله : ﴿يا أَيُّهَا النَّبيّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساء﴾، فذكرت للسورة عدّة أحكام:

١. أن يكون الطلاق لعدتهن.

٢. إحصاء العدة.

---

١ . روح المعاني:١٣٤/٢٨. ٢ . نظام الطلاق في الإسلام: ١١٨ـ ١١٩.

٣. عدم خروجهن من بيوتهن.

٤. خيار الزوج بين الإمساك والمفارقة عند اقتراب عدّتهن من الانتهاء.

٥. إشهاد ذوي عدل منكم.

٦. عدّة المسترابة.

٧. عدّة من لا تحيض وهي في سن من تحيض.

٨. عدّة أُولات الأحمال.

وإذا لاحظت مجموع آيات السورة من أوّلها إلى الآية السابقة تجد أنّها بصدد بيان أحكام الطلاق، لأنّه المقصود الأصلي، لا الرجوع المستفاد من قوله: ﴿**فَأَمْسِكُوهُنَّ**﴾ وقد ذكر تبعاً.

وقال أبو زهرة: قال فقهاء الشيعة الإمامية الاثني عشرية والإسماعيلية: إنّ الطلاق لا يقع من غير إشهاد عدلين لقوله تعالى «في أحكام الطلاق وإنشائه في سورة الطلاق»: ﴿**وَأَشْهِدُوا ذوِيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهادة للّٰه ذٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ من كان يؤمن باللّٰه واليوم الآخر ومن يتّق اللّٰه يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب**﴾ فهذا الأمر بالشهادة جاء بعد ذكر إنشاء الطلاق وجواز الرجعة، فكان المناسب أن يكون راجعاً إليه، وانّ تعليل الإشهاد بأنّه يوعظ به من كان يؤمن باللّٰه واليوم الآخر يرشّح ذلك ويقويه، لأنّ حضور الشهود العدول لا يخلو من موعظة حسنة يزجونها إلى الزوجين، فيكون لها مخرج من الطلاق الذي هو أبغض الحلال إلى اللّٰه سبحانه وتعالى.

وأنّه لو كان لنا أن نختار للمعمول بـه فـي مـصر لاخـترنا هـذا الرأي فيشترط لوقوع الطلاق حضور شاهدين عدلين. [١]

ويؤيد رجوع الأمر بالاشهاد إلىٰ خصوص الطلاق لا الرجـعة هـو أنّ الطلاق حـلال مـبغوض عـند اللّـه سـبحانه، والشـريعة الإسـلامية شـريعة اجتماعية لا ترغب في أي نوع من أنواع الفرقة لا سيما في العائلة والأُسرة، بعد ما أفضىٰ كلّ من الزوجين إلى الآخر بما أفضىٰ، فالشارع بحكمته يريد تقليل وقوع الطلاق والفرقة، فكثّر قيوده وشروطه على القاعدة المعروفة من أنّ الشيء إذا كثرت قيوده، عزّ أو قلّ وجـوده، فـاعتبر الشـاهدين العـدلين للضبط أوّلاً وللتأخير والأناة ثانياً، وعسىٰ إلى أن يحضر الشاهدان أو يحضر الزوجان أو أحدهما عندهما يحصل الندم ويعودان إلى الأُلفة كما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿**لاٰ تَدري لعلَّ اللّٰهُ يحدث بَعْدَ ذٰلِكَ أَمْـراً**﴾، وهـذه حكـمة عميقة في اعتبار الشاهدين، لا شكّ انّها ملحوظة للشارع الحكيم مضافاً إلى الفوائد الأُخر، وهذا كلّه بعكس قضية الرجوع فإنّ الشارع يريد التعجيل به ولعلّ في التأخير آفات فلم يوجب في الرجعة أي شرط من الشروط.

وحاصل الكلام بما أنّه حلف بالطلاق مجرّداً عن الاشهاد، فلا يترتّب عليه الأثر بحكم الآية المباركة سواء أقلنا بـأنّ المـراد بـالإشهاد يـرجـع إلى الطلاق والرجعة أو إلى الأوّل فقط.

***

---

١. الأحوال الشخصية: ٣٦٥، كما في الفقه على المذاهب الخمسة: ١٣١.

الثالث: أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام أفتوا ببطلان الطلاق المعلق، فقد روى أبو أُسامة الشحام عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال له: إنّ لي قريباً أو صهراً حلف إن خرجت امرأته من الباب فهي طالق، فخرجت وقد دخل صاحبها منها ما شاء من المشقة فأمرني أن أسألك.

فأجاب عليه السلام : «مرّه فليمسكها فليس بشيء» ثمّ التفت إلى القوم فقال سبحان اللّه يأمرونها أن تتزوج ولها زوج. [1]

وقد اشتهر عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام إنكار الأُمور الثلاثة التالية:

١. طلاق المرأة وهي حائض.

٢. الطلاق دون إشهاد عدلين.

٣. الحلف على الطلاق.

وثمّة سؤال يتوجه إلىٰ فضيلة الشيخ بأنّه لماذا اختار في الإجابة مذهب ابن تيمية وابن قيم الجوزية مع أنّ المذهب المشهور بين فقهاء السنة انّه يقع الطلاق إذا حنث في يمينه دون فرق بين الصورتين.

قال السبكي: وقد أجمعت الأُمّة علىٰ وقوع المعلق كوقوع المنجز فإنّ الطلاق ممّا يقبل التعليق.فلو قال: إن كلّمتِ فلاناً فأنتِ طالق، وهو الذي يقصد به الحثّ أو المنع، فإذا علق الطلاق على هذا الوجه ثمّ وجد المعلَق عليه ،وقع الطلاق.

ثمّ قال: وقد لبّس ابن تيمية بوجود خلاف في هذه المسألة وقد نقل

---

١. وسائل الشيعة:١٥، الباب ١٨ من أبواب مقدمات الطلاق، الحديث ٣.

إجماع الأُمّة علىٰ ذلك أئمّة لا يـرتاب فـي قـولهم ولا يـتوقف فـي صـحّة نقلهم.[١]

ولذلك كان الأولى لفضيلة الشيخ الاجتهاد في المسألة ثمّ الإفتاء وفق اجتهاده من دون أن يتبع فتوى إمام دون إمام، وإلّا فما هو المرجح للإفـتاء بقول إمامين دون سائر الأئمّة من أهل السنة.

وفي الختام نلفت نظركم السامي إلى الكلمة التالية لبعض علمائنا.

إنّ الإمامية يُضيّقون دائرة الطلاق إلىٰ أقصى الحدود، ويفرضون القيود الصارمة على المطلِّق والمـطلقة، وصـيغة الطـلاق وشـهوده، كـلّ ذلك لأنّ الزواج عصمة مودة ورحمة وميثاق من اللّه قال تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْضى بَعْضُكُمْ إِلىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ ميثاقاً غَليظاً﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيـاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُـمْ مِـنْ أَنْـفُسكُمْ أَزْواجـاً لِـتَسْكُنُوا إِلَـيْها وَجَـعَلَ بَـيْنَكُمْ مَـوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[٣] إذن لا يجوز بحال أن ننقض هذه العصمة والمودة والرحـمة، وهذا العهد والميثاق إلّا بعد أن نعلم علماً قاطعاً لايداخله شك بأنّ الشرع قد حلّ الزواج ونقضه بعد أن أثبته وأبرمه.[٤] وليس اليمين بالطلاق ـ مع وجود الاختلاف الكثير بين الفقهاء ـ مـن هـذه المـقولة فـعلى الزوج أن يـمسك بعصمتها مالم يدل دليل قاطع على الطلاق الشرعي.

جعفر السبحاني

---

١ . الدرة المضيئة: ٥٥ ـ ٥٦.

٢ . النساء: ٢١. ٣ . الروم: ٢١.

٤ . الفقه على المذاهب الخمسة: ٢١٤ للمغفور له الشيخ محمد جواد مغنية.

٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الأُستاذ قيس ظبيان المدير العام لمجلة الشريعة المحترم

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته

أرجو من اللّه أن تكونوا بخير وعافية، وتكون مجلتكم الغرّاء مشعة مضيئة، وهادية إلى السبيل الأقوم.

كما ندعو اللّه تعالى أن يوصل ثواب هذه المجلة الدينية إلى مؤسسها المغفور له تيسير ظبيان ﷺ، الّذي سنّ هذه السنة الحسنة الّتي تجري كجري الشمس والقمر.

وقد قرأنا في مجلتكم الغرّاء (العدد ٤٧٤، ربيع الثاني ١٤٢٦هـ) جواباً للفقيه المعاصر الشيخ يوسف القرضاوي عن سؤال هو:

هل صحيح أنّ الإمام الشافعي جعل من حق الأب أن يزوّج ابنته البالغة بغير رضاها؟ وإذا كان هذا صحيحاً فهل يتفق هذا مع المنهج الإسلامي العام في اشتراط موافقة الفتاة المسبقة؟

وحاصل ما أجاب به سماحته هو:

أوّلاً: أنّ هنا قاعدة أساسية لا يختلف فيها اثنان وهي انّ كلّ مجتهد

يُصيب ويُخطئ، وأنّ كلّ واحد يؤخذ من كلامه ويترك إلّا المعصوم. والإمام الشافعي بشر غير معصوم.

ثانياً: من الإنصاف للمجتهدين أن نضع آراءهم في إطارها التاريخي فإنّ المجتهد أعرف ببيئته وزمنه، ولا يمكن إغفال العنصر الذاتي للمجتهد.

وقد عاش الشافعي في عصر قلّما كانت تعرف فيه الفتاة عمّن يتقدّم لخطبتها شيئاً إلّا ما يعرفه أهلها عنه، لهذا أُعطي والدُها خاصة حق تزويجها ولو بغير استئذانها.

ثمّ قال: ومن يدري لعل الشافعي لو عاش إلى زماننا ورأى ما وصلت إليه الفتاة من ثقافة وعلم وانّها أصبحت قادرة على التمييز بين الرجال الذين يتقدمون إليها ربّما غيّر رأيه.

على هامش جواب الشيخ القرضاوي

انطلاقاً من القول المشهور: «الحقيقة بنت البحث» لنا حول هذا الجواب مناقشات نطرحها على طاولة البحث، وربّما يكون لدى الأُستاذ جواب عنها.

المناقشة الأُولى

إنّ رسالة الإسلام رسالة أبدية وكتابها القرآن الكريم خاتم الكتب، فلابدّ أن تكون هذه الشريعة بشكل يوافق فطرة الإنسان ويواكب عامة الحضارات في مختلف العصور.

وقد اختلفت كلمات الفقهاء في لزوم الاستئذان وعدمه، فقال مالك والشافعي وابن أبي ليلى: للأب فقط أن يجبرها على النكاح.

وقال أبو حنيفة والثوري والأوزاعي وأبو ثور وجماعة: لابدّ من اعتبار رضاها، ووافقهم مالك في البكر على أحد القولين عنه.(١)

فلابدّ في تمييز ما هو الصواب من الآراء، من عرض المسألة على الكتاب والسنة، فالسنة المروية تدعم الرأي الثاني. وقد ألمح إلى هذه الروايات الأُستاذ في ثنايا جوابه.

روى أبو هريرة أنّ النبي ﷺ قال: لا تنكح الأيّم حتّى تُستأمر، ولا تُنكح البكر حتّى تُستأذن.

فقالوا: يا رسول اللّه ﷺ: كيف إذنها؟ قال: إذا سكتت.

وروى أبو داود وابن ماجة عن ابن عباس: أنّ جارية بكر أتت النبي ﷺ فذكرت أنّ أباها زوّجها وهي كارهة فخيّرها النبي ﷺ.(٢)

والروايات المروية عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام تدعم القول الثاني.

روى منصور بن حازم عن الإمام الصادق عليه السلام: «تستأمر البكر وغيرها ولا تنكح إلّا بأمرها».(٣)

إلى غير ذلك من الروايات المروية عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام الّتي تؤكد

---

١. بداية المجتهد:٢/٥، كتاب النكاح.

٢. لاحظ الخلاف للطوسي كتاب النكاح ، المسألة ١٠؛ بداية المجتهد:٢/٥، كتاب النكاح؛ المغني لابن قدامة:٦/٥١٦.

٣. الوسائل:١٤، الباب ٩ من أبواب عقد النكاح، الحديث ١.

شرطية إذن المرأة في نكاحها.

أضف إلى ذلك: انّ التزويج هو النواة الأُولى لتأسيس المجتمع الكبير، فهل يجوز في منطق العقل الحصيف أن يكون للأب حق التزويج من دون استئذان البنت؟ هذا مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ هذا العقد ليس قصيراً، بل قد يدوم إلى خمسين سنة أو أكثر، فكيف نتصور إلزامها على هذه الحياة من دون أن تعلم أو تفكر أو تأذن فيها؟!

إنّ البيع هو إنشاء علاقة بين مالين، والنكاح إنشاء علاقة بين نفسين، والله سبحانه يشترط التراضي في صحة التجارة ويقول:﴿**لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ**﴾.[1]

فهل يسوغ في منطق العقل أن تكون صحة التجارة منوطة بالتراضي دون النكاح؟!

وهل البيع والتجارة أسمى وأهم من النكاح والزواج الّذي عليه يقوم المجتمع؟!

هذا من الجانب الفقهي ولا نطيل فيه، وقد فصلنا الكلام فيه في كتابنا «نظام النكاح في الشريعة الإسلامية الغرّاء»، ج١، ص ١٧٢ـ ١٩٣.

المناقشة الثانية

لو افترضنا أنّ التشريع الإسلامي في حقّ الفتاة هو جواز إنكاحها بغير إذنها وجواز إجبار الأب إياها للنكاح وإن كانت غير راضية به، كما عليه فتوى

١ . النساء:٢٩.

الإمام الشافعي والإمام مالك على أحد قوليه.

فلو كان التشريع على هذا الحال فكيف يمكن أن يتغير حكمه بتغير الظروف، مع أنّ حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة؟

وما اعتذر به الأُستاذ من وجود الثقافة والعلم عند الفتاة المعاصرة دون مثلها الّتي عاشت في عصر الشافعي، غير وجيه، لأنّ معنى ذلك أنّ التشريع الإسلامي موضوع للأُميّات والجاهلات ولا يعم المثقّفات والعارفات.

هب أنّ الأُستاذ نجح في توجيه هذه الفتوى فكيف يفسّر رأياً آخر للإمام الشافعي حول لمس المرأة الأجنبية الّذي عدّه من نواقض الوضوء؟ وإليك نص الفتوى.

وقال الشافعية: إذا لمس المتوضّئ امرأة أجنبية بدون حائل انتقض الوضوء.

وبعبارة أُخرى: مباشرة النساء من غير حائل إذا كنّ غير ذوات محارم تنقض الوضوء بشهوة كانت أو بغير شهوة، باليد كانت أو بالرجل أو بغيرهما من الجسد، عامداً أو ناسياً.[1] ومن المعلوم أنّ هذا الرأي غريب من وجهين:

١. انّه لا رصيد له من الكتاب والسنّة، فقوله سبحانه في آية الوضوء: ﴿أَوْ لاٰمَسْتُمُ النِّساءَ﴾[2] كناية عن الدخول والجماع كما هو الحال في آيات

١. الأُمّ: ١٥/١؛ المبسوط: ٦٧/١، أحكام القرآن للجصاص: ٣٦٩/٢ إلى غير ذلك من المصادر.

٢. المائدة: ٦.

الطلاق، قال سبحانه: ﴿إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّساءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾[1] ، وقال:﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾[2].

٢. إنّ هذه الفتيا لا تنسجم مع كرامة المرأة ومنزلتها في الشريعة الإسلامية، حيث إنّ الذكر العزيز قد وصف المرأة بأنّها عِدْل للزوج وأنّه يسكن إليها ، قال سبحانه: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها﴾.[3]

إنّ التشريع الإسلامي يعتمد في أُصوله الكلية على الفطرة البشرية ولا يتغير حكمه بتغير الزمان والمكان، فما دام هذا الإنسان موجوداً على ظهر هذا الكوكب فالحكم الشرعي يواكب فطرته ولا يشذ عنه قيد شعرة فلابدّ أن يكون مستمراً ودائماً وأبدياً.

نعم قد ثبت في محله أنّ لعنصري الزمان والمكان دوراً في الاستنباط والاجتهاد، ولكن ذلك لا يعني نسخ الأحكام وإخراجها من الساحة وإحلال حكم آخر مكانها لأجل ذينك العنصرين، بل بمعنى أنّ الحضارة والتقدم قد تؤثر في الموضوع بإخراجه عن موضوع حكم وإدخاله تحت موضوع حكم آخر مع التحفظ على كلا الحكمين في موردهما ولنأت بمثال.

إنّ بيع الدم حرام في الفقه الإسلامي لعدم الانتفاع به في أمر محلّل، إذ كان الانتفاع ربما منحصراً في الأكل، ولكن التقدم الحضاري مكّن الطبيب من الانتفاع به انتفاعاً حلالاً وذلك في عمليات نقل الدم من إنسان لآخر محتاج إليه في المستشفيات.

---

١ . البقرة:٢٣٦.
٢ . البقرة:٢٣٧.
٣ . الروم:٢١.

المناقشة الثالثة

إنّ قول الأُستاذ بأنّ الإمام الشافعي لو كان قد عاش إلى زماننا ورأى ما وصلت إليه الفتاة من ثقافة وعلم لعلّه لو رأى ذلك لغيّر رأيه، فإنّ ذلك يدفعنا إلى التسليم بضرورة الرجوع إلى المجتهد الحي في عامة المسائل، وذلك لنفس النكتة الّتي ذكرها الأُستاذ، ذلك لأنّ فقهاء الإسلام مع الاعتراف بأنّهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى، لا فرق بين من لحق بالرفيق الأعلى منهم، ومن هو حيٌّ يُرزق. لكن المجتهد الحي أعرف بالظروف السائدة في المجتمع، وانطلاقاً من قول القائل:«الشاهد يرى ما لا يراه الغائب»، فهو يعرف مقتضيات الزمان والمكان ، على نحو لو كان الفقيه الفقيد حاضراً في هذا الزمان لربما عدل عن رأيه وأفتى بغير ما أفتى به سابقاً، وهذا ما يدفع الفقهاء إلى ترويج تقليد المجتهد الحي أو اللجنة الفقهية المتشكّلة من الأحياء وترك تقليد غيرهم بتاتاً.

نعم هذا الاقتراح ربّما يكون ثقيلاً على من اعتاد تقليد غير الأحياء، ولكنّه ينسجم مع الفطرة الإنسانية التي بُنيت عليها أُسس الدين الإسلامي، وليس ذلك أمراً بعيداً عن حياة البشر، فإنّ المجتمع في حاجاته يرجع إلى الأطباء والمهندسين الأحياء، لأنّهم أعرف بحاجات العصر وبالداء والدواء.

هذا بالإضافة إلى أنّه لم يدل دليل على انحصار المذاهب الفقهية في الأربعة، وقد كان المسلمون يعملون بالشريعة ولم يُولد أحد من الأئمة ولم يثبت أنّهم أعلم وأفضل من كل من جاء ولحق بهم من الفقهاء العظام ـ رضوان اللّه عليهم ـ لو لم يثبت خلافه.

إنّ مواهبه سبحانه ورحمته الواسعة لا تختص بجيل دون جيل ولا بعصر دون عصر وقد تكامل الفقه بيد عشاق الفقه في كلّ عصر، حتّى ربما صار المتأخّر، أبصر وأدق من المتقدم.

لا شكّ انّ الاستنباط الجماعي أوثق من الاستنباط الفردي، وأنا أقترح على فقهاء المذاهب في كلّ صقع، أن يشكّلوا مجمعاً فقهياً حراً يضم إلى جنبه، فقهاء كباراً من عامة البلاد، فيكون هو المرجع في المسائل الخلافية، قديمة كانت أو حادثة.

وبتعبير آخر: أن يدرسوا عامة المسائل الخلافية من جديد، وإذا خرج الجميع، أي الأكثر منهم برأي، يكون هو المفزع لعامة الناس، سواء أوافق أحد المذاهب الأربعة أم لا.

إنّ الجمود على فتوى إمام خاص ربما يُوقع الحجاج في حرج شديد، فإنّ بعض المذاهب: يفرض رمي الجمار باليوم العاشر من مطلع الشمس إلى دلوكها ولا يجوّز بعد الظهر بخلاف اليومين التاليين فلا يرخص فيهما صباحاً، بل يفرض أن يكون الرمي بعد الظهر.

إنّ هذا التضييق في وقت الرمي يورث حرجاً شديداً على الحجاج وينتهي إلى قتل العشرات منهم بفعل الازدحام. مع أنّ في بعض المذاهب رخصة أوسع من ذلك حيث يجوز الرمي من مطلع الشمس إلى مغربها.

هذا هو المقترح ولكنّ الموانع ربّما تحول بين الإنسان وأُمنيته.

ما كلّ ما يتمنى المرء يدركه ....

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته

جعفر السبحاني ٢ جمادى الآخرة ١٤٢٦ هـ

رسالة إلى الأُستاذ بسام ظبيان رئيس تحرير مجلة الشريعة

٥٧



الأُستاذ الفاضل بسام ظبيان المحترم

رئيس تحرير مجلة «الشريعة» الغرّاء

السلام عليكم ورحمة اللّٰه وبركاته

وصلنا العدد(٤٧٩) من مجلتكم القيّمة الّتي تلمع في سماء المطبوعات لمعان البرق في طيّات السحاب.

ولذا نقدم لكم الشكر الجزيل، ولنا مع مجلتكم وقفة قصيرة.

فقد جاء في قسم الفتاوى أسئلة مختلفة أجاب عنها الأساتذة ـ حفظهم اللّٰه تبارك وتعالى ـ ومن تلك الأسئلة تسمية الولد بعبد المسيح أو عبد الرسول أو غير ذلك وأُجيب عنه بوجوه ثلاثة، نركِّز على الوجه الأوّل منها (لأنّ الوجهين الآخرين يختصان بعبد المسيح ولا كلام لنا فيهما). والوجه الأوّل هو ما قال فيه المجيب:«انّ كلّ اسم معبَّد لغير اللّٰه تحرم التسمية به بإجماع المسلمين».

لكن المجيب لم يوضح معنى العبد في قولهم: «عبد الرسول» و لو قام بإيضاحه لما ادّعى الإجماع على حرمته، لأنّ العبودية تطلق ويراد بها معان مختلفة ويختلف حكمها حسب اختلاف الموارد وهذا بيانه:

١. العبودية التكوينية، وهي بهذا المعنى ناشئة من المملوكية التكوينية التي تعمّ جميع العباد، ومنشأ المملوكية كونه سبحانه خالقاً، والإنسان مخلوقاً. فالعبودية إذا كانت رمزاً للملوكية الناشئة من الخالقية، فهي لا تضاف إلّا إلى اللّه سبحانه كما يقول سبحانه: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ إِلّا آتِي الرَّحْمٰن عَبْداً﴾.[1]

وقال سبحانه حاكياً عن المسيح:﴿إِنّي عَبْدُ اللّهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَجَعَلَني نَبِيّاً﴾.[2]

٢. العبودية الوضعية الناشئة من غلبة إنسان على إنسان في الحروب، وقد أمضاها الشارع تحت شرائط معينة مذكورة في الفقه.

فأمر الأُسارى ـ الذين يقعون في الأسر بيد المسلمين ـ موكول إلى الحاكم الشرعي فهو مخيّر بين إطلاق سراحهم بلا عوض أو بأخذ مال منهم أو استرقاقهم.

فإذا اختار الثالث فيكون الأسير عبداً للمسلم، ولذلك ترى أنّ الفقهاء عقدوا باباً باسم «العبيد والإماء».

١. مريم:٩٣.
٢. مريم:٣٠.

قال سبحانه:﴿وَأَنْكِحُوا الأَيامىٰ مِنْكُمْ وَالصّالِحينَ مِنْ عِبادِكُمْ وَإِمائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَراءَ يُغْنِهِمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾.[١]

تجد أنّه سبحانه ينسب العبودية والإمائية إلى الذين يتملكونهم ويقول ﴿عِبادِكُمْ وَإِمائِكُمْ﴾ فيضيف العبد إلى غير اسمه جلّ ذكره.

٣. العبودية بمعنى الطاعة وبها فسرها أصحاب المعاجم.[٢]

والمعنى الثالث هو المقصود من تلك الأسماء فيسمُّون أولادهم باسم عبد الرسول أي مطيع الرسول، وعبد الحسين أي مطيعه وكلّ مسلم مطيع للرسول والأئمّة من بعده، ولا شكّ انّه يجب إطاعة النبي ﷺ وأُولي الأمر.

قال سبحانه: ﴿أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.[٣]

فعرّف القرآنُ النبيَ بأنّه مطاعاً والمسلمين مطيعين، ولا عتب على الإنسان أن يظهر هذا المعنى في تسمية أولاده وفلذات كبده.

نعم المسمّى بعبد الرسول هو عبد للرسول وفي الوقت نفسه عبد للّه أيضاً، ولا منافاة بين النسبتين لما عرفت من أنّ العبودية في الصورة الأُولى هي العبودية التكوينية النابعة من الخالقية، ولكنّها في الصورة الثانية والثالثة ناجمة عن تشريعه سبحانه حيث جعل الغالب مولى والأسير عبداً، كما جعل النبي مطاعاً وغيره عبداً أي مطيعاً وشتان ما بينهما وبين المعنى الأوّل، ولا

---

١. النور:٣٢.

٢. لسان العرب: مادة عبد، وكذلك القاموس المحيط في نفس المادة.

٣. النساء:٥٩.

أجد مسلماً على أديم الأرض يسمّي اسمَ ولده بعبد الرسول ويقصد به العبودية التكوينية للرسول، وانّما يقصد المعنى الثالث وهو كونه مطيعاً للرسول. وغاية ما يمكن أن يقال يقصد العبودية التشريفية والتنزيلية بضرب من المجاز وتشبيهاً بالعبودية الرائجة بين الموالي العرفية وعبيدهم.

وفي الختام: ندعو لأُسرة التحرير وفي مقدمتهم قيس الظبيان المدير العام ولكم بالخير والعافية.

***

جعفر السبحاني

١٦ ذي الحجة ١٤٢٦ هـ

***

وقد قامت المجلة مشكورة بنشر الرسالة في العدد(٤٨٤) مرفقة بالشكر المتواصل حيث جاء فيها:

الشكر الموصول للعلّامة جعفر السبحاني، وأن أُسرة تحرير مجلة الشريعة تثمن عالياً اهتمامات سماحته في متابعة ما يكتب فيها من مواضيع دينية وحرصه على تقديم الإيضاحات خدمة للقراء... فجزاه اللّه عنا وعنهم كلّ الخير.

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته

٥٨

تعليق على مقال الدكتور عبدالكريم عكيوي

«تعقيب على تعقيب»

بسم الله الرحمن الرحيم

قرأت في مجلة «بصائر الرباط» الّتي تُصدرها «دائرة الرباط العلمية للبحث والدراسات الإسلامية» في المغرب، مقالاً يحمل عنوان: «تعقيب على تعقيب» بقلم د. عبد الكريم عكيوي، وقد نُشر المقال في العدد الثاني، المحرم ١٤٢٧هـ الموافق لـ فبراير ٢٠٠٦م. وكان المقال تعقيباً على مقالي الّذي نشر في نفس هذا العدد، وهو بدوره كان تعقيباً على مقال الدكتور الّذي نشر في العدد الأوّل من المجلة.

وكان الأحرى بالمجلة اتّباع الاسلوب المتعارف في المجلات، بالفصل بين المقال وما يكتب تعقيباً عليه . ولكن خُولف هذا الأُسلوب فنُشر المقالُ والتعقيب في عدد واحد.

ونحن إذ نشكر هذا النفس الطويل لكاتبنا العزيز الّذي استغرق تعقيبه إحدى وعشرين صفحة، نذكر فيما يلي خلاصة ما جاء فيه ممّا يتعلق بموضوعنا، مع تعقيبها بالتحليل:

الأمر الأوّل

ذكر الدكتور أنّ منهج البحث العلمي يقتضي ذكر كلّ مسألة في موضعها وبيانها في موطنها المناسب، فلا يجمع بين مفترقين. حيث إنّ بحثه كان في اختبار كذب الراوي عن طريق التاريخ وأمّا تعقيبنا فكان في مسألة عرض متن الحديث على التاريخ ليعلم كذبه أو علّته، وهما مسألتان متمايزتان، فلا معنى لتعقيب المسألة الأُولى (الّتي هي موضوع البحث للدكتور) بالمسألة الثانية الّتي هي موضوع التعقيب.

تحليلنا

لقائل أن يقول: إنّ هنا مسألة واحدة، لها صورتان:

أمّا المسألة فهي عرض الحديث ـ سنداً ومضموناً ـ على التاريخ. والحديث ـ الّذي يعتمد عليه ـ يتألف من السند والمتن، فالراوي تارة يَكْذِب في جانب السند عن طريق التدليس، فيُظهر المرسَل مسنداً، والموقوف مرفوعاً، إلى غير ذلك من أساليب التدليس. وأُخرى يَكْذِب في المضمون، فيسند إلى المعصوم ما لم يقله. فإذا عرضنا الحديث على التاريخ، فتارة يُستكشف كذب الراوي في جانب السند، وأُخرى كذبه في مضمون الحديث حيث أسند إلى المعصوم ما لم يقله.

فهاتان صورتان لمسألة واحدة، وهي عرض الحديث على التاريخ

بسنده ومضمونه. فكما يمكن عدُّهما مسألتين ، كذلك يصح لقائل أن يجعلهما صورتين لمسألة واحدة. ولا مشاحة في اختلاف الاعتبار، إذا كان هناك اتفاق في المعتبَر.

وها نحن نمثل لكلّ من الصورتين حتّى يتّضح أنّهما وجهان لشيء واحد.

أمّا الصورة الأُولى: فنأتي بنفس المثال الّذي كتبه الدكتور، وهو ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن عفير بن معدان الكلاعي، قال: قدم علينا عمرو بن موسى حمص، فاجتمعنا إليه في المسجد فجعل يقول: حدثنا شيخكم الصالح، فلما أكثر علينا، قلت له: من شيخنا الصالح هذا سمّه لنا نعرفه؟ فقال: خالد بن معدان. قلت له: في أيّ سنة لقيتَه. قال: سنة ثمان ومائة، قلت: فأين لقيته؟ قال: لقيته في غزاة أرمينية. فقلت له: اتق اللّه يا شيخ ولا تكذب، مات خالد بن معدان سنة أربع ومائة، وأنت تزعم أنّك لقيته بعد موته بأربع سنين.

فهنا كشفَ التاريخُ عن كذب الراوي فيما ورد السند.

وأمّا الصورة الثانية: فنأتي بمثال ثالث غير ما كتبته في مقالتي السابقة، وهو أنّه إذا أسند إلى الرسول الأعظم ﷺ أحد سماسرة الأهواء ممن أشار إليهم الرسول الكريم في قوله:لا تكذبوا عليّ، فإنّ من كذب عليّ فليلج في النار[1]، وقال: إنّ قوله سبحانه ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْـحَياةِ**

١ . رواه البخاري. لاحظ: فتح الباري:١٩٩/١برقم ٣٨.

﴿الدُّنْيا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مٰا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾[١]، نزل في علي بن أبي طالب، وأنّ قوله سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضَاتِ اللّهِ﴾[٢] نزل في عبد الرحمن بن ملجم، فإنّنا نستكشف من التاريخ كذب الحديث، إذ لم يكن عبد الرحمن بن ملجم صحابياً ولم ير النبي ﷺ حتّى في صغره، حيث إنّه هاجر في خلافة عمر.[٣]

ولعل القارئ الكريم يتعجب من هذا الحديث الموضوع وربما يرى أنّه لم يتفوه به أحد، ولكن العجب في غير مورده، فإنّ من وقف على حياة المنحرفين عن الإمام عليّ يسهل عليه تصديق ذلك.

ويكفيك ما رواه مسلم في صحيحه عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك ان تسُبَّ أبا التراب؟ فقال: أمّا ما ذكرتُ ثلاثاً قالهنَّ له رسول اللّه ﷺ فلن أسبَّهُ. لأن تكون لي واحدةٌ منهنَّ أحبُّ إليَّ من حُمُر النِّعم. سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول له وقد خلَّفه في بعض مغازيه، فقال له عليٌّ: يا رسول اللّه خلَّفتني مع النساء والصبيان فقال له رسول اللّه ﷺ :« أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبوّة بعدي» وسمعتُهُ يقول يوم خيبر: «لأُعطينَّ الراية رجلاً يحبُّ اللّه ورسوله ويحبهُ اللّه ورسوله» قال: فتطاولنا لها، فقال: ادعوا لي عليّاً. فأُتي به أرمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح اللّه عليه، ولمّا نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾[٤] دعا رسول

---

١. البقرة:٢٠٤.
٢. البقرة: ٢٠٧.
٣. الاعلام للزركلي:٣/٣٣٩.
٤. آل عمران:٦١.

اللّٰه ﷺ عليّاً وفاطمة وحسناً حسيناً ﷺ فقال: «اللّهمّ هؤلاء أهلي».[١]

فإذا كان هذا حال كاتب الوحي وخال المؤمنين ـ حيث يحرّض سعداً على سبّ الإمام علي ويتعجب من امتناع «سعد» عنه ـ فما ظنك بحال غيره من محرفي الكلم عن مواضعه، فترى أنّه يحدث بأن آية النفاق نزلت في حقّ الإمام علي وآية الإيثار نزلت في عبد الرحمن بن ملجم قاتل الإمام علي ﷺ !!

فدع عنك نهباً صِيح في حَجَراته ولكن حديثاً ما حديث الرواحل

الأمر الثاني

ذكر الدكتور قائلاً: والّذي ظهر لي أنّ صاحب التعليق أراد أن يفهمنا أنّ المحدثين ـ ويقصد أهل السنّة خاصة ـ غاية جهدهم ومنتهى طاقتهم النظر في الأسانيد والتعليق على الرواة، ولا شأن لهم بالمعاني والمتون، أي لا يعرفون شيئاً عن مسألة النقد الداخلي. ثمّ استشهد بكلامي وقال: هذا ما يفهم من قوله: «لا شكّ أنّ السنّة النبوية هي المصدر الثاني للعقيدة والشريعة وأنّ المسلمين بذلوا جهودهم لجمع ما روي عنه ﷺ من قول أو فعل أو تقرير بنحو لا مثيل له في الأُمم السابقة، ولكن هذا لم يكن مانعاً من وضع ضوابط لتمييز الصحيح من السنة عن السقيم، «وقد لجأ الأكثرون» في تمحيص السنة المتداولة إلى سبيل النقاش في أسانيد الحديث ورجاله، وخرجوا بنتائج باهرة، وصار التوفيق حليفاً لهم إلى حدٍّ ما.

١ . صحيح مسلم: ٧ / ١٢٠، باب فضائل علي بن أبي طالب .

تحليلنا

إنّما نسبه إليّ بقوله: «إنّ المحدثين غاية جهدهم ومنتهى طاقتهم النظر في الأسانيد، ولا شأن لهم بالمعاني والمتون، ولا يعرفون شيئاً عن مسألة النقد الداخلي»، لا يوافق نص كلامي حيث قلت:«وقد لجأ الأكثرون» في تمحيص السنة المتداولة إلى سبيل النقاش في أسانيد الحديث»، وأين هذا من السالبة الكلية الّتي نسبها إلي؟ وقد أخذ مقالي موضوعاً للنقد.

وحاصل كلامي في المقال، وفي كتابي المنشور باسم «الحديث النبوي بين الرواية والدراية»: أنّ المحدثين ركّزوا على مناقشة الأسانيد دون المتون، وأنّ أكثر جهودهم كانت منصبّة على الأسانيد، وهذا لا ينافي وقوع النقد الداخلي في بعض الأحايين. وقد ذكر الدكتور موارد منها.

والشاهد على ذلك أنّ المحدثين ألّفوا موسوعات كبيرة، أشبه بالمحيطات، حول الرجال، من عصر يقارب تدوين الحديث إلى يومنا هذا.

فلاحظ ما ألّفه البخاري في هذا المجال باسم تاريخه، والرازي باسم الجرح والتعديل، وما جاء بعد ذلك من عشرات المؤلفات إلى عصر الذهبي وابن حجر وغيرهما.

وأمّا النقد الداخلي فلم يؤلف فيه أي كتاب مفرد في ذلك. ولو كان لهم نقاش فانّما يذكرونه أحياناً بعد إيراد الحديث.

نعم، في الآونة الأخيرة، ألف الأُستاذ المصري، أبو رية، كتاباً باسم «أضواء على السنّة المحمدية»، وجاء بعده الأُستاذ محمد الغزالي فكتب كتاباً

باسم «الحديث النبوي بين أهل النقل والفهم»، فأحدث الكتابان ضجة كبرى في المجامع العلمية، حتّى أنّ أكثر خطباء الجمعة في السعودية، صبّوا جام سخطهم عليهما، وكأنّ الرجلين خرجا من دين الله تعالى، لمجرد مناقشتهم لمتون بعض الأحاديث.

وهذا ليس بمعنى أنّ كلّ ما ناقشوه صحيح، ولكنّهما شقّا طريقاً لتمييز الصحيح عن غيره، بهذين التأليفين.

ولو كان النقد الداخلي كالنقد السندي، لما اتّسم كتابا البخاري ومسلم بالصحة والقدسية لكلّ ما ورد فيهما.

وهذا هو حديث الجساسة المروي في صحيح مسلم عن تميم الداري[1]، لا يقبله العقل ولا النقل، ولكن الاعتقاد بقدسية الكتابين، حال دون نقدهما.

الأمر الثالث

ذكر الدكتور: انّ المؤاخاة الّتي كانت في المدينة انّما هي من آثار الأُخوّة في الدين ومن فوائدها، فحصولها في المدينة لا يفيد أبداً أنّ الأُخوّة بين المهاجرين والأنصار منتفية قبل ذلك وانّما هي الوجه العملي التطبيقي للاخوة، فقول النبي ﷺ لأصحابه:«تآخوا في الله أخوين أخوين» لا يدل بوجه من الوجوه على أنّه ينفي عنهم الأُخوّة قبل الهجرة.

ثمّ فرّع على ذلك أنّه لا تعارض بين حصول المؤاخاة بين المهاجرين

---

١. صحيح مسلم:٢٠٣/٨.

والأنصار بالمدينة وبين قوله ﷺ لأبي بكر (في مكة): «أنت أخي».

ولا تعارض أيضاً بين قوله: أنت أخي وهما في المدينة وبين قوله له ذلك في مكة، لأنّه لا معنى للقول أنّه لمّا قال الرسول ﷺ لأبي بكر: أنت أخي في المدينة فلا يمكن أن يكون قد سبق أنّه قال مثل ذلك بمكة من قبل.[1]

تحليلنا

ما ذكره الدكتور ـ حفظه اللّه ـ أمر صحيح لا يخفى على من له إلمام بأساليب الكلام ولكنه أجنبي عن كلامي ومرامي ومقالي، وكأنّه ـ حفظه اللّه ـ لم يمعن النظر فيما كتبت، وإلّا لمّا أطنب الكلام في نقدهذه الفقرة قرابة ست صحائف، وأقول صريحاً: إنّ ما نسبه إليّ [من اعتقادي بوجود التعارض بين حصول المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في المدينة وقوله ﷺ لأبي بكر:«أنت أخي»]. في مكة إلى آخر ما ذكره، غير صحيح جدّاً وإنّما هو استنباط شخصي له من كلامي، قادته إليه عاطفته الّتي طغت أحياناً، فصغت به عن منهج البحث العلمي، ودفعته إلى التجنّي في بعض الموارد، كقوله: أم أنّ صاحب التعليق غرضه أن يوصل إلينا....

ونحن لا نؤاخذه بشيء من ذلك، فصدرنا قد اتّسع ويتسع لأكثر منه، وإنّما فقط نسجّل عتبنا عليه.

إذا ذهب العتابُ فليس ودٌّ ويبقى الودّ ما بقيَ العتابُ

---

١ . مجلة بصائر الرباط، العدد٢، ص ١٣٨ـ ١٣٩.

هذا ومن الواضح أنّ إثبات الأُخوّة في ظرف لا ينافي إثباتها في ظرف آخر متقدّم عليه، خصوصاً إذا كان الموضوع مختلفاً بالعموم (المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار) والخصوص (المؤاخاة بين النبي وأبي بكر).

ولإيضاح مرامنا نذكر أُموراً نتمنى من الدكتور أن يمعن النظر فيها ثمّ يكتب ما يريد:

الأوّل: أنّ الاخوة الدينية المطروحة في الحوار وردت في مواضع ثلاثة:

أ. ما رواه البخاري عن عروة أنّ النبي خطب عائشة إلى أبي بكر فقال له أبو بكر: إنّما أنا أخوك، فقال له: إنّما أنت أخي في دين اللّه وكتابه، وهي لي حلال.

هذا الحديث يُشكّل موضوع البحث، وقد قلنا :إنّ التاريخ لا يصدقه وسيوافيك توضيحه.

ب. ما تضافرت عليه كتب الحديث من أنّ رسول اللّه ﷺ آخى في المدينة بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فآخى بين حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة، وبين الزبير وعبد اللّه بن مسعود إلى آخر ما ذكرناه في مقالنا السابق.

ج. ما رواه البخاري في باب فضائل أبي بكر عن أبي سعيد الخدري قال: خطب رسول اللّه ﷺ الناس وقال: إنّ اللّه خيّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند اللّه، قال: فبكى أبو بكر فعجبنا لبُكائه أن يُخبر

رسول الله ﷺ عن عبد خُيّر فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا، فقال رسول الله ﷺ: إنّ من أمّن الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أُخوّة الإسلام ومودّته لا يبقينّ في المسجد بابٌ إلّا سُدَّ إلّا باب أبي بكر.[1] ورواه مسلم[2] ونص الحديث يكشف عن أنّ النبي ﷺ قاله في مرض موته أو قُبيل ذلك الوقت، ومن حُسن الحظ أنّ هذا الحديث لم يُرم بما رُمي به حديث الكتف والدواة الذي رواه البخاري في غير موضع واحد من صحيحه فلاحظ.

والحوار بيننا وبين الدكتور مركز على الحديث الأوّل فقط دون الثاني والثالث ولو ورد الكلام حولهما فانّما هو لغاية الإيضاح أو الاستشهاد.

الثاني: الأُخوّة الدينية الإسلامية على وجهين:

أ. الأُخوّة الدينية الإسلامية الّتي عزز بها سبحانه الأُمة الإسلامية تشمل عامة المؤمنين، قال سبحانه: ﴿إِنَّما الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ ثمّ رتّب عليه آثاراً من قوله: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ وقوله: ﴿لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾، وقوله: ﴿وَلا تَنابَزُوا بِالأَلْقابِ﴾[3] إلى غير ذلك من الآثار المترتبة على الأُخوّة الدينية العامة.

وهذا الوجه من الأُخوّة لا يختص بالمهاجرين ولا بالأنصار، بل يشمل كلّ من يستظل بظل الإيمان بالله ورسوله ﷺ.

---

١. صحيح البخاري:٤/٥، باب لو كنت متخذاً خليلاً. ط مصر.

٢. صحيح مسلم: ٥ / ١٠٨، كتاب فضائل الصحابة.

٣. الحجرات:١٠ـ١٢.

وما ورد من أنّه ﷺ قال لعمر يا أخي، أو لزيد: أنت أخونا، ولأُسامة: أنت أخي، فإنّما يراد به تلك الأُخوّة الواردة في الآية الكريمة، أعني قوله سبحانه: ﴿إِنَّما الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.[١]

ب. الأُخوّة الدينية الإسلامية الخاصة الّتي تنعقد بين مسلمين، كالتي تمتّ بعد هجرة الرسول الأكرم ﷺ إلى المدينة المنورة، وكانت على أساس المشاكلة والمماثلة بين كلّ اثنين في الدرجات النفسية، ولذلك وقعت المؤاخاة فيها بين المهاجرين والأنصار حتّى بين المهاجرين أنفسهم. روى الحاكم في «المستدرك»: أنّ رسول اللّه ﷺ آخى بين أصحابه فآخى بين أبي بكر وعمر، و بين طلحة والزبير، وبين عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، فقال علي عليه السلام : يا رسول اللّه انّك قد آخيت بين أصحابك فمن أخي؟ قال رسول اللّه ﷺ : أما ترضى يا علي أن أكون أخاك؟ قال ابن عمر: وكان علي جلداً شجاعاً، فقال علي: بلى يا رسول اللّه، فقال رسول اللّه ﷺ : «أنت أخي في الدنيا والآخرة».[٢]

ترى أنّه ﷺ يضم الشكل إلى الشكل ويؤلف بينهما ويؤاخي بين أبي بكر وعمر، وبين طلحة والزبير، وادّخر ﷺ علياً لنفسه فخصّه بذلك.

وكان من آثار تلك الأُخوة التوارث.

ذكر ابن سعد بأسانيد الواقدي إلى جماعة من التابعين قالوا: لمّا قدم النبي المدينة آخى بين المهاجرين وآخى بين المهاجرين والأنصار على

---

١. الحجرات: ١٠.

٢. مستدرك الحاكم: ٣ / ١٤، كتاب الهجرة؛ فتح الباري: ٧/ ٢٧١.

المواساة، وكانوا يتوارثون وكانوا تسعين نفساً بعضهم من المهاجرين وبعضهم من الأنصار، وقيل: كانوا مائة، فلمّا نزل ﴿وَأُولُوا الأَرْحامِ﴾ بطلت المواريث فيهم بتلك المؤاخاة.

الثالث: انّ الخُلّة المنفية في الحديث الثالث أي ما ذكره النبي ﷺ في مرض وفاته وقال:«ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أُخوّة الإسلام ومودته» هي الخلّة الخاصة لا الخُلّة العامة وإلّا فهي ثابتة للمؤمنين عامة قال سبحانه:﴿الأَخِلّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[1] ، وفي الوقت نفسه يكون قرينة على أنّ المراد من الأُخوّة في ذيل الحديث هي الأُخوّة الدينية العامة ولذلك قال ﷺ: «ولكن أُخوّة الإسلام ومودّته». ولم يقل أنت أخي.

***

إذا تبين ما ذكرنا فلنعد إلى دراسة الحديث الأوّل وهو أنّ الحديث يتضمن أنّ الرسول ﷺ خطب عائشة إلى أبي بكر فقال له أبو بكر: إنّما أنا أخوك، فقال له: «إنّما أنت أخي في دين اللّه وكتابه وهي لي حلال».

فعندئذٍ يقع الكلام فيما هو المراد من الأُخوّة المطروحة في كلام أبي بكر فهنا احتمالان:

١. أن يراد بها الأُخوّة الدينية العامة، لكنّها احتمال بعيد جدّاً... إذ لا يخفى على مسلم أنّ هذا الوجه من الأُخوّة غير مانع من التزويج، وإلّا لبطل

---

١. الزخرف:٦٧.

نكاح المسلمين مع المسلمات قاطبة.

٢. أن يريد به الأُخوّة الخاصة الّتي تنعقد بين شخصين التي جسّدها النبي ﷺ في المدينة المنورة بين المهاجرين والأنصار حتّى بين أبي بكر وعمر، فهذا النوع من الأُخوّة يصلح أن يكون ذريعة للامتناع من التزويج بأن تقوم الأُخوّة الاعتباريّة مكان الأُخوّة النسبية كما قامت الأُخوّة الرضاعية مكان النسبية، وبهذا يفسر قول زيد بن حارثة انّ بنت حمزة بنت أخي.[١]

وقد ورد أنّ النبي آخى بينهما في المدينة المنورة.

وهذا الاحتمال لو ثبت يكون للحديث معنى صحيح، لكنّه بعيد من وجهين:

أوّلاً: ننزه أبا بكر عن الاعتقاد بأنّ الأُخوّة الاعتبارية بين شخصين تمنع عن التزويج وتقوم مقام الأُخوّة النسبية.

وأمّا إيجابها التوارث، فإنّما ثبت بنص النبي وبيانه في دار الهجرة، ولولا تصريحه بذلك، لما تبادر إلى ذهن أحد ترتّب التوارث على هذا النوع من الأُخوّة.

نعم قد يحتمل حرمة التزويج ، الإنسانُ البسيط الغافل عن الشريعة وتعاليمها.

ثانياً: سلّمنا أنّ أبا بكر كان يعتقد بأنّ الأُخوّة الاعتبارية تمنع عن تزويج البنت للأخ لكن التسليم انّما يفيد لو تحقّق ذلك النوع من الأُخوّة

١ . فتح الباري:٧/٢٧١.

بين النبي وأبي بكر قبل الهجرة، وهو في غاية البعد، إذ لو كانت لاشتهرت بين الصحابة، لأنّها فضيلة رابية لا تدانيها فضيلة أُخرى. ولكن لم يـرد فـي حديث مسند أو مرسل أنّ النبي ﷺ آخى بينه وبين أبي بكر كما آخى في المدينة بينه و بين علي ؑ. نعم نقل ابن حجر عـن عـبد البـرّ انّـه كـانت المؤاخـاة مـرتين، مـرة بـين المـهاجرين خـاصة وذلك بـمكة، ومـرّة بـين المهاجرين والأنصار.[1] ولو صحّ ما ذكره فقد كانت المؤاخاة بين المهاجرين أنفسهم، لا بين النبي وشخص آخر على أنّ عبد البرّ تفرد في نقله هذا ولم نقف على سنده، وعلى فرض الصحة فقد آخى بين المسلمين بمكة لا بين نفسه وشخص آخر، ولو أنّه اختار أبا بكر أخاً لنفسه لاشتهر وبان.

هذا ما قصدناه في مقالنا.

وحصيلة الكلام **أوّلاً**: أنّ المؤاخاة العامة لا تـصلح أن تكـون ذريـعة للامتناع من التزوج، وأمّا المؤاخاة الخاصة فهي تصلح أن تكون مانعة لكن عند بعض البسطاء لا عند مثل أبي بكر.

وثانياً: لو تنزّلنا وقلنا بأنّه كان يعتقد بأنّ حرمة تزويج البنت من آثـار الأُخوّة الاعتبارية التنزيليّة لكن وجود الموضوع (الأُخوّة) بعيد جداً، إذ لو كان لاشتهر وبان.[2]

---

١ . فتح الباري:٢٧١/٧.

٢ . نطلب من سماحة الدكتور، ان لا يذهب يميناً ولا يساراً بل، يبيّن آراءه ونـظرياته حـول مـا ذكرناه.

الأُخوّة العرفية

يظهر من بعض مواضع كلام الدكتور أنّ مراد أبي بكر من قوله: «إنّما أنا أخوك»ما يمكن أن يعبر عنه بالأُخوّة العرفية حيث قال: «فأخوة أبي بكر لرسول اللّه ﷺ وصحبته له أشهر من أن يحتاج أبو بكر إلى موقف خاص يشهد له: فهو بمنزلة أخيه لقرب سنيهما ولقوة صحبتهما وكثرة اجتماعهما حتّى كأنّهما أخوان من أب واحد تحت سقف واحد. ومن وجوه هذا قصة الهجرة حين اشتد الأذى على رسول اللّه استأذنه أبو بكر في الخروج ـ ثمّ ذكر حديث خروجه من مكة إلى المدينة ـ ثمّ يقول: ومن هذا الحديث يقول السيد جعفر السبحاني: «انّ ما هو مسلم به هو أنّ رسول اللّه ﷺ أمضى هو وأبو بكر ليلة الهجرة وليلتين أُخريين بعدها في غار ثور الّذي يقع جنوب مكة في النقطة المحاذية للمدينة المنورة» ـ إلى أن قال ـ و قد خلد الذكر الحكيم هذا المقام لأبي بكر فهو يُتلى ويتعبد بتلاوته إلى أن تقوم الساعة.

تحليلنا

إنّ تفسير الأُخوّة بالنحو الّذي عُلم من كلام الدكتور لا يمنع من التزويج عند العقلاء، فالمعاشرة القريبة بين الشخصين لا تجعلهما أخوين على نحو تحرم بنت أحدهما على الآخر عرفاً حتّى تكون مانعاً عن التزويج عند أبي بكر.

ثمّ إنّ ما نقله عنا حيث قال: «وعن هذا الحديث يقول السيد جعفر السبحاني إلى آخره» ليس له في مقالنا المنشور في المجلة عين ولا أثر ولو

نقله عن مصدر آخر كان عليه الإشارة إلى مصدر النقل.

إنّ الّذي حدا بالكاتب إلى الإسهاب، والتعرض للمسائل الجانبية، هو العاطفة الدينية، وإلّا فأيّة صلة بين دراسة الحديث وبين هذا التفصيل في موضوع هجرة أبي بكر مع النبي ﷺ ؟ إذ كان يكفي الإشارة إليه والحديث عنه بإيجاز.

ولولا خشية الابتعاد عن الموضوع، وخدش العواطف، لتناولنا بالدراسة الآية الّتي خصّت النبي بالسكينة في غار ثور ﴿**فَأَنْزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْها**﴾[1] ، والآيات الّتي تحدّثت عن نزول السكينة على الرسول ﷺ وعلى المؤمنين، في بعض المواقف، كقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَنْزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنينَ**﴾[2]، وقوله: ﴿**فَأَنْزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنينَ**﴾.[3]

ولكن حفظاً للوئام وان لا تُكَّدر مياه الصفو، تركنا الكلام فيها.

الأمر الرابع

قال الدكتور: الحديث الثاني أخرج مسلم في صحيحه عن ابن عباس قال: كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه فقال للنبي ﷺ: يا نبي اللّه ثلاثٌ أعطنيهن، قال: نعم. قال: عندي أحسن العرب وأجمله أُم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها. قال: نعم. قال: ومعاوية تجعله كاتباً بين

١ . التوبة:٤٠.
٢ . التوبة:٢٦.
٣ . الفتح:٢٦.

يديك. قال: نعم. قال: وتؤمّرني حتّى أُقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين. قال: نـعم. وقـد جـزم السـيد جـعفر السـبحاني أنّ الحـديث مـوضوع لأنّ النبي ﷺ تزوج أُم حبيبة قبل إسلام أبيها أبي سفيان بـزمن طـويل. وأورد الدكتور في هذا المقام ما هذا حاصله:

«إنّ الجزم بالوضع والقطع به لا يكون إلّا عندما يتبين صـريحاً، ولم يكن للحديث محمل من الوهم والغلط بوجه من الوجوه. وهذا الحـديث ليس بهذه الصفة. فجهة الإشكال فيه إنّما في تسمية أم حبيبة فقط. أمّا باقي العناصر فليس فيها إشكال. أمّا زواج النبي من بنت أبي سفيان فهو ثابت مقرر، وأمّا كون معاوية كاتباً فلا اعتراض عليه، وأمّا جهاد أبي سفيان بعد إسـلامه فحاصل في مشاهد مختلفة في زمن النبوة وبعده».

«ثم قال: ولما انحصر الإشكال في تسمية أُم حبيبة، نظر المحدثون في سائر ملابسات الحديث والظروف المتصلة به فوجدوا أنّ زواجه ﷺ من أُم حبيبة ثابت صحيح، ووجدوا أيضاً أنّ النبي ﷺ عرضت عليه بنت أُخرى لأبي سفيان وهي أُخت أُم حبيبة. فقوي بذلك احتمال حصول الوهم لأحد رواة الحديث».

«فعند مسلم (ح٢٦٢٦) عن أُمّ حبيبة بنت أبي سفيان قالت: دخل عليّ رسول اللّه ﷺ فقلتُ له: هل لك في أُختي بنت أبي سفيان؟ فـقال: أفـعل ماذا؟ قلت: تنكحها، قال: أو تحبين ذلك؟ قلت: لست لك بمخليةٍ وأحبُّ من شركني في الخير أُختي، قال: فإنّها لا تـحلُّ لي. قـلت: فـإنّي أُخـبرت أنّك تخطب درّة بنت أبي سلمة. قال: بنت أُمّ سلمة! قلت: نعم، قال: لو أنّها لم تكن ربيبتي في حجري ما حلّت لي إنّها ابنةُ أخ من الرضاعة أرضعتني وأباها ثويبةُ

فلا تعرضن عليَّ بناتكنَّ ولا أخواتكنَّ».

«فإذا ثبت أنّ أُمّ حبيبة عرضت أُختها على رسول اللّه، فالاحتمال قائم على أن تكون هي الّتي عرضها أبوها أيضاً غاية الأمر أنّ ذكر اسم «أُمّ حبيبة» وهم. ثم استشهد بكلام الصنعاني بأنّ في الحديث غلط ووهم في اسم المخطوب لها النبي ﷺ وهي عزّة ـ بفتح العين المهملة وتشديد الزاء ـ وهي أُخت أُمّ حبيبة، فخطب أبو سفيان رسول اللّه ﷺ بها وخطبته لها أُختها، كما ثبت في الصحيحين فأخبرها بتحريم الجمع بين الأُختين».

تحليلنا

١. ما نسبه الدكتور إليّ من كون الحديث موضوعاً غير صحيح وانّما قلت: عليل، وإليك نص كلامي في مقالي المطبوع في المجلة وفي نفس العدد.

«لا يشك أي باحث متضلع في التاريخ الإسلامي أنّ الحديث عليل، لاتّفاق المسلمين على أنّ النبي ﷺ تزوج بأُمّ حبيبة قبل فتح مكة».[١]

وكونه عليلاً واضح جدّاً بشهادة أن أقطاب الحديث صاروا إلى تصحيحه بوجوه مختلفة أفضلها عند الدكتور طروء الوهم والغلط على الحديث وانّ المخطوب لها كانت أُخت أُمّ حبيبة لا نفسها.

٢. روى مسلم في صحيحه أنّ أُمّ حبيبة قالت للنبي ﷺ: هل لك في

١. بصائر الرباط، العدد:٢ ص ١٢٤.

أُختي بنت أبي سفيان، فقال: أفعل ماذا؟ قلت: تنكحها... الخ.

وهذا عليل مضموناً، فكيف يكون شاهداً لتصحيح الخبر السابق؟ ذلك أنّ اقتراح أُمّ حبيبة كان بعد عام الفتح الّذي أسلم فيه أبو سفيان وهو العام الثامن من الهجرة، فهل يتصور أن تجهل زوجة رسول اللّه ﷺ حكم الجمع بين الأُختين حتّى تخطب أُختها لرسول اللّه؟! كيف وقد أمر سبحانه زوجات النبي بالقعود بالبيت وتلاوة كتاب اللّه وقال: ﴿وَاذْكُرْنَ مٰا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آياتِ اللّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللّهَ كانَ لَطِيفاً خَبيراً﴾.[1]

وقد ملأ أسماع المسلمين قوله سبحانه: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلّا مٰا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾.[2]

وليست مسألة الجمع بين الأُختين من المسائل الّتي لا تتعلق بالنساء حتّى يستسهل جهلهن بها، بل هي من المسائل التي لها مساس بحياتهن العائلية.

فإذا كان حال الشاهد فكيف حال المشهود له؟!

٣. انّ الدكتور أشار في غير موضع من كلامه بحسن إسلام أبي سفيان فقال في موضع: وأمّا جهاد أبي سفيان بعد إسلامه فحاصل من مشاهد مختلفة في زمن النبوة وبعدها، وفي موضع آخر: وإسلام أبي سفيان ودخوله في صف المجاهدين مع رسول اللّه بعد إسلامه معروف.

يلاحظ عليه: كان على الدكتور رعاية ما لفت نظرنا إليه، بقوله: «انّ نقاد

١. الأحزاب:٣٤. ٢. النساء:٢٣.

الحديث يستحضرون كلّ ما يتصل بالحديث من الظروف العامة والملابسات واللوازم وكلّ ما له صلة بمضمون الحديث من قريب وبعيد... ولهذا فإنّ التحقيق في الخبر يوجب النظر فيه موصولاً بغيره من الحوادث السابقة واللاحقة، مضموماً إلى ما سواه في الأخبار والحوادث المتصلة بالزمان الّذي يتعلق به، والمكان الّذي يجري فيه»... إلى آخر ما ذكر، فياليت الدكتور استحضر هذا أو بعضه، في موضوع تاريخي له صلة بأبي سفيان الّذي تحدّى الرسالة الإسلامية منذ بزوغ فجرها، ووقف في وجهها معانداً ومحرّضاً ومحارباً، وآذى الرسول ﷺ وأصحابه أشد الإيذاء، وجرّعهم أنواع الغصص هو وأصحابه الطغاة، وقاد كتائب الشرك لقتالهم وإطفاء نور الله الّذي أبى جلّ شأنه إلّا أن يتمّه ولو كره المشركون.

فهل تمّ التحقيق في الخبر الوارد في شأنه موصولاً بهذه الحوادث السابقة؟

وهل درس مضموماً إلى ما سواه من الأخبار الّتي تتحدث عن تاريخه (النضالي) ضد الإسلام والمسلمين؟!

قال الذهبي وهو يترجم لأبي سفيان: رأس قريش، وقائدهم يوم أُحد ويوم الخندق، وله هنات وأُمور صعبة، لكن تداركه الله بالإسلام يوم الفتح فأسلم شبه مكرَه خائف. ثمّ بعد أيّام صلح إسلامه.[1]

لقد يئس أبو سفيان من قدرته على مقاومة الزحف الإسلامي المقدّس، وأحسّ بموازين القوى وهي تتغير لصالح الإسلام، وقد عبّر عن ذلك يوم

---

١ . سير أعلام النبلاء:١٠٥/٢ برقم ١٣.

فتح مكة بقوله: «يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قِبَلَ لكم به»[١]، ولذا استسلم (أو أسلم شبه مكره خائف) ممّا دعا الرسول الأكرم ﷺ إلى أن يتألّفه بإعطائه حصة من الغنائم.

وأنّى للباحث المنصف غير المُنساق مع ميوله أن يثبت القول بأنّه (صلح إسلامه)، وقد (كان يحب الرئاسة والذكر)[٢] ويُعرب في كلّ فرصة يجدها مناسبة عن نواياه غير السليمة تجاه الإسلام والمسلمين وقضاياهم المختلفة، في عهد النبي ﷺ وبعده، ولا سيما في عهد خلافة ابن عمه عثمان، والّتي كان له فيها سُورة [أي منزلة] كبيرة على حد تعبير الذهبي.

وإليك شيئاً من أفعاله وأقواله بعد إسلامه في حياة النبي وبعدها:

أ. لما انهزم المسلمون في غزوة حنين ـ والحديث ذو شجون ـ قال أبو سفيان: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر.[٣] وقال كلدة بن الحنبل: ألا بطل السحر.[٤]

ب. لما بويع عثمان دخل إليه بنو أبيه حتّى امتلأت بهم الدار ثم أغلقوها عليهم، فقال أبو سفيان: «أعندكم أحد من غيركم؟ قالوا: لا. قال: يا بني أُمية تلقفوها تلقّف الكرة، فوالّذي يحلف به أبو سفيان ما من عذاب ولا جنة ولا نار ولا بعث ولا قيامة».[٥]

ج. مرّ أبو سفيان بقبر حمزة وضربه برجله وقال: يا أبا عمارة إنّ الأمر اجتلدنا عليه بالسيف، أمسىٰ في يد غلماننا اليوم يتلعبون به.[٦]

---

١ . الكامل في التاريخ:٢٤٦/٢.
٢ . هذا الوصف للذهبي نفسه.
٣ . السيرة النبوية لابن هشام:٤٤٣/٤.
٤ . نفس المصدر.
٥ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد:٥٣/٩ نقلاً عن كتاب السقيفة للجوهري.
٦ . المصدر السابق:١٣٦/١٦.

د. روى أبو بكر الجوهري في كتاب السقيفة: كان النبي ﷺ قد بعث أبا سفيان ساعياً ورجع من سعايته وقد مات رسول اللّه ﷺ فلقيه قوم فسألهم، فقالوا: مات رسول اللّه ﷺ فقال: من ولي بعده؟ قالوا: أبو بكر، قال: أبو فضيل! قالوا: نعم، قال: فما فعل المستضعفان: عليٌّ والعباس! أما والّذي نفسي بيده لأرفعن لهما من أعضادهما.

قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز وذكر الراوي ـ وهو جعفر بن سليمان ـ أنّ أبا سفيان قال شيئاً آخر لم تحفظه الرواة؛ فلما قدم المدينة قال: إنّي لأرى عجاجة لا يطفئها إلّا الدم! قال: فكلّم عمر أبا بكر، فقال: إنّ أبا سفيان قد قدم. وإنّا لا نأمن شرّه، فدفع له ما في يده، فتركه فرضى.

وروى أحمد بن عبد العزيز، قال: جاء أبو سفيان إلى علي عليه السلام، فقال: وليتم على هذا الأمر أذلّ بيت في قريش، أما واللّه لئن شئت لأملأنها على أبي فضيل خيلاً ورجلاً، فقال علي عليه السلام: طالما غششت الإسلام وأهله فما ضررتم شيئاً! لا حاجة لنا إلى خيلك ورجالك.[1]

هذه بعض أقواله وسيرته ولو جمعت من هنا وهناك لرسمت لنا نفسية هذا الرجل وصلته بالإسلام.

هذا ما سمح به المجال لتحليل ما كتبه الدكتور، ونعتذر إليه وإلى القراء من الإسهاب في المقام.

نحمده ونشكره ونستعين به ونصلّي ونسلم على نبيه وآله الطاهرين.

جعفر السبحاني ٣٠ جمادى الآخرة ١٤٢٧ هـ

---

١ . شرح نهج البلاغة، ٥٣/٩. وفي تاريخ ابن الأثير:٣٢٦/٢: فزجره عليّ، وقال: واللّه إنّك ما أردت بهذا إلّا الفتنة. وإنّك واللّه طالما بغيت للإسلام شرّاً!

رسالة جوابية إلى الشيخ زين العابدين قرباني حول طلاق المرأة وهي حائض

٥٩



سماحة العلّامة الحجّة الشيخ زين العابدين قرباني

دامت معاليه وتواترت بيض أياديه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وصل إلينا من مكتبكم سؤال عبر الفاكس فنزلنا عند رغبة المكتب وقمنا بتحرير الجواب التالي:

طلاق المرأة وهي حائض وتزويجها ـ بعد العدة ـ برجل آخر

مسألة: لو طُلّقت المرأةُ وهي حائض ـ مع الجهل بالحكم ـ ثم تزوّجت ـ بعد خروج العدّة ـ برجل ودخل بها فولدت، فما حكمها بالنسبة إلى زوجها الثاني وما حكم ولدها.

الجواب: الطلاق باطل، والعقد وقع على ذات البعل، والدخول محكوم بالشبهة، والولد ولد حلال يرث ويُورث.

وإليك التفاصيل:

أمّا الأوّل: أي انّ الطلاق باطل، فلأنّ طلاق الزوجة وهي حائض باطل

عند الإمامية وعند بعض فقهاء أهل السنة، وإطلاق الدليل يقتضي البطلان من غير فرق بين العلم بالحكم والجهل به، فيكفي في ثبوت الإطلاق، ما ورد في الكتاب والسنّة حول شرطية الطهارة من الحيض لصحّة الطلاق.

ففي الكتاب قوله سبحانه:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِي إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنّ﴾.[1]

فإن قلنا: بأنّ العدّة عبارة عن الأطهار الثلاثة، فدلالة الآية على شرطية الطهارة لصحّة الطلاق واضحة، و«اللام» إمّا بمعنى «في» أي طلّقوهنّ في الزمان الّذي يصلح لئن يعتددن، أو بمعنى «لام الغاية» أي طلّقوهنّ لغاية الاعتداد. وإطلاق الآية كاف في ثبوت شرطية الطهارة من الحيض في حالتي العلم والجهل.

وإن قلنا بأنّ العدة عبارة عن الحيضات الثلاث، فبما أنّ الحيضة الّتي تطلق المرأة فيها لا تحسب من العدة إجماعاً من عامّة الفقهاء ـ وإن صحّ الطلاق عند بعضهم ـ يكون المراد مستقبلات لعدتهن، ولا يصدق الاستقبال للعدة (الحيضات الثلاث) إلّا إذا وقع الطلاق في الطهر، حتّى تكون مستقبلة لها.

وعلى كلّ تقدير فالآية مطلقة، يؤخذ بها ما لم يدل دليل على التقييد.

على أنّ الإجماع منعقد على اشتراك العالم والجاهل في الأحكام إلّا في موضعين كالإتمام مكان القصر (لا العكس) والجهر مكان المخافته وبالعكس.

---

١. الطلاق:١.

أمّا السنّة فقد تضافرت الروايات من الفريقين على أنّ عبد اللّٰه بن عمر طلق زوجته ثلاثاً وهي حائض، فأبطله رسول اللّٰه.

ففي صحيح الحلبي عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام: قال من طلق امرأته ثلاثاً في مجلس وهي حائض فليس بشيء، وقد ردّ رسول اللّٰه طلاق عبداللّٰه بن عمر إذ طلّق امرأته ثلاثاً وهي حائض وأبطل رسول اللّٰه ذلك الطلاق وقال: «كلّ شيء خالف كتاب اللّٰه فهو ردّ إلى كتاب اللّٰه» وقال: «لا طلاق إلّا في عدّة».[١]

ويظهر من الذيل أنّ وجه الإبطال وقوع الطلاق في الحيض الّتي لا تحسب عدة في عامة المذاهب. واحتمال كون الإبطال لأجله تعدد الطلاق في مجلس واحد، مرفوض، لأنّ الطلاق ثلاثاً في مجلس واحد صحيح لكن يحسب واحداً ـ مضافاً ـ إلى أنّ ذيل الحديث صريح في أنّ وجه البطلان وقوعه في ا لحيض الذي لا يحسب عدة وإنّما يحسب إذا وقع الطلاق في الطهر فتكون الحيضة الأُولى عدة.

وقد روى حديث طلاق ابن عمر زوجته في الحيض وإبطال رسول اللّٰه إيّاه البيهقي في سننه.[٢] ولم يكن طلاقه عن علم بالحكم، بل عن جهل به كما هو واضح.

فإن قلت: إذا شككنا في شرطية الطهارة عن الحيض عند الجهل

١ . وسائل الشيعة:١٥، الباب٨ من أبواب مقدمات الطلاق وشرائطه، الحديث٧. ولاحظ في نفس الباب رقم ١و ٤ و ٨ و ٩.

٢ . لاحظ : سنن البيهقي: ٧ / ٣٢٤ ـ ٣٢٥.

بحكمها يكون المورد مجرى لقوله: «رفع عن أُمّتي ما لا يعلمون» فيحكم بصحّة الطلاق حينئذٍ.

قلت: دليل البراءة محكوم بالدليل الاجتهادي في المقام عموماً وخصوصاً.

أمّا الأوّل فلإطلاق دليل شرطية الطهارة عن الحيض لصحّة الطلاق في الكتاب والسنّة.[1] وليس لدليل المشروط نظير قوله ﷺ: «الطلاق أن يقول الرجل لامرأته: أنت طالق[2] إطلاق حتّى يتحقق التعارض بين إطلاق دليل الشرط الدالّ على شرطية الطهارة في صورة الجهل، وإطلاق دليل المشروط الدال بإطلاقه على عدم الشرطية في هذه الحالة.

وأمّا الثاني، فلحديث ابن عمر المتضافر، فقد حكم النبي ببطلان طلاقه مع جهله بالحكم كما مرّ.

***

أمّا الثاني: أي أنّ العقد وقع على ذات البعل فقد اتّضح ممّا ذكرنا فإذا كان الطلاق باطلاً تكون المرأة في حبال الزوج السابق، ومن عقد عليها فقد عقد على ذات البعل، وحكمه واضح وهو أنّه لو تزوجها ـ وهي ذات بعل ـ مع العلم بالموضوع، فالتزوّج باطل وهي محرمة عليه مؤبداً سواء دخل بها أم لم يدخل.

---

١. وسائل الشيعة: ١٥، الباب٨ من أبواب مقدمات الطلاق وشرائطه.

٢. وسائل الشيعة: ١٥، الباب١٦ من أبواب مقدمات الطلاق وشرائطه، الحديث٧.

ولو تزوّجها مع الجهل بالموضوع لم تحرم عليه إلّا بالدخول بها.

وقد ألحق المشهور التزويج بذات البعل بالتزويج في العدة في التفصيل المذكور إمّا من باب القياس الأولويّ، لأنّ علاقة الزوجية أقوى من علاقة الاعتداد. أو بالنصوص الواردة في المسألة، (التزويج بذات البعل) وهي على قسمين:

تارة ينزّل العقد على المعتدّة مكان العقد على ذات البعل.

وأُخرى يبيّن حكم العقد على ذات البعل من دون تعرّض للتنزيل.

أمّا الأوّل: فهو ما رواه حمران بن أعين قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن امرأة تزوجت في عدّتها بجهالة منها بذلك... ـ إلى أن قال: ـ إن كانت تزوجته في عدة لزوجها الّذي طلقها عليها، فيها الرجعة فإنّي أرى أنّ عليها الرجم»[1]، فالرواية تتلقى العقد على المعتدة أنّه عقد على ذات البعل، ويكون الحكم في المنزّل عليه أقوى من الحكم في المنزل، فإذا ثبت الحكم في المنزّل يثبت في المنزّل عليه بوجه أولى.

ومن المعلوم أنّ العقد على المعتدة مع الجهالة إذا كان مع الدخول تحرم أبداً، فيكون العقد على ذات البعل في هذه الصورة مثل العقد على المعتدّة.

وأمّا الثاني: أي ما يبيّن حكم العقد على ذات البعل من دون تعرض للتنزيل فقد وردت فيه روايات أربع، اثنتان منها واردة في العقد على المعتدّة

---

١. وسائل الشيعة: ١٤، الباب ١٧ من أبواب ما يحرم بالمصاهرة، الحديث ١٧.

مع الجهل بالموضوع، ومقتضى إطلاقهما نشر الحرمة مطلقاً سواء دخل بها أو لا، والأُخريان وردتا في نفس الموضوع لكن تخصّ الحرمة بصورة الدخول، ومقتضى القاعدة تخصيص الأُوليين بالأُخريين.

أمّا الأُولتان فهما:

١. موثق أديم الحرّ قال: قال أبو عبد اللّه عليه السلام : «الّتي تزوجت ولها زوج يفرق بينهما ثمّ لا يتعاودان».[١]

٢. مرفوعة أحمد بن محمد: انّ رجلاً تزوج امرأة وعُلِم أنّ لها زوجاً فُرّق بينهما ولم تحل أبداً.[٢]

ومصب الروايتين، هو الجاهل بالموضوع، إذ من البعيد، بل النادر أن يعقد المسلم في المجتمع الإسلامي على ذات البعل، وإنّما يعقد عليها لأجل الجهل به، كما إذا أتاه الخبر بأنّه مات زوجها أو طلقها فحصل اليقين بعدم المانع فعقد عليها ثمّ تبيّن الخلاف.

وهاتان الروايتان مطلقتان تعمّان صورة الدخول وعدمه.

وأمّا الأُخريان فهما صحيحتان لزرارة أو موثقتان له.

٣. عن أبي جعفر عليه السلام في امرأة فُقِد زوجها أو نُعي إليها فتزوجت ثم قدم زوجها بعد ذلك فطلّقها قال: «تعتد منهما جميعاً ثلاث أشهر عدة واحدة وليس للآخر أن يتزوجها أبداً».[٣]

---

١. وسائل الشيعة:١٤، الباب١٦ من أبواب ما يحرم بالمصاهرة، الحديث١.

٢. وسائل الشيعة:١٤، الباب١٦ من أبواب ما يحرم بالمصاهرة، الحديث١٠.

٣. وسائل الشيعة: ١٤، الباب١٦ من أبواب ما يحرم بالمصاهرة، الحديث٢.

ومصبّ الرواية هو الجاهل بالموضوع المقرون بالدخول بشهادة قوله: «تعتد منهما» وليس في الرواية شيء يشكل سوى الحكم بكفاية عدة واحدة وهو على خلاف المشهور.

٤. عن أبي جعفر عليه السلام قال:إذا نُعي الرجل إلى أهله أو أخبروها أنّه قد طلقها فأعتدت ثم تزوّجت فجاء زوجها الأوّل فإنّ الأوّل أحقّ بها من هذا الأخير دخل بها أم لم يدخل بها، وليس للآخر أن يتزوجها أبداً، ولها المهر بما استحلّ من فرجها».[1]

ومورد الرواية هو المدخول بها بشهادة قوله:«ولها المهر بما استحل من فرجها».

وأمّا قوله: «دخل بها أم لم يدخل بها» فالتسوية راجعة إلى ما تقدّم، أعني: «فإنّ الأوّل أحقّ بها من هذا الأخير» وليست راجعة إلى قوله:«وليس للآخر أن يتزوجها أبداً» بل هو مختص بصورة الدخول.

فمقتضى القواعد تقييد إطلاق الأُوليين بما ورد من القيد في الأخيرين، فتكون النتيجة هي التفصيل في صورة الجهل بين الدخول فتحرم أبداً، وعدمه فلا تحرم.

هذا حكم الجاهل، وأمّا العالم بالموضوع فحكمه هو أنّها تحرم مطلقاً دخل بها أم لم يدخل، أخذاً بالتنزيل فإنّ العقد على المعتدّة مع العلم يورث الحرمة مطلقاً، فكذلك ما هو أولى منه أعني العقد على ذات البعل.

---

١. وسائل الشيعة: ١٤، الباب١٦ من أبواب ما يحرم بالمصاهرة، الحديث٦.

وقد عرفت في رواية حمران أنّ الإمام نزّل المعتدّة منزلة ذات البعل.

بقي هنا روايتان ربما يتوهم كونهما معارضين لما سبق، وهما:

١. صحيحة عبد الرحمن بن الحجاج، قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن رجل تزوّج امرأة ولها زوج وهو لا يعلم، فطلقها الأوّل أو مات عنها، ثمّ علم الأخير، أيراجعها؟ قال: «لا، حتّى تنقضي عدّتها».[1]

والظاهر عدم المعارضة، لأنّ الرواية خاصة بالجاهل بالموضوع بشهادة قوله:«ثم علم الأخير»، ومطلقة تعم صورتي الدخول وعدمه، وعندئذٍ يفيد إطلاقها بما ورد في الأخيرتين من الحرمة الأبدية في صورة الدخول.

٢. صحيحة الآخر: قال سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن رجل تزوج امرأة، ثم استبان له بعد ما دخل بها انّ لها زوجاً غائباً فتركها، ثمّ إنّ الزوج قدم فطلقها أو مات عنها، أيتزوجها بعد هذا الّذي كان تزوجها، ولم يعلم انّ لها زوجاً، قال عليه السلام: «ما أحب له أن يتزوجها حتّى تنكح زوجاً غيره».[2]

وجه المعارضة:

١. انّ قوله:«ما أحبّ له أن يتزوّجها» ظاهر في الكراهة، وأين هي من الحرمة الأبدية؟!

٢. تجويز التزوّج بها، بعد أن تنكح زوجاً غيره.

يلاحظ على الأوّل: أنّ هذا التعبير في لسان أئمة أهل البيت عليهم السلام أعمّ من

---

١. وسائل الشيعة:١٤، الباب١٦ من أبواب ما يحرم بالمصاهرة، الحديث٣.

٢. وسائل الشيعة:١٤، الباب١٦ من أبواب ما يحرم بالمصاهرة، الحديث٤.

الكراهة المصطلحة كما في نظيره:«لا ينبغي»، فقد ادّعى صاحب الحدائق ظهوره في الحرمة، أو عدم ظهوره في الكراهة المصطلحة.

يلاحظ على الوجه الثاني: بأنّه وإن كان ظاهراً في جواز التزويج، لكن لا يمكن الأخذ بهذه الرواية لاشتمالها على ما يخالف الإجماع أو القدر المتيقن من هذه الروايات، وذلك لأنّ ظاهر الرواية انّ المرأة كانت عالمة بالموضوع غير جاهلة به حيث قال:«ثم استبان له بعد ما دخل بها انّ لها زوجاً غائباً فتركها» حيث خصّ الاستبانة بالزوج دون الزوجة، ومن المعلوم حرمة التزويج بذات البعل عند العلم مطلقاً، فكيف مع الدخول، فالرواية معرض عنها.

قال السيّد الاصفهاني: يلحق بالتزويج في العدّة في إيجاب الحرمة الأبدية، التزويج بذات البعل فلو تزوّجها مع الجهل لم تحرم عليه إلّا مع الدخول بها.[1]

وأمّا الثالث: أي انّ الدخول محكوم بالشبهة وليس من أقسام الزنا، فلأنّه دخل بها على أنّها زوجته الشرعية. فيكون من مقولة الوطء بالشبهة، فتكون الثمرة أيضاً، ولداً شرعياً، فهو يَرِثُ ويُورث. والله العالم.

جعفر السبحاني

٢٠ رجب المرجب ١٤٢٧ هـ

---

١ . وسيلة النجاة، فصل النكاح في العدّة، المسألة ٥، ص ٣٣٣، الطبعة الثامنة.

٦٠

بيعتان في بيعة

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب الفضيلة حجة الإسلام السيد عبد الفتاح نواب ـ دامت معاليه ـ

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته

أرجو من اللّه سبحانه أن تكونوا في صلاح وفلاح، كما أرجو أن يكون أخونا الكريم الأُستاذ الفذ الدكتور عبد الوهاب إبراهيم في صحة وعافية.

ذكرتم أنّ الأُستاذ ـ حفظه اللّه ـ قد طلب منكم رأي فقهاء الشيعة الإمامية في مسألة «البيعتين في بيعة واحدة»، واقترحتم عليّ أن أُحرّرها، فقمت ـ تلبية لاقتراحاتكم ـ بتحرير المسألة بوجه موجز، ولا نقول: إنّه رأى عامة فقهائنا، إذ ليس لهم في المسألة رأي موحَّد والتفصيل يطلب من مظانّه.

اختلفت كلمة الفقهاء في تفسير هذا العنوان (بيعتان في بيعة واحدة) الّذي ورد في روايات السنّة والشيعة. ولنذكر ما رواه الفريقان أوّلاً، ثمّ ندخل في صلب الموضوع:

ا. ما رواه الفريقان في المقام:

١. روى الترمذي في سننه في باب ما جاء في النهي عن بيعتين في بيعة، عن أبي هريرة قال: نهى رسول الله ﷺ عن بيعتين في بيعة.

وقال في شرح الحديث: وقد فسّره بعض أهل العلم قالوا: بيعتين في بيعة، أن يقول: أبيعك هذا الثوب بنقد بعشرة وبنسيئة بعشرين....[١]

٢. رووا أنّ رسول الله ﷺ نهى عن بيع وشرط.[٢]

وأمّا الشيعة الإماميّة فقد أخرج الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (المتوفّى ٤٦٠هـ) في كتاب «التهذيب» عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

٣.نهى رسول الله ﷺ عن سلف وبيع، وعن بيعين في بيع، وعن بيع ما ليس عندك.[٣]

وروى محمد بن بابويه الصدوق (المتوفّى ٣٨١هـ) عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام في مناهي النبي ﷺ قال عليه السلام: نهى عن بيعين في بيع.[٤]

٤. روى الشيخ الطوسي بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قال: بعث رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابه والياً فقال: إنّي بعثتك إلى أهل الله ـ يعني أهل مكة ـ فأنههم عن بيع ما لم يقبض، وعن شرطين في بيع، وعن ربح ما لم يضمن.

---

١ . سنن الترمذي: ج٣، كتاب البيوع، الباب١٨، رقم الحديث١٢٣٢.

٢ . المهذب للشيرازي: ٢٧٥/١؛ العزيز في شرح الوجيز:١٠٥/٤؛ المغني:٣٠٨/٤، الشرح الكبير: ٥٦/٤ ولم أقف على نص الحديث في الصحاح والسنن لقلّة التتبع.

٣ . التهذيب:٢٣٠/٧، حديث رقم١٠٠٥.

٤ . من لا يحضره الفقيه:٤/٤رقم ١.

٢. ما هو المقصود من الحديث؟

قد فُسّر الحديث بوجوه وإليك سردها إجمالاً:

الأوّل: أن يبيع الرجل السلعة فيقول: هي نقداً بكذا ونسيئة بكذا، وبطبيعة الحال يكون الثمن الثاني أكثر من الأوّل.

وهذا على قسمين: فتارة يفترق المتبايعان مع الالتزام في النهاية بأحد الثمنين، وأُخرى يفترقان على الإبهام من دون أن يلتزما بأحد الثمنين.

الثاني: أن يتبايعا مع تردّد المبيع أو الثمن بين شيئين، كأن يقول: اشتريت بالدينار شاةً أو ثوباً، أو يقول: بعت السلعة بدينار أو بشاة.

الثالث: أن يبيع السلعة بمائة إلى سنة على أن يشتريها بعد البيع حالاً بثمانين.

الرابع: أن يشترط بيعاً أو شرطاً في بيع كأن يقول: بعتك هذه الدار بألف على أن تبيع دارك منّي بكذا، أو يبيع ا لدار ويشترط عليه أن يسكنه إلى شهر....

الخامس: أن يشتري حنطة بدينار نقداً سلماً إلى شهر، فلما حلّ الأجل، قال البائع: اشتري منك الصاع الّذي بذمّتي بصاعين إلى شهرين.

السادس: أن يجمع بين شيئين مختلفين في عقد واحد بثمن واحد، كبيع وسلف ، أو إجارة وبيع، أو نكاح وإجارة.

هذه هي الوجوه التي فُسّر بها الحديث النبويّ، وبذلك ربّما عاد

الحديث مجملاً في مفهومه، لا يصحّ الاستدلال به على واحد من هذه المحتملات، إلّا إذا عاضدته قرينة معيّنة، إذ من البعيد أن يكون الجميع مقصوداً للرسول الأعظم ﷺ . وسيوافيك ما هو الأقرب منها إلى مضمون الحديث في آخر المقال.

إذا تبين ذلك، فنحن ندرس عامة المحتملات على ضوء القواعد العامة المستفادة من الكتاب والسنّة، ثمّ نعود إلى تفسير ما روي في المقام، فنقول: إنّ القضاء الحاسم في هذه الصور رهن بيان الأمرين التاليين:

١. الأصل صحّة كلّ عقد وبيع عقلائي

دلّت الآيات والروايات على صحّة كلّ عقد وبيع عقلائي، يتعلّق به الغرض ولا يعدُّ لغواً، إلّا ما دلّ الدليل الشرعي على عدم صحّته. فلو شكّ في صحّة عقد، أو بيع في مورد، فيحكم بصحّته أخذاً بإطلاق الآيات التالية:

١. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾.[1]

٢. ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾.[2]

٣. ﴿لاٰ تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ﴾.[3]

فإنّ مفاد الآيات: انّ كلّ ما صدق عليه العقد أو البيع، أو التجارة عن

---

١. المائدة:١. ٢. البقرة:٢٧٥.

٣. النساء:٢٩.

تراض وجب الوفاء به، وهو ممّا أحلّه اللّه، ولا يعد أكلاً بالباطل.

فكلّ مورد شكّ في صحّة عقد أو بيع، وجواز أكل شيء، فالصحّة محكّمة إلّا إذا دلّ الدليل على بطلانه، فما لم يرد في الشريعة، نهي عن عقد أو بيع، أو لم ينطبق عليه أحد العناوين المحرّمة في الشرع فالعقد نافذ والبيع ماض، والأكل به حلال إلّا إذا دلّ الدليل على خروجه عن الإطلاقات كالعقد الربوي، وبيع الخمر، وثمن الفحشاء وإن رضي الطرفان، فعندئذٍ يُحكم عليه بالحرمة، وأحياناً بالفساد.

فكما أنّ مقتضى الآيات هو صحّة كلّ عقد أو بيع شكّ في صحته، فهكذا مقتضى إطلاق السنة، في مورد شك في صحّته، نظير:

١. الناس مسلّطون على أموالهم.

٢. لا يحلّ مال امرئ إلّا بطيب نفسه.

فالإنسان مسلّط على أمواله، فله أن يبيع ماله ويهبه بأي نحو شاء، وليس لأحد منعه عن التقلب في أمواله. إلّا إذا ورد النهي عنه في الشريعة المقدسة.

وبه تظهر كيفية الاستدلال بالحديث الثاني، فالملاك في الحلية، هو طيب النفس في أيٍّ مورد، فإذا كان المالك راضياً وطابت نفسه لتصرف الآخر، يكون نافذاً وصحيحاً وممضي عند الشرع، إلّا إذا دلّ الدليل على بطلانه.

هذا حال العقود والبيوع وإليك الكلام في الشروط.

٢. الأصل صحّة كلّ شرط عقلائي

الأصل في الشروط أيضاً الصحة والنفوذ إلّا إذا قام الدليل على عدم صحّته، والمراد من الشرط هو طلب فعل من البائع أو المشتري على غرار قوله:﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾[1]. حيث شرط في نكاح بنته من موسى، خدمة ثماني حجج.

نعم لا يكون الشرط نافذاً وصحيحاً وواجب الوفاء، إلّا إذا كان جامعاً للأُمور التالية:

١. أن يكون داخلاً تحت القدرة.

٢. أن يكون سائغاً وجائزاً لقوله ﷺ:«إنّ المسلمين عند شروطهم إلّا شرطاً حرم حلالاً أو أحلّ حراماً».[2] فلو باعه شيئاً واشترط في ثمن العقد أن يشتري منه شيئاً معيناً، أو يبيعه شيئاً آخر، أو يُقرضه، شيئاً معيناً، أو يستقرضه صحّ، لإطلاق قوله: «المسلمون عند شروطهم» إلّا ما خرج بالدليل.

٣. أن يكون عقلائياً، لا سفهياً، كما إذا شرط الكيل بميزان معيّن، مع مساواته بسائر الموازين الصناعية الدقيقة.

٤. أن يكون داخلاً تحت القدرة، فخرج ما ليس في قدرة المشترَط عليه.

---

١ . القصص:٢٧.

٢ . وسائل الشيعة :١٢، الباب ٦ من أبواب الخيارات، الحديث٥.

٥. أن لا يكون مخالفاً للكتاب والسنة، ككون الطلاق بيد الزوجة أو اشتراط إرث أجنبي.

٦. أن لا يكون مخالفاً لمقتضى العقد، كما لو باع بلا ثمن أو آجر بلا أُجرة، فإنّ ماهية العقود مخالفة لماهية البيع، فالبيع ربط بين المالين وتبادل بينهما، والإجارة ربط بين العين والأُجرة أو بين العمل والأُجرة. وعلى كلّ تقدير يتقوّمان بمالين أو بعمل ومال، فالبيع بلا ثمن أو بلا أُجرة أشبه بأسد بلا رأس ولا ذنب.

٧. أن لا يكون مجهولاً جهالة توجب الغرر، لاستلزامه جهالة العوضين، كما إذا باع شيئاً وشرط على المشتري أن يبني له جداراً مبهماً من حيث الطول والعرض، فإنّ الشرط كالجزء من العوضين فيكون محكوماً بالبطلان.

هذا بعض ما يعتبر في صحّة الشروط ونفوذها في البيع وسائر العقود، وربّما ذكرت هناك شروط أُخرى لنفوذها لا حاجة لذكرها في المقام، وقد بسطنا الكلام فيها في كتابنا «المختار في أحكام الخيار» .[1]

فظهر ممّا ذكرنا أمران:

أ. الأصل في العقود والبيوع هو الصحّة والمضيّ، إلّا إذا قام دليل شرعي على عدم اعتباره في الشريعة المقدسة، كالبيع الربوي، وغيره.

ب. الأصل في العقود هو الصحة إذا كان واجداً للشروط المعتبرة فيها.

---

١. لاحظ المختار في أحكام الخيار: ٤٤٩ ـ ٥٠٠.

وأنّه يجب الالتزام بها، ما لم يكن مؤدِّياً إلى جهالة المبيع أو الثمن أو مخالفاً للكتاب والسنة، إلى غير ذلك من الشروط الّتي مضى أكثرها.

فعلى هذا فالضابطة في صحّة الشرط، هو أنّه إذا لم يكن مؤدّياً إلى جهالة المبيع أو الثمن أو مخالفاً للكتاب والسنة إلى غير ذلك من الشروط، صحّ كلّ شرط في العقود.

وعلى ذلك فاللازم أوّلاً: عرض هذه الوجوه المحتملة الستة على هذه القواعد العامة واستخراج حكمها على ضوئها.

وثانياً: العود إلى دراسة ما روى في المقام الّذي أوعزنا إليه في صدر البحث والتأمّل فيه، كي يظهر مدى انسجامه مع القواعد العامة. وإليك البيان.

أمّا الوجه الأوّل: وهو أن يبيع الرجل السلعة نقداً بكذا ونسيئة بكذا، فقد مرّ أنّ طبيعة الحال تقتضي أن يكون الثمن الثاني أكثر من الأوّل.

وقد مرّ أنّ لهذا المحتمل صورتين: تارة يفترق المتبايعان بعد الإيجاب والقبول من دون أن يلتزما بأحد الثمنين. وأُخرى يفترقان مع تعيين أحد الثمنين في قبول المشتري.

أمّا الأوّل: فقد ذهب جماعة كالشيخ الطوسي في «المبسوط» وابن إدريس الحلي في «السرائر» إلى بطلان العقد والبيع لجهالة الثمن، لتردّده بين درهم ودرهمين، وقد مرّ أنّ الجهالة من أسباب بطلان الشرط.

وإن شئت قلت: يبطل للغرّ، وللإبهام الناشئ من الترديد، القاضي بعدم تملّك البائع حال العقد أحد الثمنين بالخصوص، وهو مناف لمقتضى سببية

العقد لتملك البائع الثمن مقابل تملك المشتري المثمن.

هذا مقتضى القاعدة ولكن رُوي عن علي عليه السلام أنّه يكون للبائع أقلّ الثمنين في أبعد الأجلين[1]. وقد عمل بالحديث جماعة من فقهاء الإمامية.[2]

وكان وجهه: انّه إن رضي بالأقل فليس له الأكثر في البعيد، وإلّا لزم الربا، لأنّه قَبَض الزيادة في مقابل تأخير الثمن لا غير.

ومع ذلك فإنّ مضمون الحديث ينافي الضوابط العامة، لأنّ الإلزام بالأقل إلى الأجل الأبعد ليس تجارة عن تراض، والعمل به أمر مشكل والقول بالبطلان أقوى، وفي الوقت نفسه أحوط. والرواية حسنة وليست بصحيحة، وبمثلها لا يصحّ الخروج عن الضوابط العامّة.

ويؤيّد البطلان ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «لا يحل صفقتان في واحد».[3]

هذا كلّه إذا أمضى البائع البيع، دون أن يختار المشتري أحد الفرضين.

وأمّا الثاني أي ما إذا اختار المشتري أحدهما في قبوله فالظاهر صحّة البيع والعقد، لأنّ الجهالة ترتفع بقبول المشتري أحد الفرضين، فإمّا أن يقول

---

١. وسائل الشيعة: ١٢، الباب٢ من أبواب أحكام العقود، الحديث ١، ٢. و تسمية الحال أجلاً باعتبار ضمّه إلى الأجل في التثنية وهو قاعدة مطردة ومنه الأبوان والقمران.

٢. الجواهر:١٠٣/٢٠ـ ١٠٤.

٣. وسائل الشيعة: ١٢، الباب٢ من أبواب أحكام العقود، الحديث٤.

قبلت البيع بدرهم نقداً أو بدرهمين إلى أجل، ولا دليل على أنّ الجهالة حال الإيجاب وارتفاعها عند القبول مورث للبطلان، فمقتضى القاعدة صحّة البيع والعقد حسب ما يلتزم به المشتري.

وأمّا الوجه الثاني: وهو أن تبايعا مع تردد المبيع أو الثمن بين شيئين كأن يقول: اشتريت بالدينار شاةً أو ثوباً، أو يقول: بعت السلعة بدينار أو شاة، ويأتي في هذه الصورة ما ذكرناه في الصورة المتقدمة، فإن تم الإيجاب والقبول بلا التزام بأحد الفرضين فالبيع باطل لجهالة أحد العوضين، وإلّا فالظاهر الصحة لارتفاعها بقبول المشتري أو إيجاب البائع متأخّراً ولا دليل على اشتراط المعلومية أزيد من ذلك.

وأمّا الوجه الثالث: أعني أن يبيع السلعة بمائة إلى شهر على أن يشتريها بعد البيع حالاً بثمانين. وبعبارة أُخرى: أن يبيع الشيء بثمن مؤجل بمائة بشرط أن يشتريه البائع من المشترى ثانياً بثمن حالّ أقل من ثمنه، فهذا هو بيع العينة، فكلّ من قال بفساد بيع العينة يقول بفساده. وهو يعد من حيل الربا فإنّ السلعة رجعت إلى صاحبها.. وثبت له في ذمة المشتري مائة مع أنّه دفع إليه ثمانين.

والذي عليه أكثر فقهاء الإمامية:

إنّه إذا اشترط تأخير الثمن إلى أجل، ثم ابتاعه البائع قبل حلول الأجل دون أن يشترط في البيع الأوّل جاز مطلقاً، بزيادة كان أو بنقصان، حالاً أو مؤجلاً ـ بخلاف ما إذا اشترط في ضمن العقد، فقد اختارت جماعة البطلان

في هذه الصورة (صورة الاشتراط).

وقد ذكروا في وجه البطلان عندئذٍ أمرين:

١. استلزامه الدور، لأنّ بيع المشتري للبايع، يتوقف على ملكه له، المتوقف على بيعه للبايع.[1]

يلاحظ عليه: بأنّ المشتري يملك بمجرد العقد، ولا يتوقف ملكه على العمل بالشرط، أي بيعه للبائع والّذي يتوقف عليه، هو لزوم البيع الأوّل لا تملكه.

٢. عدم قصد الخروج عن ملكه، بشهادة انّه يشترط شراءَه من المشتري ثانياً، وليس الغرض إلّا تملك الفائض.

يلاحظ عليه: بأنّه ربما يتحقّق القصد لغرض تملك الفائض، حيث يبيع بمائة ويشتري بثمانين.

والمهم انّه ذريعة محلّلة للربا، وللبحث صلة تطلب في محلّها.

وأمّا الوجه الرابع: أعني: أن يشترط بيعاً في بيع كأن يقول: بعتك هذه الدار بألف على أن تبيع دارك بكذا. فهذا على قسمين: فتارة يشترط البيع الآخر ولا يحدد ثمن المبيع الثاني وهذا باطل لأجل الجهالة، وأُخرى يشترط في البيع بيعاً آخر ويحدد المبيع والثمن كأن يقول بعتك داري هذه بألف على أن تبيعني دارك بألف وخمسين، وهذا صحيح لعدم الجهالة.

---

١. تذكرة الفقهاء: ٢٥١/١٠.

والحاصل: أنّ المدار في الصحة والبطلان هو وجود الجهالة في أحد العوضين وعدمها، والمفروض عدمها.

وأمّا الوجه الخامس: أعني: أن يشتري حنطة بدينار نقداً سلماً إلى شهر: فلمّا حلّ الأجل قال البائع: أشتري منك الصاع الّذي بذمتي بصاعين إلى شهرين.

والظاهر بطلان البيع، لأنّه بيع كال بكال أوّلاً، وبيع ربوي بجنسه متفاضلاً.

وأمّا الوجه السادس: أعني: أن يجمع بين شيئين مختلفين في عقد واحد بثمن واحد (كبيع وسلف)، كما إذا قال: بعتك هذا العبد وعشرة أقفزة حنطة موصوفة بكذا، مؤجلاً إلى كذا بمائة درهم، أو «إجارة وبيع» كما إذا قال: آجرتك الدار وبعتك العبد بكذا، أو «نكاح وإجارة» كما إذا قال: أنكحتك نفسي وآجرتك الدار بكذا، فالظاهر الصحة لصدق العقد عليه، ولم يدل دليل على خروجه عن إطار الآيات والروايات.

وهذا العقد في الظاهر عقد واحد وفي المعنى عقدان أو عقود، ولذا يجري عليه حكم كلّ منهما لنفسه من غير مدخلية للآخر، فلو جمع بين البيع والإجارة فخيار المجلس للأوّل دون الثاني.

ولو احتيج إلى أن يقسط العوض لتعدّد المالك قسّط على النحو المقرّر في باب الأُروش.

نعم تأمّل المحقّق الأردبيلي في صحّة هذا النوع من العقد، من جهتين:

١. الشكّ في صحّة مثل هذا العقد (بيع وإجارة)، حيث لا يدخل في اسم كلّ منهما، فهو لا بيع، ولا إجارة.

٢. انّ الجهالة والغرر وإن ارتفعا بالنسبة إلى هذا العقد، إلّا أنّهما متحقّقان بالنسبة إلى البيع والإجارة، وقد نهى الشارع عنهما في كلّ منهما.

وارتفاع الجهالة بالنسبة إلى المجموع غير مجد.[١]

يلاحظ على الأوّل: بما عرفت في صدر البحث، أنّ الموضوع للصحة هو العقد، وقوله: آجرتك تلك الدار وبعتك العبد بمائة دينار، عقد عقلائي كفى في دخوله تحت قوله سبحانه: **﴿أَوْفُوا بالعُقُودِ﴾**.

ويلاحظ على الثاني: أنّ الجهالة بالنسبة إلى كلّ من ثمن البيع وأُجرة الإجارة وإن كانت متحقّقة لكنّها إنّما تضرّ إذا كان البيع أو الإجارة عقداً مستقلاً لا جزء عقد، فعموم قوله سبحانه:**﴿أَوفُوا بِالعُقُودِ﴾** كافٍ في ثبوت مشروعيته.

وليست اللام في «العقود» إشارة إلى العقود المتعارفة في عصر نزول الآية، بل هي ضابطة كلية، في عالم التشريع تأمر المكلّفين بالوفاء بكلّ ما يصدق عليه عقد عرفي عقلائي إلّا ما خرج من الدليل.[٢]

هذا كلّه حول الأمر الأوّل، أي عرض المحتملات على الضوابط العامّة المستفادة من الكتاب والسنّة.

---

١. مجمع الفائدة والبرهان:٥٣١/٨.

٢. جواهر الكلام :٢٣٤/٢٣.

دراسة الحديث

بقي الكلام في الأمر الثاني وهو دراسة الحديث ومدى موافقته للقواعد.

وإجمال الكلام فيه: أنّ الحديث بعد سريان الاحتمالات إليه، صار مجملاً من حيث الدلالة، مبهماً من حيث المقصود، فلا يمكن الاحتجاج به على واحد من هذه الصور المختلفة، ومن البعيد أن يكون الجميع مقصوداً للنبي الأعظم ﷺ ، فلأجل إجمال الحديث وتطرق الاحتمالات المتنوعة إليه، يسقط عن الاحتجاج به، ويرجع في كلّ مورد إلى القواعد والضوابط العامة.

***

ومع ذلك كلّه يمكن أن يقال: إنّ أقرب الاحتمالات إلى مفهوم الحديث النبوي هو الوجه الأوّل، أي البيع نقداً بكذا ونسيئة بكذا، على وجه أصفق عليه البائع، من دون أن يلتزم المشتري بأحد الثمنين، وقد عرفت وجه البطلان لوجود الجهالة والغرر.

وأبعد الاحتمالات هو الوجه الرابع وهو أن يبيع شيئاً أو يشتريه ويشترط أحد المتبايعين شرطاً، فإنّ جواز مثل هذا النوع من البيع أظهر من الشمس وأبين من الأمس، لجريان السيرة على الاشتراط من الجانبين.

وممّا يقضي منه العجب، أن تقع مثل هذه المسألة: باع شيئاً مع الشرط،

مثاراً للخلاف بين الفقهاء، على وجه حتّى روي عن أبي حنيفة والشافعي بطلان البيع والشرط.[1] ودونك ما نقله الشيخ الطوسي وغيره في المقام. قال ﷺ:

المسألة ٤٠: من باع بشرط شيء، صحّ البيع والشرط معاً إذا لم يناف الكتاب والسنة. وبه قال ابن شبرمة.

وقال ابن أبي ليلى: يصحّ البيع، ويبطل الشرط.

وقال أبو حنيفة والشافعي: يبطلان معاً.

وفي هذا حكاية رواها محمّد بن سليمان الذهلي، قال: حدثنا عبد الوارث بن سعيد، قال: دخلت مكة فوجدت بها ثلاثة فقهاء كوفيين، أحدهم أبو حنيفة، وابن أبي ليلى، وابن شبرمة.

فصرت إلى أبي حنيفة فقلت: ما تقول في مَن باع بيعاً وشرط شرطاً؟ فقال: البيع فاسد، والشرط فاسد. فأتيت ابن أبي ليلى، فقلت ما تقول في رجل باع بيعاً وشرط شرطاً؟ فقال: البيع جائز، والشرط باطل. فأتيت ابن شبرمة، فقلت: ما تقول في مَن باع بيعاً وشرط شرطاً؟ فقال: البيع جائز، والشرط جائز.

قال: فرجعت إلى أبي حنيفة فقلت: إنّ صاحبيك خالفاك في البيع.

فقال: لست أدري ما قالا؟ حدثني عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه انّ النبيّ ﷺ نهى عن بيع وشرط.

---

١. الخلاف:٢٩/٣ـ ٣٠، لاحظ المحلى لابن حزم:٤١٥/٨؛ وبداية المجتهد:١٥٨/٢ـ ١٥٩.

ثمّ أتيت ابن أبي ليلى فقلت: إنّ صاحبيك خالفاك في البيع، فقال: ما أدري ما قالا؟ حدّثني هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أنّها قالت: لما اشتريت بريرة جاريتي شرط عليّ مواليها أن أجعل ولاءها لهم إذا أعتقتها، فجاء النبي فقال ﷺ: «الولاء لمن أعتق» فأجاز البيع، وأفسد الشرط.

فأتيت ابن شبرمة فقلت: إنّ صاحبيك قد خالفاك في البيع فقال: لا أدري ما قالا؟ حدّثني مسعر، عن محارب بن دثار، عن جابر بن عبد اللّه قال: ابتاع النبيّ ﷺ منّي بعيراً بمكة ، فلمّا نقدني الثمن شرطت عليه أن يحملني على ظهره إلى المدينة، فأجاز النبيّ ﷺ البيع والشرط.

والظاهر أنّ مرادهم من الشرط، هو القسم الفاسد، كما يظهر من رواية «عائشة»، وإلّا فاشتراط الصحيح منه في العقود، أمر رائج بين العقلاء وعليه جرت سيرة المسلمين.

هذا ما أسعف به الوقت في تحرير هذه الرسالة

وتمت يوم السابع والعشرين من شهر رجب المرجب من شهور عام ١٤٢٥هـ

الحمد للّه الّذي بنعمته تتم الصالحات

جعفر السبحاني

قم ـ مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام

إجابة عن شبهات في الفقه والعقائد

٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

أُختي في الله ابتسام سالم زبن العطيات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد وافتني رسالتك المؤرخة ١٥ جمادى الأُولى ١٤١٩هـ ، وهي تكشف عن عنايتك بالبحث عن الحقيقة ، وتجردك عن التعصب، ولا شكّ انّ الموضوعية هي مفتاح كشف الحقيقة، وقد طرحتِ فيها عدة أسئلة أقوم بالإجابة عليها بنحو موجز وأُحيل التفصيل إلى الكتب التي سأُشير إليها في آخر الرسالة أو أرسلها إليك مرفقة بها.

١. جاء في رسالتك انّ الدكتور موسى الموسوي نقل انّ الإمام الخميني أدخل اسمه في الأذان....

الجواب: انّ الدكتور المذكور قد انتقل إلى الدار الآخرة ولا أقول في حقّه شيئاً عملاً بالحديث المعروف:«اذكروا موتاكم بخير» ولكنّه ـ سامحه الله ـ قد افتعل و افترى وبإمكانكم الاستماع إلى أذان إذاعة الجمهورية الإسلامية ليلاً ونهاراً.

نعم الشعار الثوري للأُمّة المسلمة الإيرانية في غير الأذان والإقامة هو «الله أكبر، خميني رهبر» ولا صلة لهذا الشعار بهما و إنّما يهتفون به في ساحات الوغى وفي التظاهرات الشعبية، والعجب انّ الملك خالد عاهل المملكة السعودية آنذاك طرح هذا السؤال على الإمام الخميني ﷺ فأجاب بقوله: معاذ الله أن يدخل مسلم في الشريعة ما ليس منها فانّها بدعة محرمة لا يخضع لها الشعب المسلم.

٢. صلاة الجمعة تقام في حضور الإمام وفي غيبته، وهي صلاة عبادية سياسية مقرونة ولا يقام إلّا بإذن الإمام المعصوم أو الفقيه العادل الجامع للشرائط، ولذلك فالشيعة في عصر الغيبة تقيم صلاة الجمعة في جميع المدن والقرى، ومن قال بأنّ الشيعة عطلت صلاة الجمعة فهو مفتر لا يقام لكلامه وزن ولا قيمة.

وبإمكانكِ الرجوع إلى مبحث الأذان وصلاة الجمعة من كتاب «تحرير الوسيلة» ، وهو كتاب فقهي للإمام الخميني في جزءين كبيرين يوجدان في الملحق الثقافي للسفارة الإيرانية في الأُردن .

أُختي في الله لقد وظّف الجهاز الحاكم في عصر الأمويين والعباسيين ومن والاهم إلى يومنا هذا وسائل الأعلام بغية الافتراء على الشيعة وتشويه سمعتها بما لا يسع المجال لذكر معشار ما ارتكبوه من الأعمال في حقّ الشيعة، ونعم الحكم الله.

٣. مسألة الإمام المهدي ﷺ أصل اعتقادي اتّفق عليها المسلمون، وانّه

يظهر في آخر الزمان ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت جوراً وظلماً، وإنّما الاختلاف بين الشيعة والسنة في أمر آخر ، وهو انّ الشيعة تعتقد بولادته عام ٢٥٥هـ في سامراء و عاش في أحضان والده ووالدته خمس سنين وغاب عن الأبصار بعد وفاة أبيه عام ٢٦٠ بأمر من اللّه سبحانه وهو حيّ يرزق في هذا العالم، وليس هذا ببعيد عن قدرته تبارك و تعالى .

وقد أرشدنا القرآن الكريم إلى أنّ للّه سبحانه حجّتين ظاهرة وغائبة في عصر واحد، أمّا الظاهرة فكموسى عليه السلام ، وأمّا الغائبة فكمصاحبه الخضر عليه السلام الذي لم يكن موسى يعرفه و إنّما تعرّف عليه بتعريف من اللّه سبحانه، وقد نهل من معين علمه على ما ورد في سورة الكهف الآية (٦٠ـ ٨٢) فقد كان مصاحب موسى وليّاً من أوليائه سبحانه متصرفاً في أُمور الناس و لم يكن الناس يعرفونه.

فالإمام المهدي عليه السلام من تلك الفئة إمام غائب عن الأبصار متصرف في أُمور الناس قائم بوظائف الإمامة وإن كان الناس لا يعرفونه وسيظهر بأمر من اللّه سبحانه، و هومصلح كبير وعد اللّه به الأُمم وأخباره متفشية في العهدين وغيرهما، مضافاً إلى الأحاديث النبوية المتواترة التي نقلها علماء الفريقين .

٤. مدينة قم مدينة مقدسة فيها مدفن كريمة رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر بن محمد الباقر بن الإمام زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام و في تلك البلدة الطيّبة ضريحها وضريح العديد من أعلام الشيعة من القرن الثاني إلى يومنا هذا من المحدّثين الكبار والفقهاء العظام، وقامت فيها جامعة إسلامية كبيرة زهت بالعديد من طلّاب

العلم والمعرفة يربو عددهم إلى ثلاثين ألف طالب.

وتُدرس في هذه الجامعة مختلف العلوم الإسلامية وفيها أيضاً جامعة أُخرى للبنات تدعىٰ جامعة الزهراء عليها السلام تتقاطر إليها الطالبات من مختلف الأمصار الإسلامية.

ومؤسسة الإمام الصادق عليه السلام فرع من تلك الجامعة الكبيرة الأُولى التي تختص بالدراسات الكلامية حيث تزوّد خريجيها بشهادات عليا مضافاً إلى ما تقوم به من نشر التراث الإسلامي وسدّ الفراغ بتأليف الكتب الدراسية ، والتبليغية .

٥. الزواج بين المذاهب الإسلامية جائز والمسلم كفء المسلم بلا فرق بين فرقة وأُخرى فمادام الجميع يتمسكون بأهداب الإسلام و يشهدون بتوحيده سبحانه ورسالة نبيّه الخاتم ويوم جزائه فالجميع على حد سواء.

٦. ذكرتم شيئاً من الاحتفالات التي تُقام في الأُردن حول ضريح سيدنا جعفر بن أبي طالب عليه السلام في مدينة الكرك الأُردنية، ولكنّها نموذج صغير بالنسبة إلى ما يقام في العراق وإيران من الاحتفالات، فهو فوق أن يذكر ، والهدف من ورائها إحياء المنهج الذي رسمه السبط الأطهر حسين العظمة، حسين الإباء والشهادة، حسين التضحية، فهو منهج حي ومبدأ قيّم يجب الحفاظ عليه ليشبّ عليه الصغير ويهرم عليه الكبير، وليترنّم الجميع بكلامه عليه السلام الخالد «انّ الحياة عقيدة وجهاد» فالاستسلام أمام العدو الغاشم على النقيض من منهج الحسين الثوري .

ولو كان منهج الحسين سائداً بين أوساط المسلمين لما عمّهم الذل والهوان ولما اغتُصِبت أراضيهم من قِبَل شُذّاذ الآفاق.

وقد بعثنا إليكم مع الرسالة السابقة قصيدة حول ثورة الحسين عليه السلام وطلبنا منك تفسيرها وتشقيق معانيها والتي كانت مطلعها.

أناخت على قلبي الكآبة والكرب　　عشية زمّ العيسَ للظَّعنِ الركبُ

إلى أن قال:

رزّيةُ قوم يمّموا أرض كربلا　　فعاد عبيراً منهم ذلك التُّربُ

٧. غسل الرجلين أو مسحهما في الوضوء مسألة فقهية اختلفت فيها آراء السنة و الشيعة، فأغلب السنّة على الغسل والشيعة على المسح وكتاب الله معهم والمستفاد من ظاهره انّ الوضوء «غسلتان » و «مسحتان» كما قاله ابن عباس، وصبّه بحر العلوم في قالبٍ شعري في منظومته المسماة بالدرة النجفية حيث قال:

انّ الوضوء غسلتان عندنا　　ومسحتان والكتاب معنا

قال سبحانه:

﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرافِقِ﴾ [1].

وقال:

﴿فَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الكَعْبَيْنِ﴾ [2].

---

١. المائدة: ٦.　　٢. المائدة: ٦.

فالشيعة تقول بأنّ لفظ الأرجل معطوف على الرؤوس سواء قُرئ بالجر فيكون معطوفاً على اللفظ، أو بالنصب فيكون معطوفاً على المحل، لأنّ الرؤوس مفعول ومحلّه النصب، فكلتا القراءتين مطابقتان للقواعد العربية، وعلى ذلك فيجب المسح على كلتا القراءتين.

وأمّا السنة القائلون بالغسل فقد وقعوا في ورطة عجيبة في تفسير القراءتين حتى اعترف قسم كبير منهم بأنّ ظاهر الآية هو المسح وذلك:

بما انّهم يقولون بغسل الأرجل فقد مالوا يميناً و شمالاً في تفسير قراءتي الجرّ والنصب فقالوا:

على قراءة الجرّ ـ فهومجرور بالجوار ـ مكان القول بأنّه معطوف على لفظ الرؤوس ـ نظير قول الشاعر: «جحر ضبّ خرب» فلفظ «خرب» خبر يجب أن يرفع لكنّه صار مجروراً لوقوعه في جوار «ضب» المجرور ، وعلى قراءة النصب فهو منصوب، لأنّه معطوف على «أيديكم» في الجملة المتقدّمة.

والتأمل في التفسير يثبت بطلان النظرين.

أمّا الجرّ: فالتفسير الصحيح أنّه معطوف على الرؤوس، لا الجرّ بالجوار و ذلك أنّ الجر بالجوار أمر شاذ في لغة العرب وربما تدعو الضرورة إلى هذا النوع من الجرّ ، ولا يصحّ لنا تفسير كلام اللّه على ضوء تلك القاعدة الشاذة، مضافاً إلى أنّ الجرّ بالجوار إنّما يصحّ إذا لم يكن هناك التباس كما في البيت إذ من المعلوم انّ الخرب وصف لجحر لا لضبّ.بخلاف الآية فإنّ الجر

بالجوار يوجب الالتباس إذ القارئ يتصور انّه معطوف واقعاً على الرؤوس فتكون النتيجة هو المسح عليها مع أنّ الفرض أنّها معطوفة على الأيدي.

وأمّا قراءة النصب فالإشكال أوضح، فأهل السنة تذهب إلى أنّها معطوفة على الأيدي الواردة من الجملة المتقدمة مكان العطف على الرؤوس التي هي بجنب «أرجلكم» وهذا شيء لا يرضى به الخبير بأساليب اللغة العربية فمثلاً إذا قال:

أكرمت زيداً وعمراً.

ثمّ قال:

ضربت بكراً وخالداً.

فهل يخطر ببال أحد انّ «خالداً» عطف على «عمراً»، بل الجميع يقولون إنّه عطف على «بكراً».

وفي الآية فعلان: أحدهما: ﴿**اغسلوا**﴾ و له مفعولان : الوجوه والأيدي.

والثاني: ﴿**فامسحوا**﴾ وقد جاء بعده أمران: الرؤوس والأرجل.

أفيصح أن نقول بأنّ الأرجل ليست معطوفة على الرؤوس بل معطوفة على الأيدي مع أنّه وقع بين المعطوف والمعطوف عليه جملة معترضة يغاير فعلها ﴿**فامسحوا**﴾ مع فعل الجملة الأُولى ﴿**اغسلوا**﴾ .

والعجب إنّكِ طرقتِ كلّ باب إلّا باب القرآن فما رجعتِ إليه حتى تأخذين حكم الله من الآية المباركة.

وأمّا حديث عبد اللّٰه بن عمر فهو على خلاف الغَسْل أدل إذ جاء فيه قول ابن عمر «نتوضأ ونمسح على أرجلنا» أفيمكن أن يتوضأ ابن عمر ويمسح رجليه ــ و هو في أحضان النبي ﷺ وبمرأى ومسمع منه ﷺ ـ من جانب نفسه، وهذا يدل على انّ عمل الصحابة كان على المسح.

وأمّا الجملة الأخيرة «ويل للأعقاب من النار» فليس فيها دلالة على وجوب الغسل عند الوضوء، بل الويل، لأجل انّ الأعراب كانوا عراة حفاة بوالين على أعقابهم من دون مبالاة بإصابة البول لها، فكانوا يمسحون على الأرجل النجسة، فناداهم النبي ﷺ بقوله: «ويل للأعقاب من النار». إذ كان عليهم أن يغسلوا أعقابهم أوّلاً ثمّ يمسحوا عليها.

ولعمر الحق لو كان النبي ﷺ بصدد بيان الحكم الشرعي وهو انّ الواجب في الأرجل هو الغسل لا المسح كان عليه أن يعبّر عن تلك الحقيقة بعبارة واضحة وينادي بقوله: أيّها المسلمون اغسلوا أرجلكم ولا تمسحوا بها، من دون أن يتفوّه بكلمة لا يفهم منها الغسل إلّا بتفسير النووي وغيره.

كلّ ذلك يدل على أنّ الحديث على فرض صحته يعني أمراً آخر كما ذكرنا، وعلى تقدير دلالته على الغسل فما قيمة حديث يعارض الذكر الحكيم ولا يصحّ نسخ الكتاب بخبر الواحد لا سيما أنّ الآية في سورة المائدة وهي آخر سورة نزلت في المدينة.

٨. مسألة الخلافة عن رسول اللّٰه ﷺ مسألة عصيبة إذ ما سُلّ سيف بين المسلمين مثلما سُلّ في أمر الإمامة، فلنترك هذا البحث إلى ذمّة التاريخ

والحديث وعلم الكلام.

ويكفيك في ذلك مراجعة كتاب «العقيدة الإسلامية» ففيه من الدلائل المشرقة على أنّ الخلافة بعد رسول اللّه ﷺ منصب تنصيبي لا اختياري ولا انتخابي، وقد قام النبي ﷺ بنصب خليفته تارة في بدء الدعوة، وأُخرى في غزوة خيبر حيث شبه علياً بهارون وأثبت له جميع المناصب إلّاالنبوة، وثالثة عند منصرفه عن حجّة الوداع حيث قام في غدير خم بتنصيب علي عليه السلام للخلافة والقيادة بأمر من اللّه سبحانه الواردة في الآية التالية:

﴿**يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ فَإِنْ لَمْ تَفعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ**﴾ [1] و قد نقل غير واحد من أعلام السنة نزولها في غدير خمّ.

أنشدكِ باللّه ما هذا الموضوع الذي كان عدم تبليغه بمنزلة عدم تبليغ الرسالة بأجمعها؟! وهل يصح تفسير الآية بإبلاغ الأحكام الشرعية؟ كلاّ، ولا، بل لابدّ من تفسيرها بأمر خطير يعد دعامة للإسلام ، ورمزاً لبقائه وليس هو إلّا تعيين الخليفة والوصيّ من بعده وإن أثار حفيظة الآخرين وقد قال سبحانه: ﴿**واللّه يعصمك من الناس**﴾ .

وبما أنّ الموضوع ذو شجون أكتفي بهذا المقدار وألفت نظرك إلى موضوع التقريب ونقول:

لقد قرأت مقالك في صحيفة الدستور وأعجبني اهتمامك بمسألة

---

١ . المائدة: ٦٧.

التقريب التي هي أهمّ الأُمور في هذه الأعصار.

كيف والمسلمون يد واحدة وما يجمعهم أكثر مما يفرّقهم، ونحن كما يقول شاعر الأهرام:

انا لتجمعنا العقيدة أُمّة ويَضمُّنا دينُ الهدى أتباعا

ويؤلّف الإسلام بين قلوبنا مهما ذهبنا في الهواء أشياعا

كما وكتبت في رسالتك الاُولى بأنّ الإمام الخميني سمّى الخليفتين بصنمي قريش في كتابه كشف الأسرار، ص ١١١، ١١٤، ١١٧ ولم أجد في الصفحات المستنسخة التي أرسلتِها إليّ شيئاً من تلك الكلمات.

نعم جاء في التعليقة للمترجم، ص ١٢٦«انّ الخميني وشيعته ينعتان الخليفتين بصنمي قريش» والتعليقة لا يحتج بها لا سيما و انّ كاتبها قد ملأ كتابه بالسب و الشتم على المجاهد الذي أفنى عمره في الذبّ عن حياض الإسلام، ومكافحة الاستعمار والصهيونية وتأسيس دولة إسلامية متكاملة الجوانب.

وانّي بما أنا شيعي وقد ناهزت من العمر ٧٣عاماً وألّفت ما يفوق المائة كتاب لم أجد تلك الكلمة في كتاب وإنّما سمعته من شيخ سعودي كان ينسبه إلى الشيعة.

وأمّا الأمر الثاني الذي طلبتِ منّا وهو مصدر قول الخليفة ـ حينما طلب رسول اللّه ﷺ القلم والدواة ـ قال الخليفة: لقد هجر رسول اللّه ﷺ وقد ذكرتِ في ظهر الصفحة المستنسخة ما رواه البخاري في باب مرض

النبي ﷺ وفيها قوله، فقال بعضهم: انّ رسول اللّه ﷺ قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب اللّه.[1].

ثمّ كتبتِ : لا نرى إشارة إلى أنّ سيدنا عمر بن الخطاب (رضي اللّه عنه) قال ما ورد في كتاب كشف الأسرار.

أقول: إنّ البخاري نقل الحديث في غير موضع من كتابه وإليك الصور الأُخرى.

٢. روى البخاري في الجزء الأوّل، باب كتابة العلم من كتاب العلم، ص ٣٠، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، مصر، الحديث التالي:

عن ابن عباس، قال: لما اشتدّ بالنبيّ ﷺ وجَعُه، قال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده، قال عمر: إنّ النبي غلبه الوجع وعندنا كتاب اللّه حسبنا، فاختلفوا وكثر اللغط.

قال ﷺ : قوموا عني .

تجد أنّ الحديث ينص على أنّ القائل بأنّ النبي ﷺ غلبه الوجع هو عمر بن الخطاب.

وبذلك يعلم أنّ المراد من البعض فيما رواه البخاري في باب مرض النبي ﷺ هو نفس عمر بن الخطاب غير أنّه صرح باسم القائل في باب كتابة العلم وكنىٰ عنه بـ«البعض» في باب مرض النبي ﷺ كما نقلتِ.

---

١. صحيح البخاري: ١٣٨/٥.

٣. روى البخاري في الجزء الرابع، باب جوائز الوفد من كتاب باب فضل الجهاد و السير، ص ٦٩ و٧٠، الحديث بالنحو التالي.

عن ابن عباس أنّه قال: اشتدّ برسول اللّه ﷺ وجعه يوم الخميس فقال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً.

فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي ﷺ تنازع، فقالوا: هجر رسول اللّه ﷺ.

وعلى ذلك فالبخاري نقل الحديث بهذه الصور الثلاثة التي يفسر بعضها بعضاً.

ففي باب كتابة العلم قال عمر: إنّ النبي غلبه الوجع، وفي باب مرض النبي ﷺ قال بعضهم: انّ رسول اللّه قد غلبه الوجع.

وفي باب جوائز الوفد، فقالوا: هجر رسول اللّه.

فقد صرح البخاري باسم القائل في الأوّل دون الثاني والثالث، ومنه يعلم انّ القائل واحد.

والظاهر انّ اللفظ الصادر هو: «هجر رسول اللّه» ولكن البخاري غيّره إلى قوله :«قد غلبه الوجع» تهذيباً للعبارة وتقليلاً للاستهجان.

ولأجل ذلك لما رواه أبو بكر الجوهري في كتاب السقيفة أشار إلى تلك النكتة في نقله، وقال: لما حضرت رسول اللّه ﷺ الوفاة وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال رسول اللّه : ائتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده، قال: فقال عمر كلمة معناها: «انّ الوجع قد غلب

علىٰ رسول اللّٰه ثمّ قال: عندنا القرآن حسبنا كتاب اللّٰه».

هذا ما في البخاري.

وأمّا مسلم فقد رواه في صحيحه بصور ثلاث:

الصورة الأُولى: ... اشتد برسول اللّٰه ﷺ وجعه فقال: ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي فتنازعوا وما ينبغي عند نبي التنازع.

وقالوا: ما شأنه؟ أهجر؟ استفهموه؟، قال: دعوني.

الصورة الثانية: قال رسول اللّٰه ﷺ : ائتوني بالكتف والدواة أو اللوح والدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً.

فقالوا: إنّ رسول اللّٰه يهجر.

الصورة الثالثة: فقال النبي ﷺ : هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلون بعده.

فقال عمر: إنّ رسول اللّٰه قد غلب عليه الوجع و عندكم القرآن حسبنا كتاب اللّٰه.

(صحيح مسلم، الجزء الرابع، كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه، ص ٧٥ـ ٧٦، طبعة مصر، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده).

فبمقارنة هذه الأحاديث بعضها ببعض يعلم أنّ القائل في الحديث الأوّل (ما شأنه أهجر، استفهموه) و الحديث الثاني (انّ رسول اللّٰه يهجر) هو القائل في الحديث الثالث الذي صرح مسلم باسمه(انّ رسول اللّٰه قد غلب

عليه الوجع، وعندكم القرآن).

ويعلم أيضاً أنّه عندما كان التعبير مستهجناً كنوا بالقائل، و عندما كان خفيف الوطأة صرحوا باسمه، وإن كان التعبير الثاني (قد غلبه الوجع) نفس التعبير بأنّه (هجر) نظير قول القائل: (أنت أو ابن أُخت خالتك).

ثمّ إنّ هنا سؤالاً يطرح نفسه وهو، لما ذا حال الصحابة العدول بين النبي ﷺ و أُمنيّته، ولماذا منعوه من كتابة، كتابه، وما هو السر وراء ذلك؟!

والجواب يفهمه كلّ من له إلمام بالحوادث الواقعة قبل وفاة النبي ﷺ وبعده.

فدع عنك نهباً صيح في حجراته ولكن حديثاً ما حديث الرواحل

ثمّ هل يصحّ لمسلم واع أن يقول: حسبنا كتاب اللّه، وهل كتاب اللّه الأعظم واف بتفاصيل التشريع؟!

هذا قليل من كثير قدمته إليكِ نزولاً عند رغبتكِ، وإن كان إثارة هذه المسائل توجب الخدشة في العواطف وتشتت الصفوف، ولكن إصرارك الأكيد دفعني إلى كتابة هذه السطور.

رزقنا اللّه توحيد الكلمة كما رزقنا كلمة التوحيد

جعفر السبحاني

رسالتنا إلى المؤمنين في اليابان

٦٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيه وآله وصحبه المنتجبين

إلى إخواننا المسلمين في اليابان وفقهم الله لمرضاته.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وصلتنا بعض المنشورات التي تتبنىٰ إيجاد الفرقة بين المسلمين مكان الدعوة إلى الاعتصام بحبل الله والتمسك بالكتاب والسنّة، والعيش تحت ظلال الإيمان بالله تبارك وتعالى، ورسالة نبيه ﷺ، اللّذين يربطان عامّة المسلمين بعضهم ببعض.

في العصر الذي ترزح فيه أُولى القبلتين تحت وطأة الصهاينة، وأصبحت بلاد الوحي والرسالة مركزاً لجيوش الغزو الغربي، و تجري في البوسنة والهرسك مذابح عامة للمسلمين، نسائهم وأطفالهم.

وفي هذا العصر الذي يهاجم فيه الغرب المسلمين ويقتل مفكريهم وشبابهم ويفسد أخلاقهم ويدمر كيانهم قامت عدة من العملاء بفصل طائفةٍ كبيرةٍ من المسلمين عن كيان الأُمّة الإسلامية وكأنّ الهجوم على أتباع أئمّة أهل البيت وتكفيرهم ورميهم بالابتداع هو الدواء الناجع .

إنّ المسلمين اليوم بحاجة ماسة إلى التماسك والوحدة ورصّ الصفوف أمام الهجوم الثقافي والفكري، فمن دعا إلى الوحدة والاعتصام فقد اقتفى الذكر الحكيم، قال سبحانه: **﴿واعْتَصِمُوا بِحَبلِ اللّٰهِ جَمِيعاً ولا تَفَرّقُوا﴾**(١) ومن دعا إلى الفرقة فقد ابتعد عمّا دعا إليه الكتاب واقتفى سنّة المشركين قال سبحانه: **﴿... ولاَ تَكُونُوا مِن المُشْرِكِينَ * مِنَ الّذِينَ فَرَّقوا دِينَهُم وكانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُون﴾**(٢) ولكنا نمرّ على كلماتهم وأعمالهم مرور الكرام ونركز على تحليل مسألتين في ضوء الكتاب والسنّة حتى يتبين المبتدع من المتمسك بهما وهما:

١ـ الاحتفال بمولد النبي ﷺ .

٢ـ تكفير أهل القبلة.

فقد استعرض الأُولى الشيخ صالح بن غانم السدلان وزميله الدكتور فهد السنيدي فتكريم النبي ﷺ يوم ميلاده وتعزيره عندهم بدعة وقد نَشرت مجلة الشرق الأوسط ما أدليا به، وليس في كلاميهما شيء جديد سوى ما في كلام شيخهما ابن تيمية ومجدد مذهبه محمد بن عبد الوهاب وقد عاد المحاضران يجترّان نفس ما ورثاه من إماميهما.

ومن العجب جداً انّ اقامة الاحتفال لميلاد الملوك والرؤساء تكريماً لهم أمرٌ غير محظور ولكن تكريم ميلاد النبي الأكرم ﷺ أمر مبتَدع حرام وكأنّهم لم يسمعوا قوله سبحانه: **﴿فالّذِينَ آمَنُوا بِهِ وعَزّرُوهُ ونَصرُوه﴾**(٣). فتعزيره غير نصره، وغير الإيمان به فكما أنّ الإيمان به لا يختص بوقت دون

---

١. آل عمران: ١٠٣. ٢. الروم: ٣١ ـ ٣٢. ٣. الأعراف: ١٥٧.

وقت فكذلك تكريمه وتعظيمه، فهذه الآية الداعية إلى تكريم النبي ﷺ مطلقة غير محددة بزمان خاص من حيث الدعوة وتخصيصه بيوم الميلاد من جهة ملابسات تُسهِل للمسلمين تجسيد الآية في ذلك اليوم.

إنّه سبحانه يصف النبي ﷺ ويقول: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾[1] فالمحتفلون يوم ميلاده يجسدون ذلك الترفيع.. أفيمكن أن يكون ترفيعه اتباعاً للذكر الحكيم حراماً؟!

وأمّا الثانية: فإنّ القائلين بتكفير بعض الطوائف الإسلامية هم الذين لا يرغبون في وحدة المسلمين، وهم لا يكفّرون الشيعة فحسب بل يكفّرون قاطبة المسلمين سوى أتباع محمد بن عبد الوهاب غير أنّهم كانوا يجهرون بتكفير جميع المسلمين في الأزمنة السابقة ويغزونهم ويقتلونهم وينهبون أموالهم ولكنهم اليوم يتقون ولا يبدون كل ما يضمرون غير تكفير الشيعة فهذا «موسى بايكي» أحد العملاء للوهابية أخذ يكفر الشيعة ويحرم ذبائحهم، فهل درس القرآن الكريم والسنّة النبوية في تحديد الإيمان والكفر أو أنّه أخذ مقياساً من عندِ نفسه دعماً لمبدئه فصار يكفر شيعة آل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ؟ وها نحن ندرس في هذه الرسالة المتواضعة حدود الكفر والإيمان، حتىٰ يقف القارئ على أنّ الطوائف الإسلامية المشهورة بين السنّة والشيعة كلّهم مسلمون مؤمنون حسب الضابطة التي نص عليها النبي ﷺ وجرى عليها السلف الصالح طيلة القرون الماضية وإليك البيان:

---

١. الانشراح: ٤.

١

الاحتفال بمولد النبيّ ﷺ

الاحتفال بمولد النبي ﷺ ، من مظاهر حب النبي الأكرم الذي حبّه وتكريمه وتعزيره أصل في الكتاب والسنّة.

إنّ لحب نبي الإسلام مظاهر ومجالي، إذ ليس الحب شيئاً يستقر في صقع النفس من دون أن يكون له انعكاس خارجي على أعمال الإنسان وتصرفاته، بل انّ من خصائص الحب أن يظهر أثره على جسم الإنسان وملامحه، وعلى قوله وفعله، بصورة مشهورة وملموسة.

فحب الله ورسوله الكريم لا ينفك عن اتّباع دينه، والاستنان بسنّته، والإتيان بأوامره والانتهاء عن نواهيه، ولا يعقل أبداً أن يكون المرء محباً لرسول الله ﷺ أشدَّ الحب، ومع ذلك يخالفه فيما يبغضه ولا يرضيه، فمن ادّعى حباً في نفسه وخالفه في عمله فقد جمع بين شيئين متخالفين متضادين.

ولنعم ما روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في هذا الصدد موجهاً كلامه إلى مدّعي الحب الإلهي كذباً:

تعصي الإله وأنتَ تظهر حبَّه   هذا لعمري في الفعال بديع

لو كـان حـبك صـادقاً لأطـعتَه ‏ ‏ إنّ المحب لمن يحب مطيع [١]

للحبِّ مظاهر وراء الاتباع:

نعم لا يقتصر أثر الحب على هذا، بل له آثار أُخرى في حياة المحب، فهو يزور محبوبه ويكرمه ويعظمه ويزيل حاجته، ويذبّ عنه، ويدفع عنه كل كارثة ويهيئ له ما يريحه ويسره إذا كان حياً.

وإذا كان المحبوب ميتاً أو مفقوداً حزن عليه أشد الحزن، وأجرى له الدموع كما فعل النبي يعقوب ﷺ عندما افتقد ولده الحبيب يوسف ﷺ فبكاه حتىٰ ابيضّت عيناه من الحزن، وبقي كظيماً حتىٰ إذا هبّ عليه نسيم من جانب ولده الحبيب المفقود، هشَّ له وبشَّ، وهفا إليه شوقاً وحبّاً.

بل يتعدّى أثر الحب عند فقد الحبيب وموته هذا الحد، فنجد المحب يحفظ آثار محبوبه، وكل ما يتصل به، من لباسه وأشيائه كقلمه ودفتره وعصاه ونظارته. كما ويحترم أبناءه وأولاده، ويحترم جنازته ومثواه، ويحتفل كل عام بميلاده وذكرى موته، ويكرمه ويعظمه حباً به ومودة له.

إلى هنا ثبت، أنّ حب النبي ﷺ وتكريمه أصل من أُصول الإسلام لا يصح لأحد إنكاره، ومن المعلوم أنّ المطلوب ليس الحب الكامن في القلب من دون أن يُرىٰ أثره على الحياة الواقعية، وعلى هذا يجوز للمسلم القيام بكل ما يعد مظهراً لحب النبي شريطة أن يكون عملاً حلالاً بالذات ولا يكون منكراً في الشريعة، نظير:

---

١. سفينة البحار: مادة «حب».

١ـ تنظيم السنّة النبوية، وإعراب أحاديثها وطبعها ونشرها بالصور المختلفة، والأساليب الحديثة، وفعل مثل هذا بالنسبة إلى أقوال أهل البيت وأحاديثهم.

٢ـ نشر المقالات والكلمات، وتأليف الكتب المختصرة والمطولة حول حياة النبي ﷺ وعترته، وإنشاء القصائد بشتى اللغات والألسن في حقّهم، كما كان يفعله المسلمون الأوائل.

فالأدب العربي بعد ظهور الإسلام يكشف عن أنّ إنشاء القصائد في مدح رسول الله ﷺ كان ممّا يعبّر به أصحابها عن حبهم لرسول الله ﷺ.

فهذا هو كعب بن زهير ينشئ قصيدة مطولة في مدح رسول الله ﷺ منطلقاً من إعجابه وحبه له ﷺ فيقول في جملة ما يقول:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيّم إثرها لم يُفد مكبول

نُبِّئتُ أنّ رسول الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمول

ويقول:

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة القرآن فيها مواعيظ وتفصيل

إنّ الرسول لنور يستضاء به ... مهنّد من سيوف الله مسلول [1]

وقد ألقى هذه القصيدة في مجلس رسول الله ﷺ وأصحابه، ولم ينكر عليه رسول الله ﷺ.

---

١. السيرة النبوية: ٥١٣/٢.

وهذا هو حسّان بن ثابت الأنصاري يرثي النبي ﷺ ، ويذكر فيه مدائحه، ويقول:

بطيبة رسم للرسول ومَعْهَد منير وقد تعفو الرسومُ وتهمدُ

إلى أن قال:

يدل على الرحمٰن من يقتدي به
ويُنقذ من هول الخزايا ويرشد
إمام لهم يهديهم الحق جاهداً
معلّم صدقٍ إن يطيعوه يَسْعدُوا[1]

وهذا هو عبد الله بن رواحة ينشئ أبياتاً في هذا السياق فيقول فيها:

خلّوا بني الكفار عن سبيله خلّوا فكل الخير في رسوله
يا رب إنّي مؤمن بقيله أعرف حق الله في قبوله [2]

هذه نماذج ممّا أنشأها الشعراء المعاصرون لعهد الرسالة في النبي ﷺ ونكتفي بها لدلالتها على ما ذكرنا.

ولو قام باحث بجمع ما قيل من الأشعار والقصائد في حق النبي ﷺ لاحتاج في تأليفه إلى عشرات المجلدات.

إنّ مدح النبي كان الشغلَ الشاغل للمخلصين والمؤمنين منذ أن لبّى

١ . السيرة النبوية: ٦٦٦/٢.

٢ . السيرة النبوية: ٣٧١/٢.

الرسول دعوة ربّه، ولا أظن أنّ أحداً عاش في هذه البسيطة نال من المدح بمقدار ما ناله الرسول ﷺ من المدح بمختلف الأساليب والنظم.

وهناك شعراء مخلصون أفرغوا فضائل النبي ومناقبه في قصائد رائعة وخالدة مستلهمين ما جاء في الذكر الحكيم والسنّة المطهرة في هذا المجال، فشكر الله مساعيهم الحميدة وجهودهم المخلصة.

٣ـ تقبيل كل ما يمت إلى النبي بصلة كباب داره، وضريحه وأستار قبره انطلاقاً من مبدأ الحب الذي عرفت أدلّته.

وهذا أمر طبيعي وفطري فبما أنّ الإنسان المؤمن لا يتمكّن بعد رحلة النبي ﷺ من تقبيل الرسول ﷺ [1] فيقبّل ما يتصل به بنوع من الاتصال، وهو كما أسلفنا، أمر طبيعي في حياة البشر حيث يلثمون ما يرتبط بحبيبهم ويقصدون بذلك نفسه. فهذا هو المجنون العامري كان يقبّل جدار بيت ليلى ويصرّح بأنّه لا يقبّل الجدار، بل يقصد تقبيل صاحب الجدار ، يقول:

أمرّ على الديار ديار ليلى ... أُقبّل ذا الجدار وذا الجدارا

فما حب الديار شغفن قلبي ... ولكن حب من سكن الديارا

٤ـ إقامة الاحتفالات في مواليدهم وإلقاء الخطب والقصائد في مدحهم وذكر جهودهم ودرجاتهم في الكتاب والسنّة، شريطة أن لا تقترن تلك الاحتفالات بالمنهيات والمحرمات.

---

١. دخل أبو بكر حجرة النبي ﷺ بعد رحيله وهو مسجّى ببرد حبرة فكشف عن وجهه ثم أكبّ عليه فقبّله ثم بكى فقال: بأبي أنت يا نبي الله لايجمع الله عليك موتتين، أمّا الموتة التي كتبت عليك فقد متّها. لاحظ صحيح البخاري: ١٧/٢ كتاب الجنائز.

ومن دعا إلى الاحتفال بمولد النبي في أيّ قرن من القرون، فقد انطلق من هذا المبدأ أي حب النبي الذي أمر به القرآن والسنّة .

هذا هو مؤلف تاريخ الخميس يقول في هذا الصدد: لا يزال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده، ويعملون الولائم، ويتصدّقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويظهرون السرور، ويزيدون في المبرّات، ويعتنون بقراءة مولده الشريف، ويظهر عليهم من كراماته كل فضل عظيم [١].

وقال أبو شامة المقدسي في كتابه: ومن أحسن ما يفعل في اليوم الموافق ليوم مولده ﷺ من الصدقات والمعروف بإظهار الزينة والسرور، فإنّ في ذلك مع ما فيه من الإحسان للفقراء شعاراً لمحبته [٢].

وقال القسطلاني: ولا زال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده ﷺ ، ويعملون الولائم، ويتصدّقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويظهرون السرور، ويزيدون في المبرّات، ويعتنون بقراءة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم ... فرحم الله امرءاً اتخذ ليالي شهر مولده المبارك أعياداً، ليكون أشد علّة على من في قلبه مرض وأعيا داء [٣].

إذا عرفت ما ذكرناه فلا تظن أن يشك أحد في جواز الاحتفال بمولد النبي ﷺ ، احتفالاً دينياً فيه رضى الله ورسوله، ولا تصح تسميته بدعة، إذ

١ . تاريخ الخميس، للدياربكري: ٣٢٣/١ .

٢ . السيرة الحلبية: ٨٣/١ ـ ٨٤.

٣ . المواهب اللدنية: ١٤٨/١.

البدعة هي التي ليس لها أصل في الكتاب والسنّة، وليس المراد من الأصل؛ الدليل الخاص، بل يكفي الدليل العام في ذلك.

ويرشدك إلى أنّ هذه الاحتفالات تجسيد لتكريم النبي؛ وجدانك الحر، فانّه يقضي ـ بلا مرية ـ على أنّها إعلاء لمقام النبي وإشادة بكرامته وعظمته، بل يتلقاها كل من شاهدها عن كثب على أنّ المحتفلين يعزّرون نبيّهم ويكرمونه ويرفعون مقامه اقتداءً بقوله سبحانه: ﴿ورَفَعنا لكَ ذِكْرَكَ﴾[١].

السنّة النبوية وكرامة يوم مولده ﷺ :

١ـ أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي قتادة أنّ رسول اللّه ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين فقال: «فيه ولدت، وفيه أُنزل عليّ» [٢].

يقول الحافظ ابن رجب الحنبلي ـ عند الكلام في استحباب صيام الأيام التي تتجدّد فيها نعم اللّه على عباده ـ ما هذا لفظه: إنّ من أعظم نعم اللّه علىٰ هذه الأُمّة إظهار محمد ﷺ وبعثته وإرساله إليهم، كما قال اللّه تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللّهُ علَى المؤمنينَ إذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أنْفُسِهِمْ﴾ [٣] فصيام يوم تجدّدت فيه هذه النعمة من اللّه سبحانه على عباده المؤمنين حسن جميل، وهو من باب مقابلة النعم في أوقات تجدّدها بالشكر [٤].

١ . الانشراح: ٤.

٢ . صحيح مسلم: ١٦٨/٣ باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر من كتاب الصيام.

٣ . آل عمران: ١٦٤.

٤ . لطائف المعارف، لابن رجب الحنبلي: ٩٨.

٢ـ روىٰ مسلم في صحيحه عن ابن عباس ـ رضي اللّٰه عنه ـ قال: لمّا قدم النبي ﷺ المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسُئلوا عن ذلك، فقالوا: هو اليوم الذي أظفر اللّٰه موسى وبني إسرائيل على فرعون، ونحن نصوم تعظيماً له، فقال رسول اللّٰه ﷺ : «نحن أولى بموسى» وأمر بصومه [١].

وقد استدل ابن حجر العسقلاني بهذا الحديث على مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي على ما نقله الحافظ السيوطي، فقال: فيستفاد منه فعل الشكر للّٰه تعالىٰ على ما منّ به في يوم معيّن من إسداء نعمة، أو دفع نقمة ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة. والشكر للّٰه يحصل بأنواع العبادة، كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة، وأي نعمة أعظم من نعمة بروز هذا النبي نبي الرحمة في ذلك اليوم [٢].

٣ـ وللسيوطي أيضاً كلام آخر نأتي بنصه، يقول: وقد ظهر لي تخريج عمل المولد على أصل آخر، وهو ما أخرجه البيهقي عن أنس أنّ النبي ﷺ عقّ عن نفسه بعد النبوة مع أنّه قد ورد أنّ جده عبد المطلب عقّ عنه في سابع ولادته، والعقيقة لا تعاد مرة ثانية، فيحمل ذلك على أنّ الذي فعله النبي ﷺ إظهار للشكر على إيجاد اللّٰه إيّاه رحمة للعالمين وتشريفاً لأُمته كما كان يصلّي على نفسه، لذلك فيستحب لنا أيضاً إظهار الشكر بمولده بالاجتماع، وإطعام الطعام، ونحو ذلك من وجوه القربات وإظهار المسرّات [٣].

---

١ . صحيح مسلم : ١٥٠/٣ باب صوم يوم عاشوراء من كتاب الصيام.

٢ . الحاوي للفتاوي، للسيوطي: ١٩٦/١.

٣ . الحاوي للفتاوي، للسيوطي: ١٩٦/١.

٤ـ أخرج البخاري عن عمر بن الخطاب أنّ رجلاً من اليهود، قال له: يا أمير المؤمنين! آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتّخذنا ذلك اليوم عيداً. فقال: أيّ آية؟ قال: **﴿اليومَ أكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأتْـمَمْتُ عَلَيكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلامَ دِيناً﴾**[١].

قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم جمعة [٢].

وأخرج الترمذي عن ابن عباس نحوه وقال: فيه نزلت في يوم عيد من يوم جمعة ويوم عرفة، وقال الترمذي: وهو صحيح [٣].

وفي هذا الأثر موافقة عمر بن الخطاب على اتخاذ اليوم الذي حدثت فيه نعمة عظيمة، عيداً لأنّ الزمان ظرف للحدث العظيم، فعند عود اليوم الذي وقعت فيه الحادثة كان موسماً لشكر تلك النعمة، وفرصة لإظهار الفرح والسرور [٤].

نرىٰ أنّ المسيح عندما دعا ربه أن ينزل مائدة عليه وعلى حوارييه قال: **﴿اللّهمَّ ربَّنا أنْزِلْ عَلَينا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ تَكُونُ لَنا عِيدَاً لأوَّلِنا وَآخِرِنا وآيَةً**

---

١. المائدة: ٣.

٢. صحيح البخاري: ١٤/١ باب زيادة الإيمان ونقصانه من كتاب الإيمان، ٥٠/٦ تفسير سورة المائدة، وكما أخرجه الترمذي في ٢٥٠/٥، وفي الروايات المتضافرة أنّها نزلت في الثامن عشر من ذي الحجة في حجة الوداع.

٣. نفس المصدر.

٤. بلوغ المأمول، لعيسىٰ الحميري: ٢٩.

مِنْكَ وارْزُقْنا وأَنْتَ خَيرُ الرّازِقينَ»[١].

فقد اتّخذ يوم نزول النعمة المادية التي تشبع البطون عيداً، والرسول ﷺ نعمة عظيمة منّ بها اللّه على المسلمين بميلاده، فلم لا نتّخذه يوم فرح وسرور؟

إجماع المسلمين على تكريم مولده ﷺ

ذكروا أنّ أوّل من أقام المولد هو الملك المظفر صاحب اربل، وقد توفي عام ٦٣٠ هـ وربّما يقال: أوّل من أحدثه بالقاهرة الخلفاء الفاطميون؛ أوّلهم المعز لدين اللّه، توجّه من المغرب إلى مصر في شوال ٣٦١ هـ وقيل في ذلك غيره، وعلى أيّ تقدير فقد احتفل المسلمون حقباً وأعواماً من دون أن يعترض عليهم أيّ ابن أُنثى، وعلى أيّ حال فقد تحقّق الإجماع على جوازه وتسويغه واستحبابه قبل أن يولد باذر هذه الشكوك، فلماذا لم يكن هذا الإجماع حجة؟! مع أنّ اتفاق الأُمّة بنفسه أحد الأدلّة، وكانت السيرة قائمة على تبجيل مولد النبي ﷺ إلى أن جاء ابن تيمية، وعبد العزيز بن عبد السلام[٢]، والشاطبي فناقشوا فيه ووصفوه بالبدعة، مع أنّ الإجماع فيه انعقد قبل هؤلاء بقرنين أو قرون، أوليس انعقاد الإجماع في عصر من العصور حجة بنفسه؟

١. المائدة: ١١٤.

٢. هو عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي (٥٧٧ ـ ٦٦٠ هـ): فقيه شافعي، له من الكتب «التفسير الكبير» و «مسائل الطريقة» وغيرها. انظر أعلام الزركلي: ٢١/٤.

إلى هنا وقفت على أنّ شرعية الاحتفال بمولد النبي ﷺ يثبتها القرآن الكريم والسنّة النبوية واتفاق المسلمين ومن فارقهم فقد فارق الطريق المستقيم الذي لا عوج فيه، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ المؤمِنينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾[١].

وإليك الكلام في المسألة الثانية.

١. النساء: ١١٥.

٢

تكفير أهل القبلة

لا يصح تكفير فرقة من الفرق الإسلامية ما دامت تعترف بالشهادتين ولا تنكر ما يعد من ضروريات الدين التي يعرفها كل من له أدنىٰ إلمام بالشريعة وإن لم تكن له مخالطة كثيرة مع المسلمين. وعلىٰ ذلك فالبلاء الذي حاق بالمسلمين في القرون الماضية وامتد إلىٰ عصرنا الحاضر بلاء مبدِّد لشمل المسلمين أوّلاً، ومحرّم في نفس الكتاب والسنّة وإجماع المسلمين ثانياً، ومن المؤسف أنّ التعصّبات المذهبيّة الكلامية صارت أساساً لتكفير المعتزلة أصحاب الحديث والأشاعرة وبالعكس، وربما عمّ البلاء شيعة أئمة أهل البيت، فترىٰ أنّ بعض المتعصبين أخذوا يكفّرون الشيعة بأُمور لو ثبتت لا تكون سبباً للتكفير، فضلاً عن كون أكثرها تهماً باطلة كالقول بتحريف القرآن ونظيره وأنّ الثابت منها، مدعم بالكتاب والسنّة، ولأجل أن يقف القارئ على مدىٰ البلاء في العصور السابقة، نذكر ما يلي:

١ ـ قال ابن حزم عندما تكلم فيمن يُكفَّر ولا يكفَّر: وذهبت طائفة إلىٰ أنّه لا يُكفَّر ولا يُفسَّق مسلم بقول قال في اعتقاد، أو فتيا، وإنّ كلّ من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأىٰ أنّه الحق فإنّه مأجور علىٰ كل حال إن أصاب فأجران، وإن أخطأ فأجر واحد.

قال وهذا قول ابن أبي ليلىٰ وأبي حنيفة والشافعي وسفيان الثوري وداود بن علي، وهو قول كل من عرفنا له قولاً في هذه المسألة من الصحابة (رضي اللّٰه عنهم) لا نعلم منهم خلافاً في ذلك أصلاً [١].

٢ ـ وقال شيخ الإسلام تقي الدين السبكي: إنّ الإقدام علىٰ تكفير المؤمنين عسر جداً، وكل من كان في قلبه إيمان يستعظم القول بتكفير أهل الأهواء والبدع مع قولهم لا إله إلّا اللّٰه، محمد رسول اللّٰه، فإنّ التكفير أمر هائل عظيم الخطر (إلى آخر كلامه وقد أطال في تعظيم التكفير وتعظيم خطره) [٢].

٣ ـ وكان أحمد بن زاهر السرخسي الأشعري يقول: لمّا حضرت الشيخَ أبا الحسن الأشعريّ الوفاةُ بداري في بغداد أمرني بجمع أصحابه فجمعتهم له، فقال: اشهدوا علىٰ أنّني لا أُكفّر أحداً من أهل القبلة بذنب، لأنّي رأيتهم كلّهم يشيرون إلىٰ معبود واحد والإسلام يشملهم ويعمّهم [٣].

٤ ـ وقال القاضي الإيجي: جمهور المتكلّمين والفقهاء علىٰ أنّه لا يكفَّر أحد من أهل القبلة واستدل علىٰ مختاره بقوله: إنّ المسائل التي اختلف فيها أهل القبلة من كون اللّٰه تعالىٰ عالماً بعلم زائد على ذاته أو موجداً لفعل العبد، أو غير متحيز ولا في جهة ونحوها لم يبحث النبي عن اعتقاد من حكم بإسلامه فيها ولا الصحابة ولا التابعون، فعلم أنّ الخطأ فيها ليس قادحاً في حقيقة الإسلام.

---

١ . الفصل: ٢٤٧/٣.
٢ . اليواقيت والجواهر: ٥٨.
٣ . اليواقيت والجواهر: ٥٨.

ثم إنّ الإيجي ذكر الأسباب الستة التي بها كفّرتِ الأشاعرةُ المعتزلةَ، ثم ناقش في جميع تلك الأسباب وأنّها لا تكون دليلاً للكفر.

ثم ذكر الأسباب الأربعة التي بها كفّرتِ المعتزلةُ الأشاعرةَ وناقش فيها وأنّها لا تكون سبباً للتكفير.

ثم ذكر الأسباب الثلاثة التي بها تكفّر شيعة أهل البيت وناقش فيها وأنّها لاتكون سبباً للكفر [1].

والحقّ أنّ القاضي قد نظر إلىٰ المسألة بعين التحقيق وأصاب الحقّ إلّا في بعض المسائل. فقد ناقش في أسباب تكفير المجسمة وهو في غير محلّه والتفصيل لايناسب المقام.

٥ ـ وقال التفتازاني: إنّ مخالف الحق من أهل القبلة ليس بكافر مالم يخالف ما هو من ضروريات الدين كحدوث العالم وحشر الأجساد، واستدلّ بقوله: إنّ النبي ومن بعده لم يكونوا يفتشون عن العقائد وينبّهون علىٰ ما هو الحق.

فإن قيل: فكذا في الأُصول المتفق عليها.

قلنا: لاشتهارها وظهور أدلّتها علىٰ ما يليق بأصحاب الجمل.

ثم أجاب بجواب آخر وقال:

قد يقال ترك البيان إنّما كان اكتفاءً بالتصديق الإجمالي، إذ التفصيل إنّما

١. المواقف: ٣٩٢ ـ ٣٩٤.

يجب عند ملاحظة التفاصيل، وإلّا فكم مؤمن لا يعرف معنىٰ القديم والحادث.

فقد ذهب الشيخ الأشعري إلىٰ أنّ المخالف في غير ما ثبت كونه من ضروريات الدين ليس بكافر، وبه يُشعر ما قاله الشافعي ـ رحمه اللّه ـ لا أرد شهادة أهل الأهواء إلّا الخطابية لاستحلالهم الكذب.

وفي المنتقىٰ عن أبي حنيفة أنّه لم يكفِّر واحداً من أهل القبلة وعليه أكثر الفقهاء، ثم ذكر بعض الأقوال من الأشاعرة والمعتزلة الذين كانوا يكفّرون مخالفيهم في المسألة [1].

قال ابن عابدين: نعم يقع في كلام أهل المذهب تكفير كثير، لكن ليس من كلام الفقهاء الذين هم المجتهدون، بل من غيرهم ولا عبرة بغير الفقهاء، والمنقول عن المجتهدين ما ذكرنا [2].

ولعل بعض البسطاء يتصوّر أنّ العاطفة والمرونة الخارجة عن إطار الإسلام هي التي صارت مصدراً لهذه الفتيا، ولكنّه سرعان ما يرجع عن قضائه إذا وقف علىٰ الأحاديث المتوفرة الواردة في المقام الناهية عن تكفير أهل القبلة، وإليك سردها:

السنّة النبوية وتكفير المسلم

قد وردت أحاديث كثيرة تنهى عن تكفير المسلم الذي أقرّ بالشهادتين

---

١. شرح المقاصد: ٢٢٧/٥ ـ ٢٢٨.

٢. رد المختار: ٢٣٧/٤.

فضلاً عمّن يمارس الفرائض الدينية، وإليك طائفة من هذه الأحاديث:

١ـ «بُني الإسلام على خصال: شهادة أن لا إله إلّا اللّه، وأنّ محمداً رسول اللّه، والإقرار بما جاء من عند اللّه، والجهاد ماض منذ بعث رسله إلى آخر عصابة تكون من المسلمين ... فلا تكفّروهم بذنب ولاتشهدوا عليهم بشرك».

٢ـ «لاتكفّروا أهل ملّتكم وإن عملوا الكبائر» [١].

٣ـ «لاتكفّروا أحداً من أهل القبلة بذنب وإن عملوا الكبائر».

٤ـ «بُني الإسلام على ثلاث: ... أهل لا إله إلّا اللّه لا تكفّروهم بذنب ولا تشهدوا لهم بشرك».

٥ـ عن أبي ذر: أنّه سمع رسول اللّه ﷺ يقول: «لا يرمي رجل رجلاً بالفسق أو بالكفر إلّا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك».

٦ـ عن ابن عمر: إنّ رسول اللّه ﷺ قال: «من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما».

٧ـ «من قذف مؤمناً بكفر فهو كقاتله، ومن قتل نفساً بشيء عذّبه اللّه بما قتل».

٨ ـ «من كفّر أخاه فقد باء بها أحدهما».

٩ـ «إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فهو كقتله، ولعن المؤمن كقتله».

---

١. نعم الكبائر توجب العقاب لا الكفر.

١٠ـ «أيّما رجل مسلم كفّر رجلاً مسلماً فإن كان كافراً وإلّا كان هو الكافر».

١١ـ «كفّوا عن أهل لا إله إلّا اللّٰه لا تكفّروهم بذنب، فمن كفّر أهل لا إله إلّا اللّٰه فهو إلىٰ الكفر أقرب».

١٢ـ «أيّما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلّا رجعت عليه».

١٣ـ «ما أكفر رجل رجلاً قط إلّا باء بها أحدهما».

١٤ـ «إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما إن كان الذي قيل له كافراً فهو كافر، وإلّا رجع إلىٰ من قال».

١٥ـ «ما شهد رجل علىٰ رجل بكفر إلّا باء بها أحدهما، إن كان كافراً فهو كما قال، وإن لم يكن كافراً فقد كفر بتكفيره إيّاه».

١٦ـ عن علي عليه السلام : في الرجل يقول للرجل: يا كافر ياخبيث يافاسق ياحمار؟ قال: «ليس عليه حد معلوم، يعزر الوالي بما رأىٰ» [1].

١٧ـ حدثنا أُسامة بن زيد قال: بعثنا رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم سرية إلىٰ الحرُقات، فنذروا بنا فهربوا فأدركنا رجلاً فلما غشيناه قال: لا إله إلّا اللّٰه، فضربناه حتىٰ قتلناه فعرض في نفسي من ذلك شيء فذكرته لرسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «مَنْ لَكَ بِلا إله إلّا اللّٰه يوم القيامة؟» قال: قلت: يارسول اللّٰه،

---

١. هذه الأحاديث مبثوثة في جامع الأُصول: ١، و ١٠، و١١ كما أنّها مجموعة بأسرها في كنز العمال للمتقي الهندي: ج ١.

إنّما قالها مخافة السلاح والقتل، فقال: «ألا شققت عن قلبه حتىٰ تعلم من أجل ذلك أم لا ؟ مَنْ لَكَ بِلا إله إلّا اللّٰه يوم القيامة؟» قال: فما زال يقول ذلك حتىٰ وددت أنّي لم أُسلم إلّا يومئذ [1].

١٨ـ لما خاطب ذو الخويصرة الرسول الأعظم ﷺ بقوله اعدل، ثارت ثائرة من كان في المجلس ومنهم خالد بن الوليد قال: يارسول اللّٰه! ألا أضرب عنقه؟ فقال رسول اللّٰه ﷺ: «فلعله يكون يصلّي»، فقال: إنّه ربّ مصلٍّ يقول بلسانه ماليس في قلبه، فقال رسول اللّٰه ﷺ: «إنّي لم أُؤمر أن أُنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم» [2].

ما هو المقوّم للإسلام

إنّ دخول الإنسان في حظيرة الإسلام رهن الإقرار بالشهادتين والتصديق بالتوحيد والرسالة وفي بعض الروايات يضاف إليهما إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان ، وإليك الصنفين:

الصنف الأوّل، وهو ما اقتصر علىٰ إظهار الشهادتين:

١ ـ أخرج البخاري عن عمر بن الخطاب أنّ علياً صرخ: «يا رسول اللّٰه علىٰ ماذا أُقاتل الناس؟» قال ﷺ: «قاتلهم حتىٰ يشهدوا أنّ لا إله إلّا اللّٰه وأنّ

---

١. صحيح مسلم: ٦٧/١، باب تحريم قتل الكافر من كتاب الإيمان؛ سنن أبي داود: ٤٥/٣ برقم ٢٦٤٣؛ مسند أحمد: ٢٠٧/٥؛ سنن ابن ماجة: ١٢٩٦/٢ برقم ٣٩٣٠.

٢. صحيح مسلم: ١١١/٣ باب ذكر الخوارج وصفاتهم من كتاب الزكاة ؛ مسند أحمد: ٤/٣.

محمداً رسول اللّٰه، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلّا بحقها وحسابهم علىٰ اللّٰه» (١).

٢ ـ ما أخرجه الإمام الشافعي عن أبي هريرة أنّ رسول اللّٰه قال: «لا أزال أُقاتل النّاسَ حتىٰ يقولُوا: لا إله إلّا اللّٰه، فإذا قالوها فقد عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلّا بحقّها وحسابهم علىٰ اللّٰه» (٢).

٣ ـ روىٰ التميمي عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عن عليّ، قال: «قال النبي: أُمرت أن أُقاتل النّاس حتىٰ يقولوا لا إله إلّا اللّٰه، فإذا قالوا حرمت عليّ دماؤهم وأموالهم» (٣).

٤ ـ روىٰ البرقي مسنداً عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «الإسلام يحقن به الدم، وتؤدّىٰ به الأمانة، ويستحلّ به الفرج، والثواب علىٰ الإيمان» (٤).

٥ ـ وقال الإمام الصادق عليه السلام: «الإسلام شهادة أن لا إله إلّا اللّٰه والتصديق برسول اللّٰه، به حقنت الدماء، وعليه جرت المناكح والمواريث» (٥).

٦ ـ قال الإمام الشافعي: فأعْلَمَ رسولُ اللّٰه أنّه سبحانه فرض أن يقاتلهم حتىٰ يُظهِرُوا أنّ لا إله إلّا اللّٰه، فإذا فعلوا منعوا دماءهم وأموالهم إلّا بحقّها (٦).

٧ ـ قال القاضي عياض: اختصاص عصم النفس والمال بمن قال: لا إله

---

١. صحيح البخاري: ١٠/١، باب ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ من كتاب الإيمان؛ وصحيح مسلم: ١٢١/٧، باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢. الأُم: ١٥٧/٦، ١٥٨.

٣. البحار: ٢٤٢/٦٨.

٤. البحار: ٢٤٣/٦٨ ح٣.

٥. البحار: ٦٨/ ٢٤٨ ح٨.

٦. الأُم: ٢٩٦/٧ ـ ٢٩٧.

إلّا اللّه، تعبير عن الإجابة إلى الإيمان، أو أنّ المراد بهذا مشركو العرب وأهل الأوثان ومن لا يوحّد، وهم كانوا أوّل من دُعي إلىٰ الإسلام وقوتل عليه، فأمّا غيرهم ممّن يقرّ بالتوحيد فلا يكتفي في عصمته بقوله لا إله الاّ اللّه إذا كان يقولها في كفره وهي من اعتقاده، ولذلك جاء في الحديث الآخر: وأنّي رسول اللّه، ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة [1].

وأمّا الصنف الثاني فنأتي ببعض نصوصه:

٨ ـ ما أخرجه البخاري عن عبد اللّه بن عمر قال: قال رسول اللّه: «بُني الإسلام علىٰ خمس: شهادة أن لا إله إلّا اللّه وأنّ محمداً رسول اللّه، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم شهر رمضان» [2].

٩ ـ ما تضافر عن رسول اللّه ﷺ: «من شهد أن لا إله إلّا اللّه، واستقبل قبلتنا وصلّىٰ صلاتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم، له ما للمسلم وعليه ما علىٰ المسلم» [3].

١٠ ـ روىٰ أنس بن مالك عن رسول اللّه قال: «أُمرت أن أُقاتل الناس حتىٰ يقولوا لا إله إلّا اللّه وأنّ محمداً رسول اللّه، فإذا شهدوا ألّا إله إلّا اللّه و أنّ محمّداً رسول اللّه واستقبلوا قبلتنا، وأكلوا ذبيحتنا، وصلّوا صلاتنا، حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلّا بحقّها» [4].

---

١ . البحار: ٢٤٣/٦٨.

٢ . صحيح البخاري: ١ / ١٦، باب أداء الخمس، من كتاب الإيمان.

٣ . جامع الأُصول: ١٥٨/١ ـ ١٥٩.

٤ . جامع الأُصول: ١٥٨/١ ـ ١٥٩.

وهذه النصوص ـ وما أكثرها ـ تُصرِّح بأنّ ما تُحقَن به الدماء وتُصان به الأعراض ويدخل به الإنسان في عداد المسلمين ويتخيّم بخيمة الإسلام، هو الاعتقاد بتوحيده سبحانه ورسالة الرسول ﷺ ، وهذا ما نعبر عنه ببساطة العقيدة وسهولة التكاليف الإسلامية.

إذا عرفت هذين الصنفين من الروايات فاعلم أنّ الجميع يهدف إلىٰ أمر واحد وهو أنّ الدخول في الإسلام والدخول تحت مظلّته ليس بأمر عسير بل سهل جداً، وليس في الإسلام ما هو معقّد في المعارف، ولا معسور في الأحكام، وشتان بين بساطة العقيدة فيه، والتعقيد الموجود في المسيحية من القول بالتثليث وفي الوقت نفسه الاعتقاد بكونه سبحانه إلهاً واحداً.

وعلىٰ ضوء هذا البحث فالمسلمون في أقطار العالم إخوة بكل طوائفهم تربطهم شهادة التوحيد والرسالة فتحرم دماؤهم ونواميسهم وأموالهم وتحل ذبائحهم، وبالجملة فالكل مسلمون مؤمنون لهم من الأحكام ما للمسلم والمؤمن.

فهذه المنشورات التي تهدف إلى فصل طائفة من المسلمين باتّهامهم بالشرك ، أوراق ضالة مضلّة يُضرب بها عرض الجدار، ولا يقام لها في سوق الدين قيمة.

اللّهمّ إنّا نرغب إليك في دولةٍ كريمة تعزّ بها الإسلام وأهله وتذلّ بها النفاق وأهله.

جعفر السبحاني ٤ جمادى الأُولى ١٤١٦ هـ

رسالة إلى أحد السادة من العلماء المعاصرين

٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة السيد الجليل حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرجو من الله سبحانه لسيدي العزيز الصحة والعافية في هذا الشهر المبارك وما يتلوه من سائر الشهور، إنّه على ذلك قدير وبالإجابة جدير.

أمّا بعد ؛ فقد بلغني أنّ سماحتكم قد قرأتم ما قدّمتُه لكتاب «معالم الدين في فقه آل ياسين» لابن قطّان الحلّي ﷺ، ثمّ إنّكم أبديتم فيه ملاحظات أربع هي جديرة بالدراسة، وكانت الآراء على النحو التالي:

الأوّل: في عنوان مسألة التحسين والتقبيح حيث جاء في التقديم:

«إذا استقل العقل بحسن شيء أو قبحه مع قطع النظر عن كلّ شيء يترتّب عليه من المصالح والمفاسد».

تفضّلتم: أنّ الصحيح أن يقال: «إذا استقلّ العقل بحسن شيء أو قبحه مع قطع النظر عن أمر الشارع به أو نهيه عنه، لأنّ النزاع بين الأشاعرة والعدلية يدور على هذا المحور، فالأشاعرة تقول: الحسن ما حسّنه الشارع أو أمر به،

والقبيح ما قبّحه الشارع أو نهى عنه، ولا يدور على محور المصالح والمفاسد».

الثاني: جاء في المقدمة بعد الجملة المتقدمة:«فالشيعة على أنّه حجّة في الكشف عن حكم الشارع عليه بالوجوب والحرمة» فظاهر هذا الكلام انّ التحسين يلازم الوجوب والتقبيح يلازم الحرمة مع أنّ التحسين والتقبيح لا يلازمان الوجوب والحرمة، بل ربّما يتصادقان مع الاستحباب والكراهة.

الثالث: جاء في السيرة الذاتية لابن قطّان: إنّا لم نظفر بترجمة وافية في حقّه واقتصر في المقدمة بما ذكر، صاحب أمل الآمل مع أنّ الشيخ الطهراني ترجمه في طبقات أعلام الشيعة في الجزء الرابع(ص ١١٨).

الرابع: أنّه جاء في المقدّمة لفظة ابن زولان والصحيح «زولاق» و احتملتم أنّه من خطأ الطبّاع.

هذه جملة ما تلقّيناه من خلال الشريط المسجّل، على الرغم من أنّ الصوت كان منخفضاً.

وأستجيز من سماحة سيدنا العزيز أن أقدم إليه بعض الأعذار الّتي ربما تُخفِّف الوطء وتسلط ضوءاً على الموضوع:

أمّا الأوّل: فلا شكّ أنّ محط النزاع بين الأشاعرة والعدلية في أنّ الحسن والقبح هل هو عقلي ـ أي يدركه العقل بلا حاجة إلى الشرع ـ أو شرعي رهن السماع عن الشرع؟ فلم يكن هذا الأمر مغفولاً عنه، كيف وهو جوهر النزاع وأساسه؟! ومع ذلك نحن ركّزنا على شيء آخر، وهو أنّ قضاء العقل بالحسن

والقبح إنّما هو بالنظر إلى ذات الشيء لا بالنظر إلى المصالح والمفاسد المترتّبة عليه، وإنّما ركّزنا على الثاني مع أنّ المحور في الكتب الكلامية هو الأوّل، وذلك للأمر التالي:

اختلفت كلمتهم في ما هو الملاك للتحسين والتقبيح العقليّين، إلى أقوال:

١. موافقة الفعل للطبع وعدمها، فالأوّل يوصف بالحسن، والثاني بالقبح.

وأمّا ما هو المراد من الطبع، فهل المراد الطبع الحيواني أو الإنساني، السافل منه أو العالي؟!

٢. موافقة الأغراض والمصالح، فالعاقل يفعل لأغراض ومصالح، فكلّ فعل يؤمن مصلحة الفاعل فهو حسن، وما ليس كذلك فهو قبيح، والمراد من المصالح هو المصالح النوعية لا الشخصية، وهذا هو الّذي يظهر من كلام الشيخ الرئيس والمحقّق الطوسي والمحقّق الاصفهاني في تعليقته على «الكفاية» وتلميذه الجليل الشيخ المظفر في «أُصول الفقه».

٣. موافقة العادات والتقاليد. فموافقة الفعل للعادات ملاك الحسن وخلافها ملاك القبح . إلى غير ذلك من الأقوال.

ولكنّ المختار عند المحقّق اللاهيجي وتبعه الحكيم السبزواري أنّ ملاك التحسين والتقبيح هو ذات الفعل مع قطع النظر عن كلّ شيء، سواء أكان أمر الشارع أو نهيه، أو الأغراض الأعم من المصالح والمفاسد والتقاليد

والعادات، قائلين بأنّ العقل إذا لاحظ ذات العدل والظلم بما هي هي مع قطع النظر عن كون الفاعل كان واجباً أو ممكناً، يستقل بحسن الأوّل وقبح الثاني ويحكم بهما حكماً باتاً غير متردد، فالتحسين والتقبيح العقليان في العقل العملي كالبديهيات في العقل النظري.

وأمّا الآخرون فقد مرّ أنّ قسماً منهم جعلوا معيار التحسين والتقبيح العقليين هو الأغراض والمصالح، يقول المحقق الأصفهاني: إنّ التحسين والتقبيح العقليين ممّا تتوافق عليه آراء العقلاء للمصلحة العامّة وللمفسدة العامّة، فلا محالة لا يعقل الحكم على خلافه من الشارع، إذ المفروض أنّه من لا يختص به عاقل دون عاقل وأنّه بادي رأي الجميع لعموم مصلحته والشارع من العقلاء بل رئيس العقلاء.[1]

إنّ اتخاذ المصالح والأغراض النوعية ملاكاً للقضاء بأحد الوصفين وإن كانت تصلح أن تكون ملاكاً للحسن والقبح في أفعال الإنسان ولكنّها لا تصلح لوصف أفعاله سبحانه بالحسن والقبح، والمحرر في محله إنّ السبب من وراء طرح هذه المسألة في المسائل الكلامية هو الوقوف على أفعاله سبحانه وما يجوز عليه أو ما لايجوز، ومن الواضح أنّ فعله سبحانه فوق المصالح والأغراض التي لا تكون ملاكاً لوصف فعله بالحسن والقبح[2]، مثلاً أخذه سبحانه البريء بذنب المجرم يوم القيامة فعل قبيح ولا صلة له

---

١ . نهاية الدراية:١٢٨/٢، الطبعة الحجرية، وفي ذيل كلامه ما ينافيه. يُلاحظ النجاة، قسم المنطق:٦٣؛ وشرح الإشارات: ٢٢٠/١.

٢ . وهذا لا يعني أنّ أحكامه سبحانه ليست تابعة للمصالح والمفاسد.

بالمصالح والمفاسد، ولأجل ذلك يجب أن يكون الملاك شاملاً لأفعال الواجب والممكن. وليس إلّا كون الفعل بما هو هو ـ مع قطع النظر عن كلّ شيء ـ حسناً أو قبيحاً.

وبعبارة أُخرى: إنّ البحث عن الحسن والقبح العقليّين هو فوق مستوى البحث عن الحسن والقبح العقلانيين، فالملاك في الثاني هو ما مرّ آنفاً من موافقة الفعل للمصالح النوعية ومخالفتها، وهذا النوع من البحث بحث أخلاقي ويصلح أن تكون المصالح والأغراض رصيداً للحكم بالحسن والقبح في ذلك الإطار.

وأمّا الملاك في الأوّل الذي يعمّ الممكن والواجب، فهو ملاك أوسع من سابقه، لما اتّضح من أنّ فعل البارئ هو فوق مستوى المصالح والمفاسد النوعية.

وعلى كلّ تقدير فالتركيز على هذا المطلب لا يعني الغفلة عمّا هو أساس البحث، وهو أنّ الحسن والقبح ليسا رهن أمر الشارع ونهيه على خلاف ما زعمه الأشاعرة.

أمّا الثاني: فإنّ العقل في مجال إدراكاته يحكم بأحد الحكمين على وجه القطع والبت، فإذا أدرك حسن العدل يحكم بلزوم إتيانه، وإذا أدرك قبح الظلم يحكم بالانتهاء عنه، وليس عند العقل شيء حسن يجوز تركه، أو قبيح يجوز اقترافه، ولأجل ذلك ذكر المتكلّمون انّ الأحكام عند العقل منحصرة في الوجوب والحرمة، وأمّا انقسام الأحكام إلى الخمسة فإنّه تقسيم شرعي

صحيح في مقامه وهو خارج عن مجال إدراك العقل.

إنّ تقسيم الأحكام إلى الاستحباب والكراهة ليس بمناط الحسن والقبح بل بمناط آخر يختص بالشرع وهو وجود المصلحة غير الملزمة أو المفسدة غير الملزمة...ولو كان التقسيم بملاك الحسن والقبح فلا يتجاوز الاثنين، شريطة أن يكون الحسن والقبح عقليين لا عرفيين، ولا بملاك المصالح والمفاسد.

وعلى ضوء ما ذكرنا فإدراك العقل يدور حول الحسن والقبح وليس له إلّا حكمان، وهذا لا ينافي أن يكون للشرع أحكام خمسة لكن لا بمناط الحسن والقبح بل بمناط آخر ليس للعقل إليه سبيل.

وأمّا الثالث: فليس الغرض أنّه لم يترجمه سوى الشيخ الحرّ العاملي، كيف وقد ترجمه لفيف من العلماء وقد أشرنا إلى مصادر الترجمة في ذيل المقدمة بالنحو التالي: تنقيح المقال في علم الرجال: ١٣١/٣ برقم ١٠٨٤٦؛ إيضاح المكنون:٦٩٤/٢؛ أعيان الشيعة:٣٦٣/٩؛ طبقات أعلام الشيعة:١١٨/٤؛ معجم المؤلفين:٦٤/١٠؛ فهرست نسخه هاى خطى:٤١٤/١برقم ٣٩٩؛ ريحانة الأدب:١٥٧/٨؛ فرهنگ بزرگان:٥/٤؛ معجم دهخدا:٣٤٠/٢.

بل الغرض أنّ المترجمين لم يستوفوا حقه حتّى أنّ شيخنا الطهراني ـ أعلى الله مقامه ـ لم يذكر في حقّه إلّا بعض الكلمات مقرونة بالإشارة إلى بعض كتبه.

وأمّا الرابع: فالأفضل أن يقال أنّه من هفوات القلم.

وفي الختام نقدّم الرسالة مرفقة بكتاب «التحسين والتقبيح» ربما يجد سيدي الجليل فيه شواهد على صدق المقال.

ونحن نتقدّم إليكم بهذه الأعذار فإن قبلت فمن حُسن أخلاقكم وشريف أعراقكم، وإن رُدّت فمن قصوري أو تقصيري، وأسأل الله تبارك وتعالى أن يصوننا من الزلل في البيان والقلم، والعصمة لله ولأهلها.

جعفر السبحاني

١ رمضان المبارك ١٤٢٤هـ

رسالة إلى أحد السادة من العلماء المعاصرين

٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة السيد الجليل حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرجو من الله سبحانه أن يديم عليكم ثوب الصحّة والعافية، ويوفّقكم فيما قمتم به من مشروع المدرسة الفقهية الّتي نتمنّى أن يتربّىٰ فيها جيل كبير يحمل راية الاجتهاد الصحيح في المستقبل إن شاء الله.

أبلغني أحد طلبتكم بأنّ سماحتكم أشكلتم على استدلالنا بالآية المباركة: **﴿وَلَوْلاَ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَمَعارِجَ عَلَيْها يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْواباً...﴾**.[1]

على أنّ البيت لا ينفك عن السقف، وتفضّلتم حسب ما حكاه السيد العزيز بأمرين:

١. الزخرف: ٣٣ ـ ٣٤.

١. انّه لو أمر الآمر بإنشاء دار فيه سرداب، فهو لا يدلّ على أنّ كلّ بيت فيه سرداب.

٢. قوله سبحانه: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً﴾[١] ولم يكن له سقف... .

نعود إلى بيانكم السامي بالتعليق التالي:

البيت كما نص عليه اللغويون، ومنهم ابن فارس في «معجم مقاييس اللغة» هو المأوى والمآب ومجمع الشمل، ومن المعلوم أنّ المأوى ومجمع العائلة لا يخلو عن سقف، فإنّ الجدران الأربعة بلا سقف لا تصون الإنسان عن الحر والبرد، والغاية من الحلول في البيت هو الاستراحة وتجنّب الحر والبرد.

وقال ابن منظور في «اللسان»: الخباء بيت صغير من صوف أو شعر، فإذا كان أكبر من الخباء فهو بيت، ثمّ مِظَلَّة إذا كبرت عن البيت، وبيت الرجل داره وبيته قصره.[٢]

فالخباء، لا ينفك عمّا يُظلل، فإذا كبر مع هذا الوصف يكون بيتاً، فإذا كبر يسمّى مظلّة.

هذا حسب اللغة.

وأمّا كيفية الاستدلال بالآية المباركة على أنّ البيت لم يكن ينفك عن

١. آل عمران:٩٦.

٢. لسان العرب:١٤/٢.

السقف يوم ذاك فهي متوقفة على إيضاح مفاد الآية السابقة، وهو كالتالي:

«لولا أن يجتمع الناس على الكفر حينما يروا تنعّم الكافرين وحرمان المؤمنين، لجعلنا لبيوتهم سقفاً من فضة، ودرجات يصعدون عليها إذا أرادوا الظهور عليها وجعلنا لبيوتهم أبواباً من فضة».

ولكنّه سبحانه لم يفعل ذلك لئلا يجتمع الناس على الكفر، بمشاهدة انّ الكفّار يتمتعون بزخارف الدنيا. والإمعان في الآية وما بعدها يثبت أنّ بيوت عامّة الناس ومنهم من يكفر بالرحمن كانت تشتمل على :

ـ السقف.

ـ و الباب.

وكان مادتهما غير الفضة. فلولا مخافة اجتماع الناس على الكفر لجعل سبحانه سقف بيوتهم وأبوابها من الفضة.

فلو دلّت الآية على شيء فإنّما تدلّ على أنّ السقف والباب يلازمان الدار يوم ذاك، ولم يكن هناك دار بلا سقف ولا باب. فيكون ذلك قرينة على تفسير قوله سبحانه: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾[1]، على أنّ المراد بالبيوت، هو غير المساجد، إذ لا يشترط فيها السقف، بخلاف البيت فإنّه يلازم السقف.

وأمّا ما تفضّلتم به حسب ما سمعناه من السيد الجليل من أنّ البيت في

---

١ . النور:٣٦.

قوله سبحانه: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ كان فاقداً للسقف، فهو غير ظاهر من الآية إذ لا تدلّ على أنّه كان فاقداً للسقف عند البناء.

إلّا إذا كان في تاريخ بناء البيت تصريح بذلك، فيكون إطلاق البيت عليه من باب مجاز المشارفة.

على أنّ في الروايات أحكاماً لسطح الكعبة.

فقد عقد الشيخ الحرّ العاملي باباً في الوسائل أسماه «حكم الصلاة على ظهر الكعبة» وجاء في إحدى روايتيه عن الصادق عن آبائه عليهم السلام في حديث المناهي: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الصلاة على ظهر الكعبة.

وفي رواية أُخرى عن الرضا عليه السلام في الذي تدركه الصلاة وهو فوق الكعبة....[1]

هذا ما قدّمته لسماحتكم عسى أن تُبدوا رأيكم السامي حوله، مدّ الله في عمركم، وعمّر بكم مدارس الفقه والفقاهة، وحفظكم من كلّ سوء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

جعفر السبحاني

الخميس ٢٤ ذي القعدة الحرام ١٤٢٥ هـ

---

١. وسائل الشيعة: ٤ / ٣٤٠، الباب ١٩ من أبواب القبلة.

رسالتنا إلى سماحة السيد محمد حسين فضل الله دام ظله

٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة العالم الجليل حجّة الإسلام والمسلمين

السيّد محمّد حسين فضل اللّه دام ظلّه

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته

أرجو من اللّه سبحانه لكم دوام الصحّة، والتوفيق المطّرد في ما ترومونه من خدمات صالحة للدين الحنيف والمجتمع الإسلامي.

لا شكّ أنّ سماحتكم ممّن توفّرت فيه المواهب الفكرية والعلمية التي تتجلّى في آثاركم المنتشرة ومحاضراتكم القيّمة في المؤتمرات الإسلامية، ولا شكّ أنّ هذه المواهب من ذخائر المسلمين. أنّكم تحيطون علماً بأنّ في الساحة الإسلامية خصوصاً بين الشباب في الجامعات مسائل فكرية وعلمية تتطلب أجوبة علمية مقنعة، ولا يقوم بها إلّا الأمثل فالأمثل من علماء الإسلام، ومنهم فضيلتكم.

فإنّه لم تزل الأساتذة في الجامعات يثيرون هذه الأسئلة وقد كتب الغربيون حولها كتباً ورسائل عديدة وكثيرة، منها:

١. هل المعرفة البشرية تتجاوز حدّ الحس والمادة أو لا؟

٢. هل الدين يوافق الحرية الفكرية أو أنّه يعارضها ويقضي عليها أو يعرقل حركتها؟

٣. هل الدين ظاهرة مادية حدثت في المجتمع غبّ عوامل كالجهل بالعلل الطبيعية، أو ضغط الإقطاعيين والرأسماليين على الفلاحين والعمال، أو عوامل أُخرى كالجنس وغيره من الأُمور المذكورة في كتب الماديين؟

٤. هل الدين أمر إحساسي شهودي لا يخضع للبرهان، أو أنّه أمر عقلي برهاني خاضع له؟

٥. ماذا نفعل في مجال معارضة العلم مع الدين، مع أنّ الفروض العلمية ربما تعارض مقرّرات الدين أحياناً؟

٦. ما هي صيغة الاقتصاد الإسلامي على وجه التفصيل، وما هي الحلول الإسلامية للأزمات الراهنة في هذا الصعيد؟

٧. ما هي صيغة الدولة الإسلامية بين الصيغ المختلفة؟

٨. إذا كان الدين الإسلامي ديناً جامعاً فما هي صيغة سياسته الخارجية؟

٩. لقد ظهر في ميدان التجارة العالمية شركات عملاقة باعتبارات مختلفة ذكرها الفقه الوضعي وليس لها في الفقه الإسلامي أي أثر، وفي الوقت نفسه تطلب حلولاً من منظار فقهي يعبر عن موقف الإسلام تجاهها وقد ألف في ذلك المضمار شيء يسير لا يسمن ولا يغني.

١٠. إنّ الفقه الوضعي ككتاب «الوسيط» للسنهوري المصري يليق بأن يدرس من منظار شيعي؟

والقيام بهذه الوظائف يتطلب جهداً حثيثاً وأذهاناً منوّرة.

إلى غير ذلك من شبهات للمستشرقين الحاقدين في حياة الأنبياء والأولياء، إلى شبهات للوهابيين المتزمتين، إلى تصادمات مع الصوفية التي تخدع شبابنا بمرونتهم في قضايا الحياة.

أو ليس من الفريضة على أمثالكم، الاشتغال بهذه المباحث في إطار تربية جيل واع قادر على حلّ هذه المشاكل الخطيرة، تحت رعايتكم؟ وقد قال النبي ﷺ لعلي عليه السلام: «إذا اشتغل الناس بالنوافل فاشتغل أنت بالفرائض».

فهذا يفرض عليكم إيقاف البحث حول «الباب» و «الجدار» و المسائل التي توجب صدعاً في الصف الشيعي أوّلاً، وتُفرح العدوّ المتربِّص ثانياً.

فرجاؤنا الأكيد الاهتمام بما هو من الأمراض والأدواء الأصلية التي تُضَعْضِع الكيان الإسلامي وتهدد المسلمين، بل الإلهيين قاطبة في صميم عقيدتهم.

وشهيدي الله إنّي إنّما قمت بكتابة الرسالة أداء للوظيفة وخدمة للوحدة، وتوقيراً لمقامكم، وصيانة لشخصيتكم، وتقبلوا فائق احترامي.

تحريراً في ٢٠ شعبان المعظم ١٤١٧ هـ

جعفر السبحاني

رسالتنا إلى السيد محمد باقر الحكيم قبل شهادته [١]

٦٦

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله السيد محمد باقر الحكيم حفظه الله ورعاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد: نلفت نظركم الكريم إلى الأُمور التالية:

١. لقد سبق ان طلبتم منّا كتابة كتاب حول «التوحيد والشرك»، وقد وفقنا الله لذلك، وها نحن نرسل نسخة منه لنشره في العراق، لأنّنا سمعنا بوجود حاجة إلى مثله.

٢. سمعنا أنّ قبر المرحوم الكليني ﷺ مؤلّف الكافي، في معرض الاندراس، فيرجى التحقيق في ذلك والاهتمام بتجديده وإبرازه، لما في ذلك من إحياء لرموز الشيعة وتراثهم.

---

١ . رسالة بعثناها إلى العالم المجاهد آية الله السيد محمد باقر الحكيم ﷺ قبل استشهاده بأشهر، وقد أخبرني بعض أرحامه، بأنّ الرسالة قد وصلت إليه، ولكن الظروف القاسية لم تمهله لإنجاز ما اقترحت عليه حيث استشهد بيد جلاوزة الكفر والعدوان، ولقى ربّه مضمّخاً بدمه، أمام حرم جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

٣. يرجى الاهتمام بقبور السفراء (النواب) الأربعة في بغداد، والظروف اليوم كما نعتقد مناسبة لذلك.

٤. لقد قام سماحة الإمام الحكيم والدكم المعظم ـ طاب ثراه ـ بتأسيس مكتبات في العراق، فالمأمول أن تهتموا بتفعيل دور هذه المكتبات واتّخاذها مراكز للتحقيقات الدينية وبخاصة المكتبة الأُم في النجف الأشرف.

جعفر السبحاني

٢٧ ربيع الثاني ١٤٢٤ هـ

ملاحظات حول كتاب «صاحب الغار أبو بكر أم رجل آخر»

٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الخطيب المِصْقَع والواعظ المفوّه
السيد صالح الخونساري دامت معاليه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قد نزلت عند رغبتكم فتصفحت كتاب «صاحب الغار أبو بكر أم رجل آخر»، تصفحاً إجمالياً، شكر الله مساعي المؤلف حيث شق طريقاً خاصاً في التحقيق حول المسائل المسلمة بين الفريقين. وهو طريق جديد يعلمنا أن كثيراً من الشُهرات يمكن أن لا يكون لها واقع .

ومع تقديري للمؤلف عندي ملاحظات بسيطة هي:

١. في الاسم حيث يقول «أم رجل آخر» والصحيح (أو رجل آخر) لأن «أم» يأتي بعد همزة التسوية؛ أو همزة قائمة مكان «أيّ» يقول ابن مالك:

وأم بها أعطف بعد همز التسوية   أو همزة عن لفظِ أيّ مغنية

وليس في الكلام تلك الهمزة إلا أن تكون مقدّرة، كما هو الظاهر.

٢. أن المؤلف قد خلط بين الأدلة القوية على عدم حضور أبي بكر في

الغار وما ليس له دلالة على ذلك.

مثلاً قول عائشة لم ينزل فينا القرآن، دليل قويّ، أو أن القافة رأوا أثر رجل النبي ﷺ ولم يروا أثر رجل أبي بكر، إلى غير ذلك من الأُمور الّتي أوردها وهي جيدة.

ولكنه استدل بأُمور أُخرى لا تدل على ما يريد، نذكر من باب المثال:

١. نظر القرشيون في غار جبل الثور الصغير ولم يشاهدوا أحداً قالوا: ما في هذا الغار أحد. أي أمعن القرشيون النظر في داخل الغار ولم يشاهدوا أحداً[١].

فلو دل عدم الرؤية على عدم مشاركة أبي بكر مع النبي في السفر لدّل على عدم وجود النبي في الغار أيضاً.

٢. عدّ المؤلف قول عمر يوم السقيفة: كانت بيعة أبي بكر فلتة، دليلاً على عدم المشاركة[٢]، وفي الدلالة خفاء جدّاً. لأن قول عمر ناظر إلى أن خلافة أبي بكر لم تكن مُعدّةً من ذي قبل وانما انتخب بلا مشورة فكيف يكون ذلك دليلاً على عدم المشاركة.

نعم عدم احتجاجه بالمصاحبة مع النبي في الغار، في السقيفة ربما يومئ إلى أنّه لم يكن شريك النبي في السفر والا لاستند إليه.

نضيف إلى ذلك أن الراعي أبا عبد الله بن بكر كان راعياً متظاهراً بالكفر

١. الكتاب المذكور: ١٠٨.

٢. نفس المصدر: ١١٥.

فلم يكن له أي حاجة للاختفاء في الغار. حتى يكون هو ثاني اثنين غاية الأمر إذا سألوه عن مكان النبي بوسعه أن يتجاهل ذلك ويدعي عدم رؤيته هناك.

وهناك نقاش أدبي وذلك لأن لفظة سأل يتعدى إلى المفعول الأوّل بدون استعانة بحرف جر يقول تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ ﴾[1] ولكن المؤلف يقول: فقد سأل ابن الكواء من الإمام علي عن الذاريات، ص ٢٥٧ والصحيح الأمامَ علياً.

وفي ص ٢٦١ يقول: وكيف يقدم عمر على السؤال من كعب عن صلاحية عليٍّ، والصحيح: كيف يقدم عمر على سؤال كعب عن صلاحية علي.

وفي ص ٢٨٧ تكرر هذا الاشكال: وسأل عمر من كعب الاحبار عن الشعر والصحيح سأل عمر كعب الأحبار.

وفي ص ٢٩٥ يقول: وسأل عمر من كعب الأحبار.

ولكن هذه المناقشات جزئية لا تحط من مكانة الكتاب... وجدارة التحقيق وشق طريق جديد للمتأخرين أن لا يغتروا بالمشهورات.

والله من وراء القصد

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

جعفر السبحاني

١ ذي القعدة ١٤٢٥ هـ

---

١. البقرة: ١٨٩.

رسالتنا إلى السيد جعفر مرتضىٰ العاملي

٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة أخي العزيز الحجّة

العلّامة السيد جعفر مرتضى العاملي دامت بركاته

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أمّا بعد؛

أرجو من الله سبحانه أن تكونوا في صحة وعافية.

استلمت بيد التكريم هديتكم السنيّة «تفسير سورة هل أتىٰ» بجزأيه وقد عشتُ معه فترة فأعجبني استيعاب البحث في عامة ما يرجع إلى تلك السورة.

ولا عجب لأنّ سماحتكم تستوفون البحث في كلّ موضوع تبحثون فيه. وهذا الأثر القيّم كسائر آثاركم سيبقىٰ خالداً مشعاً.

ولي اقتراح في هذا الصدد، ألا وهو تفسير ما نزل من الآيات حول أهل

البيت عليهم السلام تفسيراً جامعاً، ولعلّكم بذلك العمل تسدون فراغاً في المكتبة الإسلامية وسيكون بديعاً في موضوعه.

وفي الختام أرجو أن لا تنسونا من صالح دعواتكم كما أرجو إبلاغ سلامي إلى أخيكم العزيز مرتضى العاملي.

ودمتم ذخراً للإسلام والمسلمين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

جعفر السبحاني

٣ ربيع الثاني ١٤٢٧ هـ

رسالة إلى الدكتور عبدالعزيز حسن

٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الدكتور عبدالعزيز حسن دام توفيقه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نرجو من الله سبحانه أن تكونوا وجميع أفراد العائلة في صحة وعافية، وأن يرعاكم الله بحفظه ويوفقكم لكل خير.

نشكركم على ما ترسلوه إلينا من كتب نافعة للمؤسسة خدمة للدين والمذهب.

نوّد أن نخبركم بأنّ مؤسسة مبرة الآل والأصحاب هي مؤسسة وهابية اتخذت هذا العنوان خداعاً لأبناء الشيعة وتمويهاً للحقيقة وادعاء منهم أنّهم يحبون الآل كالشيعة، ولكنهم في كتبهم يرتكبون جريمتين:

أوّلهما: التبليغ للوهابية حتّى في غلاف الكتاب ـ بالاضافة إلى ما في ثناياه فتجد فيه قد نقل دعاء الإمام الباقر عليه السلام بالنحو التالي: اللهم من كانت له

حاجة هاهنا وهاهنا، فإنّ حاجتي إليك وحدك لا شريك لك.

وقد أخذه في ثنايا الكتاب ذريعة للتفكير الوهابي، فقال في ص ٢٣٨: وقارن بين ذلك وبين من يدعي اتباع وحب آل البيت ويطلب حاجاته من غير الله.

والجريمة الثانية: هو أنّه يبحث في كتب الشيعة ويأتي بالروايات المتشابهة والتي لم تثبت عند أعاظم العلماء ويطرحها كمسلمات ويتخذها ذريعة للرد على الشيعة.

ولس المجال واسعاً حتّى أذكر خداعات القوم في هذا الكتاب ومانشر باسم مبرة الآل والأصحاب.

ثم تجده يسعى لتنزيه كل الصحابة وتطهيرهم وكأنّه لم يسمع كلام الله تعالى حينما يقول: **﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾**[1] فمن هذا الفاسق من بين أصحاب النبي ﷺ.

وكأنّه لم يسمع قوله تعالى: **﴿وَ إِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَ مِنَ التِّجَارَةِ﴾**[2].

أو كأنّهم لم يسمعوا قول الله سبحانه: **﴿وَ طَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾**[3] الوارد في غزوة أحد.

---

١. الحجرات: ٦. ٢. الجمعة: ١١.

٣. آل عمران: ١٥٤.

أو قوله سبحانه: ﴿لَوْلاَ كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

إلى غير ذلك من الآيات التي ذكرت الصحابة وقيّمت عملهم.

فعلى الغيارى من علماء الكويت رصد هذه الكتب والتصدي بالرد عليها وتنبيه الشباب على الخدع والتضليل الموجود فيها.

فلو كان هؤلاء صادقين في حبهم فلماذا لم يطبقوا عملهم في مورد واحد وفق مرويات أهل البيت عليهم السلام من الطهارة إلى الديات.

فلو كانوا صادقين في حبهم فلماذا يحتفلون يوم عاشوراء ويقيمون الأعراس في بعض البلدان، والتي رأيتها بأُمّ عيني، إلى غير ذلك من أشكال الخروج عن منهج الحق.

فدع عنك نهباً صيح في حجراته ... ولكن حديثاً ما حديث الرواحل

وفي الختام بلغوا تحياتنا إلى كافة من حولكم من العلماء الذابين عن الإسلام والتشيّع أخطار الأعداء.

وبلغوا تحياتي الخاصّة لجميع أفراد العائلة والأحباء والأصدقاء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

جعفر السبحاني

١٢ جمادى الأُولى ١٤٢٩ هـ

---

١. الأنفال: ٦٨.

٧٠

نصّ إجازتنا إلى السيد الفاضل عبدالستار البغدادي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الّذي فضّل مداد العلماء على دماء الشهداء، وجعلهم ورثة الأنبياء وصيّر أجنحة الملائكة مواطئ لأقدامهم.

أمّا بعد؛ فإنّ العلّامة الأديب، الشاعر المُفْلِق، النسابة الزاهد، السيّد عبدالستّار بن درويش الحسني البغدادي ـ حفظه الله ـ ممّن يشار إليه بالبنان، بين الأماثل والأقران، فقد حضر بحوثنا في الفقه وأُصوله سنين متمادية، وحرّر شيئاً كثيراً، شكر الله مساعيه.

وقد وقفت طيلة حضوره في أبحاثنا على طول باعه، وتوقّده في ردّ الفروع إلى الأُصول، وبلوغه درجة الاجتهاد، فله العمل بما استنبط من الأدلة الشرعية حسبما كان السلف الصالح (رضوان الله عليهم) عليه.

أسأل الله أن يوفّقه لما فيه رضاه، ويرزقه حسن العاقبة ولا ينساني من حسن دعواته، كما لا أنساه.

حرّره

جعفر السبحاني

٢١ صفر المظفر ١٤٢٨ هـ

رسالة إلى المهرجان الأدبي في دمشق

٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات السادة الأعزّاء المشاركين في المهرجان الأدبي

السلام عليكم و رحمة الله وبركاته

لقد وافتنا رسالة تدعونا للمشاركة في المهرجان الأدبي الذي يقام في اليومين الأوّل والثاني من شهر جمادى الأُولى ١٤٠٩هـ في دمشق تحت عنوان «أهل البيت في الشعر العربي والعالمي».

ويتناول بشكل خاص صدور «ملحمة أهل البيت الكبرى» للشاعر الكبير الشيخ عبد المنعم الفرطوسي ﷺ .

وجاء في نصّ الرسالة انّ المركز يتولّى طبع جميع النتاجات التي تلقى في المهرجان أو التي تقدّم له على شكل بحوث ودراسات مستقلة.

ونحن نقدّر هذه الخطوة المباركة التي فيها إحياء لذكرى أهل البيت عليهم السلام وذكرى محبّيهم في أقطار العالم. ويؤسفنا أنّ الموسم الدراسي في

جامعة قم حال بيننا و بين الحضور في المهرجان، غير أنّا نشارك الإخوة الكرام ببعث هذه الرسالة مرفقة بقصيدة في مدح النبي ﷺ ، من البحر الكامل من البحور العروضية، لأحد الأفذاذ من علماء إيران ألا و هو الشيخ عبد الصمد التبريزي «الخامنئي» المتوفّى عام ١٣١١هـ ق، وله ديوان فيه قصائد كثيرة في مدح أهل البيت عليهم السلام وذكر مصائبهم و ما ألمّ بهم من كوارث و محن.

واقتبسنا من ذلك الديوان لاميته المعروفة بـ«لامية الترك»، لأنّ الشاعر تركي اللسان وُلد ونشأ في آذربيجان إحدى محافظات إيران الغربية. قرأ الأوّليات من العلوم في مسقط رأسه وبعد ما وصل إلى مرتبةمن العلم والفضل هاجر إلى النجف الأشرف وأخذ يتردد على أندية دروس أساتذتها العظام. وقد اتصل في تلك البلدة الزاخرة بالعلم والأدب بأُدبائها وشعرائها المعروفين في القرن الثالث عشر، فانقدح بذلك كامن شعوره وتفجرت قريحته وطاقاته الأدبية، فأخذ ينظم قصائده الباهرة ويجاري أُدباءها وشعراءها. حتى أنّه ما نسي تلك المعاهد بعد ما هبط موطنه وعاد يتشوق لها ويقول مخاطباً صاحب البلدة.

يا سَيّداً فاقَ أربابَ النُّهى شَرفاً
وسادَ أهلَ المعالي الغُرَّ والشُّرَفا

لم أنسَ عَهدَك بالوادي المقدَّسِ يا
لَهفي على العَهدِ والوادي وما سَلفا

قَدْ فاضَ جَفناي حتى جفَّ دمعُهما
بعدَ النوى عن صُحَيبٍ أُسكنوا النَّجفا
يـا راكـبيْ نـاقةٍ وجـناءَ نـاشطة
عـرجـا بـأرضِ غـريٍّ سـاعة وقِفا
عـليكَ مـنّي سـلامي ما حييتُ فـها
وادي السـلام يـباهي مـروةً وصـفا

فها أنا ذا أبعث إليكم قصيدته اللامية في مدح النبي الأكرم ﷺ يجاري فيها اللاميتين المعروفتين بين الأُدباء والشعراء.

لامية العرب للشنفري ابن الآوس اليماني (المتوفّى عام ٥١٠ م) ومطلعها:

أقيموا بني أُمي صدور مطيكم فإنّي إلى قوم سواكم لأميل

وقد شرحها الزمخشري و أسماه: أعجب العجب في شرح لامية العرب.[١]

وقد روي في المجامع الأدبية عن النبي ﷺ أنّه قال: «علّموا أولادكم لامية العرب فإنّها تعلّمهم مكارم الأخلاق».

ولامية العجم لمؤيد الدين الاصفهاني المعروف بالطغرائي: يقول ابن خلّكان: كان غزير الفضل، لطيف الطبع، فاق أهل عصره بصنعة النظم والنثر.

---

١. كشف الظنون: ٢ / ٣٤٩.

قتل عام ٥١٥هـ ق، و من محاسن شعره قصيدته المعروفة بلامية العجم، وقد عملها ببغداد يشكو زمانه وهي التي أوّلها:

أصـــالة الرأي صـــانتني عـــن الخـــطل
وحـــلية الفـــضل زانـــتني لدى العـــطل
مـــجدي أخـــيراً ومـــجدي أولا شـــرع
والشمس رأد الضحى كالشمس في الطـفل[1]

وجاء بعض الحكم في هذه القصيدة:

١. حب الســلامة يــثني هــم صاحبه
عــن المـعالي ويـغري المـرء بـالكسل
فـــإن جـــنحت إليـــه فـاتخذ نـفقاً
في الأرض أو سلماً فـي الجـوّ واعـتزل
ودع غـــمار العــلا للــمقدمين عــلى
ركـــوبها واقـــتنع مـــنهن بـــالبلل

٢. لو أنّ في شرف المأوى بلوغ مُنىً
لم تـبرح الشـمس يـوماً دارة الحـمل

٣. وشأن صدقك عـند النـاس كـذبهم
وهـــل يـــطابق مـــعوج بـمعتدل

٤. مـلك القـناعة لا يـخشى عـليه ولا
يـحتاج فـيه إلى الأنـصار والخـول

---

١. وفيات الأعيان: ٣ / ١٨٥ رقم الترجمة ١٩٧.

٥. ترجوا البقاء، بدار لا ثبات لها
فهل سمعت بظل غير منتقل[١]

***

وأمّا لامية شاعرنا المترجم، فإليك نقلها من ديوانه المخطوط المحفوظ بين أُسرة الشاعر.[٢] نقدمها للمحتفلين الكرام حتى تكون انموذجاً واضحاً لازدهار الأدب العربي في تلك البلدة منذ أواخر القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر، والقصيدة من بحر الكامل:

في مدح النبي الأعظم ﷺ

[بحر الكامل]

أمَروا بِسُلواني غَداةَ تَرحَّلوا
هَبْ أنّهم أمَروا فَمنْ ذا يَفعلُ؟
لا القلبُ يَسلو عَنْ هَواهُ ولا الهوى
عَنْ ساحةِ القَلبِ المتيَّمِ يَرحل
ما هُنيتي بعدَ النَّوى[٣] إلّا العَنا
يا موتُ زُرْني إنّني لكَ أمْيَل

١. وفيات الأعيان: ٢ / ١٨٥ رقم الترجمة ١٩٧.
٢. طبع هذا الديوان ونشر من قبل مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام سنة ١٤١٤ هـ ق تحت عنوان «مقتطفات من ديوان أديب العلماء الشيخ عبد الصمد الخامنئي ومختارات من أشعار معاصريه».
٣. النوى: البعد.

ما الصَبرُ بعدَ البُعدِ يحلو كاسمِهِ   كَلّا وهلْ صَبرٌ حَلى أو حَنظَلَ
والعينُ تَهمي مِنْ مآقيها دَماً   أسفاً ونيرانُ الجوانِحِ تُشعلُ
سَلْ مَن أراقَ دمي بصارمِ جَفنِهِ   هَلّا يَرِقُّ وقدْ بَكتني العُذَّل
ظبيٌ يَصيدُ بدَلِّهِ أُسدَ الشرىٰ [١]   بدرٌ بطَلعتهِ الكواكبُ تَخجل[٢]
فالوجهُ منهُ رواهُ صبحٌ مُسفرٌ   والصدغُ[٣] منهُ حكاهُ ليلٌ ألْيَل
إنْ رامَ قتلي في الغَرامِ فأنّ لي   بغرامِهِ قسماً يَطيبُ المقتلُ
يا مُخجِلاً بَدرَ التَّمامِ بحُسنِهِ   ما لي أراكَ مِنَ النَّواظِر تَخجَلُ
ومِنَ العَجائبِ أنّني لكَ باذِلٌ   نفسي وأنتَ برَشفِ ثغرِكَ تَبخلُ
جُدْ لي بوصلِ هُنَيهةٍ أفلا ترى   قَلبي لوصلِ هُنَيهةٍ يَتغلغلُ
ويلٌ لمن شربَ المُدامَ محرماً   ومدامُ فيكَ لشاربيهِ مُحلّلُ
يا بابليَّ الطرفِ هل بكَ علّةٌ   أمْ طرفكَ الفتّانُ لي يتعلّلُ
كم علّلتني فيكَ أحلامُ الكَرى   فإلى مَ بالأحلامِ فيكَ أُعلَّلُ
أحرِقْ بنارِ الشوقِ كلَّ جوارحي   إلّا الفؤادَ فإنّهُ لكَ منزلُ
تسري كبدرِ التمِّ سبحانَ الّذي   أسرى ببدرٍ في سناهُ يضللُ

١. الشرى: محل للأُسود في جانب الفرات، يضرب به المثل في قوة أُسوده.
٢. وفي نسخة على الهامش بدل الشطر الأخير يقول: (يحيي القلوب بمقلتيه ويقتل).
٣. الصدغ: ما بين العين وأصل الأُذن. والشعر المتدلي على هذا المحل يسمّى صدغاً.

صيَّرتَ لي طيبَ الرقادِ مُحرماً ودمي تُبيحُ لقاتلي وتحلَّلُ
يا أيُّها الحادي رويدكَ راجلاً يَسعى وراءَ حبيبهِ ويُهرولُ
قد شابَ في شرخِ الهوى لمْ يدّخرْ زاداً ليومِ غدٍ عَلَيهِ يُعوَّلُ
إلّا مديحَ محمدٍ خيرِ الورى نِعمَ المزادُ وخيرُ زادٍ يُحملُ
أنشأتُهُ مُستجدياً أرجو بهِ في النشأتينِ جَوائزاً وأؤمِّلُ
إنْ كنتُ أعجمَ في اللسانِ فإنّما لقريحتي قسٌّ يَدينُ وجرولُ [1]
فالطبعُ يُعربُ عن فصاحةِ كلمةٍ عربيةٍ لا في التحاورِ مقول
يا لابساً ثوبَ الحدادِ محرّماً انزعْ فقدْ وافى الربيعُ الأوّل
شهرٌ تولّدَ فيه مَنْ كُسرَتْ به إيوانُ كسرى والملوكُ تذلّلوا
وانكبَّ أصنامٌ وغاضَتْ ساوةٌ وسماوةٌ فاضتْ وريعَ المُشْعِلِ
مَنْ كانَ محموداً حقيقتهُ وما كانتْ حقائقُ ما سواهُ تُبجَّل
ليثٌ إذا ما احمرَّ أطرافُ القَنا غيثٌ إذا ما اغبرَّ عامٌ مُمحل
اللّٰهُ كلَّلهُ بتشريفٍ ولا فلكٌ بإكليلٍ هناكَ مُكلَّل
للّٰهِ سرٌّ في طويةِ كنهِهِ بابٌ لهُ للشارحينَ مقفَّلُ
لولاهُ لم تُقبلْ لآدمَ توبةٌ وبهِ ندامةُ كلِّ عاصٍ تُقبل

---

١. جرول: اسم الحطيئة الشاعر المعروف.

هـو كـعبةُ الأمـلاكِ والملأُ الّذي طـوعاً بكـعبتهِ يطوفُ ويـرملُ [١]

بـأبي نـبيٌّ لا يـفوقُ مـقامَهُ مَـلَكٌ مـقرّبٌ أو نـبيٌّ مـرسل

لولاهُ مـا خُـلِقَ الثُّـريا والثَّـرى حـاشا ولا مـاضي ولا مسـتقبل

يـا مَـن بـيُمنِ قـدومهِ وجـهُ الثَرى مـتكرّمٌ. مُـتمجّدٌ. مـتهلّل

ظـلّت بكَ الأبـصارُ خـاشعةً كـما كـلَّ [٢] النجاشي منطقاً أو هـرقل

فالعرشُ حيثُ رأى الثَّرى لكَ موطأ يـا ليتَ شِعري كيفَ لا يـتهبلُ [٣]

فـأمرْ بـما شـئتَ الزمـانَ فـإنّهُ عـبدٌ يـطيعُ لمـا تَشـاءُ ويـفعل

أنتَ الذي جُبتَ السماواتِ العُلى فـي ليـلةِ الأسـرا كـبدرٍ يكـمل

هذا الهلالُ مثالُ نَعلكَ في السما فـي عـالمِ الملكوتِ بـاتَ يُـمثل

لولاكَ مـا أحـدٌ تـدثَّرَ بـالتُّقى يـا أيُّـها المـدَّثّر المـتزمّل

هـلَّلتَ حـيث لا خـلاءُ ولا مـلا عـلَّمتَ سكـانَ السـماءِ فـهلّلوا

تُـؤتىٰ غـداً بـلواءِ حمدٍ لم تـزلْ رسـلُ الإلٰـهِ بـظلّهِ تَـتظلّل

أنتَ المـدينةُ للـعلومِ وبـابها المأتيُّ منهُ ... المـرتضى والمـدخل

هـو شـافعٌ يـومَ الحسابِ مشفَّعٌ هـو مـوئلٌ للـخاطئينَ مُـعوَّلُ

---

١. رَمَل هنا من رَملَ رَمَلاً رَمَلاناً: هَرْوَلَ في مَشْيِهِ.

٢. كلَّ: عجز.

٣. يتهبل: يفقد مشاعره من الإعجاب.

يـا مَخْزَنَ الأسـرارِ والحِكـمِ الّتي مـعشارها بـعقولنا لا يُـعقلُ
قَدْ غالني صَـرفُ الزمـانِ وليس لي غـوثٌ يُسـاعدني عـليهِ ومَـعقِلُ
مـا لي إليكَ وسـيلةٌ تُـجدى بـها فـإليكَ لا أدري بـماذا أسـألُ
والمـزنُ دونَ نـداكَ تـؤتى نـعمةً والبـحرُ عـندَ نـوالِ كـفِّكَ جـدولُ
مـا مِـدحَتي إلّا كـرِجلِ جَـرادةٍ قـدراً وحـاشا أن تـليقكَ أرجـلُ
لكـنّها مـنّي إليكَ هـديّةٌ وأراكَ مِـنْ مـثلي الهـدايـا تَـقبلُ
صَـلّـى عـليكَ وآلِكَ الرحـمٰنُ مـا لاحَ الثُّـريا والسِّـماكُ الأعـزلُ

رسالة إلى دائرة معارف الفقه الإسلامي

٧٢



الإخوان الأعزاء في دائرة معارف الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته

استلمنا بيد التكريم والتبجيل قبل يومين الجزء الأوّل من موسوعة الفقه الإسلامي، بواسطة أحد الإخوة.

نشكر اللّه سبحانه الّذي قيّض جماعة من ذوي الهمم العالية لإخراج هذه الموسوعة إلى المكتبة الإسلامية.

كما وفقهم من ذي قبل لإخراج معجم كتاب الجواهر وأخيراً تعجيم الكتب الفقهية للشيخ الطوسي... هذه الموسوعات الكبيرة الّتي سيكتب لها الخلود والبقاء عبر القرون إن شاء اللّه تعالى.

وندعو اللّه سبحانه تبارك وتعالى أن يديم توفيقه للقائمين بهذا العبء

الثقيل حتى تتم الموسوعة، بخروج الجزء الأخير منها.

وهذا لا يمنع من أن نشير إلى بعض الملاحظات الجزئية الّتي لا تنقص من قيمة الكتاب:

الأُولى: استدل (في صفحة ٢٢) على أنّ الكتاب والسنة يفيان بكلّ ما يحتاجه الإنسان في حياته بقوله سبحانه:﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾[1].

والظاهر أنّ (الكتاب) الوارد في الآية هو الكتاب التكويني لا التشريعي، ويدلّ على ذلك قوله سبحانه في نفس الآية: ﴿**وَمَا مِنْ دابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طائِرٍ يَطيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلّا أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ مَا فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**﴾.

فالبحث عن الدابة والطير ووصفهم بأنّها أُمم، قرينة واضحة على أنّ المراد من الكتاب هو الكتاب التكويني.

الثانية: جاء لفظ «لاسيما » في المقدمة في غير واحد من المواضع مجرداً عن لفظ «لا» مع أنّ الفصيح هو «لا سيما» و لا تستعمل «سيما» منفردة إلّا في كتب المتأخرين غير العرب كثيراً....

الثالثة: ذكرتم (في صفحة ٤٩) أنّه مرّ فقه أهل البيت عليهم السلام على أيدي فقهاء هذه المدرسة في عصره الثاني بمراحل عديدة من الانطلاق و التطور

١. الأنعام:٣٨.

والكمال يمكن بيانها ضمن الأدوار التالية:

١. دور التأسيس...وقلتم من أهمّ فقهاء هذه المرحلة محمد بن يعقوب الكليني (المتوفّى ٣٢٩هـ).

ولكن الظاهر أنّ مبدأ هذا النوع من التأليف يرجع إلى عصر الإمام الهادي والعسكري عليهما السلام ، وفي طليعة هؤلاء الفضل بن شاذان (المتوفّى ٢٦٠هـ) صاحب كتاب الايضاح(وهو مطبوع)، فبمراجعته يعلم مدى نضوج الفقه الإمامي في عصره.

وعلى ذلك فمن تخرج على يده أقدم من الكليني والصدوقين ولا نناقش في سائر الأدوار، إلّا ما سمّيتم الدور الرابع دور التطرف، فهذا التعبير القاسي لا يناسب ما بذله فقهاء هذا العصر في تطوير الفقه وتنقيحه من حيث الدلالة والمسانيد... على أنّ فقهاء هذا الدور غير منحصرين بالأردبيلي وتلميذيه، فإنّ المحقّق الثاني (المتوفّى ٩٤٠هـ) والشهيد الثاني (المتوفّى ٩٦٥هـ) وغيرهما ممن تخرّج على يديهما من فقهاء هذا الدور.

إلّا أن يكون المقصود تخصيص هذا الدور بأشخاص ثلاثة هم الأردبيلي وتلميذيه، فتكون تسميته دوراً للفقه الإمامي غير صحيحة.

وهناك اقتراح آخر وهو الرجوع إلى الأدوار الستة الّتي قمنا ببيانها في القسم الأوّل من مقدّمتنا لموسوعة طبقات الفقهاء وهو بعنوان أدوار الفقه الإسلامي.

وكان المترقب من الأعزاء الإشارة إليها.

الرابعة: اقترح على الأعزاء تخصيص الموسوعة للعناوين الفقهية وترك البحث عن المسائل الكلامية أو الأُصولية باسم الملحق الأُصولي.

فإنّ استيعاب هذه المسائل يحتاج إلى تخصّصات مختلفة وإلى أوقات طويلة ربّما تعوق عن إكمال الكتاب.

فالبحث عن الإمام والأئمّة أو عن أهل البيت عليهم السلام أو سائر المسائل الأُصولية الّتي تمرّون عليها يترك لموسوعات أُخرى وآونة أُخرى، عسى أن يكون ذلك سبباً لسرعة العمل وإنجازه في وقت مناسب، خصوصاً أنّ الأزمات في حياتنا كثيرة كما تعلمون.

وفي الختام أتقدم بالتحية إلى كافة الأعزاء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

جعفر السبحاني

٢١ ذي القعدة الحرام ١٤٢٥ هـ

٧٣

باقة أزاهير

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الشباب المؤمن في المنطقة الشرقية من الحجاز.

قال الإمام علي عليه السلام: «إنّما قلب الحَدَث كالأرض الخالية، ما أُلقي فيها من شيءٍ قَبِلَتْه».

فالشاب الناشئ ثمرة الحياة، يعتز به والده ويحبّه أكثر ممّا يحبّ نفسه، ويراه استمراراً لحياته.

وإنّـــما أولادنـــا بـــيننا ... أكبادنا تمشي على الأرض

لو هبّت الريحُ على بعضهم ... لامتنعت عيني من الغمضِ

وهذا الاعتزاز يسمو و يبلغ الذروة، فيما إذا أصبح الناشئ عنصر خير في المجتمع، وتحلّى بالأخلاق والمعاني الإنسانية.

وانطلاقاً من ذلك، تتأكد مسؤولية الأُسرة لا سيما الأب في تربية الأبناء وتنمية قدراتهم العقلية والخلقية والروحية.

وأودّ هنا أن أُعرب عن ارتياحي لدور بعض الأُسر في توجيه أبنائهم نحو الاهتمام بقضايا الإسلام ومسائل العقيدة، حيث انبرىٰ عدد من الناشئين في منطقة الأحساء وهم في عمر الورود إلى تلخيص كتابنا «الأئمّة الاثنا عشر» إيماناً منهم بأهمية التعريف بأئمّة أهل البيت عليهم السلام للاقتداء بهم في مسيرتهم العطرة.

وإنّني إذ أُقدّر لهم هذه الخطوة المباركة على طريق تعزيز الإيمان بالعقيدة، أدعو اللّه تعالى أن يزيّنهم بالتقوىٰ، وأن يسدّدهم ويجعلهم أهلاً لنشر رسالة الإسلام الخالدة وولاء أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، ولخدمة أُمّتنا الكريمة.

جعفر السبحاني

٢٢ جمادى الأُولى ١٤٢٤هـ

رسالة إلى أبناء منطقة الإحساء

٧٤



إلى أبناء منطقة الإحساء (حفظهم الله)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أمّا بعد، فقد وافتنا رسالتكم المؤرخة بتاريخ ٦ صفر ١٤٢١هـ ق تضم في طياتها مجموعة من الاستفسارات، وقد انتابني الحزن والقلق حيال ما جاء فيها من الإجراءات التعسفية للحد من الشعائر الحسينية، ونجيب على تلك الاستفسارات بالنحو التالي:

١. يلزم الحفاظ على هذه الشعائر، لأنّ فيها إحياءً لذكرى الإمام الحسين عليه السلام التي فيها دروس وعبر للأُمّة الإسلامية، و هو عليه السلام مثال للصمود والإباء أمام الطغاة كما يقول ابن أبي الحديد البغدادي:

«سيد أهل الإباء الذي علّم الناس الحميّة، والموت تحت ظلال السيوف، اختياراً له على الدنيّة، أبو عبد الله الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام ، عرض عليه الأمان، فأنِفَ من الذُّل، وخاف من ابن زياد أن يناله

بنوع من الهوان إن لم يقتله، فاختار الموت على ذلك».[١]

ففي إقامة المجالس لاستشهاد سيد أهل الإباء، إحياء للحميّة الإسلامية، وترجيح الموت في عزّة على الحياة الدنيّة مع الطغاة، وهل هناك شيء معروف أكثر من ذلك؟!

٢. انّ حبّ النبي ﷺ أصل من أُصول الإسلام، وكفىٰ في ذلك:

ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك انّ النبي ﷺ قال: فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّإليه من والده وولده والناس أجمعين.[٢]

وهكذا حبّ أهل بيته عليهم السلام فقد تضافرت الروايات على ذلك.

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنّه قال في حقّولديه «الحسن والحسين» : «من أحبّهما فقد أحبني، و من أبغضهما فقد أبغضني ـ يعني الحسنين ».

أخرج الترمذي عن أنس بن مالك، قال: سئل رسول اللّه ﷺ أيّ أهل بيتك أحبّ إليك؟ قال: الحسن، الحسين، وكان يقول لفاطمة: ادعي ابنيّ فيشمهما، فيضمهما إليه.[٣]

هذا ولا يخفى على أحد أنّ للحبّ مظاهر:

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٤٩/٣.

٢. صحيح البخاري: ٩/١؛ صحيح مسلم: ٤٩/١؛ مسند أحمد:١٧٧/٣، ٢٠٧، ٢٧٥؛ و ١١/٤.

٣. سنن الترمذي: ٦٥٧/٥ برقم ٢٧٧٢.

الأوّل: الاتّباع وأخذهم أُسوة في الحياة.

الثاني: مشاركتهم في الأفراح والأحزان، فالاحتفالات و إقامة مجالس العزاء كلّها من مظاهر الحبّ عبر الزمان، ومنعها بخس لحقوقهم و ردّ لوصية الرسول في حقّهم، وليس هذه الشعائر إلّا تجسيداً لحبهم ومودتهم التي جعلها الله أجر الرسالة وقال: ﴿قُلْ لاٰ أَسْأَلُكُمْ عَليهِ أَجْراً إِلّا المَوَدَّةَ فِي القُربىٰ﴾ [1].

على أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو أوّل من بكىٰ على الحسين عليه السلام و أبّنه.

٣.أخرج الحافظ الحاكم النيسابوري في مستدركه على الصحيحين عن أُم الفضل بنت الحارث أنّها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله إنّي رأيت حلماً منكراً الليلة، قال: وما هو؟ قالت: إنّه شديد، قال: وما هو؟ قالت: رأيت كأنّ قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: رأيت خيراً، تلد فاطمة ـ إن شاء الله ـ غلاماً فيكون في حجرك، فولدت فاطمة الحسين فكان في حجري ـ كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فدخلت يوماً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوضعتَه في حجره، ثمّ حانت منّي التفاتة فإذا عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تهريقان من الدموع! قالت: فقلت: يا نبيّ الله بأبي أنت وأُمّي مالك؟ قال: أتاني جبرئيل عليه الصلاة والسلام فأخبرني أنّ أُمّتي ستقتل ابني هذا، فقلت: هذا؟ فقال: نعم، وأتاني تربة من تربته حمراء.

فقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.[2]

---

١. الشورى:٢٣.

٢. مستدرك الحاكم: ١٧٦/٣.

هذا قليل من كثير حول حبّ النبيّ ﷺ لأهل بيته عليهم السلام ، فالواجب يحتم على المسلمين إحياء أمرهم، وأمّا من يمنع عن إقامة الشعائر، فعليه أن يرجع إلى كتاب اللّه وسنّة رسوله ، قال سبحانه: ﴿فَإِنْ تَنازَعْتُمْ في شَيءٍ فَرُدّوهُ إلى اللّه وَرَسُولِه﴾ [1] فمن حال بين الأُمة وعترته الطاهرة فقد حرم من شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة.

وأمّا مهمة المؤمنين والخطباء هو التمسك بأهداب ولاية العترة الطاهرة الذين جعلهم الرسول أعدال الكتاب، وقال: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه وعترتي» وإشاعة الشعائر الحسينية بين الشباب الواعي والغيور كي يستلهموا الدروس والعبر من ملحمة الطف الخالدة .

أسأل اللّه سبحانه أن يمنّ عليكم بالخير والبركة والعافية وأن يحلّلكم بثوب التقوىٰ وأنتم المرحومون بدعاء النبي ﷺ وعترته الطاهرة حيث أحييتم أمرهم.

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته

جعفر السبحاني

١ ربيع الأوّل ١٤٢١ هـ

---

١. النساء:٥٩.

رسالة جوابية لجمع من المؤمنين من أهالي البحرين [١]

٧٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسلام محمّدي الحدوث، حسيني البقاء، فتكريم المواكب الحسينيّة تكريم لصاحبها، وتقدير لجهاده العظيم، ونهضته الخالدة.

غير أنّ أبا الشهداء لم يُضرَّج بدمه الطاهر إلّا لصيانة الإسلام من الاندثار والاندراس، فعلى المؤمنين والمؤمنات إحياء ذكرى سيد الشهداء بنحو يطابق الكتاب العزيز والسنّة الشريفة، والاجتناب عن الاختلاط ليُضفوا بذلك على المواكب هيبة وجلالاً وعظمة ووقاراً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

جعفر السبحاني

٢٠ ذي الحجة الحرام ١٤١٤ هـ

---

١. بتاريخ ١٢ ذي الحجة الحرام عام ١٤١٤ هـ، وجّه لنا جمع من مؤمني البحرين استفتاء حول جواز خروج النساء لمشاهدة مواكب عزاء الرجال في أيام محرم الحرام، وأجبناهم بهذه الرسالة.

رسالتان إلى الإخوة المؤمنين في دار الزهراء في الكويت

٧٦

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الإخوة المؤمنين في دار الزهراء في الكويت

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أمّا بعد؛

فقد وافتني رسالتكم الميمونة، معربةعن طيب أعـراقكـم، وشـريف أخلاقكم، واهتمامكم البالغ بتربية الشباب تربية دينيّة واعية تـصونهم عـن الزلل في العقيدة و العمل. وهذه وظيفة ثقيلة ملقاة على عاتق الأولياء لا سيما الأبوين.

هذا هو لقمان الحكيم، المربِّي النموذجي، الذي يعرّفه القرآن الكريم بقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمان الحِكْمة أَنْ اشْكُر للّه وَمَنْ يَشْكُر فَـإنّما يَشْكُـرُ لِنَفْسهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَميد﴾[1] .

والآية تعرب عن إفاضة الحكمة عليه، وطلب الشكرحيالها، فقام هو

---

١. لقمان:١٢.

ببذل النُّصح التامّ لولده وتعليمه الحكمة، وبادر إلى دعوته إلى التوحيد ونبذ الشرك، كما يحكيه سبحانه عنه، ويقول:﴿**وَإِذْ قالَ لُقْمان لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يا بُنَيَّ لا تُشْرك بِاللّهِ إِنَّ الشِّركَ لَظُلْمٌ عَظيم**﴾[١].

فيا بشرى لكم لقد اتخذتم ذلك الحكيم الإلهي أُسوة في حياتكم،حينما طرحتم تلك الأسئلة التي تنمّ عن مدى سعيكم الحثيث لتربية الشباب تربية إسلامية صحيحة.

فها نحن نقوم بالإجابة عنها واحداً تلو الآخر على وجه الإيجاز:

السؤال الأوّل

يعيش الشباب من حيث يشعرون أو لا يشعرون غزواً فكرياً وثقافيّاً لمحو هويّتهم الإسلامية، فما هي نصيحتكم في هذا المجال؟

الجواب:

لا شكّ انّ لتطور شبكة الاتصال أثراً بالغاً في حياة الإنسان لا سيما وأنّها أوجدت تحولاً جذرياً في سلوكه وتدبير أُموره و كيفية تعامله مع الناس.

وبات واضحاً أنّ وسائل الاتصال، كالتلفزة، والأقمار الصناعية، والانترنت، قد غمرت العالم بأفكارها، وساهمت في ترويج فكرة العولمة الثقافية والاقتصادية.

---

١. لقمان: ١٣.

ففي هذه الظروف الخطيرة التي تزداد فيها الهجمة الثقافية شراسة على المسلمين بغية مسخ هويتهم وذوبها تتضاعف مسؤولية المسلمين، عملاً بقوله ﷺ: «كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيّته».

ومن هنا فإنّ انطلاقة أي وعي إسلامي في المجتمع يتم عبر عدة قنوات:

الأُولى: الأُسرة باعتبارها اللبنة الأُولى في بناء شخصية الإنسان المسلم، فالمسؤولية الأُولى تقع على عاتق الوالدين في تربية أبنائهم تربية إسلامية بنّاءة.

الثانية: أجهزة التربية والتعليم فهي التي تنمي طاقات الإنسان الفكرية والمعنوية من خلال عرض برامج تثقيفية وإسلامية تتناسب مع أعمارهم ويا للأسف فإنّ تلك الأجهزة تتقاعس عن القيام بهذه المهمة الكبرىٰ.

الثالثة: إقامة المهرجانات والأعياد الدينيّة والشعائر الحسينية وإلقاء الخطب ودعوة رجال العلم والصلاح لإلقاء المحاضرات التي تتجاوب مع روح الشباب لها من الأهمية في بث الروح الدينية وتوثيق أواصر الصلة بين الإخوة المؤمنين وتعزيزها.

الرابعة: تنظيم الرحلات العلمية وإقامة المخيّمات بين الشبيبة والتعرّف على بعضهم البعض بغية ملء أوقات فراغهم.

وفوق هذا كلّه فلابدّ للجهات المعنيّة بالجانب الثقافي من انتاج برامج إسلامية بديلة عن البرامج التي يبثّها الغرب.

السؤال الثاني

ما هي مقوّمات الشخصية الإيمانية ذات التقوى؟

الجواب:

الإيمان هو أمر راسخ في القلب و يتبلور في الإيمان بالله الخالق القادر المتعال، العالم بالسرّ والخفايا، الذي لم يخلق الإنسان سدى.

وفي الإيمان برسالاته ورسله الذين بعثوا لهداية الإنسان إلى ما فيه سعادته وصلاحه، وأناروا الدرْب له إلى يوم القيامة.

وفي الإيمان باليوم الآخر الذي يجمع الله فيه الناس قاطبة على صعيد واحد ليجزيهم بما عملوا .

وهذه الأُصول الثلاثة هي الحجر الأساس للإيمان والتقوى.

والإيمان الصادق ينعكس على سلوك الفرد المؤمن في حِلّه وترحاله وسفره وحضره، فيرى نفسه مسؤولاً أمام الله وأمام المجتمع وأمام نفسه، فيؤدّي حق الله سبحانه في حلاله وحرامه، كما يؤدي حقوق الناس في معاشرته معهم. ويؤدّي حقّ نفسه بالتفكّر في صلاحه وفلاحه.

وبكلمة مختصرة: انّ المؤمن يعيش حالة الانصياع لله سبحانه في كلّ أُموره وأحواله، ويبعثه هذا إلى احترام الحقوق في كافة المجالات.

وقد سأل همام ـ ذلك الرجل العابد ـ أمير المؤمنين عليه السلام عن صفات المتّقين، فقال: صف لي المتّقين فكأنّي أنظر إليهم، فخطب الإمام عليه السلام خطبته المعروفة حيث وصف فيها المتّقين بقوله: «فالمتّقون فيها هم أهل الفضائل: منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيهم التواضع، غضّوا أبصارهم عمّا حرّم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم...».[1]

ويا حبّذا لو قام الأولياء بتحفيظ أبنائهم هذه الخطبة التي جمعت بين روعة اللفظ وجمال المعنى.

السؤال الثالث

كيف يمكن للمربّين المؤمنين تنمية وتحفيز حالة التقوى لدى الشباب؟

الجواب:

إنّ الناشئ كفسيلة بحاجة إلى مراقبة مستمرّة لكي تنمو حتى تُصبح شجرة تضرب بجذورها في الأرض على وجه لا تزعزعها العواصف المدمِّرة، وهكذا حال الناشئ فهوبحاجة ماسة إلى توعية وتربية إسلامية بنّاءة غير منقطعةحتى تكتمل شخصيته الإيمانية للحيلولة دون تسرّب الشيطان إلى قلبه.

و من أهم الأساليب التي تؤثر في تنمية حالة التقوى لدى الشباب هو

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٣.

أن لا يجد الشاب فراغاً في أوقاته ليملأها بما فيه الضرر والضلال على نفسه أوّلاً، وعلى مجتمعه ثانياً.

ولقد قالوا:

انّ الفـــراغ والشــباب والجــدة مــفســدة للــمــرء أيّ مــفسدة

وقد مرّ من خلال استعراض الإجابة على السؤال الأوّل كيفية ملء أوقات فراغ الشباب، و بهذا يتضح أيضاًجواب السؤال الرابع.

وفي الختام أرجو من اللّه سبحانه أن يسدِّد خطاكم في سبيل أهدافكم المقدسة بحقّ نبيّه و آله.

ولكم منّا بالغ التحية والسلام.

جعفر السبحاني

٢١ رمضان المبارك ١٤٢٠ هـ

٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الإخوة المؤمنين في دار الزهراء عليها السلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أمّا بعد، لقد وافتنا رسالتكم المؤرّخة بتاريخ ١١ محرم الحرام عام ١٤٢١هـ، التي طرحتم فيها أسئلة تمت إلى الشباب بصلة، وسنقوم بالإجابة عنها بنحو موجز:

١. على ضوء وصايا لقمان لابنه وهو يعظه كم هي قيمة التربية المباشرة في الإرشاد والتسديد والنصيحة؟

الجواب: إنّ التربية المباشرة لها تأثير بالغ في تكوين شخصية الإنسان وتربيته ومن أبرز مصاديقها التربية داخل محيط الأُسرة، فإنّ الأبناء ينظرون إلى الآباء نظرة إجلال و إكبار حيث إنّهم يتربّون في أحضانهم، كما أنّ الآباء ينظرون إلى أبنائهم نظرة الناصح المشفق فيكون لتربيتهم المباشرة أثرٌ بارز في نفوسهم، ولكن شريطة أن يكون الإرشاد جامعاً لما هو شرط التأثير الذي

منه إحياء شخصية الطفل لكي يعي ويفهم ويدرك ما يصلح أمره أو يفسده، كما نرى أنّ الإمام الحسن عليه السلام يخاطب بنيه وبني أخيه ، بقوله: «إنّكم صغار قوم ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين، فتعلّموا العلم، فمن لم يستطع منكم أن يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته».[1]

ترى أنّه ينفثُ في روعهم العظمة، ويقول:« إنّكم صغار قوم ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين»، فهذا النوع من التوعية يحقق أرضية صالحة لقبول ما يعقبه من النصائح.

وأمّا خطاب الأولاد مرفقاً بالغلظة والشدة فلا يترك وقعاً في نفوسهم إلّا قليلاً بل يزيدهم لجاجاً.

٢. نريد شباباً قرآنياً... جيلاً قرآنياً كيف يتسنّى لنا ذلك؟

الجواب: الجيل القرآني عبارة عمّن يخالط القرآن لحمه ودمه، وهو رهن أمرين:

١. تعليم القرآن من لدن صباه، والدعوة إلى حفظ ما أمكن منه، والترغيب بالمشاركة في المهرجانات التي تقام لأجل تكريم حفظة القرآن.

٢. أن يعيش في أحضان أبوين يقرآن القرآن، ويلتزمان بتعاليمه، وإلّا فالشاب البعيد عن الأجواء القرآنية لفظاً ومعنى، وصورة ومادة، لا يكون شاباً قرآنياً.

---

١. بحار الأنوار:١/١١٠.

٣. هل للإسلام إرشادات توجيهية في ضبط حركة المراهقة وصونها من الوقوع في المزالق؟

الجواب: إنّ الشاب المراهق في خطر من جهتين: من جهة العقيدة ومن جهة العمل.

أمّا الأُولى: فصيانته عن المزالق رهن توعيته، إمّا عن طريق إلقاء الدروس الدينية على مسامعهم، أو بإقامة ندوات علمية تربوية يشارك فيها الشاب بغية الوقوف على مضاعفات الانحلال الخُلقي.

وأمّا الثاني فهو رهن المراقبة التامة كي لا يختلط برفاق السوء، يقول سبحانه: ﴿**يا لَيْتَني لَمْ أَتَّخِذ فُلاناً خَليلاً**﴾ [1]، فالخلّة أمر لا محيص عنه لكن يجب انتخاب الخليل الصالح لا الطالح، مضافاً إلى ضرورة التسريع في زواجه، قال ﷺ : «من تزوج فقد أحرز نصف دينه».

٤. المعلم أو المربي ما هي خصاله وما هي مسؤولياته؟

الجواب: إنّ من أهمّ خصال المعلم هي:

١. أن يكون ممن يعرف الحقّ ويلتزم به في حياته العملية.

٢. أن تكون له رغبة بعمله سواء على صعيد التربية أو التعليم.

---

١. الفرقان: ٢٨.

٥. ما هي أصناف الإخوان مع بيان منهج التعاون مع كلّ صنف؟

الجواب: إنّ الإخوان على قسمين حسب ما قسمهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال:

الإخوان صنفان: إخوان الثقة، و إخوان المكاشرة. فأمّا إخوان الثقة فهم كالكف والجناح والأهل والمال، فإذا كنت من أخيك على ثقة فابذل له مالك ويدك، وصاف من صافاه، وعاد من عاداه وأكتم سرّه وأعنه وأظهر منه الحسن.

واعلم أيّها السائل انّهم أعز من الكبريت الأحمر.

وأمّا إخوان المكاشرة فانّك تصيب منهم لذتك، فلا تقطعنّ ذلك منهم، ولا تتطلبنّ ماوراء ذلك من ضميرهم، وأبذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه، وحلاوة اللسان.(١)

وقد بين الإمام كيفية المعاشرة والتعامل معهم.

٦. كلمة أخيرة توجّهونها للشباب؟

الجواب: الكلمة الأخيرة التي أود أن أُقدّمها إلى الشباب المسلم هي أنّ

---

١. الكافي: ٢ / ٢٤٩ ح ٣، باب في أنّ المؤمن صنفان.

المجتمع الإنساني صار كالقرية الكونية، وازدادت فيه الحملات المسعورة على الدين وأهله، فالواجب يحتم على الشباب الواعي أن يتمسّك بأهداب دينه ويلتزم به في سلوكه، لأنّ فيه حفظ هويتهم الثقافية والاجتماعية لاسيما في عصر العولمة الثقافية التي تبغي من وراء بث أفكارها المسمومة طمسَ الهوية الدينية، وأن لا ينجرّ إلى المؤامرات التي يحيكها الغرب بغية النيل من الدين والإطاحة به.

جعفر السبحاني

٢ ربيع الأوّل ١٤٢١ هـ



الباب الرابع

تقاريظ ورسائل العلماء

١. تقاريظ العلماء لموسوعة «مفاهيم القرآن» :

أ. تقريظ صاحب الميزان

ب. تقريظ الشيخ مرتضى آل ياسين

ج. تقريظ الشيخ محمد تقي التستري

د. تقريظان للسيد الشهيد محمد باقر الصدر

هـ. تقريظ العلّامة محمد جواد مغنية

و. تقريظ آية الله الشيخ محمد الكرمي

ز. تقريظ الشيخ حسن طراد العاملي

٢. تقاريظ العلماء لموسوعة طبقات الفقهاء

أ. تقريظ الشيخ محمد هادي معرفت

ب. تقريظ السيد محمد رضا الحسيني الجلالي

ج. رسالة الدكتور عبدالهادي التازي سفير المغرب الأسبق في إيران

٣. تقدير الشيخ محمد علي التستري لجهود مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ومؤلّفاتها

٤. مقالة الأُستاذ حسين الرواشدة في صحيفة اللواء

٥. رسالتان للبروفيسور عبداللطيف بربيش

٦. رسالة ترحيب بالشيخ السبحاني من قبل رئيس جامعة محمد الخامس الدكتور حفيظ بوطلاب

٧. رسالة الدكتور محمد بن عبدالله باجودة مدير مكتب الحرم المكي

٨. رسالتان للدكتور عبدالهادي التازي سفير المغرب الأسبق في إيران

٩. رسالة من أحد مثقفي العراق يشيد فيها بكتاب الإلهيات

١٠. أبيات شعرية لعبدالستار البغدادي الحسني ورياض أحمد السليم وحيدر محمد علي البغدادي الطحّان (أبي أسد)

٧٨

تقريظ صاحب الميزان لـ «مفاهيم القرآن» [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين.

أمّا بعد؛ فإنّ الكتاب الذي بين يديك سلسلة بحوث قيّمة في القرآن الكريم وتفسيره على أساس «الوحدات الموضوعية» فيه. ويلاحظ الباحث فيها أنّها تعتمد، قبل كل شيء على الاستفادة من نفس مفاهيم القرآن الكريم في عرض المواضيع كما يلاحظ الروح الموضوعية الهادفة والأُسلوب الفخم، والتتبع الدقيق، والإسهاب في البحث، والاستيفاء الكامل لكلّ جوانب الموضوع. فأسأل الله أن يوفّق مؤلّفنا الموفّق لتنقيح سائر المواضيع في الأجزاء الآتية، إنّه سميع بصير.

محمد حسين الطباطبائي

عام ١٣٩٣ هـ

قم - إيران

---

١. كلمة قيّمة للمفكّر الإسلامي الكبير والمفسّر القدير العلّامة السيّد محمد حسين الطباطبائي (١٣٢١ ـ ١٤٠٢ هـ) مؤلّف الكتاب القيّم «الميزان في تفسير القرآن»، بعد صدور موسوعتنا «مفاهيم القرآن». والعلّامة الطباطبائي قد ولد في تبريز ودخل في مقتبل عمره المدرسة الطالبية وتلقى هناك علومه الأساسية، ثم قصد النجف الأشرف لإتمام دراسته، فحضر دروس الفلسفة عند الميرزا علي القاضي الطباطبائي، والأُصول والفقه على يد الشيخ النائيني والسيد أبي الحسن الاصفهاني.

٧٩

تقريظ الشيخ مرتضىٰ آل ياسين لموسوعتنا «مفاهيم القرآن» [(١)]

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد وبه نستعين، وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

وبعد ؛ لا يخفى عليك أيّها القارئ الكريم أنّ هذا السِّفر الجليل الذي بين يديك مجموعة من بحوث قيّمة في القرآن الكريم قلّما تناولتها أقلام الباحثين من قبل إلّا بنحو من الإجمال لا يكاد يروي من غلّة، أو يشفي من علّة، وفيه من الفوائد الرائعة ما يُشبع طرفاً كبيراً من نهمك العلمي، وذلك بما يعرض إليه من الشكوك والشبهات الدائرة حول العقائد الحقّة فينسفها نسفاً

١ . وحول موسوعتنا «مفاهيم القرآن» أرسل لنا هذه الرسالة فقيد الإسلام سماحة العلّامة الحجّة الشيخ مرتضى آل ياسين. وهو مرتضىٰ بن عبدالحسين بن باقر بن محمد حسن الكاظمي النجفي (١٣١١ ـ ١٣٩٧ هـ) وهو أحد فقهاء الإمامية، وكان أديباً كبيراً ومن الشخصيات العلمية والدينية البارزة.

حضر الأبحاث العالية على أخيه الفقيه محمد رضا آل ياسين، والميرزا محمد حسين النائيني، وأبو الحسن الاصفهاني. تتلمذ عليه فريق من العلماء، منهم السيد الشهيد محمد باقر الصدر وغيره. له تآليف عديدة وتعليقات على العروة الوثقىٰ.

ببيان رصين لا يشذّ عنه الدليل والبرهان، هذا إلى استئثاره بمنهج من التفسير له طابعه الخاص الّذي يميّزه عن سائر التفاسير كما يبدو ذلك جلياً لكلّ من سرّح نظره فيه .

وليس من شك عندي أنّ الموهبة الإلهيّة الّتي مُنح بها مؤلف هذا الكتاب فضيلة العلّامة العبقري الشيخ السُّبحاني ـ أيّده الله ـ هي الّتي آثرته بالتوفيق لإنجاز مثل هذا النتاج القيّم الّذي طالما تطلّعت إليه المكتبة الإسلاميّة لكي تسدّ به فراغاً لا يزال ماثلاً بين صفوفها منذ أمدٍ بعيد. فإليه دام تأييده أُزجي تحيّتي، وتهنئتي تقديراً لجهوده، وتثميناً لمجهوده راجياً من المولى عزَّ شأنه أن يجعله ذخراً له في آخرته كما جعله فخراً له في دنياه والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

مرتضى آل ياسين

٧ / ٣ / ١٣٩٤ هـ

٨٠

تقريظ الشيخ التستري لموسوعتنا «مفاهيم القرآن»[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة العلّامة فخر الأيام الشيخ جعفر السبحاني دامت بركاته.

وصلني كتابكم الميمون ففتح علينا أبواب البهجة والسرور، كما وصلني مؤلّفكم القيّم «مفاهيم القرآن» وقد طالعته من أوّله إلى آخره والحق أنّكم بحثتم فيه عن موضوعات كثيرة وعالجتم فيه المسائل الإسلامية معالجة جديدة، بعيدة عمّا حولها من آراء وأفكار مهجورة فجزاكم الله عن الإسلام والدين والعلم خير الجزاء.

والعجب أنّكم رغم نشأتكم في إيران أخذتم بناصية اللغة العربية كأديب مصري أو بغدادي، فأتيتم بتعابير عصرية رائجة، أدام الله في تأييدكم وزاد في تسديدكم.

الشيخ محمد تقي التستري

---

١ . مرسل هذه الرسالة هو المحقّق المتتبع العلامة الكبير الشيخ محمد تقي التستري ﷺ، صاحب كتاب «قاموس الرجال».

٨١ و ٨٢

رسالتان كريمتان

من السيد الشهيد محمد باقر الصدر [١]

حول

موسوعتنا «مفاهيم القرآن»

---

١ . (آل الصدر) الأُسرة العلوية الموسوية العريقة، الّتي فاحَ أريجها بـالهدى والإيـمان والصـفاء، وأشرق نورها بالفخر والسؤدد والإباء، فتسنّمت عرش القلوب، وقادت أزمّة الأرواح. الأُسرة الّتي أنجبت النابغين الأفذاذ في ساحات الفكر والعلم والأدب، والرجال في مـيادين الجـهاد والتضحية والفداء، والأخيار الأبرار في رياض الأخلاق وغرّ الخصال.

وقد كتب الله تعالى لي التوفيق بلقاء أحد أبناء هذه الأُسرة العريقة وهو السيد محمد باقر الصدر ﷺ وهو أحد أفذإذ المفكّرين، ومن كبار أعلام الإسلام ومراجع الشيعة. وكان أعجوبة في الزهد والتقشّف، وفي التواضع ونكران الذات، وفي الجرأة والشجاعة في مواجهة الطغاة، وفي الذكاء والعبقرية، اللّتين انتجتا آثاراً علمية خالدة في مختلف المجالات، جمع فيها ﷺ بين الأصالة والتجديد والإبداع، والبيان المشرق، والمنهجية والتسلسل المنطقي، ممّا جعلها مطمح أنظار العلماء والباحثين والمفكرين على اخـتلاف مـذاهـبهم ومشـاربهم، ومـن أهـمّها: فـلسفتنا، اقتصادنا، البنك اللّاربوي في الإسلام، الأُسس المنطقية للاستقراء، دروس في علم الأُصـول، بحوث في شرح «العروة الوثقىٰ» في الفقه، وغيرها كثير.

وكانت له مواقف بطولية رائعة في مواجهة النظام البعثي دفاعاً عن مبادئ الإسلام، وعن حـقوق الشعب العراقي وكرامته، وقد صمّم على الشهادة ـ حسب تعبيره ـ من أجل هـذه الأهـداف، حتّى نال وسامها الرفيع مع أُخته العالمة الكاتبة المربيّة آمنة (بنت الهدىٰ)، عـام (١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م) على يد السفّاح المقبور صدام، ولمّا يبلغ الخمسين من عمره.

الرسالة الأُولى

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ جعفر سبحاني متّعنا الله تعالى بوجوده الشريف.

السلام عليكم زِنَة شوقي إليكم وتقديري لكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد ؛ فقد تسلّمت بالأمس بواسطة السيّد الفاضل أحمد العلوي البحريني قَبَسكم الهادي المشعّ بمفاهيم القرآن الكريم، وهو كما ذكرتم بحقّ منهجٌ جديدٌ في تفسير القرآن الكريم على الصعيد الإسلاميّ، وفي حدود ما اتّسعت له النظرة الأُولى خلال هذا اليوم وجدت علماً غزيراً واطّلاعاً واسعاً وعمقاً في البحث والاستنتاج، وعشت فترةً سعيدةً مع الكتاب الجليل ذكّرتني باللقاء السابق مع سماحتكم وما خلّفه ذلك اللقاء من أعمق الانطباعات وأرسخ المشاعر، ولئن كنت أشعر باستمرارٍ باعتزازٍ كبير بشخصيّتكم العلميّة المجاهدة؛ فإنّ هذه النفحة القرآنية الجديدة، أكّدت هذا الاعتزاز وجسّدت بعض الآمال المعقودة عليكم، وسوف أُحاول في فرصةٍ أوسع أن أستوعب قدراً معتدّاً به من بحوث الكتاب الجليلة وأُسجّل لكم ما قد يحصل من انطباعات.

حفظكم الله تعالى مناراً للعلم وسنداً للدّين الحنيف، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمّد باقر الصّدر غرّة شعبان ١٣٩٥

الرسالة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ جعفر السبحاني دامت بركاته

السلام عليكم زنة تقديري لكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فقد تسلّمت رسالتكم الأخوية الكريمة وذكّرتني بذلك الأخ العزيز والعالم المجاهد والمفسر الرشيد والمفكر الألمعي الّذي أحمل له في نفسي كل تقدير واحترام، واعتبره بوعيه وإخلاصه وفضله أملاً من آمال الدين وذخراً من ذخائره.

وما ذكرتم من الاهتمام بالتطبيق الفقهي من خلال عرض النظريات الأُصولية وتحقيقها أمر صحيح ولطيف، وقد لاحظنا ذلك إلى درجة كبيرة في الحلقات الأُصولية الثلاث التي وضعناها ككتب دراسية منهجية متدرجة في علم الأُصول، ولم تكمل حتّى الآن لكثرة المشاغل والتكاليف والابتلاءات، وهذه الكثرة هي التي تحول دون القيام بواجب كتابكم الجليل في التفسير الموضوعي وذلك بالكتابة الموسّعة عنه.

ولئن كانت الفرصة لا تسنح لذلك فإنّي على أي حال لاآلو جهداً في التعبير عن آمالي فيكم وثقتي بكم وبقلمكم وأسأل المولى سبحانه وتعالى أن يرعاكم بلطفه ويحفظكم للدين ذخراً وسناداً. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد باقر الصدر **٢٨ صفر ١٣٩٦ هـ**

٨٣

رسالة العلّامة محمد جواد مَغنيَّة حول «مفاهيم القرآن»[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الأخ العلّامة الكبير الشيخ جعفر سبحاني ـ دام ظلّه ـ

بعد السلام والاحترام ؛ أشكر هديّتكم السنيّة الغنيّة: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، هذا السِّفر المَعلَم القيّم في سموّ مطالبه وعلوّ صاحبه، الجديد في بابه أو موضوعه، لقد جمع الآيات المتشابكة المتعاضدة على إرساء فكرة واحدةٍ، وأرانا بأُسلوبه السهل: كيف ينطق بعضها ببعضٍ توضيحاً وتحديداً حتّى عالج الكثير من الصعاب التي تخطّاها السابق واللاحق عن قصدٍ أو غير قصد... ولا بِدْعَ أن يتصدّى لها شيخنا الأجلّ فقد توفّرت فيه كلُّ الشروط، وتكاملت كلُّ الصفات الّتي يتطلّبها هذا الميدان الصعب المستصعب.

محمّد جواد مَغنيَّة

جمادى الآخر ١٣٩٦ هـ

---

١ . هذه الرسالة قد أرسلها رائد الفكر الإسلامي فقيد الأُمّة العلّامة الشيخ محمّد جواد مغنيّة ﷺ، وهو محمد جواد بن محمود بن محمد بن مهدي آل مغنية العاملي (١٣٢٢ ـ ١٤٠٠ هـ) أحد مشاهير علماء الإمامية، وكان فقيهاً، مفسّراً، أديباً، من الكتّاب البارزين، وقد ترك أكثر من ستين مؤلفاً في فنون شتى، وله مساهمات شعرية.

٨٤

تقريظ آية الله الشيخ الكرمي لـ «مفاهيم القرآن»[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

كم بت أتململ ساعات طوالاً من الليل، وآناء كثيرة من أطراف النهار أجول بفكري في غضون الحياة لعلّي أطّلع من بعض منافذها على بصيص أجعله مناراً للخروج من حيرتي، لأنّي أعرف للفضيلة مفهوماً ولا أراه بين الناس، وللدين أهمية عظمى ولا أجدها ظاهرةً بينهم.. نعم قد تقع العين أحياناً على فاضل متزن وكاتب متقن وكتاب متشخّص فيلوح في الآفاق كما تلوح النجمة اللامعة في شاشة الظلام الأدكن، ويحصل منها بصيص للدرب يهوّن على سالكه المسير فلا يكون كخابط في ليلة ظلماء.

وفي مثل هذا الوقت المتلوي والظرف الحرج يتحفني صديق لي حميم وهو الأُستاذ جعفر السبحاني بالجزء الأوّل من تفسيره الموضوعي للقرآن الكريم **فهزّتني طرّة عنوانه لأنّه مبتكر في بابه** فإنّ كل من كتب في التفسير كتب على طبق تسلسل السور من الفاتحة إلى المعوذة بالترتيب الموجود للمصحف الشريف، أمّا صديقنا الفاضل فقد حاول خطة أُخرى هي بنظري آصل من الخطط الدارجة وهي إلمامه بجميع ما في القرآن من

---

١. هذا هو التقريظ الذي أرسله الأُستاذ الفذ سماحة العلّامة الشيخ محمد الكرمي ـ دام ظله الوارف ـ، وسنذكر هنا بعض مقتطفاته.

أهداف وموضوعات تحدّث القرآن الكريم عنها و إشخاص كل هدف في باب خاص والإفاضة عنه بالآيات التي رمت إليه في أيّة سورة كانت.

... لقد أتحفني صديقي السبحاني بالجزء الأوّل من تفسيره الموضوعي فقرأت مقدّمته لأستجلي من مجملها تفاصيل ما دوّن أو يريد تدوينه، فوقفت على مجمل مفعم بالمطالب الدقيقة، وفتحت الكتاب عفواً فوقعت عيني على عنوان أُمّية النبي في القرآن وسرحتها قصداً لترتع في هذه الجنائن الناظرة والحدائق الغنّاء، فكان والحق يقال محقّقاً لمادة المطلب مفتشاً على كلّ مظنة توفي بها على ما يوخّى من بحثه، وبعد ذلك مطبقاً لما علّق بنظره مبرهناً عليه طارداً للشبه والإشكالات التي توجّه إليه.

فالسبحاني وإن كان كتب في أبواب شتى وطرق مواضيع عديدة وساعدته الظروف فنشر ما كتب، إلّا أنّه في كتابه هذا إذا وفّق لإتمامه على أُسلوب فأنجز منه يكون قد جاء ببيت قصيده وأسعفه الحظ بمقصوده، ولا استكثر عليه ذلك .

لقد أتحفني صديقي الفاضل السبحاني كما ذكرت بالجزء الأوّل من موسوعته فرأيت لزاماً عليّ أن أقدم لجزئه الثاني الجاهز للطبع وأُعرب عن الحق الذي تضمّنه كتابه لا عن تذوقي وحده. فجدير بالناشئة المؤمنة أن تطالع هذا الكتاب وتشبع بعض نهمتها منه، وجدير بالأُستاذ المؤلّف أن يتابع خطوه في إتمام هذه الموسوعة التي تتقاضى منه جداً وجهداً وزمناً وإذا ماطل هذه الصعوبات وانتصر عليها يكون قد فاز برضى من ربّه، وهذه هي الجائزة الموقّرة... والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

محمد الكرمي ٢١ / جمادى الأُولى / ١٣٩٤ ﻫ

٨٥

تقريظ الشيخ حسن طراد العاملي لموسوعة «مفاهيم القرآن»[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة العلّامة الجليل المجاهد الكبير سماحة الشيخ جعفر السبحاني المحترم دام حفظه وتأييده

تحية حب وإخلاص وتقدير وإجلال.

وبعد: فقد وصلتني هديتك الثمينة التي تفضّلت بها «مفاهيم القرآن». وقد كان لهذه الهدية الفكرية مدلول رائع ومحتوى مزدوج سامٍ، فهي تعبّر من جهة فكرية عن فكر عميق ونظر دقيق وسعة اطّلاع وفصاحة بيان وسداد منطق كما تعبّر من جهة روحية عن سموّ خلق ودماثة طبع ورحابة صدر وسماحة نفس، ولهذا وذلك كان لهذه التحفة السنية بما عبّرت عنه ودلّت عليه أبلغ الأثر في نفسي حيث جعلت لك عندي منزلة سامية ومكانة مرموقة تستوجب التقدير والإجلال، كما بعثت وكوّنت لك في قلبي حبّاً عميقاً وإخلاصاً وثيقاً يجذبني إليك بسلك الوفاء والولاء، وقد كان من نتائج هذا

١. عواطف خالصة يجود بها علينا أخ في الله كريم وعلم من أعلام الفكر والدين فضيلة الشيخ حسن طراد العاملي نزيل النجف الأشرف.

التقدير وذلك الحب مقطوعة شعرية نظّمتها بوحي من إعجابي بفضلك وتقديري لشخصك وإخلاصي لك وهي:

سر للأمام مؤيّداً بعزيمةٍ ... كالطود لا تثنى ولا تتقهقر

وانشر من الدين الحنيف معارفاً ... غراء تسطع بالرشاد وتزهر

وأكشف دياجير الضلال بساطع ... من نور فكرك بالهدى يتموّر

فالليل لايجلوه إلّا كوكب ... بشعاعه ظل الدجى يتبخّر

والغي لا يمحوه إلّا كاتب ... بفنون دستور السما متبحّر

نشر الحقائق في العقول فأشرقت ... وعياً وأضحت بالهدى تتنوّر

ليظل دستور العقيدة مشرقاً ... تزهو بروعة ماحواه الأعصر

وختاماً أشكر هديتك القيّمة، وأُقدر أخلاقك السامية، وجهادك المثمر البنّاء، والسلام عليك وعلى سائر الأعاظم المجاهدين في حوزة قم المقدسة.

حسن طراد العاملي نزيل النجف الأشرف

٧ / ربيع الآخر / ١٣٩٤ هـ

٨٦

تقريظ آية الله الشيخ محمد هادي معرفت لموسوعة «طبقات الفقهاء»



الفقاهة

ومكانتها الأُولى في العلوم الإسلامية[١]

قال تعالى: ﴿فَلَولا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّين﴾[٢].

---

١. هذا هو عنوان الرسالة التي تفضل بها الفقيه البارع سماحة آية الله معرفة ﷺ وهو الشيخ محمد هادي بن علي بن ميرزا محمد علي، وقد ولد عام ١٣٦٦ هـ في مدينة كربلاء ودرس الفقه والأُصول والفلسفة على يد الشيخ محمد حسين المازندراني، ومحمد الكلباسي، والسيد حسن حاج مير القزويني.
له كتاب ؛ التمهيد في علوم القرآن (٤ أجزاء)، صيانة القرآن من التحريف، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، شبهات وردود حول القرآن الكريم، التفسير الاثري الجامع، أهل البيت والقرآن الكريم، تمهيد القواعد. انتقل إلى رحمة الباري تعالى عام ١٤٢٨ هـ ودفن إلى جوار السيدة فاطمة المعصومة بقم .

٢. التوبة: ١٢٢.

هذه هي النبتة الأُولى لدراسة معالم الدين عن عمق وتدبّر، وتفهّم مبانيه على أُسس ركينة.

هناك فرق بين الفهم والفقه ـ وإن كانا يعطيان معنى إدراك الشيء والحصول على مفهومه ـ فالفهم هو إدراك المعنى إدراكاً على إطلاقه. وأمّا الفقه فهو إدراكه عن تعمّق وإمعان نظر دقيق. فالفقاهة دقّة في النظر ورقّة في الفهم والإدراك يحظى بهما الفقيه النابه

وأمّا التفقّه فهو بذل الجهد وإفراغ الوسع للحصول على مغزى الأمر والكشف عن لبّه وحقيقته حسب المستطاع. الأمر الذي رغّب إليه القرآن الكريم وحثّ عليه الإسلام في برامجه التعليميّة.

والفقه الديني يعمّ كلّ جوانب الدين في أُصول معارفه وفروع أحكامه،سوى أنّ التبسّط في مناحي مسائل الشريعة كان ممّا دعت إليه ضرورة العمل بقوانين النظام الإسلامي الحاكم. وحتى النظام الحاكم ـ بعد رحيل النبي ﷺ ـ كانت إقامتها بشكل قويم، بحاجة إلى فهم مبانيه ودراسة معالمه في إدارة البلاد وسياسة العباد.و من ثمّ كانت الحاجة ملحّةً إلى دراسة فروع الأحكام، مستنبطةً عن أُصولها المتينة، ليكون المسلمون عامّة وخاصّةً على وعيٍ تام بمسيرة الحياة. الأمر الذي دعا نبهاء الأُمّة منذ أوّل يومهم للتوجّه إلى هذه الناحية الخطيرة والاهتمام بشأنها اهتماماً بالغاً، وأصبح الفقهاء في المجتمع الإسلامي الفسيح أعلاماً شاخصة للأُمّة ومراجع يرجع إليهم الكبير والصغير والرفيع والوضيع، وأخذوا في الانتشار والتوسّع في مختلف أرجاء البلاد.

وكان ممّا امتازت به هذه الفئة ـ التي شغلت النقطة المركزية والمحور الأساسي الذي تدور عليه رحى الإسلام ـ أن عمدت إلى نصوص الكتاب العزيز والسنة الشريفة، وأخذت في التنقيح والتمحيص والنقد والتحقيق، لتتبلور الشريعة من خلالها شفّافة مشعّة لا يعلوها غبار ولا يكدرها أغيار. وهذا النقد والتمحيص في نصوص الشريعة من أبرز معالم الدراسات الفقهيّة وأفخمها شأناً، حظى بها هذا العلم، وقلّما يوجد نظيرها في سائر العلوم الإسلامية العريقة. إذ قد يلمس التساهل فيها ممّا لا مجال له في الفقه بتاتاً.

ولا شكّ أنّ علماً هذا شأنه الرفيع في الأوساط الإسلامية في عصورها الذهبيّة وفي جميع الأدوار أيضاً، لجدير بأن يتعرف على أعلامه الشاخصين بل الشامخين، وعلى جهودهم الجبارة التي بذلوها في سبيل تحقيقه وتهذيبه، وتنمويته وتوسيعه، والارتقاء بمبانيه في أُصول وضوابط ركينة ومتينة...ولله درّهم وعليه أجرهم في تلكم المساعي الجميلة والجهود الجليلة.

غير أنّ الذي يصلح لحمل هذا العبء الثقيل الفخيم، ينبغي أن يكون هو أيضاًمن أعلام هذا الرعيل. إنّما يعرف ذا الفضل من العلم ذووه!

ومن حسن الحظّ أن قام بأعباء هذه المهمّة الضخمة، علم لامع من أعلام الفقاهة صاحب الفضيلة العلّامة الكبير الشيخ جعفر سبحاني ـ مُدَّت ظلالُه الوارفة ـ الذي يُعَدُّ بحقّ مفخرة من مفاخر الإسلام، وقد ازدانت بوجوده الحوزة العملية بقم المقدسة، فشمّر عن ساعد الجدّ هو وجماعة من تلامذته الأفاضل، فرسم لهم خططه وأبان معالمه وعمل معهم في إشراف

مستمر،وسار على منهج قويم في تبيين مصطلح الفقاهة في الإسلام وأُسسها ومبانيها منذ العهد الأوّل، وتطوراتها على طول التاريخ، والأساطين التي قام عليها هذا البنيان الرفيع، قرناً فقرن، على مختلف المذاهب والمسالك والمناهج التي انتهجوها حسب الظروف الأحوال.

فبيّن أوّلاً مصادر التشريع عند كلا الفريقين (الشيعة والسنّة) ووازن بينهما في نقد نزيه. ثمّ بسط المقال حول التُراث الفقهي عند أبناء المدرستين: مدرسة أهل البيت عليهم السلام ومدرسة أهل السنّة والجماعة. وأتبع ذلك بالأدوار الفقهية التي قضاها العالم الإسلامي في مختلف العصور. ولا يزال يُمتعنا بإفاداته الكريمة ضمن مسيره هذا الحثيث في ركب الفقاهة السائرة إلى الأمام ولا تزال موفّقة ومزدهرة مع الأيّام. ونحن إذ نبدي شكرنا الجزيل وتقديرنا لجهوده في هذا السبيل، ندعو اللّه تعالى أن يمدّه بعنايته الخاصّة ويسدّده بتوفيقه في مواصلة المسير. زاد اللّه في شرفه وأمتعنا ببركات وجوده إن شاء اللّه إنّه تعالى خير موفّق ومعين.

قم المقدسة ـ محمد هادي معرفة

شهر الصيام المبارك ١٤١٩ هـ

١٣٧٧/١٠/٢٥ هـ. ش

٨٧

تقريظ السيد الجلالي لموسوعة «طبقات الفقهاء»[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّٰه ربّ العالمين نستعينه ونستهديه ونتوكّل عليه، ونصلّي علىٰ سيّد رسله وأفضل الهداة إليه، وعلىٰ آله المعصومين وأصحابهم المتقين وأتباعهم إلى يوم الدين.

وبعد، فإنّ الشريعة الإسلامية المقدّسة لهي من معاجز الرسالة المحمديّة الخالدة والخاتمة للرسالات الإلهيّة كافّة، بل فيها يكمن سرّ خلودها وخاتميّتها.

فنزولها في عصرٍ خلت الأرضُ فيه من أيّ تشريعٍ عادلٍ متكامل، بينما هي ـ على كمالها ـ تُوافق الفطرة وتُوازن الوجدان وتُسالم العقل وتُساير المكارم والمصالح وتُنافر المفاسد والقبائح، وأداؤها لكلّ هذه الميّزات بنحو تامّ وعامّ، وكذلك حدوثها في فترة عصيبة من الرسل، وفي دامسٍ من ظلام الجاهليّة وفسقها وعتوّها وكفرها ... انّ ذلك ـ حقاً ـ من المعاجز التي لا تنكر.

وأمّا استمرارها ومسايرتها لكلّ العصور، مع الاستقامة والثبوت علىٰ ما

---

١ . هذه عقود درّية أتحفنا بها المحقّق الفذّ والمفكّر الإسلامي السيد محمد رضا الحسيني الجلالي مؤلف كتاب «تدوين السنة الشريفة» وغيره من المؤلفات القيمة .

هي عليه من القواعد والأُصول، والجريان على الفروع والمستجدات، تُنافس كلّ التشريعات الوضعية وأزهى ما توصلت إليه العقول البشرية من إنجازات قانونية، وتفوقها عدالةً وموافقةً للفطرة ومراعاةً للمصلحة العامّة من دون إجحافٍ بالخاصّة ولا إسرافٍ في المادّة والمدّة.

إنّ هذا الخلود ـ أيضاً ـ من المعاجز، كذلك.

فمن الحقّ لهذه الشريعة المقدّسة أن تُبذَل الجهود المتضافرة لرعايتها وصيانتها، بعد أن بذل المعصومون عليهم السلام أكبر الجهود في سبيل نشرها وتبليغها.

ولقد قيّض الله لذلك من انبروا لطاعته، إذ قال: ﴿فَلَولا نَفَرَمِنْ كُلّ فِرْقَةٍ طائفَةٌ مِنْهُمْ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّين وَلِيُنْذِرُوا قَومَهُمْ إذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُون﴾ فكانوا هم الأمناء، الذين حملوا فقه الدين وتروّوا من ينابيعه الزاخرة، ورجعوا بفيض علومه على الأُمة ليصبحوا (مراجع) للأحكام على أيديهم تُحفظ أُسسها وأُصولها، وبجهودهم تنشر معارفها وأسرارها، وبنضالهم تستمرّ جذوة مصادرها ومناهج التحقيق فيها، مشعةً أنوارها على درب طلابها ودارسيها، حتى تتمّ الحجّة وتعمّ كلّ البسيطة.

فالفقهاء هم الأُمناء على هذا الدين، والحكّام على المسلمين، وهم الحجج القائمون على الشريعة، وهم الآيات الهادية إلى الحقّ والمرشدون إليه.

ولما للفقه من أثر مهم في المعارف الإسلامية، وما للفقهاء من مكانة

سامية عند علماء الإسلام، فإنّ المؤرخين والرجاليين قد اعتنوا بشكل فائق بأمرهما، وتثبيت مايرتبط بهما من شؤون خاصة وعامة.

فكان لتاريخ الفقه وتاريخ أُصوله ومبانيه، حظٌّ وافر من العناية بالتأليف والبحث، كما كان للفقهاء وتاريخهم حظٌّ أوفر من الرعاية في كتب التراجم والطبقات.

لكنّ ما أُلف في كلا المجالين إنّما يختصُّ غالباً بمذهب معين هو مذهب المؤلّف وأهل الفقه به، فمن ذلك ما كتبه الجعفرية لفقههم وطبقات فقهائهم، وكذلك الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، فلكلّ منهم كتاب طبقات خاصّ. وكانت الحاجة ماسّة إلى ما يجمع شتات تلك الجهود وتقديم نتائج مقارنة بين تلك المؤلفات، لتأثير ذلك في تقريب وجهات النظر بين المذاهب الإسلامية للوصول إلى (الوفاق) ونبذ الشقاق أو تحجيمه إلى أصغر حجم ممكن، لا سيما في عصرنا الذي تيسّرت فيه المصادر المتنوعة وكثر فيه اهتمام الدارسين في المجامع العلميّة بالبحوث المقارنة، فانّ الضرورة أكثر والحاجة أمسّ إلى المبادرة لحمل هذا العبء الكبير بتأليف يجمع بين الجدّة في الأسلوب والعمق في البحث، وبين السعة والشمول، والابتعاد عن ضيق الأُفق بالطائفية والمذهبية، وإلى الاعتماد على روح منفتحة ومتطلّعة إلى الحقيقة، تتطلّب النتائج الباهرة وتضعها بين أيدي الطالبين، ليزدادوا ثقة وإيماناً، ويمتلئوا إعزازاً وفخراً بهذه الشريعة العظيمة، وطريقة فقهها واجتهادها وجهود فقهائها العظام.

ولقد قيّض اللّٰه تعالىٰ للتوفيق لهذه المهمة الكبيرة والواجب الهام:

(مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام) متمثلة في جهود سماحة مؤسّسها والمشرف العام عليها: العلّامة المحقّق والعلم المتتبع المجاهد الشيخ السبحانيّ، حيث قام بالأمر بهمة قعساء، وطموح يناهز السماء، وأُفق واسع، وروح علمية، بتأليف هذا الكتاب الهامّ «**موسوعة طبقات الفقهاء**» مقدِّماً سماحته لها بالبحث الواسع عن الفقه وأُصوله ومبانيه وتأريخه بجهده الخاصّ، مضافاً إلى إشرافه العامّ، فتمّ الكتاب جامعاً للغرضين بشكل تامّ، وتمتاز هذه الموسوعة:

١. بُعد منهج المقارنة بين عدّة من المذاهب الفقهيّة الكبيرة، وعدم الاقتصار على مذهب واحد.

٢. وبُعد سعة المرحلة الزمنية التي يشملها منذ عصر الرسالة حتى العصر الحاضر، وكذلك المنطقة الجغرافية التي يغطيها.

٣. بسعة المصادر والمراجع المعتمدة في العمل وتنوعها وانتشارها بين القديم والحديث، والمتخصص في التصنيف العلمي، واقتناص الفوائد من غير المتخصص أيضاً.

٤. والاتّسام بالروح العلمية و اللغة الهادئة ممّا يشوّق الجميع إلى الانتهال منه.

٥. كل ذلك، إلى جمال الإخراج وإناقته باستخدام أحدث الإمكانات الفنية المتوفرة.

وبكلمة موجزة فإنّ هذه الموسوعة تعدُّ إنجازاً رائعاً، ازدهرت به

المكتبة الإسلامية التي كانت بأمسّ الحاجة إليه.

فشكر اللّٰه القائمين بها ووفقهم وسدّد خطاهم، فهو ولي التوفيق والتسديد، إنّه ذو الجلال والإكرام حميد مجيد.

حرّر في الثامن عشر من ذي الحجة الحرام عام ١٤١٩، في الحوزة العلمية في قم المقدسة

وكتب السيّد محمد رضا الحسيني الجلالي

٨٨

رسالة الدكتور عبدالهادي التازي سفير المغرب الأسبق إيران



إلى صاحب المعالي

الأُستاذ الجليل محمد مسجد جامعي[١]

سفير الجمهورية الإسلامية الإيرانية لدى المملكة المغربية

سلام الله ورحمته عليكم وبركاته

وبعد، فأرجو أوّلاً أن أُهنّئكم بنجاحكم المتميز في مهمتكم الدبلوماسية طوال المدة التي قضيتموها بين ظهرانينا. فقد عملتم ـ والحق يقال ـ على دعم الصلات بين المملكة المغربية وبين الجمهورية الإسلامية الإيرانية سواء منها الصلات السياسية والاقتصادية والثقافية كما تدل عليه البعثات المتبادلة بين إيران والمغرب على مختلف الصعد، وتدل عليه كذلك المعارض والأنشطة المتوالية. وكنتم حاضرين في شتى المناسبات، وكان

١ . هذه الرسالة وما يليها قد بعثت إلى الشيخ الفاضل مسجد جامعي خلال عمله كسفير في المغرب ولعلاقتها بعملنا ومؤسستنا ننشرها هنا.

بيتكم محجة لكل الأطياف والطبقات التي كانت تقصده فتلقى منكم ومن السيدة الفضلى حرمكم المصون وكذا أنجالكم الميامين كل الترحيب والتكريم.

السيد السفير: لقد شملتموني بفرحة غامرة عندما أهديتموني موسوعة (طبقات الفقهاء) في سبعة عشر مجلداً تلك الطبقات التيقامت اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام بإشراف العلامة الفقيه جعفر السبحاني بإنجازها مشكورة.

لقد كان عملاً عظيماً يستحق منا أن ننوه به ونعترف بقيمته العلمية الكبرى... حيث استطاعت تلك الموسوعة أن تترجم لتسعة وستين وتسعمائة وأربعة آلاف (٤٩٦٩) شخصية من علماء الإسلام علاوة على (المستدركات) التي تتضمن أسماء فقهاء آخرين لم تظفر مؤسسة الإمام الصادق بترجمة لهم.

لقد سرني في تلك الطبقات أنها جسر قوي ومهم يربط بين العلماء الذين يعملون على التقريب بين المذاهب حيث نجد فيها تراجم لأقطاب من علماء الشيعة في المشرق إلى جانب زملائهم من أقطاب السنة بالمغرب.

أعتبر أنّ هذه الموسوعة يجب أن توزع على أوسع نطاق في مختلف البلاد الإسلامية وسائر الجامعات العربية المنتشرة هنا وهناك من الفرات إلى المحيط.

وإنّي إذ أجدد شكري لكم على هذه الإلتفاتة الكريمة منكم أرجو مرة

أُخرى أن أُنوّه بعمل مؤسسة الإمام الصادق التي نعلق عليها أملاً كبيراً في تبصير المسلمين برجالاتهم وأمجادهم وتراثهم.

وإذ أجدد شكري أبعث إليكم بما وعدتكم به من إرسال بعض تآليفي التي تتضمن الإشارة إلى ما كنت سمعته وأنا بالعراق من أُستاذنا العلامة الكبير أبي القاسم الموسوي الخوئي طيب الله ثراه، هذا إلى تأليفي عن (جامع القرويين) بفاس في ثلاث مجلدات وهو يتضمن الإشارة لبعض الشخصيات المغربية التي وردت في موسوعة مؤسسة الإمام الصادق: (طبقات الفقهاء) وهو هدية مني إلى مؤسسة الإمام .

والسلام مجدداً على معالي الأخ السفير الّذي كان خير سفير عرفناه، عمل بجد وصدق على ربط العلاقات وإحكام الصداقات، جازاكم الله خيراً عما فعلتم وأسمعنا عنكم وعن أسرتكم الكريمة ما يفرح وما يسر.

مجلكم:

الدكتور عبدالهادي التازي

سفيرالمغرب الأسبق في إيران

٢٠٠٧/١/٧م

٨٩

تقدير آية الله الشيخ التسخيري لجهود المؤسسة[١]



بين يدي الكتاب

... وهكذا تمتعت المكتبة الإسلامية العربية بصدور هذه الموسوعة العلمية الرائعة لتعرض أمام قارئها مسيرة الفقهاء المسلمين عبر القرون بكلّ ما فيها من عطاء وحركية وإثراء. والحقيقة هي أنّ مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام للدراسات والبحوث الإسلامية مافتئت بين الحين والحين تغني المكتبة الإسلامية بنتائج تحقيقاتها ودراساتها العلمية التي تسد فراغاً كبيراً ما كان ليُسد لولا جهود العلماء والمفكرين المخلصين، ومنهم سماحة آية اللّه الشيخ جعفر السبحاني الذي نذر نفسه وحياته وفكره لخدمة هذا الهدف الكبير المقدّس، وألّف العديد من الكتب العلمية المبتكرة، وقد ترجمت مؤلفات سماحته إلى مختلف اللغات الحية، و انتفع بها طلاب العلوم الدينية والجامعات الإسلامية في أنحاء العالم.

---

١ . هذا جزء من كتاب كريم بعث به سماحة آية اللّه المحقق الشيخ محمد علي التسخيري (دامت معاليه) وفيه تثمين للجهود التي بذلتها مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام في حقل التأليف ونشر علوم أهل البيت عليهم السلام .

وإنّي باسم رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية لأُقدم لسماحته كلّ تجلة واحترام لما يبذله من جهود علمية كبيرة في هذا السبيل، وأرجو لهذه المؤسسة العلمية التقدّم والازدهار المطرد في سبيل خدمة مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وعرض كنوزها الثمينة أمام الأنظار والقلوب المشتاقة، وهي لعمري مدرسة لو وعىٰ الناس ما فيها من عظمة وشمول لبذلوا كل ما يملكونه من وقت وجهد للحصول على العطاء الكبير.

وإنّني لأرجو أن نوفق للمساهمة في إيصال كتب مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام إلى المكتبات الإسلامية الكبرىٰ لتنهل القلوب من نميرها العذب.

والله تعالى هو الموفق

محمد علي التسخيري

٩٠

مقالة الأُستاذ حسين الرواشدة في صحيفة اللواء



إلى سماحة الشيخ آية الله السبحاني

من كربلاء إلى قانا [١]... لم نتعلم من المحنة بعد

واقع الأُمّة بين السلة والذلة...

عاشوراء: دروس في البيعة والصلح والثورة ضد القهر والهوان.

---

١. **«من كربلاء إلى قانا»**

لقد كان لرحلتي إلى المملكة الأُردنية الهاشمية تأثير بالغ في إلفات الأنظار إلى مذهب الشيعة، وأنّ الشيعة هم أتباع أئمّة أهل البيت عليهم السلام وقدتركت انطباعات مهمة في النفوس والقلوب.

ومما أكدتُ عليه في بعض محاضراتي انّ العشرة الأُولى من شهر محرم الحرام أيّام حداد وحزن لشهادة السبط الأصغر الحسين بن علي عليهما السلام في كربلاء على يد الأمويين، وقد خُيّر السبط بين السِلّة والذلة، وبين القتل و البيعة ليزيد الخمور والفجور ، فأبى أن يهادن مع الظلم والذل واستشهد مع أولاده وخيرة أصحابه في هذا السبيل.

سل كربلا كم من حشا لمحمد	نهبت بها وكم استجزّت من يد
أقمار تمّ غالها خسف الردىٰ	واغتالها بصروفه الزمن الردي

وهذه المقالة قد كتبها الأُستاذ حسين الرواشدة في صحيفة «اللواء» حول شهادة الحسين عليه السلام وأهدافه وانّه يجب على الأُمة أخذ الدروس و العبر من ثورته عليه السلام ، ولهذه المقالة قيمة تاريخية كبيرة حيث إنّها نشرت في بلد تقام فيه مجالس الأفراح في أيام شهر محرم الحرام .

الحسين: لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ إقرار العبيد

...أمّا الذين يتطوعون ـ اليوم ـ لتحريف الواقع وتسويغه وفق بوصلة مصالحهم وأهدافهم فمطالبون بقراءة تاريخ عنوانه «كربلاء» وأمّا الذين يبحثون عن لغة جديدة لتضليل الشعوب باسم الراحة و السمن والعسل وتكتيك المهادنة، ويحذورنهم من عبثية المواجهة ويدعونهم إلى شرعية الصلح المتصل بحبال المصلحة الوطنية التي غالباً ما تتحول في أيدي السحرة إلى حيّات مخيفة... هؤلاء مدعوّون لزيارة الحسين بن علي كرم الله وجهيهما في مثل هذا الموسم من عاشوراء لا لمتابعة اللطم وشق الصدور وإقامة مآتم الندم والعزاء...ولكن لفهم معادلة الصراع بين الحقّ والباطل وإدراك قضية العدالة المرتبطة بالعبودية الخالصةلله، فعاشوراء ما زالت تتجدد في كيانات هذه الأُمة ثورة ضد الاضطهاد، يتمثلها الأجيال كفاحاً وتمرّداً ضد الواقع الحزين وتنطق بها الأرض دماً لا يهدأ، وروحاً تستأنس بالشهادة كما يستأنس الطفل بمحالب أُمّه لا مجرد حماس وانفعال وثورة عاطفية تشتعل ثمّ تخمد...وإنّما فكر متعلق بالله وعمل شعاره«هون ما نزل بنا، انّه بعين الله...» وإرادة مستمدة من الحسين بن علي شهيد كربلاء وهو يصعد إلى السماء ودمه في كفه مردداً«هكذا أكون حتى ألقى الله وجدي رسول الله عليه الصلاة والسلام ...».

محنة الحسين بن علي التي تتردّد أصداؤها اليوم في ذاكرة الأُمة الضالة لتعيد إليها تاريخها المستباح وتوقظ فيها مشاعر الكرامة والثورة ضد الظلم والطاغوت... تعلمنا كيف نمد أيدينا لنصافح أو نعاهد أو نعاقد، وكيف

نسحب أيدينا حين تكون المسألة متعلقة بالعزة والكبرياء والأنـفة، وحـين تحس النفس المؤمنة بأنّ عقد الصلح قيد لإذلالها وإذعانها لشرعية الطاغوت يعلمنا الحسين بن علي الفقير الذي تربّى في حضن جدّه المـصطفى كـما تربّى والده علي كرم اللّه وجهه منذ ولد في كنف ابن عمه ﷺ كيف نحافظ على بساط التفاوض مع الأعداء نسحبه حين يكـون الإقـرار إقـرار العـبيد، ونرفضه حين يكون استجداء كإعطاء الذليل الذي يشعر بانسحاق إرادته أمام سيده ... فالعزة ليست في المنصب والمال ولا في «السلة» التي يوهمنا بها أدعياء الرفاه والاستقرار، ولكنّها بمقدار ما يملك الإنسان من إرادة وعزيمة وبمقدار ما يرتفع إليه من إيمان وشجاعة والتزام.

أين نحن اليوم من حكمة شهيد كـربلاء ومـحنته المـليئة بـالدروس والمواقف؟ انّ الذين يقرأون هذه المحنة التي واجهها الهـاشميون مـن آل عترة المصطفى ﷺ سيدركون ـ لا ريب ـ حجم القوة الإيمانية التـي تـدفع اثنين وثمانين رجلاً وامرأة للوقوف مع الحقّ في وجه أكثر من اثني عشر ألفاً من جيش يزيد بن معاوية... وتجعلهم مع محارمهم اللواتي ما هتك لهنّ ستر قط يواجهون عطشاً وحصاراً وظلماً وجبروتاً يقع بعده الشهيد تلو الشهيد من أبناء الحسن وجعفر وآل أبي طالب أحفاد رسول اللّه ﷺ دون أن يدفعهم ذلك إلى قبول «الذلة» ومبايعة يزيد «بالخلافة».

درس في البيعة ـ اذن ـ و درس في قبول الصلح و الانسياق خـلف سلال الغنيمة ... فما الذي دفع الحسين إلى رفض السلة مع الذلة معاً؟ السر في ذلك يلخصه رضي اللّه عنه فـي إحـدى خـطبه فـيقول: «... لا واللّـه لا

أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ إقرار العبيد، ألا وانّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة وهيهات منّا الذلة، يأبى اللّه لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وانوف حمية وجباه أبية...».

والسر في ذلك يعرضه مرة أُخرى «جون» مولى أبي ذر الغفاري حين أشار عليه الحسين بن علي أن يتنحّى عن المشاركة في قتال «عاشوراء» فيجيبه جون: لا واللّه... أنا في الرخاء ألحس قصاعكم وفي الشدة أخذلكم؟! واللّه لا أُفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم... فأذن له الحسين حتى استشهد بعد أن قتل خمسة وعشرين رجلاً.

هو ـ اذن ـ درس في امتحان الصحابة وفرزهم عن جموع الموظفين الذين يتزاحمون ساعة الطمع ويفرون ساعة الفزع...والقائد هنا لا يكذب على أتباعه بالشعارات ولا يصفهم في طوابير بالحديد والنار ليقاتلوا دونه، ولكنّه يصارحهم بالحرية في البيعة والوضوح في القصد، فالبطولة ليست بهلواناً والمعركة ليست قتالاً مجرداً من العقيدة والرسالة والإرادة.

وهو درس للذين يتسابقون بدافع القوة من قوة الآخر وهيمنته وجبروته للسجود بين يديه، والاضمحلال فيه لخدمة مصالحه، واستناد إلى الواقع بمنطقه المعكوس لتبرير هذا الانجرار، هؤلاء لم يسمعوا «حنظلة الشبامي» [كذا] وهو ينادي على الحسين: «صدقت يا ابن رسول اللّه أفلا نروح إلى الآخرة...»، ولم يصغوا للشيخ الطاعن في السن «أنس الكاهلي» الذي رأى النبي وسمع حديثه وشهد معه بدراً وحنيناً وقد برز رافعاً حاجبيه بالعصابة ومقاتلاً دون الحسين حتى استشهد.

لم تكن قلة العدد ـ اذن ـ معياراً للهزيمة أو الانكسار، ولم يكن الانكسار مؤشراً لاندحار الحقّ وغلبة الباطل... ولم تكن الهزيمة والغلبة مدعاة للرضوخ والاستسلام، وما كان الصادقون ـ آنذاك ـ قصراً عن تبرير الواقع وتسويغه ليناسب حجم المحاذير والرغائب كان «الحسين بن علي» وقد أقفل عائداً من مكة إلى كربلاء بعد أن قطع الحج وترك الذين ينتظرون خطبته على عرفة... كان يدرك وهو يصارح من انسحب خلفه من القوم انّ كثيراً منهم لا يريد سوى الدنيا وكان صادقاً معهم وهو يقول عشية السفر:« ألا و من كان فينا باذلاً مهجته موطناً على لقاء اللّه نفسه، فليرحل معنا فانّي لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برماً...» وقد انسحب عنه الكثيرون بعد أن أدركوا حقيقة ما قاله الفرزدق «قلوبهم معك وسيوفهم عليك» وبقي القلة من الذين كان حاديهم يقول:«لوددت انّي قتلت وأحرقت ثمّ أحييت يفعل بي ذلك سبعين مرّة ما توانيت عنك».

درس في ترسيم العلاقة مع اللّه... العلاقة الدائمة غير الرسمية أو الموسمية مع أوامر الخالق... العلاقة التي لا تقتصر على طقوس الصلاة والصيام فحسب بل تتعداها إلى كلّ ما يدور في حياة المسلم وما يتعلق بواقعه داخل المسجد وخارجه وهو درس غائب عن هذه الجماهير التي استهلكتها الحياة المادية بشهواتها وعوارضها... درس يندر اليوم أن يتجسد في «نموذج» يقارب ولو من بعيد نموذج الحسين وصحابته الذين ماتوا دفاعاً عن حقّهم في الكرامة والشهادة.

ما أحوج الأُمة اليوم، وهي تضع رقبتها على حدّ المقصلة، وتدافع عن

كرامتها بمزيد من التبعية والاستسلام، وتتسرب من خلايا أعدائها وعيونهم لتخنق شعوبها... ما أحوجها إلى وقفة مع «عاشوراء» و ما تجسد من فكر في التضحية والالتزام بالحقّ ومواجهة الباطل وجنوده... والاستعلاء على وسخ الواقع وطين الوعود و الخوف على شهواته الزائلة... فمن قال إنّ مصلحة الأُمّة في الراحة والذلة و من قال إنّ مصلحة الوطن في حسن التعامل مع الواقع المهين بمفرداته وآلياته وشروطه التي يمليها القوي على الضعيف... ألم يمتحن رسول الله صحابته حين أرسل بعضاً منهم إلى قلعة ضخمة لبلوغها، وحين عادوا مقرين بضعفهم وجبنهم قال لهم محمد ﷺ: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله كرّار غير فرّار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه...».

فأوّل شروط نبذ الضعف والجبن الذي يسوغه البعض تكتيكاً وخروجاً من مأزق الواقع هو محبة الله ورسوله... ولكن أين الذين يحبّهم الله وأين الذين يحبّونه ورسوله في عالمنا هذا المهزوم؟ وأين الذين قال فيهم علي بن أبي طالب «من أحد سنان الغضب لله قوي على قتل أشداء الباطل»....

إنّ الذين نخشاهم اليوم يحدون سيوفهم للقضاء على شعوبهم، ويغضبون إذا غضبت امريكا أوإذا زمجرت إسرائيل...الذين نخافهم ممن يعطون أنفسهم مراسيم القومية والخوف على مستقبل الأُمة يحرسون ثغور ومصالح غيرهم، فأين منا الحسين وأين كربلاء التي تجسد في أعماقنا أكبر ثورة إنسانية ضد الخنوع والقهر لآلة الاستبداد واستيطان الإرادة والإنحناء

لغير الله عزّوجلّ....

كيف يمكن لهذه الأُمّة أن تعيد مرّة أُخرى «عاشورا» إلى منصتها الخالدة، لتنفض عنها غبار «الذلة» و تمسح دماء أطفال «قانا» التي لم تجف بعد... كيف يمكن أن يقف الشعب خلف قيادته وأن يعلن رجل يصارع الموت كما أعلن «مسلم بن عوسجة» في حضرة « الحسين بن علي» وصيته لصديقه...وما هي وصيته؟ يقول حبيب بن مظاهر:

«لما صرع مسلم بن عوسجة مشى إليه الإمام الحسين وكنت معه، وجلسنا عنده وهو يحتضر قلت له: والله لولا ان أعلم انّي في الأثر لأحببت أن توصي فانّ الصديق يوصي صديقه لحظة الاحتضار، يوصيه بأهله وعياله ولكن مشكلتي انّي سأموت من بعدك وسأسير في نفس الطريق...فقال له مسلم: لي وصية تستطيع أن تنفذها الآن...؟ قلت: وما هي وصيتك؟ قال: أوصك بهذا ـ و أشار بيده للإمام الحسين بن علي ـ جاهد دونه حتى تموت.

ومادام هنالك قضية عادلة، وحق يقابل باطلاً ليدحضه، فالموت ليس مهماً والدم أقرب اللحظات التي توصل الأرض بالسماء ألم تسمع ماذا قال «علي الأكبر » ابن الإمام الحسين وهويرى أنفاس والده تعانق السماء وقد ظل يكرر ﴿إِنّا للّه وَإِنّا إِليهِ راجِعُون﴾ : يا أبتاه لم تسترجع؟ فأجابه: يا بني عنَّ لي فارس وأنا في المنام يقول: القوم يسيرون والمنايا تسير خلفهم، فعلمت انّ نفوسنا نعيت إلينا، قال علي: يا أبتاه ألسنا مع الحقّ؟ قال الحسين: بلى والذي نفسي بيده. قال علي: لانبالي يا أبتاه ـ إذن ـ أن نموت محقين.

ولكن كيف يمكن لأطفالنا أن يتساءلوا عن قضيتنا؟ وكيف يمكن لنا ـ نحن التعساء ـ أن نجيبهم، لقد علّم الحسين ولده درس نعلم أبناءنا درس التضحية ونحن نسبل رموشنا لاستقبال خيرات العهد الشرق أوسطي الجديد؟

كيف يمكننا أن نقنع أجيالنا بأنّ الذي ندافع عنه هو الحق... الذي يجب أن يدافعوا عنه ويصونونه أي حق هذا الذي استعدناه وأي تضحية تلك التي قطفنا ثمارها بعد سيل الهزائم والانكسارات....

يا اللّه...

ماذا يحدث لهذه الأُمّة التي تحولت إلى قطيع تائه...ماذا يحدث لهذه الأجيال التي مسخت تاريخها... ماذا يحدث وقد غابت المرجعيات وتحول معظم العلماء إلى سدنة في بلاط السلطة، وعبيد في أقبية السلاطين وقد فقدت الحركات مبررات وجودها،واستمرأت اللعبة، فاشتغلت في شؤون الحيض وتنظيف الفرج واللسان بدعوى السماحة والنظافة والاعتدال وانتظار فرج السماء.

يا اللّه...

إذا كان القوم قد تركوا حفيد رسولك «الحسين بن علي» وحيداً أعزل إلّا من الإرادة والإيمان واثنين وثمانين رجلاً وامرأة... وشهدوا على دمه الطيب ـ بعد أن منعوه وحصانه الماء ـ و هو يصعد في كفة السماء...فمن يستطيع في زماننا أن يحمل راية حملها الحسين... ومن يتبقى معه من أُمّة

نخر عصبها الفساد والتعب والضلال.

أمّا نحن فلا نملك إلّا أن نقرأ «كربلاء» و أن نتوقف بقلوب أدمنت الحزن ومرارة «المحنة» على معنى المكابدة من أجل رضى اللّه، ومعنى التضحية بكلّ شيء من أجل الحقّ... ومعنى الإيمان الخالص بالقضية العادلة والدفاع عنها مهما غلا الثمن.

نقرأ عاشوراء... مرة تلو مرة... لنحدد أهدافنا ونوضحها ونميز بين الصحابة والموظفين، بين المؤمنين بدينهم وأوطانهم والمندسين طمعاً في الغانم، بين المرتبطين عقلاً وروحاً بالإسلام وبين المرتبطين عاطفياً وموسمياً به عبر الفاكسات والبيانات.

ونعيد إلى ذاكرتنا محنة «الحسين» وأصحابه، فالحسين ليس ملكاً لفرقة دون فرقة،وعاشوراء ليست مناسبة دينية لمذهب دون آخر....الحسين هو معلّمنا جميعاً وعاشوراء وكربلاء مناسبتان عابقتان بالدم والتضحية في تاريخنا السياسي الإسلامي وهما في قاموسنا ثورة ضد الطغاة، ضد الإذلال، ضد التطبيع والمصالحة والمصافحة ضد الاستهتار بحقّ الأُمّة ، ضد تسويغ الواقع وتبرير السقوط في دهاليزه المظلمة... ضدّ كلّ خطط الاذلال التي تحاك هنا و هناك للقضاء على روح الجهاد في هذه الأُمّة... عاشوراء لنا جميعاً بلا استثناء لفقرائنا وساستنا، لحركاتنا التائهة ولإنساننا الذي أدمن اليأس والصمت والانتظار، عاشوراء لغة الواقع التي تؤسس لصياغة المستقبل وهي لفتة الحرية في تاريخنا المليء بالقهر والاستبداد...تظل تعيد

في أذهاننا ما قاله الحسين رضي الله عنه «والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ إقرار العبيد».

ترى...هل تستطيع هذه الأُمّة المسكينة التي تبيع برميل نفطها بما يعادل ثمن حبة برتقال ـ كما اعترف بذلك وزير النفط العماني ـ التي تشتغل اليوم بكلّ طواقمها في الانتخابات الصهيونية وتسير خلف أوهام السلام الذي يبشر به سفاح قانا... أن نقرأ دروس عاشوراء، و أن نتعلم من دروس الحسين في كربلاء... أم انّني أنفخ في قربة مخزوقة....

يا الله... ماذا يملك المظلومون العاصون غير الدعاء إليك واللوذ ببابك... فاعف عنّا يا أرحم الراحمين.

حسين الرواشدة

٩١

رسالة أمين السر الدائم لأكاديمية المملكة المغربية البروفيسور عبد اللطيف بربيش

أكاديمية المملكة المغربية الرباط في ٣ محرم ١٤٢٥ هـ

الموافق ٢٤ / فبراير / ٢٠٠٤ م

سعادة سفير الجمهورية الإسلامية الإيرانية بالمغرب

الأُستاذ محمد مسجد جامعي ـ الرباط

السلام عليكم ورحمة الله تعالىٰ وبركاته

وبعد، لقد سعدنا كثيراً باللقاء العلمي الذي احتضنته أكاديمية المملكة المغربية مع سماحة العلامة المحقّق آية الله جعفر السبحاني بمبادرة طيبة من سعادتكم.

لذلك يسعدني باسمي ونيابة عن زملائي أعضاء الأكاديمية أن أتوجه إليكم بأصدق عبارات الشكر والامتنان، داعيا المولى عزوجل أن تتاح لنا في مستقبل الأيام لقاءات علمية مباركة مع علماء أجلاء آخرين من بلادكم الشقيقة، حول موضوعات تعزز وحدة الفكر الإسلامي التي تحتمها مستجدات العصر.

وتفضلوا، سعادة السفير، بقبول صادق عبارات المودة والتقدير.

أمين السر الدائم

البروفيسور عبداللطيف بربيش

٩٢

رسالة للبروفيسور عبداللطيف بربيش حول كلمة الشيخ السبحاني في مقر أكاديمية المملكة المغربية

أكاديمية المملكة المغربية الرباط في ١٧ جمادى الأُولى ١٤٢٥ هـ

سعادة سفير الجمهورية الإسلامية الإيرانية لدى المملكة

المغربية السيد محمد مسجد جامعي الرباط

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد

يسعدني أن أوجه إلى سيادتكم المحضر المتضمن للمحاضرة القيّمة التي ألقاها فضيلة الشيخ آية الله جعفر السبحاني بمقر أكاديمية المملكة المغربية حول موضوع «الفقه المالكي والمسائل المستحدثة: مقارنة بين المذاهب السنية والفقه الجعفري» يوم الثلاثاء ٢٤ فبراير ٢٠٠٤ م، ملحقة بالمناقشة التي أعقبتها، وردود الشيخ.

وتفضلوا، سعادة السفير، بقبول صادق عبارات المودة والتقدير.

أمين السر الدائم

البروفيسور عبداللطيف بربيش

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

سيدنا محمد على آله وصحبه أجمعين

- سماحة العلامة الشيخ جعفر السبحاني

- سعادة سفير الجمهورية الإسلامية الإيرانية بالمغرب

- حضرة الأعضاء الزملاء

- السيدات الفضْليات

- السادة الأفاضل

تتشرف أكاديمية المملكة المغربية اليومَ بزيارةِ علمٍ إيراني من أعلام الفكر الإسلامي المعاصر سماحة العلّامة المحقّق آية الله جعفر السبحاني، الّذي أبى إلّا أن يَخُصَّ أكاديميتّنا بلقاءٍ علمي مع زملائه من العلماء والمفكرين المغاربة، ومطارحةِ موضوعٍ يعدّ الآن من الأهمية بمكان ألا وهو «الفقه المالكي والمسائل المستحدثة: مقارنة بين المذاهب الفقهية السنية والفقه الجعفري». ومن المؤكد أننا سَنَسْعَدُ بالإطلاعِ على الأفكارِ النيِّرة لهذا العالم الجليل الّذي تعدُّ مباحثه من المرجعياتِ في مجالاتٍ عدة، أخص بالذكر منها علوم القرآن وأُصول الفقه والأحكام، وعلم الكلام والفلسفة

والحديث والسِّيرة. وقد دوِّنت جميع أعماله في أكثر من مائة مؤلف.

إننا نتطلَّع جميعاً إلى ما سيتفَضَّل بعرضه علينا من اجتهادات نحن أحوج ما نكون إليها في هذا العصر الّذي يتعرض فيه ديننا الحنيف لهجمات تُريد النَّيْلَ منه بدعاوَى مختلفة، ومحاولة المسِّ بقدسيته وصلاحيةِ شريعَتِه لمُسايرةِ رَكب التطور الحضاري والاجتماعي، بل ولقد وصل التهجم مداه البعيد باعتبار الإسلام مصدراً للتَّطرف والعنف والإرهاب، وهوبَرَاءٌ من ذلك. إنّ المسلمين اليوم في أمسِّ الحاجة إلى أن يكثفوا جهودهم وأن يَرصُّوا صفوفهم ويُوحِّدوا كلمتهم لمواجهة المتحاملين، كي يُعطوا الدليل على أن عقيدتَهم عقيدةٌ أسِيسَتها العدالة والحرية والتعايشُ السلمي والتضامن بين بني البشر دون ميز سوى فضيلة التقوى.

أود أن أشير إلى أنّ لسماحة الأُستاذ السبحاني الفضل في تأسيس وإدارة مؤسسة الإمام الصادق التي توجد في مدينة قم والتي تهتم بدراسة علم الكلام، كما له الفضل في إصدار مجلة فصلية تهتمّ بدراسة العقائد والكلام المقارن، وهو عضو رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي في الجمهورية الإسلامية الإيرانية. ويعدّ آية الله السبحاني من العلماء ذوي الباعِ الطويلِ في مجالِ التقريب بين المذاهب الفقهية لدى السنّة والشيعة، في اتجاهٍ يَسْتَهْدِف إحياءَ الاجتهاد وتجديدَ الفكر الديني حتّى يعيش المسلمُ في انسجامٍ مع عصره، في خضم التفاعلات الحضارية وفي انسجامٍ تامٍ مع كل مظاهر التقدم العلمي والتكنولوجي الّذي زَجّ بالأُمم والشعوب في عولمة تتحدى ليس فقط

الجوانب الثقافية والاجتماعية بل وأيضاً الجوانبَ الروحية والعقدية.

مرة أُخرى أرحِّب بسماحةِ العلّامة المحقّق آية الله جعفر السبحاني وأحيل إليه الكلمة لعرض ما يَوَدّ أن يُطلِعَنا عليه في إطار مباحثه الفقهية الجليلة. وأطلب من العضو الزميل السيد عباس الجراري مدير الجلسات لأكاديمية المملكة المغربية أن يتفضل بالإدارة العلمية لهذه الجلسة.

٩٣

رسالة ترحيب بالشيخ السبحاني من قبل رئيس جامعة محمد الخامس

المملكة المغربية	Royaume du Maroc
جامعة محمد الخامس ـ أگدال	Universite Mohammed V - Agdal
رئاسة الجامعة	La Presidence

من رئيس جامعة محمد الخامس ـ اگدال

إلى سعادة الاستاذ محمد سعيد جامعي

سفير الجمهورية الإسلامية الايرانية

بالمملكة المغربية

الموضوع: التعاون المغربي ـ الإيراني

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد، إذ أشكركم جزيل الشكر على الاهتمام الّذي تولونه لجامعة محمد الخامس ـ اگدال وعلى مجهوداتكم في مد جسور التعاون والتواصل

العلمي بين جامعتنا والجامعات الإيرانية ورغبة منا في الرقي بعلاقاتنا العلمية والأكاديمية لما فيه ازدهار جامعاتنا العربية والإسلامية، أود أن أُعبر لسيادتكم عن ترحيبنا بالاستاذ العلامة آية الله جعفر السبحاني، خلال زيارته الكريمة لكلية الآداب والعلوم الإنسانية الّتي قد أُعدت البرنامج التالي لهذه الزيارة :

محاضرة بعنوان: «تأثير الزمان على استنباط الأحكام» يوم ١٣ / ٤ / ٢٠٠٥ على الساعة ٩ صباحاً.

«لقاء علمي مفتوح مع أساتذة شعبة الدراسات الإسلامية» يوم ١٣ / ٤ / ٢٠٠٥ على الساعة ١١ صباحاً.

محاضرة في موضوع: «الحديث النبوي بين الرواية والدراية» يوم ١٤ / ٤ / ٢٠٠٥ على الساعة ١٠ صباحاً.

متمنين للأُستاذ الفاضل آية الله جعفر السبحاني إقامة طيبة بين ظهرانينا، تفضلوا سعادة السفير، بقبول فائق التقدير والاحترام.

الرئيس

الدكتور حفيظ بوطلاب

٣١ / مارس / ٢٠٠٥ م

٩٤

رسالة الدكتور محمد بن عبدالله باجوده مدير مكـتبة الحـرم المكي



سعادة الأُستاذ جعفر السبحاني حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد:

تسلمت مكتبة الحرم المكي الشريف هديتكم القيمة نسخة من كتاب:

(موسوعة طبقات الفقهاء) ١٦ مجلداً.

أشكركم جزيل الشكر، سائلين المولى عزوجل أن يوفق الجميع لخدمة العلم وطلابه.

حفظكم الله. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدير مكتبة الحرم المكي الشريف

الدكتور محمد بن عبدالله باجوده

١٠ / ٧ / ١٤٢٦ هـ

رسالتان من الدكتور عبدالهادي التازي

٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

العلّامة المحقّق الثبت

الأُستاذ الجليل آية الله جعفر السبحاني

مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ـ قم المقدسة ـ إيران

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته

وبعد: فقد تلقيتُ ببالغ السرور خطابكم الكريم بواسطة نجلينا العزيزين محمود وشقيقه، فتَح الله لهما أبواب السعادات، وقد صادف وصوله وجودي في مكة لأداء عمرةٍ بارّةٍ ما أوجفتُ عليها من خيلٍ ولاركاب، ولكنها دعوة كريمة.

وقد تسلمت الهدية الثمينة التي تفضلتم بها عليّ، وكنت بحاجةٍ ماسّة إليها كما أنني كنت أتمنى أن أجتمع بكم أيام وجودكم بالمغرب.

كان تأليفاً رائعاً انكببت على تصفحه منذ أن تسلمته، لما اشتمل عليه

من أفكارٍ غير مسبوقة، وكمْ أنا متطلع للوقوف على الجزء الثاني.

إن موضوع القصص في القرآن موضوع دقيق جداً، ويكفي أن نعرف أن في صدر ما نزل من القرآن الكريم،ونبيُّنا عليه الصلوات، في المسجد الأقصى عند الإسراء يستعد للقاء الأنبياء: ﴿وَ اسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾[1] وبالرغم من أن طائفة من الباحثين تناولوا هذا التأليف لكن بحثكم تميّز بالوضوح والصدق والجاذبية، وعسىٰ أن يجد هذا التأليف مكانه في المكتبات المغربية بواسطة سفارتنا في طهران التي يقوم عليها زميل «عزيز وعالم» مطلع كبير له صلة قوية بمؤسسة السيد علال الفاسي الصديق الكبير لعلماء إيران... والّذي له مؤسسة بالرباط مقصودةً من لدن الباحثين.

سأسعد بأن أبعث إليكم لائحةً بمؤلفاتي، كما أبعث إليكم بآخر ما صدر لي عن القدس والخليل ممّا طبعتْه منظمة الإيسيسكو.

إذا الأحبابُ فاتهُم التلاقي فما صلةٌ بأحسنَ من كتابِ

أخوكم

عبدالهادي التازي

٢٩ / ١٠ / ٢٠٠٧ م

١. الزخرف: ٤٥.

٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأُستاذ الجليل والعلّامة الكبير
آية الله جعفر السبحاني

سلام الله ورحمته وبركاته

وبعد فقد أتحفني معالي السفير الناجح والصديق العزيز الأُستاذ الجليل محمد مسجد جامعي فأهداني الجزءَ الثاني من تأليفكم القيّم: «القصص القرآنية».

الّذي يتناول بحثاً في منتهى الأهمية، كنت في أمسّ الحاجة إليه لأنّه في اعتباري يُعطي فكرةً عن سيرة الأنبياء ومعاناتهم، ودور تلك القصص في تكوين شخصية الرسول الأكرم ﷺ.

وصلتنا هذه الهدية عن طريق السيدة الفضلى الأُستاذة زهرة حرم صديقي السفير الإيراني الناجح وحفيدة شيخي العلامة الكبير الشهيد أبي القاسم الخوئي رحمه الله.

وقد كان معالي سفير المغرب في إيران الأُستاذ الجليل والأخ المخلص

محمد الوفا أهداني نسخة أُخرى.. والمكرّر أغلى في شرع المحبّين!!

ولقد كنت معتزاً كثير الاعتزاز بأنكم ذكرتم اسمي على الصفحات الأُولى من تأليفكم القيم، نعم شعرت بالاعتزاز وأنا أجد اسمي إلى جانب اسمكم بما يحمله من علمٍ غزيرٍ واطلاع كبير واسع.

تمنياتي لكم بالمزيد من التوفيق وإلى عطاءات أُخرى بحول الله .

الدكتور عبدالهادي التازي

٢٨ / ٧ / ٢٠٠٨ م

رسالة من أحد مثقفّي العراق يشيد فيها بكتاب الإلهيات

٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أكمل وأجمل الخلق أجمعين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين

الاستاذ العلّامة آية الله العظمى

الشيخ جعفر السبحاني «دام ظلك الوارف»(١)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

١ . وصلتنا رسالة من أحد مثقفي العراق أشاد فيها بكتاب «الإلهيات» وذكر أنّه سدّ الفراغ الموجود في الجانب العقائدي فيما يرجع إلى المبدأ والمعاد، ووقع الكتاب مورد إعجابه ونحن قبل أن نورد نص رسالته نشير إلى أمر:

روى أُستاذنا الأعظم السيد حسين البروجردي وهو طريح على فراشه في أواخر أيّام عمره الشريف أواسط شوال المكرم من شهور عام ١٣٨٠هـ عن جدّه رسول اللّه ﷺ أنّه قال:«وأخلص العمل فإنّ الناقد بصير ». [الاختصاص للمفيد:٣٤١؛ بحار الأنوار:٤٣٢/١٣ ح٢٣].

ومعنى الحديث أنّه سبحانه هو الناقد الّذي يعرف الخالص من المغشوش، والعمل العاري عن الرياء والسمعة عن العمل المقترن بهما.

وانطلاقاً من هذا الحديث نرى أنّ تأثير كتاب «الإلهيات » في الأوساط الإسلامية وخاصة الشيعة الإمامية نابع من أنّ هذه المحاضرات قد دوّنت وحررت بمداد الإخلاص. فأرجو من اللّه سبحانه أن يجعل سائر أعمالنا خالصة لوجهه.

أمّا بعد:

حين البدء في الكتابة لشخصكم الكريم نازعني أمران:

الأوّل: شدة الشوق إليكم، والآخر: التردد في الكتابة، والسبب هو أنّني لا أعلم إنْ كانت مخاطبتكم فيها شيء من الجرأة غيرالمستحسنة فمثلنا ليس بالجدارة التيتؤهله لكي يكتب إليكم ولكن عذرنا ينبع من حسن النية في ذلك.

حتماً أنّكم تعلمون أنّنا في العراق عشنا فترة قاسية جداً ولاأود الخوض في جوانبها المتعددة بل فقط الإشارة إلى كبت الحرية الفكرية الحالكة، فكأنّ القول يبدو حقيقياً لو قلنا: إنّ منْ يحصل على كتاب ديني مهم كمن يجاهد في سبيل الله، فقد أصحرت المكتبات وقتل وسُجن الكثير من أصحاب الفكر الشيعي، إلّا أنّ ثقتنا بالله تعالى من انّه برحمته لا يسمح للظلام أن يحط بكلكله تماماً فكانت نعمة كبرى ان بدأنا مشوار معرفتكم في العام ١٩٩٨ م من خلال مؤلفكم الفذ ـ الإلهيات ـ فأصبحت كلماتكم نقاط ضوء تجمعت وكبرت فأزالت سُدفة كادت أن تعشي القلوب.

وهكذا أخذنا وضمن حلقة صغيرة من الشباب المؤمن نتذاكر في مواضيعه وقد وقانا الله العزيز من جلاوزة الدولة الذين يتابعون كل شيء حتّى الضيوف الذين يزورون بيوتنا.

لا أُريد الإطالة على سماحتكم ولكن لنؤكد فضل الله وفضلكم علينا في العراق في تلك الفترة وانّه كبير جداً، فقد كانت مقدمة كتابكم ساحرة

واخاذة تحولت إلى مفتاح لنشر أُصول الدين وباسلوبكم المجدد والمتجدد حيث كنت أتحدث بها لبعض الناس وبحذر فكانوا يـنجذبون لهـا بشكـل غريب وعجيب ممّا يجعلهم يطلبون المزيد ومازلتُ أواصل هذا العمل بعد سقوط النظام.

وقبل الختام لنا طلب لو سمحتم بـتحقيقه لنـا وهـو أنّـنا بـحاجة إلى دعائكم لنا بالتوفيق على صعيد الآخرة وليس الدنيا لأنكم من سبل الله تعالى.

وفي الختام نبتهل إلى الله جل شأنه أن يُـطيل بـظلكم الظـليل عـلينا ويزيدكم نوراً ويمتعكم بالصحة خدمة له تعالى ولأهل بيت النبوة سلام الله وصلاته عليهم وللشيعة ودمتم للمذهب وللإسلام والمسلمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

***

الفقير إلى الله

خادمكم كاظم أبو زيد ـ بغداد ـ العراق

حررت في ٢١ محرم / ١٤٢٦ هـ

الموافق ٤ / آذار / ٢٠٠٥ م

٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

أبيات شعرية للسيد الفاضل عبدالستار البغدادي الحسني

سُــــبحانَ واهِبِ شَــــيخنا (السُّــبحاني)

لُبَّ العُــــــلُومِ وَخـــــالصَ العِـــرفانِ

وبـ(جـعفرٍ) قَـد صـينَ (مَذْهَبُ جَعفرٍ)

عَـــــــن أن يُـــــدنِّسَهُ فَـــمُ البُــــهتانِ

ولهُ المــــزايـــا الغُـــرُّ يـــقصُرُ دُونَــها

قَـــــلَمُ البَـــليغِ ومـــقوَلُ التـــبيانِ

عـــــزَّ الّــــذي أولاهُ كُـــلَّ فـــضيلَةٍ

مـــــن فـــضلِهِ ورعـــاهُ بـــالإحسانِ

ولقـــد حـــباهُ مِـــنَ الفـــقاهَةِ رُتـبةً

راسٍ عـــــلاها فـــــي ذُرى كـــيوانِ

فــي كُــلِّ فــنٍّ قــد أجـالَ يـراعَـهُ
بِـبَراعَـةٍ يَـعنُو لَـها الثَّـقلانِ

عَـلمٌ أُصـوليٌّ فـقيهٌ كـاتبٌ
ومـفكرٌ مـتألِّهٌ ربـاني

مـازلتُ أسـمعُ بـاسمه مـتلهفاً
لأراهُ فـي دنـيا المـنى ويـرانـي

حـتّى أَصـبتُ بأرض قُـمٍ بـغيتي
فـازددتُ مـن خـبرٍ لهُ بـعيانِ

فـإذا هـو البـحرُ الخـضمُّ تـفجَّرَت
أثـباجُهُ بـفرائـدِ العـقيانِ

تـعنو لهـيبتهِ المـلوكُ جـلالةً
لسـموٍّ عـمّتهِ عـلى التـيجانِ

لا غـرو إن أضـحوا لديـهِ رعـيَّةً
فـالعلمُ سُـلطانٌ عـلى السُّـلطانِ

عـذراً إليكَ أبـا المـواهبِ إن اكُـن
لم أَلقَ مـن فـي فكـرهِ غـذانـي

مـــا كُـــنتُ أطـــمعُ بـــالتشرفِ بـــاللقا

بِكَ فـــي زمـــانِ الظـــلم والطـــغيانِ

إذ كـــيف أحـــظى بـــالوصال وإنَّـــني

أنـــا فـــي العـــراقِ وَأنتَ فـــي إيـرانِ

جســـمانِ مـــفترقانِ والقـــلبان قـــد

جُـــمعا بـــفضلِ عـــقيدةِ الإيـــمانِ

ولنـــعم ذاك المُـــلتقى فـــتعارُفُ الـ

أَرواحِ فـــوق تـــقارُب الأبـــدانِ

الأقل

السيد عبدالستار الحسني

عفي عنه

٩٩

أبيات شعرية مهداة من الفاضل

رياض أحمد السليم من لبنان

نـــجمٌ تألق بـــين النـجوم ســناه
ونـــهرٌ تــفرّد بـين المـعالي مـجراه

وفـــيض يـــموج بـــالعلم نـــافعاً
كُـــلَّ مـــن رام بـحره قـــد ســقاه

جـعفر العـــلم يـامن تسامى عـلمه
حـتّى نـــافس الجـوزاء مـــنه متناه

كـــفاني فـــرحـاً أن أراك مـعتليا
مـــنبر الدرس بـــين التـلاميذ تـقراه

ابنك

رياض أحمد السليم

١٠٠

أبيات مهداة من الأُستاذ أبي أسد البغدادي[(١)]

أيّـــها البـــلبلُ غـــرِّدْ وامـــلأ الأرواح بِشـــرا
قـــد عـــهدناك طـــليقاً تـــبعث الأنـــغام سِـــحرا
فـــيضوعُ الآس حُـــبّاً ويَـــميس الوردُ سُكـــرا
أنتَ فـــي صـــمتك تُـــلقي فـــي حـــنايا القـــلب جَـمرا
عُـــدْ إلى روضِكَ واصـــدح وانـــثُرَنْ فـــي الجـــوّ درّا
يـــلتقِطُهُ كـــلُّ بَـــرٍّ عـــاش فـــي دنـــياهُ حُـــرّا
يـــنشدُ الحـــقَّ صُـــراحـــاً ليُـــحيلَ اللّـــيلَ فَـــجرا
عُـــد إلى روضكَ نـــهتف: يـــا إله الكـــون شُكـــرا

حيدر محمد علي البغدادي الطحّان (أبو أسد)

---

١ . بعد وعكة صحية ألمّت بنا اضطررنا على إثرها لدخول المستشفىٰ وبعد خروجنا منه متعافين بحمد الله ورعايته، زارني إخوتي الأفاضل محقّقو مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، وبهذه المناسبة جادت قريحة الأُستاذ العزيز حيدر البغدادي الطحان بهذه الأبيات التي سأجعلها ـ اعتزازاً بمنشئها وبما قال ـ مسك الختام لهذا الكتاب، الذي أعتز وأفتخر بكل ما ورد فيه، لأن ما سطرناه هو جسور مودة وأواصر خالصة من كل ريبة مع جمع من الشخصيات والعلماء والأفاضل وأصحاب الشأن، وفقني الله تعالى للّقاء بهم ومكاتبتهم مبتغياً رضوانه عزوجل .

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
الباب الثاني	
الرسائل المتبادلة	

١ . ما بين القوسين يمثّل أرقام الرسائل، وقد اخترنا من العناوين أبرز ما تناولته تلك الرسائل. وهكذا بقية الفصول.

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة